مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المعروف بسبط ابن الجوزي

٥٨١ - ٦٥٤هـ

الجزء الرابع عشر

٢٠٧ - ٢٣٣هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

رضوان مامو | محمد معتز كريم الدين | فادي المغربي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ





دار الرسالة العالمية

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي وصلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460



السَّنة السابعةُ بعد المئتين*

فيها خرج عبدُ الرحمن [بن أحمدَ][(١)] بن عبد الله [بنِ محمد] بن عُمرَ بن عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ببلاد عَكٍّ من اليمن [يدعو إلى الرِّضى من آل محمدٍ ﷺ. وسببُ خروجه أنَّه كان باليمن] عمَّال أساؤوا السيرةَ وظلموا، فضجَّت الرعيَّةُ منهم، فاجتمع الناسُ إلى عبد الرحمنِ فبايعوه، فبعث إليه المأمونُ دينارَ بن عبدِ الله في عسكرٍ كثيف، وكتب له أماناً بخطِّه، فحضر دينارٌ الموسمَ وحجّ، ثم سار إلى اليمن، فبعث إلى عبد الرحمنِ بأمان المأمون، فقَبِله ووضع يدَه في يد دينار، فخرج به إلى المأمون، فأكرمه، ومنع المأمونُ الطالبيِّين من الدخول عليه، وأَخَذَهم بلُبس السَّواد.

وفيها توفي طاهرُ بن الحسين.

وفيها ولَّى المأمونُ موسى بنَ حفص طَبَرِستان [والرُّويان ودُنْباوَنْد وأعمالَها][(٢)].

وحجَّ بالناس أبو عيسى بنُ هارونَ الرشيد.

[فصل][(٣)] وفيها توفي

حذيفةُ بن قتادةَ المَرْعَشي[(٤)]

ومَرْعَش موضعٌ بالشام معروف.

كان من كبار مشايخ الشام، اشتَهر بحُسن الكلام، [وروى أبو نُعيم عنه] قال: لو وجدتُ أحداً يُبغضني في الله، لَأَوجبتُ على نفسي حبَّه. و[روى أبو نعيم[(٥)] عنه أيضاً أنَّه] قال لعبد الله بن خُبيق: إن لم تخش أن يعذِّبَك اللهُ على أحسنِ عملك، وإلَّا فأنت هالك.

* عمل في هذا الجزء رضوان مامو ومعتز كريم الدين إلى سنة (٢١٩هـ)، وفادي المغربي من سنة (٢٢٠هـ) إلى نهايته.

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وهو الموافق لما في تاريخ الطبري ٨/ ٥٩٣.

(٢) في (خ): وغيرها.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٦٧-٢٧١، وصفة الصفوة ٤/ ٢٦٨-٢٧٠، والمنتظم ١٠/ ١٦٢-١٦٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٧.

(٥) في حلية الأولياء ٨/ ٢٦٨، وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٨٩٨٠). وما بين حاصرتين من (ب).

قال: وقال لي حذيفة: [إنَّما هي أربعة][١] عيناك، ولسانُك، وبطنك، وفَرْجك[٢]، فانظر إلى عينيك أن تنظرَ بهما إلى ما لا يحلُّ لك، وانظر إلى لسانك أن تتحدَّثَ به شيئاً يعلم اللهُ خلافَه، وانظر إلى بطنك أن تضعَ فيه ما لا يحلُّ لك، وانظر إلى فَرْجك أن تأتي به ما نهاك اللهُ عنه.

و[في رواية: إنما هي ستَّة، وذكر قلبَه وهواه وقال:][٣]: انظر إلى قلبك أن يكون فيه غِلٌّ للمسلمين، وانظر إلى هواك لا تميلُ به إلى ما يكون سبباً لهلاكك، فإذا لم يكن فيك هذه الخِصال، وإلَّا فاجعل الرَّمادَ على رأسك، فقد شقيت.

وقال: إياكم وهدايا الفجَّار والسفهاء؛ فإنكم إن قبلتموها، ظنُّوا أنكم قد رضيتم بفعلهم.

و[روى ابن باكُويه الشيرازيُّ عن حذيفةَ] قال: ركبت البحر، فانكسر بنا المركب، فبقيت أنا وامرأةٌ على لوحٍ بين الأمواج[٤] سبعةَ أيام، فقالت المرأة: قد عطشت، فسل اللهَ أن يسقينا. [قال] فدعوت الله، فإذا بسلسلةٍ قد نزلت من السماءِ وفيها كوزٌ معلَّق [فشربنا][٥] ماءً أبردَ من الثلج وأحلى من العسل، فرفعتُ رأسي أنظر إلى السِّلسلة، فإذا برجلٍ جالس في الهواء متربِّعاً، قلت: مَن أنت؟ قال: من الإنس، قلت: فما الذي بلَّغك هذه المنزلة؟ فقال: آثرتُ مرادَ اللهِ على هواي، فأجلسني في الهواء.

وقال بِشرٌ الحافي: كتب حذيفةُ إلى يوسفَ بنِ أسباط: أما بعد: فإنِّي أخاف أن تكونَ محاسنُنا أضرَّ علينا يومَ القيامة من مساوئنا.

وتوفِّي حذيفةُ في هذه السَّنة، وجالس سفيانَ الثوريَّ وغيرَه، واشتغل بالعبادة عن الرواية، رحمةُ اللهِ عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وبدلها في (خ) كلمة غير واضحة، ولعلها: ست، وقد ذكر في (خ) ستة. وسيأتي بعد قليل.

(٢) بعدها في (خ): وقلبك وهواك. وانظر صفة الصفوة ٤/ ٢٦٨، وذمّ الهوى ٢١-٢٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ب): الألواح، وانظر صفة الصفوة ٤/ ٢٧٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

[وفيها توفِّي

زيدُ بن يحيى

ابنِ عُبيد الله[١] أبو عبدِ الله الخُزاعيُّ الدمشقي. ودُفن بالباب[٢]، وكان من أرباب الفتوى بدمشقَ، توفِّي بدمشق في هذه السَّنة.

أسند عن الأوزاعيِّ والليثِ بن سعدٍ ومالك بن أنسٍ وغيرهم. وروى عنه أحمدُ بن حنبلٍ وزهيرُ بن حربٍ وعبدُ الله بن عبد الرحمن الدارميُّ في آخرين.

قدم بغدادَ وحدَّث بها، ثم رجع إلى دمشقَ فتوفيِّ بها. وكان صدوقاً ثقة].

طاهرُ بن الحسين

ابنِ مصعب بن رُزَيْق بن أسعد.

و[اختلفوا فيه، فقال ابنُ ماكولا:][٣] أسعد مولى سعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه.

و[قال ابنُ قتيبة:] طاهرٌ مولى عبد الله بن خلف الخُزاعي والدِ طلحةَ الطَّلْحات[٤]. وقيل: رُزيق بن أسعدَ مولى عبدِ الله بن خلف. وهو الظاهر[٥]. وأسعدُ ابنُ زاذان. وطاهر كان يُكنى أبا طلحة، فكناه المأمونُ أبا الطيِّب. ولم يكن طاهرٌ من بيت الملك، وإنَّما كان صاحبَ همَّة.

[ذِكر طَرَفٍ من أخباره:

قد ذكرنا أنَّ المأمونَ بعثه فقتل الأمينَ، وولَّاه الجزيرةَ والمغربَ، ثم ولَّاه خُراسان] وكان جواداً ممدَّحاً. وقَّع يوماً بصلات، فأُحصيت فكانت ألفَ ألفٍ وسبعَ مئةِ ألف [درهم][٦].

---

(١) في المصادر: ابن عبيد. انظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٥٠، والمنتظم ١٠/ ١٦٢، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٧. والترجمة ليست في (خ).

(٢) أي: باب الصغير بدمشق.

(٣) في الإكمال ٤/ ٥١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) الذي قاله ابن قتيبة في المعارف ص٤١٩ أنَّ رزيقاً جدَّ طاهر بن الحسين هو مولى عبد الله بن خلف، لا ما نسبه إليه المصنف وَهَماً.

(٥) ينظر التعليق السابق

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

و[روى أبو الفضلِ بنُ ناصر قال:] بينا طاهرٌ في حرَّاقته يوماً وقد عزم على الخروج منها [إلى الشطِّ] إذ عرض له [الخَلُوقيُّ] الشاعر[١] فقال: [من المتقارب]

عجبتُ لحرَّاقة ابنِ الحسيـ ـنِ كيف تعوم ولا تغرقُ
وبحرانِ مِن تحتها واحدٌ وآخَرُ من فوقها مُطبِقُ
وأعجبُ من ذاك عِيدانُها وقد مسَّها كيف لا تورِقُ

فقال: أعطُوه ثلاثةَ آلافِ دينار، وقال: زِدنا حتى نَزيدَك، فقال: حَسْبي حسبي.

[وحكى الخطيبُ[٢] أنَّ] رجلاً من خُراسانَ وقف له[٣] فأنشده: [من الكامل]

أصبحتُ بين خَصاصةٍ وتجمُّلٍ والحرُّ بينهما يموت هزيلا
فامدُد إليَّ يداً تعوَّد بطنُها بذلَ النَّوال وظهرُها التَّقبيلا

فأعطاه عشرين ألفاً.

وقال أحمدُ بن يزيدَ السُّلَمي: كان طاهرٌ من رجالات خُراسان، جواداً ممدَّحاً، كنت معه بالرقَّة وأنا أحد قوَّاده، فركب يوماً إلى ظاهر الرقَّة فتمثَّل[٤]: [من الطويل]

عليكم بداري فاهدموها فإنَّها تراثُ كريمٍ لا يخاف العواقبا
إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَه ونكَّب عن طَرْق الحوادثِ جانبا
ولم يستشرْ في رأيه غيرَ نفْسِه ولم يرضَ إلَّا قائمَ السيفِ صاحبا

ثم دار حول الرافقةِ[٥] وجاء فنزل في القصر، ثم نظر في رِقاعٍ فوقَّع عليها بألف ألفِ درهم وسبعِ مئة ألفِ درهم، فقال قائل: ما رأينا مثلَ هذا المجلس، لكنه سَرَف، فقال

---

(١) في (خ): عرض له شاعر. اهـ. وهو مُقَدَّس بن صيفي الخلوقي، انظر وفيات الأعيان ٢/ ٥١٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٨٤، والمنتظم ١٠/ ١٦٥-١٦٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ٩٤، والسير ١٠/ ١٠٨-١٠٩، والحَرَّاقة: ضربٌ من السفن فيها مرامي النيران يرمى بها العدو في البحر. الصحاح (حرق).

(٢) في تاريخه ١٠/ ٤٨٥.

(٣) في (خ): ووقف له رجل من خراسان.

(٤) ستأتي الأبيات بعد قليل ضمن قصيدة في ثمانية أبيات، وباختلاف في الرواية. وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٦٩٦، وديوان الحماسة ١/ ٣٥ (بشرح التبريزي) و ١/ ٦٧ (بشرح المرزوقي)، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٨٤، والخزانة ٨/ ١٤١.

(٥) بلد متصل البناء بالرقة. معجم البلدان.

طاهر: السَّرف من الشَّرف.

قال المصنِّف رحمه الله: والأبياتُ التي تمثَّل بها لسعد بن ناشبٍ المازني، أصاب دماً، فهدم بلالُ بن أبي بُردةَ داره، فقال الأبيات، وهي في «الحماسة» وأوَّلها:

سأغسل عني العارَ بالسيف جالبا — عليَّ قضاءَ اللهِ ما كان جالبا
وأذهَل عن داري وأجعل هدمَها — لعِرضيَ من باقي المذمَّة حاجبا
ويصغر في عيني تِلادي إذا انْثَنَتْ — يميني بإدراك الذي كنتُ طالبا
فإنْ تهدموا بالغدر داري فإنَّها — تراثُ كريمٍ لا يخاف العواقبا
أخو غَمَراتٍ لا يريد على الذي — يهُمُّ به من مُفظِعِ الأمرِ صاحبا
إذا همَّ لم تُردَعْ عزيمةُ همِّه — ولم يأتِ ما يأتي من الأمر هائبا
فيا لَرِزامٍ[1] رشِّحوا بي مقدّماً — إلى الموت خوَّاضاً إليه الكتائبا
إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَه — ولم يستشرْ في رأيه غيرَ صاحبا[2]

وقال أحمدُ بن يزيد: كتب إلى طاهرٍ رجلٌ سفيهٌ برجل، فكتب على قصَّته: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

وكتب طاهرٌ إلى إبراهيمَ بن المهديِّ وهو يحاصر بغداد: أما بعد: فإنَّه عزيزٌ عليَّ أن أكتبَ إلى أحدٍ من أهل بيتِ الخلافة بغير الإمرة، غيرَ أنَّني بلغني ميلُك إلى المخلوع الغادرِ الناكث، فإنْ كان كما بلغني، فكثيرٌ ماكتبت به إليك، وإن كان غيرَ ذلك، فالسلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه أيها الأمير.

وقال القاضي التَّنوخي[3]: لمَّا خرج طاهرٌ إلى محاربة عليِّ بن عيسى بنِ ماهان، ترك في كُمِّه دراهم ليفرقها في الفقراء والمساكين، ثم ركب وأسبل كُمَّه ناسياً، فوقعت الدراهم وتبدَّدت، فتطيَّر واغتمَّ، وكان عنده شاعر، فأنشده: [من الكامل]

هذا تفرُّق جمعِهم لا غيرُهُ — وذهابُها منه ذهاب الهمِّ

(١) اللام لام الاستغاثة، ورزام ينجرُّ به، وهم المدعوون. شرح المرزوقي.
(٢) كذا؟ وقد سلف هذا الشطر قبل قليل صدرَ بيت، وجعله هنا في العجز لم أجده لغيره.
(٣) في الفرج بعد الشدة ١/ ٢٨١ .

شيءٌ يكون الهمُّ بعضَ حروفه[١] ... لا خير في إمساكه في الكُمِّ

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ذِكر تنكُّره على المأمون ووفاتِه:

وقد ذكرنا سببَ ذلك وإفضاءَه إلى العصيان من غير مجاهرة، وخاف المأمونُ أن يجاهرهَ فينفتقَ عليه من خُراسان فتق عظيم، وربَّما أقام طاهرٌ من آل أبي طاهرٍ من يولِّيه الأمر، فشرع في ملاطفته [فحكى الخطيبُ عن كُلثوم بن ثابتٍ قال: لمَّا انقبض طاهرٌ عن المأمون واحترز منه][٢] أهدى له [المأمونُ] وَصِيْفاً أديباً عالماً بفنون العلم، وبعث معه بالهدايا وأعطاه سمَّ ساعة، وأمره أن يسمَّه [وضمن له الأموالَ والرِّئاسة والتَّقدمة] فلمَّا وصل إلى طاهر، قبل الهديةَ وأنزل الوصيفَ في دار، وأجرى عليه ما يحتاج إليه، فأقام شهراً لا يراه، فكتب الوصيفُ إليه [لما تبرَّم بالمقام:] إن كنتَ قبلتني وإلَّا فردَّني إلى مولاي، فاستدعاه طاهرٌ وقد جلس على لِبْد أبيضَ وبين يديه سيفٌ مسلول ومصحفٌ منشور وقد حلق رأسَه، ولما دخل عليه قال: قد قبلنا هديةَ أميرِ المؤمنين غيرَك، فأَخْبِره بالحال التي أنا عليها، وليس له جوابٌ عندي غير ما تراه، وجهَّزه أحسنَ جَهَاز، فلمَّا قدم على المأمون وأخبره بالخبر، جمع جلساءه وقال: ما تقولون؟ فلم يفهموا فعلَ طاهر.

فقال المأمون: أما جلوسُه على اللِّبد وحلقُ رأسه، فقد أخبرنا أنه عبدٌ ذليل، وأما المصحف، فهو يذكِّرنا العهودَ التي بيننا وبينه، وأما السيف، فإنَّه يقول: إن وفيت بالمواثيق وإلا فالسيفُ بيننا، ثم قال: لا تذكروه بعد اليوم، فاتفق موتُ طاهر.

وكان يتمثَّل بقول دِعْبِل: [من الكامل]

أيسومني المأمونُ خُطَّةَ عاجزٍ ... أَوَما رأى[٣] بالأمس رأسَ محمَّدِ

إنِّي من القوم الذين همُ وهمْ ... قتلوا أخاك وشرَّفوك بمَقْعدِ[٤]

(١) أي: الهاء والميم، وهما: همّ، بعضُ حروف كلمة الدرهم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر في العقد الفريد ٢/ ٢٠٤ أوضح مما هنا وأتم.

(٣) في (خ): أوما ولي، والمثبت من الديوان ص١٢٢.

(٤) في الديوان:

=

وقال كُلثوم بن ثابت -وكان على بريد المأمونِ بخُراسان-: لمَّا انقضت من ولاية طاهرٍ [بخُراسان] سنتان ودخلت عليه [سنة][(١)] سبعٍ ومئتين، حضرتُ يومَ الجمعة، فصعد المنبرَ وخطب، فلمَّا بلغ إلى ذِكر الخليفة، أمسك عن الدعاءِ له وقال: اللهم أَصلحْ أمَّةَ محمدٍ ﷺ بما أصلحتَ به أولياءك، واكفِها مؤنةَ مَن بغى عليها، واحقِنْ دماءها، وأَصلح ذاتَ البين [فلمَّا نزل] قلت له: ما هذا! أين الدعاءُ لأمير المؤمنين؟! قال: سهوت. فلما كان في الجُمُعة الأخرى فَعَلَ ذلك، فكتبت إلى المأمون [بذلك] فلمَّا كان بعد العصرِ من ذلك اليوم، دعاني طاهرٌ وقد حدث حادثٌ في جفن عينه، فخرجتُ من عنده، فدعاني ابنُه طلحةُ فقال: هل كتبتَ إلى المأمون بما كان؟ قلت: نعم، قال: فإنَّه قد مات، خذ هذه خمس مئة ألفِ درهم واكتب إلى المأمون بوفاته [وبقيامي بأمر الجيش] فكتبت، فوردت الخريطةُ على المأمون غُدوة بخلعه، فدعا ابنَ أبي خالدٍ وصاح عليه وقال: أنت الذي أفلتَّه من يدي، والله لئن لم تأتني به لَأَسوءنَّ عُقباك، فخرج من يومه، ثم جاء الخبر بوفاته ليلاً، فدعا ابنَ أبي خالد وقال: مَن ترى نولِّي مكانَه؟ قال: ابنُه طلحة.

ولمَّا وقف المأمونُ على وفاته قال: لليدين والفم[(٢)]، الحمدُ لله الذي قدَّمه وأخَّرنا.

واختلفوا في سبب وفاتِه، فقيل: خرج في جَفنه بَثرةٌ فمات. وقيل: أصابته حمًّى شديدةٌ فأحرقته. وقيل: وُجد ملفوفاً في دُواج[(٣)] ميِّتاً ورأسُه مشدود -وكذا رِجلاه- على الدُّواج. وكانت وفاته بمروَ في جُمادى الأولَى، وقيل: الآخرة.

و[اختلفوا فيمن][(٤)] ولَّى المأمونُ [بعده على قولين: أحدهما:] ابنُه طلحة، فأقام والياً على خُراسانَ سبعَ سنين، وكان يتولَّى حربَ بَابَك، فأقام بالدِّينَور وجهَّز إليه الجيوش، ولمَّا مات طلحة، بعث المأمونُ بيحيى بنِ أكثمَ إلى عبد الله بنِ طاهرٍ يعزِّيه على أخيه ويهنِّئه بولاية خُراسان.

= إنّي من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) يقال هذا عند الشماتة بسقوط إنسان، أي: أسقطه اللهُ عليهما. مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) الدُّوَّاج والدُّوَاج: اللحاف الذي يلبس. القاموس المحيط (دوج).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

[والثاني:][(١)] أنَّه لمَّا مات طاهر، وثب الجندُ فانْتَهَبوا بعضَ خزائنه، فقام بأمرهم سلامٌ الأبرش الخصيّ، وأعطاهم رزقَ ستَّة أشهر، فصيَّر المأمونُ عملَ طاهرٍ إلى طلحةَ خليفةً عن أخيه عبدِ الله بن طاهر، وكان عبدُ الله مقيماً بالرقَّة، فولَّاه المأمون عملَ طاهر كلَّه، وجمع له ذلك مع الشام، وكان يحارب نصرَ بن شبث، فبعث إليه بعهده [على خُراسان][(٢)] فوجَّه عبد الله أخاه طلحةَ إلى خُراسان، وبعث المأمونُ أحمدَ بن أبي خالدٍ إلى خُراسانَ للقيام بأمر طلحة، فشخص أحمدُ إلى خُراسان، فالتقاه طلحة، فقال له أحمد: غيِّب وجهَك عني؛ فإنَّ أباك عرَّضني للعطب، ولولا أميرُ المؤمنين ما خرجت إليك، ثم سار أحمدُ ومعه طلحةُ فعبروا النهر، وقرَّر أحمدُ أمورَ طلحةَ وعاد إلى العراق، فأعطاه طلحةُ ثلاثةَ آلافِ ألف درهم، وعروضاً بمئتي ألفِ[(٣)] درهم، وأعطى كاتبَه إبراهيمَ بن العباس خمسَ مئة ألفِ درهم، ووصل أصحابَه وخواصَّه بأموال عظيمة، وأقام طلحةُ والياً على عمل طاهرٍ سبعَ سنين في أيام المأمون، ومات طلحة، فاستقلَّ عبدُ الله بن طاهرٍ بالأعمال.

وذكر الحاكمُ في «تاريخ نَيسابور» أنَّ المأمونَ لما ولَّى عبدَ الله بنَ طاهر خُراسانَ وأقام بها، كتب إلى المأمون: أمَّا بعد: فقد بَعُدَت داري عن ظلِّ أميرِ المؤمنين، وقد اشتدَّ شوقي إلى حضرته؛ لأتشرَّف بخدمته وأتجمَّلَ بمجلسه وأتزيَّن بخطابه، وإن كنتُ في سعةٍ من العيش، لكن لا شيءَ عندي أبرُّ من قُربه، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لي في ورود حضرتِه لأجدِّدَ عهداً بالمنعِم عليَّ وأتهنَّأ بنِعَمٍ أسداها إليّ، فَعَلَ محسناً إن شاء اللهُ تعالى.

فلمَّا قرأ المأمونُ كتابه، وقَّع فيه: قُربك يا أبا العباسِ حبيب، وأنت مني حيث كنتَ قريب، وإنما بعدت دارُك نظراً لك، وسموًّا بك، ورغبةً فيك، فاتَّبع قولَ الشاعر[(٤)]:

[من الطويل]

رأيتُ دُنوَّ الدارِ ليس بنافعٍ إذا كان ما بين القلوبِ بعيدُ

(١) في (خ): وقيل.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٩٥، وابن الأثير ٦/ ٣٨٣: بألفي ألف.

(٤) هو أبو نواس، والبيت في ديوانه ٤/ ٥٢.

ومن شِعر طاهرٍ لمَّا تغيَّر على المأمون: [من الطويل]

غضبتُ على الدنيا فجفَّت ضُروعُها ... وما الناسُ إلَّا بين راجٍ وخائفِ
قتلتُ[١] أميرَ المؤمنين وما أرى ... بقائي كذا إلَّا لقتل الخلائف
وقد بقيتْ في أُمِّ رأسي بقيَّةٌ ... فإمَّا لحزمٍ أو لأمرٍ مخالف
ومُنِّيتُ في دهر كثيرٍ صروفُه ... كأنيَ فيه من ملوك الطَّوائف

وبلغ المأمونَ، فقامت قيامتُه، وقال: مَن يجيبه؟ فقال محمدُ بن يزيدَ[٢] بنِ مَسلمة: أنا، فأجابه:

عتبتَ على الدنيا فلا كنتَ راضياً ... ولا أعتَبَتْ إلَّا بإحدى المتالفِ
فمن أنتَ أو ما أنت يا فَقْعَ قَرقَرٍ[٣] ... إذا أنتَ منَّا لم تُعلَّقْ بكانف
ستعلم ما تجني عليك وما جَنَتْ ... يداك فلا[٤] تفخرْ بقتل الخلائف
وقد بقيت في أُمِّ رأسِكَ فتكةٌ ... سنخرجها منه بأسمرَ راعف

وبعث بها إليه، فمات قبلَ وصولها.

ورثاه جماعة [قال الخطيب: أخبرني عُبيد اللهِ بن أبي الفتحِ بإسناده إلى أبي القاسمِ السَّكوني قال: أنشد جعفرُ بن الحسن[٥] لبعض المحدَثين يرثي طاهراً][٦]: [من الخفيف]

فلئن كان للمنيَّة رهناً ... إنَّ أفعالَه لَرهنُ الحياةِ
ولقد أوجب الزكاةَ على قو ... مٍ وقد كان عيشُهم بالزَّكاة

وكان له من الولد طلحةُ وعبدُ الله [وسنذكرهما في تراجمهما].

---

(١) في (خ) والوافي ١٦/ ٣٩٩: فقلت، والمثبت من العقد الفريد ٢/ ١٩٧، وجمهرة الأمثال ١/ ٧٥.

(٢) في (خ): شريك، والمثبت من العقد الفريد.

(٣) في (خ): قنع قرقرا، والمثبت من العقد الفريد. والفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة، ويقال للذليل: أذل من فقع بقرقرة، وهي الأرض المطمئنة اللينة. القاموس المحيط (فقع)، (قرر).

(٤) في (خ): وما. والمثبت من العقد الفريد.

(٥) في (ب): محمد، والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨٦.

(٦) في (خ): فقال بعض المحدثين.

حدَّث [طاهر] عن عبد اللهِ[1] بن المبارك وعن عمِّه عليٍّ [بنِ مصعب]. وروى عنه ابناه طلحةُ وعبدُ الله.

عمرُ[2] بن حبيب

العدويُّ، القاضي، الحنفيُّ، البصري، من بني عَديٍّ بن عبدِ مَنَاة.

قدم بغداد، وولي بها قضاءَ الشرقيةِ وقضاء البصرة.

[ذكر له الخطيبُ[3] حكايةً رواها عن الأزهريِّ بإسناده إلى عمرَ بنِ حبيب] قال: حضرتُ مجلسَ الرشيد، فجرت مسألة، فتنازعها الخصومُ وارتفعت أصواتُهم، واحتجَّ بعضهم بحديثٍ رواه أبو هريرة، فردَّ بعضهم الحديثَ وقال: أبو هريرة متَّهم في روايته، وصرَّحوا بتكذيبه، ومال هارونُ إلى قولهم ونصره، فقلت أنا: الحديثُ صحيحٌ عن رسول اللهِ ﷺ، وأبو هريرةَ صدوقٌ فيما يرويه عن رسولِ الله ﷺ، فنظر إليَّ الرشيد نظرَ مغضَب، وقمت، فما بلغت بابَ المنزل إلَّا وصاحبُ البريد بالباب، فقال: أَجِب أميرَ المؤمنين إجابةَ مقتول، فقلت: اللهمَّ إنك تعلم أني دافعتُ عن نبيِّك ﷺ، وأَجللته أن يُطعنَ على صاحبه، فسلِّمني منه.

وتحنَّطت وتكفَّنت. ثم أُدخلت عليه وهو جالسٌ حاسر عن ذراعيه، وبيده السيفُ وبين يديه النِّطع، فلمَّا رآني قال: يا عمرَ بنَ حبيب، ما تلقَّاني أحدٌ من الردِّ والدفعِ مثلما لقيتَني به، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الذي قلتَه وجادلت عليه فيه إزراءٌ على رسول اللهِ ﷺ، وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابُه كذَّابين، فالشريعةُ باطلة، والأحكامُ والحدود مردودة. قال: فرجع إلى نفسه وفكَّر ثم قال: أحييتَني [يا عمر بن حبيب][4] أحياك الله، يردِّدها ثلاثاً. وأمر لي بعشرة آلافِ درهم.

وكانت وفاةُ عمرَ [في هذه السَّنة] بالبصرة. وقيل: ببغداد.

أسند عن [داودَ بنِ أبي هندٍ وخالدٍ الحذَّاء و] هشامِ بن عروة [وسليمانَ التَّيمي]

---

(١) في (خ): عن مصعب عن عبد الله ...، وهو خطأ. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): عمرو، في كل المواضع، وهو خطأ.

(٣) في تاريخه ١٣/ ٢٨ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

وغيرِهم[١]. وروى عنه [محمدُ بن عُبيد الله] بنِ المنادي وغيرُه. وكان صدوقاً ثقة[٢]، حاكماً بالعدل، لا تأخذه في الله لومةُ لائم.

[وقال الخطيب:][٣] ولّاه هارونُ قضاءَ البصرة -وكان عليها محمدُ بن سليمان[٤]- فقال عمرُ ليحيى بن خالد: تبعثوني إلى جبّار لا آمَنُه، يعني محمدَ بن سليمان، فبعث معه مئةَ فارس، فكان إذا جلس للقضاءِ قام خمسون عن يمينه وخمسون عن يساره [سِماطَين][٥] فلم يكن قاضٍ أهيبَ منه، وكان لا يكلِّمه في الطريق أحدٌ، رحمةُ الله عليه. وهو الذي استعدى إليه رجلٌ على عبد الصمدِ[٦] بن عليٍّ بن عبدِ الله بن عباسٍ عمِّ المنصور، فلم يحضر مجلسَ الحكم، وبلغ هارونَ الرشيد، فقال: واللهِ لا يمشي إلى مجلس الحكمِ إلَّا ماشياً، وكان شيخاً كبيراً، فبُسطت له اللُّبود وحضر، فحكم عليه عمرُ بن حبيب [وقد ذكرناه فيما مرّ[٧]].

وتكلَّموا في عمرَ بن حبيب، فقال الساجي: تركوه؛ لموضع الرأي، وكان صَدوقاً، وذكره النَّسائيُّ في «الضُّعفاء والمتروكين»[٨]].

محمدُ بن عبد الله

ابن عبد الأعلى، أبو يحيى الأسَديُّ الكوفي. ويُعرف بابن كُناسة، وهو لقبُ أبيه عبدِ الله، ومحمدٌ هو ابن أختِ إبراهيمَ بن أدهمَ رحمه الله[٩].

---

(١) في (خ): وغيره.

(٢) كذا قال، وهو مخالف لما سيأتي آخر الترجمة وما في المصادر. انظر تاريخ بغداد، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٤٩٠.

(٣) في تاريخه ١٣/ ٢٨ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين معترضتين ليس في تاريخ بغداد.

(٥) يعني صفين، سماط القوم: صفهم. القاموس (سمط)، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (خ): عبد الرحمن. وهو خطأ. وانظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢٩ .

(٧) ١٣/ ٦٨. وما بين حاصرتين من (ب).

(٨) ص٨٤.

(٩) تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٩-٤٠٤، والأنساب للسمعاني ١٠/ ٤٧٤، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٥٠٨، وغيرها.

كان عالماً بالعربية والشِّعر وأيامِ الناس [وذكره الخطيب[1] فقال:] وُلد سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومئة [وقدم بغدادَ وحدَّث بها.

قال[2]:] ورآه رجلٌ يحمل بطنَ شاةٍ [بيده] فقال: أنا أحمله عنك، فقال: [من الرجز]

لا ينقص الكاملَ من كمالهِ ... ما جرَّ من نفعٍ إلى عيالهِ

[روى الخطيبُ[3] بإسناده إلى] إسحاقَ بن إبراهيمَ قال[4]: أتيتُ محمدَ بن كُناسةَ لأكتبَ عنه، فكثر عليه أصحابُ الحديث، فتضجَّر منهم وتجهَّمهم، فلمَّا انصرفوا عنه دنوتُ منه، فهشَّ إليَّ واستبشر [بي] وبسط وجهَه، فقلت له: لقد تعجَّبت من تفاوت حالتَيك، فقال: أَضجرني هؤلاء بسوء أدبهم، فلمَّا جئتَني انبسطتُ إليك، وقد حضرني في هذا المعنى بيتان، وهما: [من المنسرح]

فيَّ انقباضٌ وحِشمةٌ فإذا ... صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيَّتها ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فقلت: وددتُ أنَّ هذين البيتَين لي بنصف ما أملك، فقال: قد وفَّر الله عليك مالك، ما سمعهما أحدٌ ولا قلتُهما إلَّا الساعة، فقلت له: فكيف لي بعلم نفسي أنَّهما ليسا لي!

[قال الخطيب:][5] ومن شِعره [أيضاً:] [من الطويل]

ضعفتُ عن الإخوان حتى جفوتُهمْ ... على غير زهدٍ في الإخاءِ وفي الوُدِّ
ولكنَّ أيامي تخرَّمنَ قوَّتي ... فما أبلغُ الحاجاتِ إلَّا على جهد

[واختلفوا في وفاته، فقال الخطيب[6]: في سنة سبعٍ ومئتين هذه السَّنة] وكانت وفاتُه بالكوفة لثلاثِ ليالٍ خلونَ من شوَّال [قال: وقال ابنُ قانع: في سنة تسعٍ ومئتين].

(١) في تاريخه ٣/ ٣٩٩، ٤٠٤. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ٣/ ٤٠٢.
(٣) في تاريخه ٣/ ٤٠٢.
(٤) في (خ): وقال إسحاق بن إبراهيم.
(٥) في تاريخه ٣/ ٤٠٣. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في تاريخه ٣/ ٤٠٤-٤٠٥. وما بين حاصرتين من (ب).

حدَّث عن هشام بنِ عروةَ [والأعمش] وغيرِهما[١]. وروى عنه الإمامُ أحمدُ رحمةُ الله عليه وغيرُه، واتفقوا على صدقه وثقتِه [وأمانتِه وديانته].

محمد بن عُمر

ابنِ واقد، [أبو][٢] عبد الله الواقديُّ الأسلميُّ، مولاهم. صاحبُ المغازي والسِّير وأيامِ الناس[٣].

ذكره ابنُ سعد في الطبقة السابعةِ من أهل المدينة[٤] [قال[٥]: وهو مولًى لبني سهم من أسلم. قال ابنُ سعد: أخبرني أنَّه] ولد [في أوَّل] سنةِ ثلاثين ومئة، وقدم بغدادَ سنةَ ثمانين، ولحقه دَين، ثم خرج إلى الشام والرقَّة، ورجع إلى بغداد، فلم يزل بها حتى قدم المأمونُ من خُراسان، فولَّاه القضاءَ بعسكر المهديّ، فلم يزل بها قاضياً حتى مات، وكان عالماً بالسِّير والمغازي [والفتوحات، وصنَّف فيها الكتبَ] واختلافِ الناس في الحديث والأحكامِ والفقه، واجتماعِهم على ما اجتمعوا عليه [وقد فسَّر ذلك في كتبٍ استخرجها وحدَّث بها]. وكان جواداً سخيًّا.

[وقال الخطيب[٦] عن ابن سعد[٧]: ولي الواقديُّ لعبد الله بنِ هارون أميرِ المؤمنين أربعَ سنين بعسكر المهدي.]

ذِكر طَرَفٍ من أخباره:

[قد اختلفت الروايةُ في أوَّل معرفته بيحيى بنِ خالد، فقال الخطيبُ[٨] بإسناده إلى

(١) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٦٠٣-٦١١ و٩/ ٣٣٦-٣٣٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٥-٣٢، والسير ٩/ ٤٥٤-٤٦٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨٢-١٨٧، وغيرها.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٦٠٣، وأعاده فيمن نزل ببغداد ومات بها ٩/ ٣٣٦-٣٣٧، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في طبقاته ٧/ ٦٠٣-٦١١، ٩/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٦) انظر تاريخ بغداد ٤/ ٦ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) الطبقات ٧/ ٦٠٣ .

(٨) في تاريخه ٤/ ٦-٧ . وما بين حاصرتين من (ب).

يحيى بن محمدٍ العَنْبَرِيِّ قال:] قال [الواقدي:] كنت حنَّاطاً[١] بالمدينة وفي يدي مئةُ ألفِ درهم للناس أُضارب بها، فتَلِفت، فشخصت إلى العراق وقصدتُ يحيى بنَ خالد، فجلست في دِهليزه وأَنِست بالخدم والحجَّاب، وسألتهم أن يوصلوني إليه، فقالوا: إذا قدِّم إليه الطعامُ لم يُحجَب عنه أحد، ونحن نُدخلك إليه ذلك الوقت، فلما حضر الطعام، أَدخلوني وأَجلسوني على المائدة، فسألني: مَن أنت؟ وما قصَّتك؟ فأَخبرته بخبري.

فلما رُفعت المائدة، دنوتُ منه لأقبِّلَ رأسه، فاشمأزَّ مني، وخرجتُ، فلحقني خادمٌ ومعه كيسٌ فيه ألفُ دينارٍ وقال لي: الوزير يُقرئك السلامَ ويقول لك: استعنْ بهذا على أمرك وعُدْ إلينا في غد، فأخذته وعدتُ إليه في غد، فحضرتُ على مائدته، فسألني كما سألني في اليوم الأوَّل، فأجبته.

فلما رُفع الطعام، قمت لأقبِّلَ رأسه، فاشمأزَّ مني [فخرجت][٢] ولحقني خادمٌ بكيسٍ فيه ألفُ دينار، وقال لي كما قال بالأمس، وحضرتُ في اليوم الثالثِ وأردت تقبيلَ رأسه، فاشمأزَّ مني، ولحقني الخادمُ بكيسٍ فيه ألفُ دينار، فلمَّا كان في اليوم الرابع، لحقني الخادمُ بكيسٍ فيه ألفُ دينار وتركني أقبِّلُ رأسَه، فقال: إنَّما منعتُك ذلك في أوَّل الأمر لأنَّه لم يكن وَصَلَ إليك من معروفنا ما يوجب هذا، والآن قد لحقك بعضُ النفع [مني] أَعطِه يا غلامُ الدارَ الفلانيةَ وافرُشها بالفرش الفلاني [يا غلام] أَعطِه مئتَي ألفِ درهم، يقضي دَينَه بمئة ألف ويُصلح شأنَه بمئة ألف، ثم قال: الزمني وكن في داري، فقلت: أعزَّ اللهُ الوزير، لو أذنتَ لي بالشُّخوص إلى المدينة لأقضيَ الناسَ أموالَهم ثم أعودَ إلى حضرتك كان ذلك أرفقَ بي، فأذن لي وأمر بتجهيزي، فشَخَصت إلى المدينة، فقضيت دَيني ثم رجعت إليه، فلم أزل في ناحيته.

[قلت: قولُ يحيى لمَّا قبَّل رأسَه: الآن قد وصلك بعضُ النفع، ليس من أخلاق الكرام؛ لما فيه من الذُّلِّ والصَّغار، وقد كان العظماءُ يمنعون من تقبيل أيديهم لئلا يكونَ ذلك مقابلة. وهذه روايةُ الخطيب.

---

(١) أي: بائعاً للحنطة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

وأما ابنُ سعد، فإنَّه حكى عن الواقديِّ قال[١]: حجَّ أميرُ المؤمنين هارون، فورد المدينةَ فقال ليحيى بنِ خالد: ارْتَدْ[٢] لي رجلاً عاقلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزولُ جبريلَ عليه السلام على النبيِّ ﷺ، ومن أيِّ وجهٍ كان يأتيه، وقبورِ الشهداء، فقال يحيى: فكلٌّ دلَّه عليه[٣].

فبعث إليَّ فأتيته، وذلك بعد العصر، فقال: يا شيخ، إنَّ أميرَ المؤمنين ـ أعزَّه الله ـ يريد أن يصلِّيَ العشاءَ الآخرةَ في المسجد، فتحضر فتمضي معنا إلى هذه المشاهدِ فتوقفنا عليها، والموضعِ الذي كان جبريلُ عليه السلام يأتي منه إلى النبيِّ ﷺ، وكن عنده.

فلمَّا صلَّينا العشاءَ الآخرة، وإذا الشموعُ قد خرجت، وإذا برجلين على حمارَين، فقال يحيى: أين الرجل؟ فقلت: هاأنذا، فأتيتُ به إلى أدوُر المسجد، فقلت: هذا الموضعُ الذي كان جبريلُ يأتيه، فنزلا عن حمارَيهما فصلَّيا ركعتين ودعوَا اللهَ ساعة، ثم ركبا وأنا بين أيديهما، فلم أدعْ موضعاً من المواضع ولا مشهداً من المشاهد إلَّا مررتُ بهما عليه وهما يصلِّيان ويجتهدان في الدُّعاء، فلم نزل كذلك حتى وافينا وقد أذَّن المؤذِّن وطلع الفجر.

فلمَّا دخلا القصر، قال لي يحيى بنُ خالد: أيها الشيخ، لا تبرح. فصلَّينا الغداةَ في المسجد وهو على الرِّحلة إلى مكة، فأذن لي يحيى بنُ خالد عليه، فدخلت، فأدنى مجلسي وقال لي: إنَّ أميرَ المؤمنين لم يزل باكياً، وقد أعجبه ما دللتَه عليه، وقد أمر لك بعشرة آلافِ درهم، فخذها، ونحن على الرِّحلة اليوم، ولا عليك أن تلقانا حيث كنَّا واستقرَّت بنا الدارُ إن شاء الله.

ورحلوا، فأتيتُ منزلي وقضيت دَيني وزوَّجت بعضَ الولد، واتَّسعنا، ثم إنَّ الدهر عضَّنا، ثم قالت أمُّ عبد الله: يا أبا عبدِ الله، ما قعودُك وهذا وزيرُ الخليفة قد عرفك وسألك أن تصيرَ إليه حيث استقرَّت به الدار! قال: فخرجتُ من المدينة إلى العراق وأنا

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٦٠٣ فما بعد. وما بين حاصرتين كله من (ب).

(٢) في (ب): أريد. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٦٠٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٤.

(٣) الذي في المصادر: فسأل يحيى، فكلٌّ دلَّه عليَّ.

أظنُّ أن أميرَ المؤمنين ببغداد، فلمَّا قدمت بغدادَ قيل لي: إنه بالرقَّة، فأردت الرجوعَ إلى المدينة، فثقل عليّ، فخرجت إلى الرقَّة، ورافقني فِتيانٌ من الجند، فقالوا: أين تريد؟ فأخبرتُهم خبري.

ونزلنا في السُّفن، فأكرموني وخدموني، فلمَّا وصلنا الرقَّة نزلنا في خان، وطلبتُ الوصولَ إلى يحيى بنِ خالد، فصعب عليّ، فأتيت أبا البَختريَّ القاضي وهو عارفٌ بي، فأخبرتُه خبري، فقال: غرَّرتَ بنفسك وأخطأت، ولكن سوف أذكرك له، ومَطَلَ بي أياماً، ونفدتْ نفقتي، وتقطَّعت ثيابي، وأَيِست من أبي البَختري، وإذا هارونُ قد ولَّى بكَّارَ الزُّبيريَّ على قضاء المدينة، فقصدتُه وعرَّفته خبري مع أبي البختري، فقال: أخطأت، أما علمتَ أنَّ أبا البختريِّ لا يذكرك لأحدٍ ولا يفوه باسمك؟

ثم دخل على يحيى بنِ خالدٍ وأخبره خبري، فاستدعاني، فلمَّا رآني في تلك الحالةِ الخسيسة، ظهر أثرُ الغمِّ في وجهه، واستدناني ورحَّب بي، وجعل يسألني عن الحديث، فأجبتُ بغير الصواب، وكان في رمضان، فقال: تُفطر الليلةَ عندي، فأفطرت، فلمَّا خرجت، بعث إليَّ بكيسٍ فيه خمسُ مئةِ دينار، وأفطرت عنده الليلةَ الثانيةَ والثالثة، فكان يعطيني في كلِّ ليلةٍ خمسَ مئة دينار، وجاءت ليلةُ العيد وقد حَسُنَ حالي واشتريت ثياباً ودابَّةً وغلاماً، وعرضتُ ما حصل لي على أصحابي الفتيان، فأبَوا أن يأخذوا منه دِرهماً ولا ديناراً، و قال لي يحيى: أُحضر غداً العيد مع أمير المؤمنين في الموكب، فحضرت، فأمر لي هارونُ بثلاثين ألفاً، فقلت: أيُّها الوزير، لا بدَّ من المسير إلى العيال، فجهَّزني بأحسن جهاز، وبعث معي بهدايا الشام وطُرَفِها، ووصلت المدينةَ فأوسعت على عيالي.

وهذه حكايةٌ طويلة الألفاظ جميلةُ المعاني، اختصرتها وذكرت المقصودَ منها.

وروى الخطيبُ[١] بإسناده إلى أبي عكرمةَ الضَّبِّي، عن سليمانَ بنِ أبي شيخ قال: حدَّثني] الواقديُّ قال[٢]: أضقت إضاقةً شديدة وأنا مع يحيى بنِ خالد، وجاء العيد،

(١) في تاريخه ٤/ ٣٠.
(٢) في (خ): وقال الواقدي.

فقالت الجارية: قد حضر العيدُ وليس عندنا شيءٌ من آلته، فشَخَصْتُ إلى صديقٍ لي من التجار، فعرَّفته حاجتي وسألته القرض، فأخرج إليَّ كيساً مختوماً فيه ألفٌ ومئتا درهم، فأخذتُه وأتيت منزلي، فما استقررت فيه حتى جاءني صديقٌ لي هاشمي، فشكا إليَّ الحاجة وَسألني القرض، فدخلت إلى زوجتي فأخبرتها، فقالت: على أيِّ شيءٍ عزمت؟ قلت: أُقاسمه ما في الكيس، قالت: بئسَ ما تصنع، أتيتَ رجلاً سوقيًّا فأعطاك ألفاً ومئتي درهم وجاءك رجلٌ هاشميٌّ له برسول اللهِ ﷺ رَحِمٌ ماسَّة تعطيه نصفَ ما أعطاك! أَعطِه الكيس كلَّه، فأخرجتُه إليه، فأخذه ومضى إلى منزله، فجاءه التاجرُ صاحب الكيس، فشكا إليه حاجتَه وسأله القرض، فأخرج إليه الكيسَ وعليه خاتَمه، فعرفه، وجاء التاجرُ إليَّ وعرَّفني، فركبتُ إلى يحيى بنِ خالد وقد جاءني رسولُه، فلما دخلتُ عليه أخبرته، فعجب وقال: يا غلام، عشرةَ آلافِ دينار، فأحضرها، فقال: خذ أنت ألفَي دينار؛ وصديقُك التاجر ألفَي دينار، والهاشميُّ ألفي دينار، وادفع إلى زوجتك أربعة آلافِ دينار، فإنها أكرمُكم.

فكان الواقديُّ يبكي ويقول: أُلام على حبِّ يحيى بنِ خالدٍ والبرامكة!

وقال الواقدي: صار إليَّ من السلطان ستُّ مئة ألفِ درهمٍ ما وجب فيها زكاة.

[قال عبَّاس[1] الدُّوري: مات الواقديُّ وليس له كفن، فبعث المأمونُ بأكفانه. وكان سخيًّا جواداً. وكان هارونُ يعطيه في كلِّ سنةٍ ثلاثين ألفَ درهم، ويحيى بنُ خالد مثلَها.

وقال الخطيب[2]: كان الواقديُّ مع فضله لا يحفظ القرآن، قال له المأمون: أريدك غداً أن تصلِّيَ بالناس الجمعة، فامتنع وقال: واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما أحفظ سورةَ الجمعة، قال: أنا أحفِّظك، قال: افعل، فأقبل عليه يعلِّمه ويلقِّنه حتى بلغ النصفَ من سورة الجمعة، فلمَّا شرع في النِّصف الثاني نسي النصفَ الأول، وشرع في النصف الأولِ فنسي الثاني، وأُتعبَ المأمون ونَعِس، فقال لعليِّ بن صالح: يا علي، حفِّظه أنت، ونام. قال: فجعلت أحفِّظه النصفَ الأول [فيحفظه، فإذا حفَّظته النصف الثاني

---

(١) في (ب): ابن عباس، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ بغداد ٤/ ٣١.

(٢) في تاريخه ٤/ ١١-١٢ . وما بين حاصرتين كله من (ب).

نسي الأول، وإذا حفَّظته النصف الأول نسي الثاني][(١)]، فاستيقظ المأمونُ فقال: ما فعلت؟فأخبرته، فقال: هذا رجلٌ يحفظ التأويلَ ولا يحفظ التنزيل، اذهب فصلِّ بهم واقرأ بأيِّ سورةٍ شئتَ.

وحكى الخطيبُ[(٢)] أيضاً أنَّ الواقديَّ كان يقول: حفظت أكثرَ من كتبي.

وقال بإسناده[(٣)] إلى هارونَ بن عبدِ الله الزُّهريِّ القاضي قال: كتب الواقديُّ إلى المأمون رقعةً يذكر فيها غَلَبة الدَّين وغمَّه بذلك، فوقَّع على ظهرها: فيك خَلَّتان: السَّخاء والحياء؛ فأما السَّخاء، فهو الذي أطلق ما ملكتَ، وأمَّا الحياء، فهو الذي منعك من إطلاعنا عليك فيما أنت عليه، وقد أمرنا لك بكذا وكذا، فإن كنَّا أصبنا[(٤)] إرادتَك في بسط يدك، فإنَّ خزائن اللهِ مفتوحة، وأنت كنت حدَّثتني وأنت على قضاءِ الرشيد عن محمد بنِ إسحاقَ، عن الزُّهريِّ، عن أنس بن مالك، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال للزُّبير: «يا زبير، بابُ الرزق مفتوحٌ بإزاء العرش، يُنزِل اللهُ للعباد أرزاقَهم على قَدْر نفقاتهم، فمن قلَّل قلِّل له، ومن أكثر كثِّر له»[(٥)].

قال الواقدي: وقد كنت أُنسيت هذا الحديث، فكان تَذْكِرَتُهُ إياي أحبَّ إليَّ من جائزته، وكانت الجائزة مئة ألف درهم.

وقد حكى الواقعةَ] الحارثُ بن أبي أسامةَ قال[(٦)]: كتب الواقديُّ إلى المأمون رقعةً يذكر فيها غَلَبة الدَّين وغمَّه بذلك، فكتب المأمونُ على رقعته: أنت رجلٌ فيك خَلَّتان: السخاءُ والحياء، فالسَّخاء يُطلق ما في يديك، والحياءُ يمنعك من إبلاغنا حاجتَك، وقد أمرتُ لك بمئة ألفِ درهم، فإن كنتُ أصبت، فازددْ في بسط يدِك، وإن كنت لم أُصِب، فأنت الجاني على نفسك؛ فإنك حدَّثتني عن محمد بنِ إسحاق، عن الزُّهري،

(١) ما بين معكوفين هنا ليست في (ب) واستدرك من المصدر.
(٢) في تاريخه ٤/ ٩.
(٣) في تاريخه ٤/ ٢٩.
(٤) في (ب): أرصدنا، والتصويب من تاريخ بغداد.
(٥) وأخرجه بنحوه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٥٠١، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٧٣، وابن الجوزي في الموضوعات (٩٢٥) من حديث الزبير ﵁.
(٦) في (خ): وقال الحرر [كذا] بن أبي أسامة.

عن أنس بنِ مالك، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ مفاتيحَ أرزاقِ العباد بإزاءِ العرش، يبعثه اللهُ تعالى إلى عباده على قَدْر نفقتهم، فمن قلَّل قُلِّل له، ومن كثَّر كُثِّر له».

قال الواقدي: فروايةُ أميرِ المؤمنين عنِّي ومذاكرتُه إياي أحبُّ إليَّ من الجائزة.

[وهذه الروايةُ أحسنُ من رواية الخطيب.

وحكى الخطيبُ[1] عن] الواقديِّ أنه كان يقول[2]: ما أدركتُ رجلاً من أبناء الصحابةِ وأبناءِ الشهداء ولا مولًى لهم إلَّا سألته: هل سمعتَ أحداً من أهلك يُخبرك عن مشهده وأين قُتل؟ فإذا أخبرني مضيتُ إلى الموضع حتى أعاينَه، ولقد مضيت إلى المُرَيسِيع فنظرت إليها، وما علمت مكانَ غزاةٍ إلا مضيتُ إلى الموضع حتى أُعاينَه.

ذِكرُ وفاته:

[قال ابنُ سعد:][3] توفِّي [الواقديُّ] وهو على القضاءِ في ذي الحِجَّة ببغدادَ هذه السَّنة، وصلَّى عليه محمدُ بن سماعةَ التميمي، ومحمدٌ يومئذٍ على القضاء ببغدادَ في الجانب الغربي، وأوصى الواقديُّ إلى المأمون، فقَبِلَ المأمونُ وصيَّته وقضى دَينه [وكان له يومَ مات ثمانٍ وسبعون سنة. وكذا قال البخاريُّ في هذه السَّنة[4]. وقاله[5] الخطيب].

وقيل: [إنه مات في] سنة ستٍّ ومئتين، أو سنة تسعٍ ومئتين، والأوَّل أصحّ[6]

[قال: ودُفن في مقابر الخَيْزُران] وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنة[7]. ولم يوجد له كفن، فكفَّنه المأمون.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وكان الواقدي يقول.

(٣) في طبقاته ٧/ ٦١١ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) أو بعدها بقليل. كذا في التاريخ الكبير ١/ ١٧٨ .

(٥) في (ب): وقال. والمثبت هو الصواب، وكلام الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٦.

(٦) لم أقف في تاريخه على ذكر سنة ست ومئتين، بل ذكر سنة سبع ومئتين وتسع ومئتين، ورجَّح الأول. انظر تاريخه ٤/ ٣١ .

(٧) في (ب) – وما بين حاصرتين منه–: وهو ابن سبع وسبعين سنة. وفي (خ): وهو ابن ثمانٍ وتسعون سنة، وقيل: سبع وسبعين سنة. والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٦، وتاريخ بغداد ٤/ ٦ .

أَسند عن كبار الأئمَّة [فسمع بالشام والحجازِ والعراق من خلقٍ كثير، منهم: سفيانُ الثوري، ومَعمرُ بن راشد، وابنُ أبي ذئب، وبمكَّة ابنُ جُريج، وبالمدينة مالكُ بن أنس وأبو مَعشر نَجيح السِّندي، وسمع بدمشقَ سعيدَ بن عبد العزيز، والأوزاعيّ، وهشامَ بن الغاز، وبحمصَ ثورَ بن يزيد.

وروى عنه الجمُّ الغفير، وروى الأئمَّة] محمدُ بن سعدٍ صاحب «الطبقات» ـ وكان كاتبَه وبه يعرف ـ [وأبو بكر بنُ أبي شيبة، ومحمدُ بن إسحاقَ الصاغاني[١]، ومحمدُ بن شجاعٍ الثَّلجي[٢]، والحارثُ بن أبي أسامةَ التميمي، في آخرين].

قال المصنِّف رحمه الله: وقد انقسموا فيه قسمين: فقسمٌ أثنَوا[٣] عليه ووثَّقوه، وقسم تكلَّموا فيه وضعَّفوه:

فأما القسمُ الأول، فقال الخطيب: الواقديُّ ممن طبَّق علمُه الأرضَ شرقاً وغرباً، [ولم يَخْفَ على أحدٍ عرف أيامَ الناس][٤]، وسارت الركبانُ بكتبه في فنون العلوم، من المغازي، والسِّيَر، والطبقات، وأخبارِ الناس، وأخبارِ رسول الله ﷺ، والأحداثِ التي كانت في زمانه [والفقه، واختلافِ الناس] وغيرِ ذلك، وكان جَوَاداً كريماً مشهوراً بذلك.

وقال محمد بن سلَّامٍ الجُمحي: الواقدي عالِم دهره.

وقال يعقوبُ بن شيبة: انتقل الواقديُّ [من الجانب الغربيِّ إلى الجانب الشرقي. يعني من بغداد][٥] فحمل كتبَه على عشرين ومئةِ وِقْرٍ[٦].

وقال غيرُه: كان له ستُّ مئة قِمَطر كتب. [وقد روينا عنه أنَّه كان يقول: حفظتُ أكثرَ من كتبي.

---

(١) في (ب) -وما بين حاصرتين منه-: الشاذكوني، والمثبت من المصادر، والشاذكوني اسمه: سليمان بن داود، وكلاهما يروي عن الواقدي. انظر تاريخ بغداد ٤/ ٥، والسير ٩/ ٤٥٥، وتهذيب الكمال.

(٢) في (ب): البلخي، والتصويب من المصادر.

(٣) في (ب): اتفقوا.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٥-٦ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) الوِقْر: الحمل الثقيل. القاموس (وقر).

وقال الدَّراوردي: الواقديُّ أميرُ المؤمنين في الحديث][1]

وقال مصعبٌ الزُّبيري: هو ثقةٌ مأمون، واللهِ ما رأينا مثلَه قطّ.

وقال يزيد بنُ هارونَ وأبو عُبيدٍ القاسم: الواقديُّ ثقة.

[وقال عبَّاس العنبري: الواقدي أحبُّ إليَّ من عبد الرزاق.

وكان إبراهيم الحربيُّ معجباً به ويقول: الواقديُّ أمنُّ الناس على أهل الإسلام، وأعلمُ الناس بأمر الإسلام، ومَن قال: إنَّ مسائلَ مالكٍ وابنِ أبي ذئب تؤخذ عمَّن هو أوثقُ من الواقديِّ لم يَصْدُق.

وقال مصعبٌ الزبيري: حدَّثني مَن سمع عبدَ الله بن المباركِ يقول: كنت أَقدَم المدينةَ فما يفيدني ويدلُّني على الشيوخ سواه.

وقال يعقوبُ بن شيبة: سئل مالكٌ عن قتل الساحرة، فقال: اسألوا الواقدي، فسألوه: فقال: نعم، عن الضحَّاك بنِ عثمان، فتبع مالكٌ قوله]. وقال محمد بنُ صالح: سئل مالكُ بن أنس عن المرأة التي سمَّت النبيَّ ﷺ بخيبر، ما فعل بها رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقال مالك: لا أعلم، وسأل أهلَ العلم، فلقي الواقديَّ فسأله، فقال: نعم، عندنا أنَّه قتلها، فقال مالك: قد سألت العلماءَ فقالوا: قتلها.

[وقال إبراهيم بنُ جابر: حدَّثني عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبل قال: كان أكثرُ نظرِ أبي في كتب الواقدي، قال: وكتب عن أبي يوسفَ ومحمدٍ ثلاثَ قماطر.

وكان إبراهيمُ بن جابر الصَّغَانيُّ[2] يقول: لولا أن الواقديَّ ثقةٌ ما حدَّثتُ عنه، وقد حدَّث عنه أربعةٌ من الأئمة: أبو بكر بنُ أبي شيبة، وأبو خَيثمة، وأبو عُبيد القاسم، ورجلٌ آخر.

وقال إبراهيمُ الحربي: سئل معنُ بن عيسى عن الواقديِّ فقال: أنا أُسأل عن

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): الصنعاني. وهو خطأ. ثم إن المصنف وهم هنا؛ فالصغاني أو الصاغاني هو محمد بن إسحاق، وإبراهيم بن جابر -البغدادي- يروي كلامه. انظر تاريخ بغداد ٤/ ١٣-١٤، وفيه: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن جابر الفقيه قال: سمعت الصاغاني . . . الخبر.

الواقدي! إنما يُسأل الواقديُّ عنِّي، قال إبراهيمُ الحربي: وأما فقهُ أبي عُبيدٍ فمن كتب الواقدي][١].

وأما الذين تكلَّموا فيه وضعَّفوه، فالإمامُ أحمدُ بن حنبل، والبخاريّ، ومسلم، والنَّسائي، وابن المَديني، والشافعي، وغيرُهم.

فقال أحمدُ رحمةُ الله عليه: الواقديُّ كذاب، جعلتُ كتبَه ظهائرَ الكتب منذ حين، وقد روى الواقديُّ عن مَعمر، عن الزُّهري، عن نَبهان مكاتَبِ أمِّ سلمة، عن أمِّ سلمة، عن النبيِّ ﷺ في حديث الأعمى: [«أفعمياوانِ أنتما»] قال الإمامُ أحمد: لم يروِه عن الزُّهري غيرُ يونس، وليس من حديث مَعمر[٢].

[وقال عبدُ الله بن أحمدَ بن حنبل: قال أبي: لست أُنكر على الواقديِّ إلا كونَه يأتي بمتنٍ واحد على سياقٍ واحد عن جماعةٍ ربما اختلفوا].

وأمَّا البخاريُّ فقال: ليس له عندي حرفٌ واحد من حديثه.

وقال مسلم: هو متروكُ الحديث.

وقال الإمام الشافعيُّ رحمةُ الله عليه: الواقديُّ ضعيف.

وقال النَّسائي: الكذَّابون المعروفون بالكذب أربعة: ابنُ أبي يحيى بالمدينة، والواقديُّ ببغداد، ومقاتلُ بن سليمان بخُراسان، ومحمدُ بن سعيدٍ المصلوبُ بالشام.

وقال إسحاقُ بن راهُويه: كان الواقديُّ يضع الحديث.

[قلت: انتصر للواقديِّ جماعةٌ فقالوا: قد كان الواقديُّ يَعيب على أحمدَ جَرحَه العلماء[٣].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) الحديث بالإسناد الأول أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/ ١٧٠، وعنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/ ٢٧، وبالإسناد الثاني أخرجه أبو داود (٤١١٢) والترمذي (٢٧٧٨)، وهو عند أحمد (٢٦٥٣٧) من طريق عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد، به، وينظر الكلام حول الحديث في تاريخ بغداد ثمَّة.
والظهائرُ جمع ظِهارة، خلاف البطانة، ومن البساط: وجهه الذي لا يلي الأرض.

(٣) ولا يعاب الإمام أحمد رحمه الله تعالى على ذلك، ولا غيره من أئمة الجرح والتعديل؛ فإنهم كانوا يجرحون ويعدلون الرواة؛ حفظاً لحديث رسول الله ﷺ أن يدخل فيه ما ليس منه، ونصرةً لدين الله سبحانه وتعالى.

وأمَّا قولُ البخاري: ما كتبت من حديثه حرفاً، فقد أثنى عليه في مواضعَ وقال: محمدُ بن عمرَ الواقدي قاضي بغداد، حدَّث عن مالكٍ ومَعمر، سكتوا عنه[1]. وأما النَّسائي، فقد ثلب جماعةً في كتابه الذي سمَّاه كتاب «الضعفاءِ والمتروكين»، فإنَّه طعن في أبي حنيفةَ وقال[2]: ليس بالقويِّ في الحديث، وكذا تكلَّم في محمد بنِ الحسن[3] وغيره، وللواقديِّ بأبي حنيفةَ ومحمدٍ وغيرِهما أُسوة][4].

وقال المصنِّف رحمه الله: ومَن طلب الترجيحَ بين هذه الأقوال، علم أن الأوْلى ذكر المحاسن [واللهُ تعالى مطَّلع على الضمائر والبواطن] وهؤلاء قومٌ حطُّوا رحالَهم عند اللهِ تعالى منذ سنين، وهم أعلامُ الإسلام [وأئمَّة الدِّين، وخصوصاً الواقدي؛ فإنَّ أقوالَه في رواية تفاسيرِ القرآن مقبولةٌ مشهورة].

ذِكر ولدِه:

[قال الخطيب:][5] كان للواقديِّ ولدٌ اسمه محمدُ [بن محمد][6] بنِ عمر، وكُنيته أبو عبدِ الله.

حدَّث عن أبيه بكتاب «التاريخ» وغيرِه [وحدَّث عن موسى بنِ داود] وحدَّث عنه [عباسٌ][7] التَّرْقُفي وغيرُه. وهو الذي روى عن ابن عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أتى الصيفُ خرج من البيت ليلةَ الجمعة، وإذا كان الشتاءُ دخل ليلةَ الجمعة. قال الخطيب: وهذا الحديثُ غريب جدًّا[8].

---

(١) تتمة كلام البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٧٨: تركه أحمد وابن نمير. وقال في الضعفاء الصغير ص١٠٤: متروك الحديث. وهذا معنى: سكتوا عنه، لا كما توهم المصنف رحمه الله.

(٢) ص١٠٠.

(٣) لم أجد له ذِكراً في الضعفاء والمتروكين، وقد ذكر فيه محمد بن الحسن بن زَبَالة، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد ص٩٣-٩٤ وقال عنهما: متروك الحديث.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في تاريخه ٤/ ٣٢٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

(٨) تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٢، وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٦٣) و (١١٦٤) وقال: هذا حديث لا يصح. اهـ. وينظر طرقه ثمَّة.

فصل

[وفي الرُّواة جماعةٌ كلٌّ واحد اسمُه: محمد بن عمر، أحدُهم الواقدي، ونذكر بعضَ أعيانهم:

فمنهم

محمدُ بن عمرَبنِ الحسين

ابن الخطَّاب بن الريَّان، أبو العباس، الفقيهُ الحنفي الزَّنْدَوَرْدي.

قال الخطيب: وهو الذي روى أنَّ أبا حنيفةَ حجَّ مع أبيه في سنة خمسٍ وتسعين[١]، و روى [عن][٢] عبدِ الله بن جَزْءٍ وسمعه يقول [سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول:] «مَن تفقَّه في دِين الله، رَزَقَه من حيث لا يحتسبُ وكفاه همَّه»[٣].

قال الخطيب: وأنشد عن أبي حنيفةَ أنَّه أنشد من قوله: [من مخلَّع البسيط]

مَـن طـلـب الـعـلـمَ لـلـمَـعـادِ ... فـاز بـفـضـلٍ مـن الـرَّشـادِ
ويـالَـخُـسـرانِ مَـن أتـاه ... لـنـيـل فـضـلٍ مـن الـعِـبَـاد

وكانت وفاتُه بمصرَ في سنة [اثنتين و][٤] ستِّين وثلاثِ مئة.

ومنهم

محمدُ بن عمر بنِ عيسى

أبو الحسن[٥]، الذي صاهر أبا الحسين بنَ بشران على ابنته.

وكان يختم القرآنَ[٦]. ومات في جُمادى الآخرة سنةَ عشرٍ وأربعِ مئة، ودفن بباب حرب.

---

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٥١: ست وتسعين. وهذه الترجمة والتي بعدها ليستا في (خ).
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.
(٣) وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٩٦) وقال: هذا حديث لايصح.
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٤/ ٥٢ .
(٥) في (ب): أبو الحسين، والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٥٨ .
(٦) يعني في كلِّ يوم. تاريخ بغداد ٤/ ٥٩.

حدَّث عن أبي العباس أحمدَ بن إبراهيمَ البَلَدي صاحبِ عليٍّ بن حرب. قال الخطيب: كتبتُ عنه، وكان ثقة[١] كثيرَ الدرس للقرآن].

ومنهم

محمدُ بن عمر

أبو بكرٍ العنبريُّ الشاعر.

[قال الخطيب[٢]: كان أديباً ظريفاً حسنَ العِشرة مليحَ الشِّعر. قال: وأنشدني من شعره أبو منصور محمدُ بن محمدٍ العُكْبَري، قال: أنشدني أبو بكرٍ العَنْبريُّ فقال:][٣]

إنِّي نظرتُ إلى الزما ... نِ وأهله نظراً كفاني
فعرفتُه وعرفتهمْ ... وعرفت عِزِّي من هَوَاني
فلذاك أجتنبُ الصَّديـ ... ـقَ فلا أراه ولا يراني
وزهدتُ فيما في يدَيـ ... ـه ودونه نيلُ الأماني
وانسلَّ من بين الزِّحا ... مِ فما له في الخَلق ثاني

وله: [من الخفيف]

ما أُبالي إذا حَمَلْتُ عن الإخـ ... ـوانِ فعلي[٤] ودِنتُ بالتخفيفِ
ورفضتُ الكثيرَ من كلِّ شيءٍ ... وتقنَّعتُ بالقليل الضعيف[٥]
ورآني الأنامُ طُرًّا بعيني ... زاهدٍ في وضيعهم والشريف
أنا عبدُ الصديقِ ما صدق الوُدْ ... دَ [و][٦] بعضُ الأنامِ عبدُ الرغيف

توفي العنبريُّ سنةَ اثنتي عشرةَ وأربعِ مئة.

[ومنهم

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٥٩: وكان شيخاً صدوقاً فاضلاً.
(٢) في تاريخه ٤/ ٥٩. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ): فمن شعره.
(٤) في تاريخ بغداد، والصداقة والصديق ص٤٦٠: ثقلي.
(٥) في تاريخ بغداد، والصداقة والصديق: الطفيف.
(٦) ما بين حاصرتين من الصداقة والصديق.

محمدُ بن عمرَ بن زكَّار

أبو الحسن البغدادي.

كان يسكن ببغدادَ بدرب الفُرس من ناحية نهر طابَق. وولد في المحرَّم سنةَ تسعٍ وأربعين وثلاثِ مئة، ومات في المحرَّم سنةَ ثمانٍ وعشرين وأربعِ مئة، ودُفن بمقبرة باب الدَّير قربَ معروفٍ الكرخي.

وروى عن عبدِ الله بن أحمدَ الوزَّان، وكتب عنه الخطيب، وكان ثقة[١].

ومنهم مَن لم يُعرف له تاريخُ وفاته[٢]: فمنهم

محمدُ بن عمرَ

أبو عبدِ الله المُعَيْطِي البغدادي. سمع شريكَ بن عبدِ الله وغيرَه. وروى عنه زكريا بنُ عبدِ الله الناقد[٣].

قال الخطيب: وهو الذي روى عن مجاهدٍ في تفسير قولِه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يُقعده معه في العرش.

ومنهم

محمدُ بن عمرَ بنِ حفص

أبو بكر الثَّغري[٤]، ويعرف بالقَبَلي[٥].

قدم بغداد، وحدَّث بها عن محمد بنِ عبد العزيز بنِ المبارك وغيرِه، وروى عنه أبو بكرٍ الشافعيُّ وغيره، وضعَّفه الدارَقُطني[٦]، وقال: وهو الذي روى عن أنسٍ أن النبيَّ ﷺ

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٦١: وكان صدوقاً. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) كذا قال، لكن الذي سيذكره المصنِّف الآن هو في تاريخ بغداد ٤/ ٣٥ ووفاته سنة (٢٢٢هـ).

(٣) وهو: زكريا بن يحيى بن عبد الملك بن مروان بن عبد الله، أبو يحيى الناقد، وترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٤٧٧، والأنساب ١١/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٢.

(٤) في (ب): البغوي، والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٣٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٩٧.

(٥) في (ب): بالتبلي، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٦) علل الدارقطني ٦/ ٢٧٣ السؤال (١١٣٢).

قال: «تزوَّج الكسلُ بالتَّواني فوُلد بينهما الفاقة» قال: ولا يصحُّ هذا عن رسول اللهِ ﷺ[١].

قلت: وقد نُقل مثلُ هذا عن الحسن أنَّه قال: تزوَّج الكسلُ بالتَّواني فولد بينهما الخسران.

فصل]

أبو عُبيدةَ

مَعْمَر بن المثنَّى، التَّيمي، البصري، النحوي، العلَّامة.

[قال الخطيب[٢]: وُلد سنةَ عشرٍ ومئة في السَّنة التي مات فيها الحسنُ البصري.

وقال السِّيرافي: هو] مولى تَيْمِ قريش [لا من تَيْمِ الرِّباب، مولاهم].

كان من أعلم الناسِ بأنساب العربِ وأيامهم، وله مصنَّفات مشهورة، منها «مَقَاتِلُ الفرسان» وكتاب «المجاز» و«غريب الحديث» [وكان الأصمعيُّ قد قرأ كثيراً، وكانا يتقارضان، ويقع كلٌّ واحدٍ منهما في الآخر؛ لما نذكر.

وكان سببُ تصنيف أبي عبيدةَ كتابَ «المجاز» ما ذكره الصوليُّ عن محمد بن الفضلِ ابن الأسود، عن عليِّ بن محمد النوفلي، عن] أبي عبيدةَ قال[٣]: أرسل إليَّ الفضلُ بن الربيع إلى البصرة، فقدمتُ عليه، فلمَّا دخلت، قرَّبني وأدناني واستنشدني من أشعار العربِ وغيرها، فأنشدتُه، فطَرِبَ، ثم دخل عليه رجلٌ في زِيِّ الكتَّاب، له هيئة، فأجلسه إلى جانبي وقال: أتعرف هذا؟ قال[٤]: لا، قال: هذا أبو عُبيدة، علَّامة أهلِ البصرة، أقدمناه لنستفيدَ منه، فدعا له الرجلُ، وقال لي: كنتُ مشتاقاً إلى لقائك، وقد سُئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرِّفَك إياها؟ قلت: نعم، قال: قال الله تعالى:

(١) وأخرجه الخطيب ٤/ ٣٨-٣٩، والقزويني في أخبار قزوين ٤/ ١١١-١١٢، وابن الجوزي في الموضوعات (١٥٠٢).

(٢) في تاريخه ١٥/ ٣٣٨، وتنظر ترجمته أيضاً في إنباه الرواة ٣/ ٢٧٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥، والسير ٩/ ٤٤٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٠١، وتهذيب الكمال، وغيرها.

(٣) في (خ): قال أبو عبيدة. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ب) و (خ): قلت، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٢٠٧، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص٧٧-٧٨، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٣٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٥٨-١٥٩.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصافات: ٦٥] وإنَّما يقع الوعيدُ بما قد عُرف مثلُه، وهذا لم يُعرف؟ [قال:] فقلت: إنما خاطب اللهُ تعالى العرب على قدر كلامهم، أَمَا سمعتَ قولَ امرئِ القيس: [من الطويل]

أَيقتلني والمَشْرَفيُّ مضاجِعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ[1]

ولم يرَوا الغُول، ولكن لمَّا كان أمرُ الغول يَهولهم أوعدوا به، فاستحسن ذلك الفضلُ والرجلُ السائل [أيضاً][2] فاعتقدتُ[3] من ذلك اليومِ أن أضعَ كتاباً في القرآن لمثل هذا، فلما رجعتُ إلى البصرة، عملتُ كتابي الذي سمَّيته كتابَ «المجاز».

[قلت: وقولُ أبي عبيدة: إنَّهم لم يَرَوُا الغُول قطُّ، ليس بصحيح، بل رآه جماعةٌ من العرب، وقد ذكرناه في صدر الكتاب، وأنَّ جماعةً من بني آدمَ نكحوا الغِيلانَ وأَولدوهم.

وأما قولُه تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ فقد اختلف المفسِّرون في معناه، فقال الفرَّاء: إنَّه شبَّه طَلعَها برؤوس الشياطين لقُبحه؛ فإن رؤوسَ الشياطين موصوفةٌ بالقبح[4]. وقال غيرُ الفرَّاء: إنها رؤوسُ الحيَّات؛ فإنَّ جنساً من العرب يسمِّي جنساً من الحيَّات شيطاناً، وهو ذو العُرْف قبيحُ المنظر. ذكر القولَين الجوهريُّ في «الصحاح»[5].

وأما الرجلُ الذي سأل أبا عبيدة، فإبراهيمُ بن إسماعيلَ بنِ داود كاتبُ الفضلِ بن الربيع.

وحكى الخطيبُ[6] أن] الأصمعيَّ كان يَعيب[7] على أبي عبيدةَ [تصنيفَه كتابَ

---

(١) الديوان ص٣٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): فاعتقد. وفي الثمار: فعزمت، وفي الوفيات: وأزمعت.

(٤) ذكر الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ ثلاثة أوجه في الآية، أحدها هذا، والثاني ما سيذكره المصنف الآن عن غير الفراء، والثالث: أنه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين، ثم قال: والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنى واحد في القبح.

(٥) مادة (شطن) ونقل فيه عن الفراء الأوجه الثلاثة التي ذكرتها.

(٦) في تاريخه ١٥/ ٣٤٢ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (خ): وكان الأصمعي يعيب ...

«المجاز» في القرآن، وأنَّه قال:[1]] يفسِّر كتابَ الله برأيه. فركب أبو عبيدةَ حمارَه وجاء إلى مجلس الأصمعيّ، وجلس عنده وحادثه، ثم قال له: يا أبا سعيد، ما تقول في الخبز أيُّ شيءٍ هو؟ فقال: هو الذي نأكله ونَخبِزه. فقال له أبو عبيدة: فقد فسَّرتَ كتابَ الله برأيك [فإنَّ الله تعالى قال: ﴿أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾][2] [يوسف: ٣٦]. فقال الأصمعيّ: هذا شيءٌ بان لي [فقلته] لم أفسِّره برأيي، فقال أبو عبيدة: والذي تَعيب عليَّ شيءٌ بان لي فقلتُه، ولم أفسِّره برأيي. ثم قام وخرج.

[وحكى الخطيبُ[3] أيضاً عن المازنيّ، عن أبي عبيدةَ قال: دخلتُ على الرشيد فقال لي: يا مَعمر، بلغني أنَّ عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل، أحبُّ أن أسمعه منك، وكان الأصمعيُّ حاضراً، فقال: وما تصنع بالكتب؟ يُحْضَرُ فرسٌ ونضع أيديَنا على عضوٍ عضو ونسمِّيه ونذكر ما فيه[4]، فقال الرشيد: يا غلام، فرس، فحضر، فقام الأصمعيُّ فوضع يدَه على عضوٍ عضو منه، وجعل يقول كذا وكذا، وقال الشاعرُ كذا وكذا، حتى بلغ إلى حافره.

قال أبو عبيدة: فقال لي الرشيد: ما تقول فيما قال؟ فقلت: أصاب في البعض[5] وأخطأ في البعض، والذي أصابه منِّي تعلَّمه، والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به].

وبلغ[6] أبا عبيدةَ أنَّ الأصمعيَّ قال إنَّ أباه كان يساير سَلْمَ[7] بن قتيبةَ على فرسٍ له، فقال [أبو عبيدة:][8] سبحانَ الله، واللهِ ما مَلَكَ أبو الأصمعيِّ دابَّةً قطُّ إلَّا في ثوبه. يريد القَمْل.

---

(١) في (خ): يعيب على أبي عبيدة ذلك ويقول.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في تاريخه ١٥/ ٣٤٣. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (ب): قيل، والمثبت من تاريخ بغداد.
(٥) في تاريخ بغداد: بعض.
(٦) في (ب): وقال الخطيب: بلغ، ولم نقف على كلام الخطيب في تاريخه، فالزيادة غير واردة هنا.
(٧) في (ب): سالم، وفي (خ): سلام، والمثبت من الفهرست ص٦١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٦٠، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٤٥٠.
(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

[واختلفوا في وفاته على أقوال: أحدُها] في هذه السَّنة[١] [ذكره الصُّولي وحكاه الخطيب[٢]. والثاني][٣] سنَة ثمانٍ[٤] ومئتين [ذكره محمدُ بن المثنَّى. والثالث] سنةَ تسع. [والرابع: سنةَ] عشر. [والخامس: سنةَ] إحدى عشرة. [والسادس: سنةَ] ثلاثَ عشرةَ ومئتين. والأوَّل أشهر. و[قال الصُّولي:] عاش سبعاً وتسعين سنة، وقيل: ثلاثاً وتسعين سنة.

[وحكى الخطيبُ[٥] أن] محمدَ بن القاسم[٦] النُّوشْجانيُّ أطعمه مَوزاً فكان سببَ موته، وأتاه أبو العتاهِيَة، فقدَّم إليه موزاً، فقال: أطعمتَ أبا عبيدةَ موزاً فقتلتَه، وتريد أن تقتلَني أيضاً! لقد استحللتَ قتلَ العلماء.

أسند الحديثَ عن هشام بنِ عروةَ وغيره، وروى العربيةَ عن أبي عَمرو بنِ العلاء، ويونسَ بن حَبيب، ورؤبة [بن العجَّاج] وغيرِهم، وروى عنه [أبو عُبيد] القاسمُ بن سلَّام، و[أبو عثمانَ] المازني [وأبو حاتِم] والأصمعيّ [والتَّوَّزي، واسمُه: عبد الله بنُ محمد، مولى قريش. وكان التَّوَّزي فاضلاً، اختصَّ بأبي عبيدةَ وأخذ عنه علماً كثيراً][٧].

وكان أبو عبيدةَ يُنشد[٨]: [من المجتث]

لي صاحبٌ ليس يخلو لسانُه من جِراحي

(١) في (خ): مات أبو عبيدة في هذه السنة. وهذا القول لم أجده لغير المصنف.

(٢) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣٤٥ عن الصولي أنه توفي سنة تسع ومئتين.

(٣) في (خ): وقيل.

(٤) في (ب) و (خ): ثمان وثمانين ومئتين. ولعله سبق قلم. انظر تاريخ بغداد.

(٥) في تاريخه ١٥/ ٣٤٥.

(٦) في (خ): وكان محمد بن القاسم.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

(٨) في (ب): وقال التوزي: سمعت أبا حنيفة ينشد ويقول. والبيتان في الجليس الصالح ١/ ٣٢٧ عن ابن دريد: أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة. وهما في بهجة المجالس ٢/ ٥٧٠-٥٧١، وغرر الخصائص الواضحة ص١٨٥ منسوبين لأبي جعفر الطبري.

يُجيد تمزيقَ عِرْضِي على سبيل المُزاحِ

واتَّفقوا على صدقه وثقته [وقال ابنُ المَديني: كان صحيحَ الرواية، ما يحكي عن العرب إلَّا الشيءَ الصحيح][1].

الهيثم[2] بن عَدِيٍّ

ابن عبد الرحمنِ بن زيد[3] بن أسيد بن جابر بن عَدِي، الكوفي، صاحبُ التواريخِ والأشعارِ والأسماء.

[قال الخطيب:][4] كان أبوه واسطيًّا، وأمُّه من [سَبْي] مَنْبِج، ولد بالكوفة ونشأ بها، ثم انتقل إلى بغدادَ فأقام بها.

وكان من أحسن الناسِ وجهاً، وأنظفِهم ثوباً، وأطيبهم رِيحاً، وأظهرِهم سروراً.

قال[5]: كنت واقفاً بالكُنَاسة بالكوفة، وإذا برجلٍ قد وقف على نخَّاس الدوابِّ فقال له: اِبغني حماراً ليس بالصغير المحتقَر ولا بالكبير المشتهر، ولا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاحق، إنْ أقللتُ عنه علفَه صبر، وإن كثَّرته شكر، وإن ركبتُه هام، وإنْ ركبه غيري نام، وإن بال لم يَرْشش، وإن مشى لم يَطْشش[6]، لا يقدَم بي على السَّواري، ولا يقتحم بي البواري[7]. فقال له النخَّاس: يا هذا اصبر، فإن مسخ اللهُ القاضيَ حماراً اشتريتُه لك.

ومات في هذه السَّنة في المحرَّم. وقيل: إنَّه مات بفم الصِّلح من أرض بغدادَ سنةَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): القاسم. وهو خطأ. والمثبت من (خ) والمصادر.

(٣) في (ب) و(خ): يزيد، والمثبت من المصادر.

(٤) في تاريخه ١٦/ ٧٧، وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته في السير ١٠/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢١٢.

(٥) في (ب): وحكى عنه الخطيب قال. ولم نقف عليه في تاريخه وخبر الهيثم في أمالي القالي ٢/ ١٤٠، والتذكرة الحمدونية ٥/ ٤٤٥، وفيهما أن الرجل كان أعمى. وأورد الخبر أيضاً ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين.

(٦) الطَّشاش: الرَّشاش. القاموس المحيط (طشش).

(٧) أي الحصير المعمول بالقصب. معجم متن اللغة (بور).

ستٍّ ومئتين وقد بلغ ثلاثاً وتسعين سنة.

[وقال جدِّي في «المنتظَم»:][1] ووجد له مئتا قميص، ومئةُ طَيلسان، ومئةُ [رداء][2] وخمسون عِمامة، ومئة سراويل.

أسند عن هشام بنِ عروة [وابنِ إسحاق، وشعبة، ومحمد بنِ عبد الرحمن بنِ أبي ليلى، ومجالدِ بن سعيدٍ صاحبِ المغازي، وسعيد بن أبي عَروبة، والأعمش، وزكريا ابنِ أبي زائدة] وغيرهم[3].

وروى عنه محمدُ بن سعدٍ [كاتبُ الواقدي، والعلاء بنُ موسى الباهلي، وعليُّ بن عَمرٍو الأنصاري، وداود بن رُشَيد الخوارزمي، وخلقٌ كثير].

وتكلَّموا فيه [فقال جدِّي[4]: لم يكن عند المحدِّثين بثقة. هذا صورةُ ما ذكر جدِّي رحمه الله.

وحكى الحافظُ ابنُ عساكرٍ عن البخاريِّ أنه قال: سكتوا عنه[5]. قال: وقال عليُّ بن المَديني: هو أوثقُ عندي من الواقديّ، ولا أرضاه في الحديث ولا في الأنساب ولا في شيء.

وقال إبراهيمُ بن يعقوبَ الجُوزجاني[6]: الهيثمُ ساقط، وقد كشف قناعه.وقال النَّسائي: الهيثمُ ضعيف. وكذا قال ابن مَعين.

ولمَّا روى الهيثمُ عن [مجالدِ بن سعيد عن] الشعبيِّ، عن ابن عباسٍ قال: أوَّلُ الناس إسلاماً أبو بكر[7]، قال ابنُ مَعين: مَن روى هذا ؟ قال: الهيثم، قال: كذب.

(١) ١٠/ ١٧٧ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) زيادة من المنتظم.

(٣) في (خ): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في المنتظم ١٠/ ١٧٧ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) التاريخ الكبير ٨/ ٢١٨ .

(٦) في (ب): الجرجاني. وليست في (خ)، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٧٩ هو الصواب، وكلام الجوزجاني في كتابه أحوال الرجال ص٢٠٠.

(٧) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٧٧ . وما بين حاصرتين منه.

قلت: ووهم ابن مَعين؛ فإنَّ أوَّلَ مَن أسلم من الرِّجال أبو بكر[١]، وقد ذكرناه في صدر الكتاب.

وقال أبو نُعيم الأصفهاني: الهيثمُ في فضله وجلالة قدرِه يوجد في أحاديثه مناكيرُ عن الثِّقات.

وحكى الخطيبُ[٢] أن] أبا نُوَاس هجاه [لأن أبا نواسٍ دخل عليه فلم يعرفه، فقام أبو نُواس مغضَباً، وبلغ الهيثم، فجاء إلى أبي نُواسٍ واعتذر إليه وقال له: لا تهجوني، فقال له: أمَّا ما مضى فلا كلامَ فيه، وأما في المستقبل فلا] فقال[٣]: [من البسيط]

إذا نسبتَ عَدِيًّا في بني ثُعَلٍ[٤] فقدِّم الدالَ قبل العينِ في النَّسَبِ

يعني: دَعِيّ.

له لسانٌ يواتيهِ بجوهره كأنَّه لم يَزَلْ يَغْدُو[٥] على قَتَبِ

[ويقال: إنَّ الهيثمَ جاءه قبل أن يهجوَه، فسأله ألَّا يهجوه، فقال: ألم تسمعْ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٦]؟. واللهُ أعلم بالصواب.

وفيها توفِّي][٦]

يحيى بنُ حسان

أبو زكريا الكوفي[٧]. نزل تِنِّيس. [وقال أبو حاتم بنُ حِبَّان][٨] أصلُه دمشقي. ومولدُه

---

(١) لم يتكلم ابن معين في أولية إسلام أبي بكر ﷺ حتى ينسب إليه الوهم، وإنما طعن في هذه الرواية عن ابن عباس ﷺ خاصة. ثم إن هذه الرواية مطلقة ليس فيها تقييد بالرجال كما لا يخفى.

(٢) في تاريخه ١٦/ ٨٠.

(٣) في (خ): وهجاه أبو نواس فقال. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): ثعلب، والمثبت من الديوان ص٩٢، وتاريخ بغداد ١٦/ ٨١. والبيتان ليسا في (ب).

(٥) في (خ): يعزا، والمثبت من تاريخ بغداد ومعجم الأدباء ١٩/ ٣٠٧، وورد فيهما أيضاً: يُزَجِّيه، بدل: يواتيه. والبيت ليس في الديوان.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) كذا قال، والذي في المصادر: البصري. انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٥٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال، والسير ١٠/ ١٢٧، وينظر باقي مصادر ترجمته ثمَّة.

(٨) في كتاب الثقات ٩/ ٢٥٢. وما بين حاصرتين من (ب).

سنةَ أربعٍ وأربعين ومئة.

[وذكره أبو سعيدِ بن يونسَ في «تاريخ مصر» وقال:] قدم مصرَ وحدَّث بها[(١)]، وصنَّف كتباً كثيرة.

وكان الإمامُ الشافعيُّ رحمةُ اللهِ عليه خَصِيصاً به، ومتى قال: حدَّثنا [الثقة][(٢)]، فإنَّما يريد به يحيى [بنَ حسان].

وكان من المياسير، وكان الإمام الشافعيُّ ينزل عليه، فأوصى طبَّاخَه ألَّا يعيدَ اللونَ في الأسبوع إلا مرَّة، فاستطاب الشافعيُّ رحمة الله عليه لوناً، فأمر الطباخَ بإعادته، فلمَّا رآه يحيى على المائدة تغيَّر لونه، فقال له الشافعي: أنا أمرتُه، فسُرِّي عنه؛ وكان الطباخُ عبداً ليحيى، فقال: أنت حرٌّ لوجه الله؛ شكراً لانبساط أبي عبدِ الله في رَحلنا.

[وقال أبو سعيد بنُ يونس:][(٣)] مات يحيى في سنة سبعٍ أو ثمانٍ ومئتين، وله أربعٌ وستُّون سنة.

أسند عن الليث بنِ سعد [وحمادِ بن سلمة، وهُشيم، وعيسى بنِ يونس، ومحمدِ بن مهاجر] وغيرِهم[(٤)].

وروى عنه [يونسُ بن عبدِ الأعلى، و] الرَّبيع بن سليمانَ [المرادي] وخلقٌ كثير واتَّفقوا على صدقه وثقته، وزهدِه وورعه، وكان الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه يُثني عليه [بكلِّ خير][(٥)].

يحيى بنُ زياد

ابنِ عبد اللهِ بن منظور، أبو زكريا، الملقَّب بالفرَّاء[(٦)]، النَّحوي الكوفي، الإمامُ العلَّامة، مولى بني أسَد.

---

(١) في تهذيب الكمال والسير: وصنف كتباً وحدث بها. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) طبقات الزبيدي ١٤٣، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٢٤، وإنباه الرواة ٤/ ١، والسير ١٠/ ١١٨، وغيرها.

كان ثعلبٌ يقول: لولا الفرَّاءُ ما كانت العربية؛ لأنَّه خلَّصها وضبطها.

مات الفراءُ ببغدادَ، وقيل: بطريق مكَّة، وقد بلغ ثلاثاً وستِّين سنة.

حدَّث عن ابن عُيينةَ وغيره، وروى عنه الأئمَّة وغيرهم، وكان المأمونُ يثني عليه ويباحثه ويعظِّمه.

واتفقوا على صدقه وثقتِه.



السَّنة الثامنةُ بعد المئتين

فيها عصى الحسنُ بن الحسينِ بن مصعبٍ على المأمون، ومضى من خُراسانَ إلى كرمانَ فامتنع بها، فبعث إليه المأمونُ أحمدَ بن أبي خالد فحاربه، فأخذه أسيراً وقدم به على المأمون، فعفا عنه وأَحسنَ إليه.

وفي أوَّل السَّنة ولَّى المأمونُ محمدَ بن عبدِ الرحمن المخزوميَّ القضاءَ على الجانب الشرقيِّ من بغداد، ثم عزله في غُرَّة ربيعٍ الأوَّل وولَّى مكانَه بشرَ بن الوليدِ الكِندي.

وفيها استعفى محمدُ بن سماعةَ من القضاء، فأعفاه المأمونُ وأقرَّه في صَحَابته، وولَّى مكانَه إسماعيلَ بن حمَّادِ بن أبي حنيفة.

وفيها توفي الفضلُ بن الربيع، وموسى بنُ محمد الأمين.

وحجَّ بالناس صالحُ بن الرشيد.

وجاء سيلٌ بمكَّة(١)، فوصل الماءُ إلى الحَجَر الأسودِ وهدم نحوَ ألفِ دار، وكان الطائفون بالبيت يَسْبَحونَ حوله، ومات بالغَرق والهَدْمِ ألفُ إنسان.

وفيها توفي:

صالحُ بن عبدِ الكريم

البغدادي، العابدُ الورع. [حكى الخطيبُ(٢) عنه أنه] كان يقول: يا أصحابَ الحديث، ما ينبغي أن يكونَ أحدٌ أزهَدَ منكم، إنما تُقلِّبون دواوينَ الموتى ليس بينكم وبين رسولِ الله ﷺ أحدٌ إلَّا وقد مات.

و[حكى(٣) عنه أنَّه] قال: رأيتُ غلاماً أسودَ بطريق مكَّةَ يصلِّي عند كلِّ مِيل، قلت: أعبدٌ أنت؟ قال: نعم، قلت: أكلِّم مولاك حتى ينقصَ من ضريبتك؟ فقال: وما قدرُ

(١) ينظر خبر السيل وغيره من السيول بمكة في شفاء الغرام للفاسي ٢/ ٢٦٠-٢٦٩.

(٢) في تاريخه ١٠/ ٤٢٥ . وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ الإسلام ٥/ ٩١.

(٣) في تاريخه ١٠/ ٤٢٤-٤٢٥ . وما بين حاصرتين من (ب).

الدنيا بأَسْرها حتى تذلَّ فيها لغير الله! فاشتريتُه وأعتقته، فجعل يبكي ويقول: أَعْتَقَكَ اللهُ من نار جهنَّم.

وكانت وفاة صالحٍ ببغدادَ [في هذه السَّنة][(١)].

أَسند عن سفيانَ الثوري [وابنِ عُيينة[(٢)] والفضيلِ بن عياض][(٣)]. روى عنه عليُّ بن الموفَّق العابد وغيره.

وقال: قال لنا الفضيلُ يوماً: أتدرون لم حَسُنت الجنَّة؟ لأنَّ عَرْشَ الرحمنِ سقفُها.

عمر بن عبدِ العزيز

أبو حفص، مولى المنصور، ويُعرف بالشِّطْرَنْجيّ.

نشأ في دار المهديِّ مع أولاده، وتأدَّب بآدابه، وانقطع إلى عُلَيَّةَ بنتِ المهدي، وكان لبيباً لطيفاً، غضب الرشيدُ على عُلَيَّة، فأمرتْ عمرَ أن يقولَ شعراً يسترضي الرشيدَ به، فقال: [من البسيط]

لو كان يمنع حُسنُ العقلِ صاحبَه ... من أن يكونَ له ذَنْبٌ إلى أحدِ
كانت عُلَيَّةُ أَوْلى الناس كلِّهمِ ... أَلَّا تُكافى بسوءٍ آخرَ الأبدِ
مالي إذا غبتُ لم أُذكرْ بواحدةٍ ... وإن سقمْتُ وطال السُّقمُ لم أُعَدِ
ما أعجبَ الشيءَ أرجوه فأُحرَمُه ... قد كنت أحسب أنِّي قد ملأتُ يدي

فغُنِّي به بين يدي الرشيد، فأعجبه ورضي عنها[(٤)].

وقال [عبدُ الله بن][(٥)] الفضلِ بن الربيع: دخلتُ على عمرَ أبي حفصٍ أعوده في مرض موته، فأنشدني لنفسه[(٦)]: [من المتقارب]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) جاء بدلها في (خ): وغيره.

(٣) بعدها في (ب): والله أعلم بالصواب، وفيها توفي كما ذكرنا الفضل بن الربيع. ولم ترد فيها ترجمة: عمر بن عبد العزيز، الآتي.

(٤) المنتظم ١٠/ ١٨٤، والأغاني ٢٢/ ٤٨، وفوات الوفيات ٣/ ١٣٧ .

(٥) ما بين حاصرتين من المنتظم١٠/ ١٨٤، والأغاني ٢٢/ ٥٠ .

(٦) نسبت الأبيات في عيون الأخبار ٢/ ٣٢٧، والعقد الفريد ٣/ ١٩٠ لأبي العتاهية، وهي ليست في ديوانه.

نعى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ ونادتك باسم المماتِ[(١)] الخطوبُ
فكن مستعدًّا لداعي الفناءِ فكلُّ الذي هو آتٍ قريبُ
ألسنا نرى شهواتِ النُّفو سِ تفنى وتبقى علينا الذُّنوب
وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ فعاش المريضُ ومات الطبيب
يخاف على نفسه مَن يتوبُ فكيف ترى حالَ مَن لا يتوب

[و فيها توفِّي كما ذكرنا][(٢)]

الفضلُ بن الربيعِ

ابن يونسَ الحاجب، وكنيتُه أبو الفضل[(٣)].

ولد سنةَ أربعين ومئة، وحجب للرشيد، واستوزره، ولمَّا مات كان معه بطوس، فاستولى على الخزائن وقدم بها بغدادَ على الأمين، ومعه البُردةُ والقضيبُ والخاتَم، فأكرمه الأمينُ وفوَّض إليه أمورَه، فغلب عليه، فكان يولِّي ويعزل، ويأمر وينهى، والأمينُ في لهوه، فقال أبو نُواس: [من الطويل]

لَعَمرُك ما غاب الأمينُ محمدٌ عن الأمر يَعنيه إذا شهد الفضلُ
ولولا مواريثُ الخلافةِ أنها له دونَه ما كان بينهما فضل
وإن كانت الأخبارُ[(٤)] فيها تباينت فقولُهما قولٌ وفعلُهما فعل
أتى[(٥)] الفضلُ للدنيا وللدِّين جامعاً كما السهمُ فيه الفُوقُ والرِّيشُ والنَّصل

ولم يزل الفضلُ يُغْرِي بين الأمينِ والمأمون حتى خلع الأمينُ المأمونَ وجرى ما ذكرناه، فلما ضعف أمرُ الأمينِ استخفى الفضل، فدخل المأمونُ بغدادَ مجدًّا في طلبه، وجعل لمن جاء به الأموالَ الجليلة، فخرج الفضلُ يوماً وقد هانت عليه نفسُه، فلقي

(١) في المصادر: باسم سواك.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) كذا في (ب) و(خ)، وأبو الفضل كنية أبيه الربيع بن يونس، وأما كنية الفضل فهي أبو العباس، ينظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٧، وطبقات الشافعية ٢/ ١٥٠، وينظر أيضاً السير ١٠/ ١٠٩.
(٤) في الديوان ص٥١٩: الأجسام، وما هنا موافق لتاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٤.
(٥) في الديوان وتاريخ بغداد: أرى، والأبيات لم ترد في (ب).

طاهرَ [بنَ الحسين][١] فثنى عِنانَ دابَّته معه وقال له: أيها الأمير، هذا عِنانٌ ما ثُني قطُّ إلا لخليفة، فقال له طاهر: صدقتَ فقل ما شئت، فقال: تكلِّمُ لي أميرَ المؤمنين، فقد عضَّ الغاربَ القَتَبُ[٢]، وأنا مستجيرٌ بالله وبك. وكان المأمونُ لا يردُّ طاهراً في حاجة، فشفع في الفضل، فشفَّعه فيه، وأقام عند المأمون على منزلة، والمأمونُ يحترمه ويُحسن إليه حتى توفِّي.

[واختلفوا في وفاته على قولَين حكاهما الخطيب[٣]: أحدهما: حكاه عن أبي حسَّان الزياديِّ قال: مات] في سَلخ ذي القَعدة [سنةَ ثمانٍ ومئتين. والثاني: عن إبراهيمَ بنِ عرفةَ قال:][٤] مات سنةَ سبعٍ ومئتين. وقيل: إنَّ المأمونَ ظفر به وعفا عنه. [والله أعلم.

ذِكر قصَّة جرت للفضل في اختفائه:

حكاها أبو القاسم عليُّ بن المحسِّن التَّنوخيُّ عن أبيه بإسناده إلى] الفضل بن الربيع قال[٥]: لما استترتُ عن المأمون، أخفيتُ نفسي عن عيالي وولدي، فلمَّا قرب المأمونُ من بغدادَ ازداد خوفي على نفسي، فاحتطتُ في التَّواري، وشدَّد المأمونُ في طلبي، فلم يعرفْ لي خبراً، فذكرني يوماً، فاغتاظ وأغلظ لإسحاقَ بنِ إبراهيم، فخرج من عنده ونادى مَن في الجانبين: مَن جاء به فله عشرةُ آلافِ درهم، وأقطاعٌ بثلاثة آلافِ دينارٍ كلَّ سنة، ومَن وجد عنده بعد النداءِ ضُرب خمسَ مئة سَوط، وهُدمت دارُه وأُخذ ماله وحُبس طولَ عُمره.

وكنت بباب الطاقِ في منزل صاحبٍ لي، فدخل عليَّ وأخبرني بخبر النداءِ وقال: واللهِ ما أقدر بعد هذا على سَترك، ولا آمنُ على نفسي، وأخاف أن تشرَهَ زوجتي أو غلامي إلى المال فيدلُّون عليك، فأهلكَ بهلاكك، فإن صفح المأمونُ عنك لم آمن أن تتَّهمَني أنت أني دللتُ عليك، فيكون ذلك أقبح. قال: فورد عليَّ أمرٌ عظيم، وقلت:

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) الغارب: الكاهل، أو ما بين السَّنام والعنق. والقتب: الإكاف. القاموس المحيط (غرب)، (قتب).

(٣) في تاريخه ١٤/ ٣٠٥. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقيل ...

(٥) في (خ): وقال الحسن التنوخي: قال الفضل بن الربيع. والقصة في الفرج بعد الشدة ٤/ ٢٩٣ .

اصبرْ عليَّ إلى الليل، فقال: وكيف آمن؟ فتنكَّرْ واخْرُج.

[قال:][١] فأخذتُ من لحيتي وغطَّيت رأسي، وخرجت قبيلَ العصرِ ومضيت في الشارع إلى الجسر، فوجدته خالياً، فلما توسَّطته إذا بفارسٍ من الجند الذين كانوا يتناوبون في داري أيامَ وِزارتي، فعرفني وقال: هذا طَلِبة أميرِ المؤمنين، وعدل إليَّ ليقبضَ عليَّ، فمن حلاوة الرُّوحِ دفعته ودابَّتَه، فوقع في بعض سفنِ الجسر، وأسرع الناسُ لتخليصه، وظنُّوه قد زَلِقَ بنفسه، ومشيت أنا من غير عَدْوٍ؛ لئلَّا ينكرَ عليَّ أحد، فدخلت دربَ سليمان، وإذا باب مفتوحٍ وفيه امرأة، فقلت لها: أنا خائفٌ من القتل، فأَجيريني واحقُني دمي، فقالت: ادخل، وأومأتْ إلى غرفة، فصعدتُها، فما استقرَّ بي المنزلُ حتى دقَّ الباب، ففتحتْ، وإذا بأناسٍ يحملون رجلاً، فدخلوا به، وإذا هو الجنديُّ صاحبي، وهو مشدودُ الرأس من شجَّة فيه وهو يتأوَّه، فقالت له المرأة: مالَك؟ فأخبرها خبري، وقال: فاتني الغنى الأكبر، وعطبتْ فرسي فما تُباع إلا لحماً، وجعل يشتمِني ولا يعلم أنِّي في الدار، فقالت له المرأة: احمدْ ربَّك؛ فقد حفظك ولم يجعلك سبباً في سفك دمِه.

فلمَّا جاء الليل، صعدت المرأةُ إليَّ وقالت: أظنُّك صاحبَ القصَّة مع هذا الرجل، فقلت: نعم، قالت: قد سمعتَ ما عنده، فاتَّقِ اللهَ في نفسك واخْرُج [قال:][٢] فدعوتُ لها وخرجت، ومشيتُ ساعة، وإذا برجلٍ يفتح باباً، فدنوتُ منه وقلت: استرني سترك الله، فقال: ادخل، فدخلت وأقمتُ ليلتي، فخرج من الغد وعاد معه حمَّالان، على رأس أحدِهما حصيرٌ ومِخَدَّة وجِرارٌ وكيزانٌ وغضائر [جُدُد] وقِدْرٌ جديدة، وعلى رأس الآخر فاكهةٌ ولحم وثلج، فوضع الجميعَ في الدار، فنزلتُ [وعَذَلْته] وقلت: لمَ تكلَّفتَ هذا؟ فقال: أنا رجل مزيِّن، وأخاف أن تستقذرَني، وقد أتيتُك بهذا فاطبخْ كما تريد.

فأقمتُ عنده ثلاثاً، وقلت في الليلة الرابعة: الضيافةُ ثلاثة، وقد أحسنت، وإني أُريد أن أَخرج، فقال: لا تفعلْ، فأنا وحيد، ولستَ ممَّن يطرق بيتَه أحد، ولا تَخَفْ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

أن يفشوَ خبرُك من عندي أبداً، فأقم حتى يفرِّجَ اللهُ عنك، فأَبَيْتُ، وخرجتُ إلى باب التِّبن إلى منزل عجوزٍ من موالينا، فطرقتُ بابها، فخرجت، فلمَّا رأتْني بكت وحمدت اللهَ على سلامتي، وقالت: ادخل.

ثم بكَّرتْ وَسَعَت[(١)] بي، فما شعرتُ إلَّا بإسحاقَ وخيلِه ورَجِله قد أحاط بالدار، فأخرجوني إلى بين يدي المأمون، فلمَّا رآني سجد طويلاً، فلما رفع رأسَه قال: يا فضل، أتدري لِمَ سجدت؟ قلت: شكراً لله حيث أظفرك بعدوِّك والمُغري بينك وبين أخيك، فقال: ما أردتُ هذا، ولكن سجدتُ شكراً لله على ما أظفرني بك وألهمني العفوَ عنك، حدِّثْني بخبرك.

[قال:][(٢)] فحدَّثْتُه بأمري كلِّه، فقال: عليَّ بالجنديِّ وزوجتِه والمزيِّن والعجوز، فحضروا، فقال للجندي: ما السببُ الذي حملك على ما فعلت؟ قال: الرغبةُ في المال، قال: أنت أَولى أن تكون حجَّاماً، وأمر باستخدام زوجتِه قهرمانةً على حَرَمه وقال: هذه امرأةٌ عاقلة لها مروءة، وأمر بتسليم دارِ الجنديِّ وقماشِه[(٣)] إلى المزيِّن، ويجعلَ جنديًّا مكانَه. وقال للعجوز: ما الذي حملكِ على ما صنعتِ بمولاك؟ وكانت تنتظر الجائزة، فقالت: رغبتُ في المال، قال: وهل لك من ولدٍ أو زوجٍ أو أخ؟ قالت: لا، قال: فنسيتِ إنعامَه عليك؟ وأَمَرَ بها فضُربت مئتَي سَوطٍ وخُلِّدت في الحبس، وأَمَرَ لامرأة الجنديِّ بثلاثين ألفاً، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، لستُ آخذ عليه شيئاً، ما فعلتُه إلَّا لله. وردَّت المال، فازداد المأمونُ إعجاباً بها وجعلها من خاصَّته.

أسند الفضلُ عن أبيه [و] عن المهديّ والرشيد[(٤)].

---

(١) من السِّعاية، وهي أن تسعى بصاحبك إلى والٍ أو من فوقه. معجم العين ٢/ ٢٠٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) قماش البيت: متاعه. الصحاح (قمش).

(٤) بعدها في (ب): والحمد لله رب العالمين. وبعدها في (خ): وتوفي ببغداد في هذه السنة وله خمس وثلاثون سنة فحضره المأمون وصلى عليه. اهـ. قلت: وسيأتي هذا الكلام في ترجمة القاسم بن هارون الآتية، ولعل في (خ) سقطاً، والله أعلم. وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٠، والسير ١٠/ ١٠٩، والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٣.

[القاسمُ بن هارونَ الرشيد.

أخو الأمينِ والمأمون، ولقبه المؤتَمَن، فخلعه[١] المأمون.

وقال إسماعيلُ بن عليٍّ الخُطَبي: كان هارونُ لمَّا عهد إلى أخيهما القاسمِ بعد أخيه المأمون، شرط أنَّ الأمر إذا صار إلى المأمون إنْ شاء أقرَّه وإن شاء خلعه، فخلعه، من سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وأقام عند المأمونِ ببغدادَ حتى توفِّي في هذه السَّنةِ وله خمسٌ وثلاثون سنة، فحضره المأمونُ فصلَّى عليه].

العَتَّابي

واسمُه كُلثومُ بن عَمرو بنِ أيوب، الشاعرُ الفصيحُ البليغ [الخطيب][٢] من أهل قِنَّسْرِين.

قدم بغدادَ ومدح الرشيدَ والأمينَ والمأمون [وله رسائلُ وخطب] وكان منقطعاً إلى البرامكة [ومُدح للرشيد فتقدَّم عنده] وكان يتجنَّب غِشْيانُ الملوك، ويتزهَّد ويلبَس الصوف، ويتعبَّد ويتواضع، ويلقى الناسَ بالبِشر [قال الخطيبُ:][٣] فقيل له: إنك تلقى العامَّةَ بِبِشْرٍ وتقريب، فقال: رفعُ ضغينةٍ بأيسرِ مؤنة، واكتسابُ أجرٍ[٤] بأهونِ مبذول.

[قال الخطيب:][٥] ومن شِعره: [من الهزج]

أَلَا قــد نُــكِّــس الــدَّهـــرُ فـــأضـــحـى حُــلــوُه مــرّا
وقـــد جـــرَّبـــتُ مَـــن فـــيـــه فـــلـــم أحـــمـــدْ هـــمُ طُـــرّا
فـــألـــزِمْ نـــفْـــســك الـــيـــأسَ مـــن الـــنـــاسِ تـــعـــشْ حُـــرّا

[وقال الخطيب:] وكتب إليه طَوقُ بنُ مالك[٦] يستزيره ويدعوه إلى أن يصلَ قرابةً

---

(١) في (ب): فجعله، في الموضعين، والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٠-٣٩١، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٤٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخه ١٤/ ٥١٧ . وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته أيضاً في وفيات الأعيان ٤/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٣١.

(٤) في تاريخ بغداد: واكتساب إخوان.

(٥) في تاريخه ١٤/ ٥١٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب) و(خ): مالك بن طوق. وكذا في ديوان المعاني للعسكري ٢/ ٢٥٣، والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ =

بينه وبينه، فكتب إليه العتَّابي: إنَّ قريبَك من قرب منك خيرُه، وإنَّ عمَّك مَن عمَّك نفعُه، وإنَّ عشيرتَك مَن أحسن عِشرتك، وإنَّ أحبَّ الناسِ إليك أجداهم بالمنفعة عليك؛ ولذلك أقول[١]: [من الكامل]

ولقد بلوتُ الناس ثم سَبَرْتُهمْ وخبرتُ مَن وصلوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّب قاطعاً وإذا المودَّة أكبرُ الأنسابِ

ومن شِعره [السائر المشهور][٢]: [من البسيط]

إنَّ الكريم ليخفي عنك عُسرَتَهُ حتى تراه غنيًّا وهْو مجهودُ
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زُرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ
إذا تكرَّهتَ أن تعطي القليلَ ولا تكون ذا سعةٍ لم يَظهر الجُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا يمنعْك قلَّتُه فكلُّ ما سدَّ فقراً فهْو محمودُ

[وذكر الخطيبُ[٣] أنَّ] المأمون كتب[٤] في إشْخَاص العتَّابي، فلَّما دخل عليه قال له: يا كُلثوم، بلغني وفاتُك فساءني، ثم بلغتني زيارتُك فسرَّتني، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لو قُسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرضِ لَوسعتْهم فضلاً وإنعاماً، وقد خَصَصْتَني منهما بما لا أستطيع له أُمنية، ولا يَنْبسط لسواه أَمَل، فإنَّه لا دينَ إلَّا بك، ولا دنيا إلَّا معك. فقال المأمون: سَلْني، فقال: يدُك بالعطاء أطلقُ من لساني بالمسألة. فوصله بصِلات سَنِيَّة، وبلغ به من التقديم والإكرامِ أعلى محلّ.

وقال العتَّابي: قدمت مرَّةً على أبي بحمارٍ موقَرٍ كتباً، فقال: ما عليه؟ فقلت: كتب، فقال: ما ظننته إلَّا مالاً، فعدلت إلى يعقوبَ بنِ صالح، فدخلتُ عليه وأنشدته[٥]: [من الخفيف]

= ٥١٦، والمنتظم ١٠/ ١٨٩، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢٣.
(١) في (خ): يقولن. والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ١٤/ ٥١٦.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب). والأبيات في تاريخ بغداد ١٤/ ٥١٩، والوفيات ٤/ ١٢٤.
(٣) في تاريخه ١٤/ ٥١٨.
(٤) في (خ): وكتب المأمون ...
(٥) المنتظم ١٠/ ١٩٠-١٩١، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٧، والأبيات في ديوان دعبل ص٣٧٦-٣٧٧، وعيون الأخبار ٣/ ١٣٣ منسوبة لبعض المحدثين، والعقد الفريد ١/ ٢٤٤ منسوبة للطائي.

حسنُ ظنِّي إليك أصلحك اللهُ دعاني فلا عَدِمْتَ الصَّلاحا

ودعاني إليك قولُ رسولٍ إذا قال[1] مفصحاً إفصاحا
إنْ أردتمْ حوائجاً من أُناسٍ فتنقَّوا لها الوجوهَ الصِّباحا
فلَعَمري لقد تنقَّيتُ وجهاً ما به خاب مَن أراد النَّجاحا

فقال: ما حاجتُك يا كلثوم؟ قلت: بَدْرتان[2]، فقال: أعطُوه إياهما، فانصرفتُ بهما إلى أبي وقلت: يا أبي، هذا بالكتب التي[3] أنكرتَ[4].

وقال مالكُ بن طوقٍ للعتَّابي: رأيتك كلَّمتَ فلاناً فأقللتَ كلامك، فقال: نعم، كان معي حَيرةُ الداخل، وفكرةُ صاحبِ الحاجة، وذلُّ المسألة، وخوفُ الردِّ مع شَرَه الطمع[5].

[وروى الخطيبُ[6] بإسناده إلى] محمدِ بن إبراهيمَ السَّيَّاري قال[7]: لمَّا قدم العتَّابي مدينةَ السلام على المأمون، دخل عليه وعنده إسحاقُ بن إبراهيمَ المَوْصلي، وكان العتَّابي شيخاً جليلاً، فسلَّم على المأمون، فردَّ وأدناه، فقبَّل يدَ المأمون، فأمره بالجلوس، فجلس، وأقبل عليه يسائله عن حاله وهو يجيب بلسانٍ طَلْق، فاستظرف المأمونُ كلامَه، وأقبل عليه بالمداعبة والمزح، فظنَّ الشيخُ أنه قد استخفَّ به، فقال: يا أميرَ المؤمنين، الإيناسُ قبل الإبساس[8]، فاشتبه على المأمون قولُه، فنظر إلى إسحاقَ مستفهماً، فأومأ إليه بعينه وغمزه على معناه حتى فهمه، فقال: يا غلام، ألفَ دينار، فأتى بها فوضعها بين يديه.

---

(١) في المصادر: رسول الله إذ قال.

(٢) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف درهم. القاموس المحيط (بدر).

(٣) في (خ): الذي، والمثبت من المصادر.

(٤) من قوله: وقال العتابي: قدمت مرَّة . . . إلى هنا، ليست في (ب).

(٥) المنتظم ١٠/ ١٩١، وتاريخ بغداد ١٤/ ٥١٩، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢٤.

(٦) في تاريخه ١٤/ ٥١٧.

(٧) في (خ): وقال محمد بن إبراهيم السياري.

(٨) في (ب): الإبساس قبل الإيناس، وفي (خ): الإنسان قبل الإيناس، والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ٥١٧، والوفيات ٤/ ١٢٣، وسيأتي شرحه.

ثم أخذ في الحديث، وغمز المأمونُ إسحاق، فجعل العتابيُّ لا يأخذ في شيءٍ إلَّا وعارضه فيه إسحاق، فبقي العتَّابي متعجِّباً، وقال: يا أميرَ المؤمنين، أتأذن لي في مسألة هذا الشيخ؟ قال: نعم، فقال لإسحاق: يا شيخ، مَن أنت؟ وما اسمُك؟ فقال: أنا من الناس، واسمي: كُلْ بَصَل، فتبسَّم العتابيُّ وقال: أما النَّسَبُ فمعروف، وأما الاسم فمُنكَر، فقال له إسحاق: [ما أقلَّ إنصافَك، أتُنكر أن يكونَ اسمي: كُلْ بَصَل][(١)] وما تُنكر اسمك كُلْ ثوم! وما كلثومُ في الأسماء! أو ليس البَصَلُ أطيبَ من الثُّوم! فقال العتَّابي: لله دَرُّك ما أفصحَك وأرجحك[(٢)]، أتأذن لي يا أميرَ المؤمنين أن أصلَه بما وصلتَني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موفَّرٌ عليك، ونأمرُ له بمثله، فقال له إسحاق: أمَّا إذا أقررتَ بهذه، فتوهَّمني تجدْني، فقال: ما أظنُّك إلَّا إسحاقَ الموصليَّ الذي يتناهى إلينا خبرُه، فقال: أنا حيث ظننتَ، وأقبل عليه بالتحيَّة والسلام. فقال المأمون: أمَّا إذا اتفقتما على المودَّة فانصرفا، فانصرف العتابيُّ إلى منزل إسحاقَ فأقام عنده.

[قلت: قولُه: الإيناس قبلَ الإبساس، مأخوذٌ من قولهم عند الحلبِ للناقة: بَس بَس، فكان عرَّض تعريضاً بما يروى: الإيناسُ قبل الإبساس، وأين قولُ إسحاق: كُلْ بَصَل، من كلثوم؛ لأنَّ كلثومَ في اللغة هو الواسع الخدَّين، وقد كان العتَّابي بهذه [الصِّفة][(٣)]، وإنما قصد إسحاقُ أن يضعَ من العتَّابي بسوء أخلاقه، فعاد عليه العتابيُّ بطيب أعراقه].

ودخل العتَّابيُّ على عبد الله بنِ طاهر، فأنشده: [من الخفيف]

حسن ظنِّي وحسنُ ما عوَّد اللهُ قديماً منك الغداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكون أحسنَ من حسـ ـنِ يقينٍ حدا إليك رِكابي

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغدِ فأنشده: [من السريع]

ودُّك يكفيني في حاجتي ورؤيتي كافيةٌ عن سؤالْ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في تاريخ بغداد: للَّه درُّك ما أحجَّك.
(٣) ما بين حاصرتين ليس في (ب)، والكلام ليس في (خ).

وكيف أخشى الفقرَ ما عشتَ لي ... وإنَّما كفاك [لي] رأسُ[1] مالْ

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه في اليوم الثالثِ فأنشده: [من الخفيف]

بَهجاتُ الشباب[2] يُخلِقها الدَّهـ ... ـرُ وثوبُ الثَّناءِ غضٌّ جديدُ

فاكسُني ما يَبيدُ أصلحك اللهُ فإنِّي أكسوك ما لا يبيدُ

فأجازه وخلع عليه.

[وكان قد سُعي للرشيد بالعتَّابي، فذكر ابنُ عبدوس في كتاب «الوزراء» أنه كان قد نُقل إلى هارونَ أن العتابيَّ يقول بالاعتزال، فطلبه، فهرب إلى اليمن، فأقام بها زماناً على وَجَل، فأراد يحيى بنُ خالدٍ أن يشفعه، فاحتال على الرشيد فأسمعه شيئاً من خُطبه ورسائله، فاستحسن ذلك وقال: لمن هذا؟ فقال يحيى: للعتَّابي، قال: قد أمَّنَّاه فلْيحضر.

وقيل: إنَّ] الرشيدَ طلبه[3]، فأخفاه يحيى بنُ خالد، ولم يزل يستصلح له قلبَ الرشيدِ حتى أمَّنه، فقال: [من البسيط]

ما زلت في غَمَرات الموتِ مطَّرحاً ... قد ضاق عني فسيحُ الأرض من حِيَلي

فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي ... حتى اختلست حياتي من يدَي أجلي[4]

وقيل: إنَّ الذي فعل ذلك معه جعفرُ بن يحيى [بنِ خالد][5].

محمدُ بن صالحٍ

ابن بَيْهَس بنِ زُمَيل. المتغلِّبُ على دمشقَ أيام أبي العَمَيطَر، وأقام إلى أن قدم ابنُ طاهرٍ دمشقَ وبعث به إلى المأمون، فمات ببغداد. وقيل: إنَّه مات سنةَ عشرٍ ومئتين، وهو الأصحّ.

---

(١) في الأغاني ١١٧/١٣، والوافي بالوفيات ٣٥٨/٢٤: بيت مال. وما بين حاصرتين منهما، والخبر بتمامه فيهما.

(٢) في (خ): الشباب، والمثبت من الأغاني وتاريخ بغداد.

(٣) في (خ): وكان الرشيد طلبه ... .

(٤) الأغاني ١١٩/١٣، والوفيات ١٢٢/٤-١٢٣، والوافي ٣٥٦/٢٤.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

وله أشعارٌ كثيرة منها: [من الوافر]

منعْتُ بني أميَّةَ ما أرادت ... وقد كانت تسمَّت بالخلافهْ
أَبَرْتُهمُ من الشامات قتلاً ... ولم يكُ لي بهمْ في ذاك رافه
أُناضلهمْ[1] عن المأمون إنِّي ... على مَن خالف المأمون آفه

مسلم بنُ الوليد الأنصاري

مولى أسعدَ بن زُرارةَ الخزرجي[2]. دخل أعرابيٌّ على ثعلب فقال له: أنت الذي تزعم أنك أعلمُ الناسِ بالأدب؟ قال: كذا يزعمون، قال: أنشِدني أرقَّ بيتٍ قالت العرب، قال: قولُ جَرير: [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مرضٌ ... قتلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتلانا
يَصْرعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ[3] به ... وهنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أركانا

فقال: هذا شِعرٌ رثّ، قد لاكه السفهاءُ بألسنتها، هاتِ غيرَه. فقال ثعلب: أَفِدنا من عندك، فقال: قولُ صريعِ الغواني مسلم: [من الطويل]

نبارزُ أبطالَ الوغى فنُبيدهمْ ... وتقتلنا في السِّلم لحظُ الكواعبِ
وليست سهامُ الحربِ[4] تُفني نفوسَنا ... ولكنْ سهامٌ فوِّقت في الحواجب

فقال ثعلب: أُكتبوها على الحناجر[5] ولو بالخناجر.

ولمسلمٍ في «الحماسة»[6]: [من الطويل]

حنينٌ ويأسٌ كيف يجتمعانِ ... مَقيلاهما في القلب مختلفانِ
غدتْ والثَّرى أولى بها من وليِّها ... إلى منزلٍ ناءٍ لعينك دانِ

(١) في (خ): أفاضلهم، والمثبت من تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٢٤، والوافي بالوفيات ٣/ ١٥٦، وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ الإسلام ٥/ ١٧٧.
(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ١١٦-١١٨، والمنتظم ١٠/ ١٩٥، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٣٥، ومعجم الشعراء ص٢٧٧، والسير ٨/ ٣٦٥، ويُعرف بصريع الغواني.
(٣) رواية الديوان ١/ ١٦٣: لا صراع به.
(٤) رواية الديوان ص٣٠٦: سيوف الهند.
(٥) في المنتظم ١٠/ ١٩٥: المحاجر. ومَحجِر العين: ما يبدو من النقاب. مختار الصحاح (حجر).
(٦) في (خ): الحاشية، وهو تحريف، والأبيات في الحماسة ٢/ ٩٤٢ (بشرح المرزوقي)، والديوان ص٣٤١.

فلا وَجْدَ حتى تَنزفَ العينُ ماءها وتعترفَ الأحشاءُ بالخَفَقان

موسى بنُ محمدٍ الأمين[١]

الذي ولّاه العهدَ وسمّاه الناطق بالحقِّ[٢].

أبو معاويةَ الأسود

واسمُه اليَمَان، وكان من الأَبدال.

[حدَّثنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضل بنِ ناصرٍ بإسناده إلى أبي الحسينِ بن الفهم قال: سمعتُ] يحيى بنَ معين يقول[٣]: رأيتُ أبا معاويةَ الأسودَ وهو يلتقط الخِرَقَ من المزابل، فيلفِّقها ويغسلها ويلبَسها، فقيل له في ذلك، فقال: ما ضرَّهم ما أصابهم في الدُّنيا، جبر اللهُ لهم بالجنة كلَّ مصيبة.

وكان قد ذهب بصرُه، فكان إذا أراد أن يقرأ في المصحف، عاد إليه بصرُه، فإذا أطبق المصحف، ذهب بصرُه[وقد ذكرناه في سنة ستٍّ وتسعين في ترجمة أبي معاويةَ الضَّرير. واللهُ أعلم بالصواب][٤].



---

(١) سلف ذكره في السنة الرابعة والتسعين والمئة، وينظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٧، والمنتظم ١٠/ ٧-٨، والكامل ٦/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٠٥.

(٢) التراجم الثلاثة الأخيرة ليست في (ب).

(٣) في (خ): وقال يحيى بن معين، وما بين حاصرتين من (ب)، وهذا سند ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ١٩٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

السَّنة التاسعةُ بعد المئتين

فيها حصر عبدُ الله بنُ طاهرٍ نصرَ بن شَبَث حتى طلب الأمان.

ذِكر قصَّته:

قال جعفرُ بن محمدٍ العامري: قال المأمون لثُمامةَ بنِ أشرس: ألا تدلُّني على رجلٍ من أهل الجزيرةِ له عقلٌ وبيان ومعرفة يؤدِّي عني رسالةً إلى نصر بنِ شبث؟ قال: بلى يا أميرَ المؤمنين، فدلَّه عليَّ. قال جعفر: فدخلت عليه، فحمَّلني رسالةً إلى نصر بنِ شبث، فأبلغته [رسالتَه، فأجاب، إلا أنَّه قال: لا أطأُ بساطَه أبداً، قال: فعدت إلى المأمون فأبلغتُه] (١) ما قال، فقال: لا أُجيبه إلى هذا أبداً، وما باله ينفِر مني! قلت: لذنبه وما تقدَّم منه، فقال: أَفتراه أعظمَ جُرماً عندي من الفضل بنِ الربيع وعيسى بنِ أبي خالد! أما الفضل، فإنَّه أخذ قوَّادي وأموالي وجنودي وسلاحي وجميعَ ما أوصَى به أبي، فذهب به إلى محمدٍ وتركني بمروَ وحيداً فريداً، وأَسلمني، وأفسد عليَّ أخي، حتى كان من أمره ما كان، [وكان أشدَّ عليَّ من كلِّ شيء].

وأما ابنُ أبي خالد، فطرد خليفتي عن مدينتي(٢) ومدينةِ آبائي، وذهب بخَراجي، وأَخرب دياري، وأقعد إبراهيمَ ابن المهديِّ خليفةً دوني، ودعاه باسمي.

فقلت: الفضل [بنُ الربيع] (٣) رضيعُكم ومولاكم، وله سلفٌ صالح في خدمتكم، حالُهم يرجع إليه بضروبٍ كلُّها تردُّك إليه. وأما عيسى بنُ أبي خالد، فرجلٌ من أهل دولتك، وسابقتُه وسابقة مَن مضى مِن سَلَفه [ترجع عليه بذلك، وابنُ شبث لم تكن له يدٌ قطُّ فيُحمل عليها، ولا لمن مضى من سلفه] إنما كانوا جندَ بني أمية. فقال: إنَّ [كان] ذلك كما تقول، فكيف بالحَنَق والغيظ [ولكني لست أقلعُ عنه حتى يطأ بساطي. قال](٤): فعدت إلى ابن شبث فأخبرته، فقال: لا أطأُ بساطَه أبداً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٥٩٨-٦٠١، وينظر الكامل ٦/ ٣٨٨-٣٩٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨-١٩ .

(٢) في (خ): مذهبي، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري وابن الأثير ٦/ ٣٨٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري وابن الأثير.

ثم إن عبدَ الله بنَ طاهر جادَّه القتال، وهزم جيوشَه، وكان المأمونُ قد كتب إليه كتاباً يدعوه إلى طاعته، وفيه: أمّا بعد: يا نصرَ بن شَبث، قد عرفتَ الطاعة وعزَّها[1]، وبَرْدَ ظلِّها، وطِيْبَ مرتعها، وما في خلافها من النَّدم والخسار، وإن طالت مدةُ العصيان بك، فإنَّ اللهَ تعالى إنما يُملي لمن يلتمس مظاهرةَ الحجَّة عليه ليعاقبَه على قدر الاستحقاق، وقد رأيتُ إذكارَك وتبصيرك، فإن الصدقَ صدقٌ والباطلَ باطل، ولم يعاملْك أحدٌ من عمَّال أميرِ المؤمنين بتعرُّض في مالٍ ودِين ونفْس وأهل، فبأيِّ طريقٍ تأخذ أموالَ أمير المؤمنين وتتولَّى بلادَه وما أَولاه اللهُ تعالى! وتريد أن تبيتَ آمناً مطمئناً وادعاً ساكناً! فوَعالمِ الغيبِ والجهر لَئن لم تكن للطاعة مُراجعاً وبها خانعاً[2]، لتُسربَلَنَّ[3] وَخَمَ العاقبة[4]؛ فإنَّ قرون الشيطانِ إذا لم تُقطع، كانت في الأرض فتنةً وفساداً كبيراً، ولأطأنَّ بمن معي من أنصار الدولةِ كواهلَ رَعاعِ أصحابك، ومَن تأشَّبَ[5] إليك من أداني البلادِ وأقاصيها وطَغَامها وأَوباشها، ومَن ضوى إليك منهم، وقد أَعذر من أَنذر، والسلام.

وكان الكتابُ بخطِّ عَمرو بنِ مَسعدة، فأرسل ابنُ شبث إلى ابن طاهرٍ وطلب منه الأمان، وكان مقامُ ابن طاهرٍ على محاربته خمسَ سنين، وكتب ابنُ طاهرٍ إلى المأمون يُخبره أنه حصره وضيَّق عليه، وقتل رؤساءه وأعيانَ أصحابه، وأنه قد عاذ بالأمان بعد أن قطع الفرات وتحصَّن بحصن كَيْسوم[6] من بلد حلب، وكان قد استولى على الجزيرة و الشام، فقطع ابنُ طاهرٍ خلفه الفرات، فحصره في كَيسوم.

ولما ورد كتابُ ابن طاهرٍ إلى المأمون، كتب له كتابَ أمان، نسختُه: أما بعد: فإنَّ الإعذار بالحقِّ حجَّة اللهِ المقرونُ[7] بها النصر، والاحتجاجَ بالحقِّ دعوةُ [الله][8]

(١) في (ب) و (خ): وغيرها، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٩٩.

(٢) في (خ): ناجعاً، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: لتستوبلن.

(٤) من قوله: فوعالم الغيب . . . إلى هنا، ليست في (ب).

(٥) في (خ): تناسب، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري. ومعناه: التفَّ.

(٦) في (ب) و (خ): كيسون، وهو خطأ، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٠١.

(٧) في (خ): المعروف، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

الموصولُ بها العزّ، ولايزال المعذِر بالحقِّ يحتجُّ بالعدل في استفتاح أبوابِ التأييد، واستدعاءِ أسباب التمكين، حتى يفتحَ اللهُ وهو خيرُ الفاتحين، ويمكِّن له وهو خير الممكِّنين، ولستَ تعدو مما ألهجتَ إحدى ثلاث: إما طالبُ دِين، أو ملتمسُ دنيا، أو متهوراً بطلب الغَلَبة ظلماً، فإن كنتَ للدِّين تسعى بما تصنع، فأَوضِح لأمير المؤمنين ذلك، يغتنمْ قبولَه إن كان حقّاً، فلعَمري[1] ما همَّته الكبرى ولا غايتُه القصوى إلّا الميلُ مع الحقِّ حيث مال، والزوالُ مع العدل حيث زال، وإن كنتَ إنما تقصد الدنيا، فأَعلِم أميرَ المؤمنين غايتَك فيها، والأمرَ الذي تستحقُّها [به][2]، فإن استحققتَها وأمكنه ذلك، فعلَه بك، ولَعمري إنه ما يستجيز منعَ أحدٍ ما يستحقُّه وإن عَظُمَ، وإن كنت متهوِّراً بطلب الغَلَبة، فسيكفي اللهُ أميرَ المؤمنين مؤنتَك، ويعجِّل في ذلك كما عجَّل كفايتَه مؤَنَ قوم سلكوا طريقَك، كانوا أقوى يداً، وأكثفَ جنداً، وأكثرَ عدداً وجمعاً، اختارهم اللهُ إلى مصارع الخاسرين، وأنزل بهم من جوائح الظالمين، وأميرُ المؤمنين يختم كتابَه بشهادة أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه ﷺ، وضمانُه لك في دِينه وذمَّته الصفحُ[3] عن سوالف جرائمِك ومتقدِّمات جرائرك، وإنزالُك ما تستحقُّ من منازل العزِّ والرِّفعة إن أَنبتَ وراجعتَ إن شاء اللهُ تعالى، والسلام.

فنزل من حصن كَيْسوم[4]، فهدمه ابنُ طاهر، وبعث بنصر بنِ شبث إلى بغداد، فقدمها أولَ السَّنة العاشرةِ والمئتين.

وفيها ولَّى المأمونُ صدقةَ بن عليّ ويُعرف بزريق إرْمِيْنِيَةَ وأَذْرِبِيجانَ ومحاربةَ بابك، وندب للقيام بأمره أحمدَ بن الجنيدِ الإسكافي، فقرَّر أمره، ورجع أحمدُ إلى بغداد، وحارب صدقةُ بابك، فأَسره، فولَّى المأمونُ مكانَه إبراهيمَ بن الليث[5] بنِ الفضل[6].

(١) في (خ): إنما، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

(٣) في (ب) و (خ): والصفح. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٤) في (ب) و (خ): كيسون. وهو خطأ.

(٥) في (خ): المهدي، والمثبت من المصادر.

(٦) تاريخ الطبري ٨/ ٦٠١، والمنتظم ١٠/ ١٩٨، وعند الطبري: ثم رجع أحمد إلى بغداد، ثم رجع إلى الخُرّمية، فأسره بابك. . . .

وحجَّ بالناس صالحُ بن العباسِ بن محمد بن عليٍّ عاملُ مكَّة.

[فصل] [١] وفيها توفي

أحمدُ بن الرشيد، وليس بالسَّبْتي

و[اختلفوا فيه، فـ] قيل: اسمُه صالح[٢]، وكُنيته أبو عيسى، وقيل: كُنيته أبو أحمد [والأصحُّ أن كنيتَه أبو أحمد وهي اسمُه][٣].

وكان من أحسنِ الناسِ وجهاً، وأجملِهم ظَرْفاً، وكان إذا ركب جلس الناسُ لرؤيته أكثَرَ ما يجلسون[٤] لرؤية الخلفاء، وكان فَطِناً، قال له الرشيدُ [يوماً وهو صبي] [٥]: ليت حُسنَك لعبد الله، يعني المأمون، فقال له: على أنَّ حظَّه منك لي، فعجب الرشيدُ من جوابه على صِباه.

وكان المأمونُ يحبُّه محبةً شديدةً بحيث لا يصبر عنه لحظة، وكان قد أعدَّه للخلافة، ومن حبِّه له كان يقول: إنني لَيسهل عليَّ الموتُ وفقدُ الخلافة لمحبَّتي أن يليَ أبو عيسى. فمات في هذه السَّنة.

و[اختلفوا في] [٦] سببِ موته [على قولين: أحدهما] أنه خرج إلى الصيد، فركض دابَّتَه، فوقع على رأسه، فاختلَّ دماغهُ، فكان يُصرع في اليوم مرَّات حتى مات. [والثاني:][٧] أنه قال وقد رأى هلالَ رمضان: [من الطويل]

دعاني شهرُ الصومِ لا كان من شهر ... ولا صمتُ شهراً بعدَه آخرَ الدَّهرِ
فلو كان يُعْديني الإمامُ بقدرة ... على الشهر لاستعديتُ جهدي على الشهر[٨]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في أشعار أولاد الخلفاء ص ٨٨: واسمه أحمد، وقيل: محمد. وانظر المنتظم ١٠/ ١٩٩، والأغاني ١٠/ ١٨٧-١٩٣، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٧٣-٢٧٤، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٣٧-٢٣٩.

(٣) في (خ): وقيل: هي اسمه.

(٤) في (خ) و(ب): يحتبسون، والمثبت من المصادر.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (خ): وقيل.

(٨) أشعار أولاد الخلفاء، والأغاني ١٠/ ١٨٨، والمنتظم ١٠/ ٢٠٠.

فأصابه عقيبَ هذا القولِ صرع، فكان يُصرع في اليوم مراتٍ إلى أن مات، ولم يبلغْ شهراً مثلَه. ولمّا مات، حزن عليه المأمونُ حزناً كاد يَذهب بعقله، وخرج في جنازته حافياً، وصلَّى عليه ونزل في قبره، وامتنع من الطعام أياماً، وقدم عليه المعزُّون من الآفاق، وقال أحمدُ بن أبي دؤاد: دخلتُ على المأمون [يوماً] وهو يبكي ويقول: [من الطويل]

سأبكيك ما فاضت دموعي فإنْ تَغِضْ فحسبُك منِّي ما تُجِنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يمت حيٌّ سواك ولم تَقُم على أحدٍ إلَّا عليك النّوائحُ[1]

ثم التفت إليَّ وقال: هيه يا أحمد، فتمثَّلتُ بقول عبدة بنِ الطبيب: [من الطويل]

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصم ورحمتُه ما شاء أن يترحَّما
تحيَّةَ مَن أوليتَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ[2] بلادَك سَلَّما
فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلكَ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدَّما

فبكى بكاءً شديداً، وكان عنده عَمرو بنُ مَسعدةَ كاتبُه، فقال: هيه يا عَمرو، فأنشد: [من الكامل]

بكُّوا حذيفةَ لن تُبَكُّوا مثلَه حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ[3]

وإذا بعَرِيبَ قد دخلت، فقال لها: نُوحي، فناحت ومعها جواريها، فقالت: [من الطويل]

كذا فلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفدح الأمرُ فليس لعينٍ لم يَفض ماؤها عُذرُ
كأنَّ بني العبَّاسِ يومَ فراقِه نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

فبكى المأمونُ حتى قلت: ذَهَبَتْ نفْسُه. [ولأبي عيسى واقعةٌ نذكرها في ترجمة ابنِ

---

(١) البيتان من قصيدة لأشجع السلمي، وهما في ديوان الحماسة ٢/ ٨٥٦ (شرح المرزوقي)، والخزانة ١/ ٢٩٥. والقصة التي أوردها المصنف هنا في الأغاني ١٠/ ١٩١، والمنتظم ١٠/ ١٩٩-٢٠٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) الشحط: البعد. مختار الصحاح (شحط).

(٣) انظر التعازي والمراثي ص ٢٦، ١٤٩.

أيوبَ التَّيمي الشاعر][1].

بِشرُ بن منصور

أبو محمدٍ السَّلِيمي[2]. كان من العبَّاد المجتهدين.

قال[أبو نعيم[3] بإسناده إلى] العباسِ بن الوليد [قال:] أتيناه نزوره بعدَ العصر، فوقفنا ببابه، فخرج إلينا وقد تغيَّر لونه، فقلنا: أبا محمد، لعلنا شغلناك عن شيء؟ فقال: إي والله، كنتُ أقرأ في المصحف، فمنعتموني وشغلتموني، ثم قال: ما أكاد ألقى أحداً فأَربحَ عليه شيئاً[4].

أسند عن الثوريِّ وغيرِه، وروى عنه الإمامُ أحمد[5] رحمةُ الله عليه وغيرُه، وكان ثقة [واللهُ أعلم.

وفيها توفي][6]

جامعُ بن بكَّار

ابنِ بلال، أبو عبدِ الرحمن، العاملي.

ذكره الحافظُ ابن عساكرٍ وقال: كان هو وأخوه محمد بن بكارٍ من أهل الفتوى بدمشق، وكانت وفاتُه بدمشقَ في هذه السَّنة وهو ابنُ تسعٍ وستِّين سنة.

أسند عن سعيد بنِ عبد العزيز وغيره، وروى عنه محمدُ بن راشدٍ المكحولي[7] وغيره.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): السلمي، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المصادر، ثم إنَّ المصنِّف تابعَ جده في المنتظم ١٠/ ٢٠١ وترجمه هنا، وإلا فهو من وفيات (١٨٠هـ).
انظر التاريخ الكبير ٢/ ٨٤، والأنساب ٧/ ١٢٤، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٨٦-٥٨٧، وتقريب التهذيب.

(٣) في الحلية ٦/ ٢٣٩، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) بعدها في (ب): وكانت وفاته في هذه السنة. وهو وهم كما ذكرنا.

(٥) لم أجد من ذكره، وذكر في تهذيب الكمال أنَّ ممّن روى عنه أحمد بن عبيد الله الغُداني وغيره، ونَقَل عن أحمد أنه قال عنه: ثقة ثقة وزيادة.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) كذا قال، ومحمد بن راشد من شيوخه، انظر تهذيب الكمال. وهذه الترجمة ليست في (خ).

وكان جامعٌ هو الذي روى أنَّ أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام لما قُتل أرادوا أن يحملوه فيدفنوه عند النبيِّ ﷺ ثم دفنوه بالكوفة] (١).

الحسنُ بن موسى

أبو علي، الأشيبُ الحنفيُّ الخُراساني (٢).

ولي القضاءَ بالموصل وحمصَ في أيام الرَّشيد، ثم قدم بغدادَ [في خلافة المأمون] فولَّاه المأمونُ طَبَرِسْتان قاضياً، فتوجَّه إليها، فمات بالرَّي في هذه السَّنة، وقيل: سنة عشرٍ ومئتين.

وقال [الخطيبُ (٣) بإسناده إلى] محمدِ بن عبد اللهِ بن عمَّار الموصليِّ [قال:] كان بالموصلِ بِيعةٌ للنصارى، فخربت، فاجتمع النَّصارى إلى الحسن [بن موسى الأشيب]، وجمعوا [له] مئةَ [ألف] درهمٍ على أن يحكمَ بها حتى تُبنى، فقال: ادفعوا المالَ إلى بعض الشُّهود، فلمَّا حضروا في الجامع قال للشُّهود: اشهدوا [عليَّ] أنني قد حكمتُ بأَنْ لا تُبنى هذه البِيعة، فانصرف النَّصارى، وردَّ عليهم أموالَهم ولم يقبلْ منه درهماً واحداً [والبِيعة خراب.

قال الخطيب:] إنَّما فعل ذلك لثبوت البيِّنةِ عنده أن البِيعةَ محدَثة بُنيت في الإسلام [إذ لو كانت قديمةً لما جاز له منعُهم من بنائها، وإنما أَشهد على المال ليُعلمَ عفافُه وورعُه، وأنَّه لم يقبل مثل هذه الرِّشوة. وقيل: إنَّ هذه الواقعةَ كانت بحمص] (٤).

أسند [الأشيبُ] عن حماد بنِ سَلَمة [وابنِ لَهيعة وشعبةَ بن الحجَّاج] وغيرِهم، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه [وعباسٌ الدُّوري وأبو خيثمةَ زهيرُ بن حَرب] وغيرُهم (٥)، وكان ثقةً صَدوقاً ورعاً.

---

(١) كذا قال، وفي مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٦٧ أن الجمل الذي حملوه عليه ندَّ، فلم يدروا أين ذهب، ولم يُقدر عليه، قال: فلذلك يقول أهل العراق: هو في السحاب.

(٢) تنظر ترجمته في المنتظم ١٠/ ٢٠١-٢٠٢، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٥٦-٤٦٠، والوافي ١٢/ ٢٨٠، والسير ٩/ ٥٥٩، وما سيرد بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخه ٨/ ٤٥٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) هنا ينتهي كلام الخطيب، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب).

سعيدُ بن سَلْمِ بنِ قتيبة

أبو محمد[١]، الباهليُّ البصري. ولي بعضَ أعمالِ خُراسان، ثم قدم بغدادَ وحدَّث بها، وكان عالماً بالحديث والعربية، إلَّا أنه كان لا يبذل نفسَه للناس.

وقال: خرجت إلى مكةَ ومعي قِبَاب، فدخلنا البادية، فمررت بأعرابيٍّ محتَبٍ على باب خيمةٍ له وهو يرمقُ القباب، فسلّمت عليه، فقال: لمن هذه القِباب؟ قلت: لرجلٍ من باهلة، فقال: ما أظنُّ اللهَ يعطي باهليًّا هذا كلَّه. فلما رأيتُ إزراءَه[٢] على باهلةَ قلت له: يا أعرابي، أتحبُّ أن تكونَ لك هذه القبابُ وأنت من باهلة؟ قال: لا ها اللهِ ذا، فقلت: أتحبُّ أن تكونَ أميرَ المؤمنين وأنت رجلٌ من باهلة؟فقال: لاها اللهِ ذا، فقلت: أتحبُّ أن تكونَ من أهل الجنَّة [وأنت رجلٌ من باهلة؟ فقال: بشرط، قلت: وما ذاك الشرط؟ قال: لا يعلم أهلُ الجنة][٣] أني باهلي؟ فرميتُ إليه بصُرَّة فيها دراهم، فأخذها وقال: لقد وافقتْ مني حاجةً إن لم تكن من رجلٍ من باهلة، فقلت: أنا من باهلة، فرمى بها إليَّ وقال: لا حاجةَ لي فيها، فقلت: قد ذكرتَ من نفسك حاجةً تجدها، فقلت: لا أحبُّ أن ألقى اللهَ ولباهليٍّ عندي يَدٌ. فانصرفت، فلمَّا قدمتُ على المأمون حدَّثته، فضحك حتى استلقى على قفاه، وقال: يا أبا محمد، ما أَصبرَك. وأمر لي بمئة ألفِ درهم.

توفِّي سعيدٌ ببغداد، وسمع عبدَ الله بنَ عونٍ وطبقتَه، ومن روايته: أنَّ القاسم بن محمدِ بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ كان يقول في سجوده: اللهمَّ اغفر لأبي محمدٍ ذنبَه في عثمانَ بن عفان.

وباهلةُ قبيلةٌ من قَيس عَيلان[٤]، وهو في الأصل اسمُ امرأةٍ من هَمْدان، كانت تحت

(١) في (خ): أبو علي، والمثبت من المصادر. انظر تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٥-١٠٦، والأنساب ٢/ ٦٧، والمنتظم ١٠/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٨٠.

(٢) في (خ): إزاره، والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٦، والمنتظم ١٠/ ٢٠٤.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

(٤) في (خ): عبدان، وهو خطأ.

معنِ بن أعصر[١] بن [سعدِ][٢] بن قيس بن عَيلان، فنُسب ولدُه إليها.

سعيدُ بن وهب

أبو عثمانَ البصري، مولى بني سامةَ[٣] بنِ لؤي.

كان شاعراً [من أهل البصرة][٤] فأكثر القولَ في الغَزَل والمُجُون، وقدم على البرامكة، وتصرَّف معهم وتقدَّم عندهم، ومدحهم.

دخل يوماً على الفضل بنِ يحيى والشعراءُ يُنشدونه ويُطلق لهم الجوائز، فلما لم يبقَ منهم أحد، التَفَتَ الفضلُ إليه كالمستنطق له، فقال: أيها الوزير، إني لم أستعدَّ لهذا المقام، ولكن قد حضر بيتان أرجو أن ينوبا عن أبياتٍ كثيرة، فقال: قل، فربَّ قليلٍ أنفعُ من كثير، فقال: [من الخفيف]

مدح الفضلُ نفسَه بالفِعال ... فعَلَا عن مديحنا بالمقالِ
أمروني بمدحه قلت كلَّا ... كَبُرَ الفضلُ عن مديح الرِّجال

فطرب الفضلُ وقال: أحسنتَ واللهِ [و][٥] أجدت، ولئن قلَّ القولُ ونزر، لقد اتَّسع المعنى وكثر. ثم أعطاه بمقدار ما أعطى الجميع.

وتاب سعيدٌ وتنسَّك، وغسل كلَّ ما كان عنده من أشعار اللهوِ والغزل، وأكثر من الصومِ والصلاة، وحجَّ ماشياً، فبلغ منه الجهدُ فقال: [من الرمل]

ربَّ يومٍ رحتما[٦] فيه على ... زهرةِ الدنيا وفي عيشٍ خَصيبِ

---

(١) كذا في لسان العرب وتاج العروس (بهل)، وفي تاريخ بغداد في سرد نسبه: معن بن مالك بن أعصر. وفي الأنساب: باهلة بن أعصر. وينظر أيضاً معجم قبائل العرب للكحالة ١/ ٦٠.

(٢) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٣) في (ب) و (خ): أسامة، وكذا في المنتظم ١٠/ ٢٠٢، والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٨٢، والوافي ١٥/ ٢٧٢، ومعظم الترجمة لم ترد في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٠/ ٢٠٢، وانظر البيتين أيضاً في تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٥.

(٦) الضمير لقدميه المذكورين في البيت قبله كما في تاريخ بغداد والمنتظم. وهو:

قدمَيَّ اعتورا رمل الكثيب ... واطرقا الآجن من ماء القليب

وسماعٍ[1] حَسَنٍ من حَسَنٍ صَخِبِ المُزهر كالظَّبْي الرَّبيب
فاحسبا ذاك بهذا واصبرا وخذا من كلِّ فنٍّ بنصيب
إنَّما أمشي لأني مذنبٌ فلعل اللهَ يعفو عن ذنوبي

وكانت وفاتُه في هذه السَّنة، وله عشرة بنينَ وعشرُ بنات.

عبدُ الله بنُ أيوب

أبو محمدٍ التَّيمي، من تَيم اللاتِ ابنِ ثعلبة.

أحدُ شعراءِ الدولة العباسية، مدح الأمينَ والمأمونَ وغيرهما، وأجازه الأمينُ بمئتي ألفِ درهم.

وعشق جاريةً عند بعض النخَّاسين، فكتب إلى أبي عيسى بنِ الرشيد يقول: [من الرمل]

يا أبا عيسى إليك المشتكى وأخو الصبرِ إذا عِيلَ بكى[2]
ليس لي صبرٌ على هِجرانها وأَعافُ المشربَ المشترَكا

فعرض على المأمون ورقَّ له، فقال: اشترها له، فأمر له بثلاثين ألفَ درهمٍ واشتراها.

وقال إبراهيمُ بن الحسن بنِ سهل: كان المأمونُ يتعصَّب للأوائل من الشعراء ويقول: انقضى الشِّعرُ مع ملك بني أمية، وكان عمِّي الفضلُ بن سهلٍ يتعصَّب للمحدَثين ويقول: شعرُ الأوائلِ حجَّة، وشعرُ المتأخِّرين أحسنُ وأملح، فأنشده التَّيمي يوماً شعراً مدحه فيه فقال: [من الطويل]

ترى ظاهرَ المأمونِ أحسنَ ظاهر وأحسن منه ما أسرَّ وأَضمرا
يناجي له نفْساً تتوق[3] بهمَّةٍ إلى كلِّ معروفٍ وقلباً مطهَّرا

---

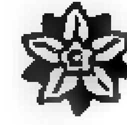
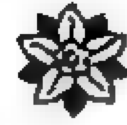
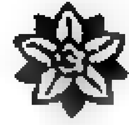
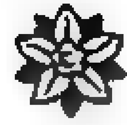
(١) في (خ): سماع من. وهو خطأ.

(٢) كذا في المنتظم ١٠/ ٢٠٥، وفي تاريخ بغداد ١١/ ٦٥: اشتكى، وتنظر ترجمته أيضاً في الوافي ١٧/ ٧٩-٨٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) في تاريخ بغداد والمنتظم: تريع.

ويـخـشـع إكـبـاراً لـه كـلُّ نـاظـرٍ ويـأبـى لـخـوف اللهِ أن يـتـكـبَّـرا
طويلُ نِجادِ السيف مُضْطَمِرُ [الحشا][1] طـواه طِـرادُ الـخـيـل حـتـى تـحـسَّـرا
رِفَـلٌّ[2] إذا مـا الـسِّـلـم رفَّـلَ ذيـلَـه وإنْ شمَّرتْ يوماً له[3] الحربُ شمَّرا

فقال المأمون: ما بعد هذا مدحٌ أبداً.

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد والمنتظم.
(٢) في (خ): ترفل، والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم.
(٣) في (خ): إلى، والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم.

السَّنة العاشرةُ بعد المئتين

فيها بعث عبدُ الله بن طاهر بنصر بنِ شَبَث إلى المأمون، فدخل بغدادَ يوم الاثنين لسبعٍ خلونَ من صفر، فأنزله مدينةَ المنصور ووكَّل به مَن يحفظه.

وفيها اتفق جماعةٌ من القوَّاد ـ منهم: محمدُ بن إبراهيمَ الإفريقي، ومالكُ بن شاهي، وفَرَجٌ البغواري[١]، وآخرون ـ مع ابنِ عائشة، وبايعوه بالخلافة سرّاً.

وهذا ابنُ عائشةَ اسمُه: إبراهيمُ بن محمد بنِ عبد الوهاب بن إبراهيمَ الإمام بن محمد بن عليٍّ بن عبدِ الله بن عباس، ويُعرف بابن عائشةَ لأنَّ عائشة بنتَ سليمانَ بنِ عليٍّ[٢] جدَّتُه أمُّ أبيه، فوَلَدُ عبد الوهاب يُنسبون إليها.

وفي روايةٍ للطبريِّ[٣] أنَّ ابنَ عائشةَ ومَن سمَّينا كانوا يسعَون في البَيعة لإبراهيمَ بن المهدي، ويُفسدون الجندَ على المأمون، وبلغ المأمونَ ذلك من عمرانَ القُطْرَبُّليّ، فقضى عليهم يومَ السبت لخمسٍ خلونَ من صَفَر، وكانوا قد اتَّعدوا أن يقطعوا الجسرَ إذا خرج القوَّاد والجندُ يتلقَّون نصرَ بن شَبَث، ودخل وحده ولم يتوجَّه إليه أحدٌ من الجند، فأنزله المأمونُ عند إسحاقَ بن إبراهيمَ صاحبِ الشرطة، ثم نقله إلى مدينة المنصور، وأُقيم ابنُ عائشةَ على باب دارِ المأمون في الشمس ثلاثةَ أيام، ثم ضُرب بالسِّياط بعد ذلك ومَن وافقه ضرباً مبرِّحاً، وحُبسوا في المُطبق، فنقبوا السجنَ ليلاً وشغبوا، فركب المأمون بنفسه ودعاهم فضرب أعناقَهم، وصُلبوا على الجسر الأسفل.

ثم أُنزل ابنُ عائشة، فكُفن وصلِّي عليه ودُفن في مقابر قريش، وهو أوّل هاشميٍّ صُلب من ولد العباس، وشتم المأمونَ شتماً قبيحاً عندما أراد قتلَه، وأُنزل ابنُ الإفريقيِّ فدُفن في مقابر الخَيْزُران، ونزل المأمونُ فوجد لابن عائشةَ صناديقَ فيها كتب القوَّاد

---

(١) في (خ): البعودرى، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٩، وانظر المنتظم ١٠/ ٢١١.

(٢) ابن عبد الله بن عباس ﷺ. انظر الوافي ٦/ ١٠٦.

(٣) في تاريخه ٨/ ٦٠٢.

وغيرُها[(١)]، فلم يرَ المأمونُ أن يعرضَ لأحد، ولم يأمنْ أن يكونوا قدَّموا قوماً بُرَآء، فجلس في المسجد وأَحضر الصناديق، وجمع الناسَ وقال: أنا أَعلمُ أنَّ فيكم البريءَ والسقيم، وأسماؤهم[(٢)] في هذه الصناديق، وإن نظرتُ فيها لم أصفُ[(٣)] لهم ولم يصفُوا لي، فمَن كان له فيها اسمٌ فلْيستغفر اللهَ وليتب إليه، والماضي فقد فات، ثم أمر بإحراق الصناديق.

وفيها ظفر المأمونُ بإبراهيمَ بن المهديّ [وقد اختلفت الرِّوايات، فروينا أن المأمونَ لمَّا قرب من بغدادَ اختفى ابنُ المهدي، و][(٤)] لمَّا دخل المأمونُ بغداد جدَّ في طلبه، وكان إبراهيمُ ينتقل [من مَحلَّة إلى محلَّة، و] من مكانٍ إلى مكان، فلما كانت ليلةُ الأحدِ لثلاثَ عشرةَ من ربيعِ الآخر [من هذه السَّنة] خرج وهو متنقِّبٌ مع امرأتين في زِيِّ امرأة، فرآهنَّ حارسٌ أَسود، فأنكرهنَّ وقال: أين تُردنَ في هذا الوقت؟! فأعطاه إبراهيمُ خاتماً من ياقوت [كان في يده] له قَدْرٌ عظيم، فاستراب منهنَّ وقال: هذا خاتمُ [رجل][(٥)] له شأن، فرفعهنَّ إلى صاحب المسلحة [فأمرهنَّ أن يُسفِرن، فتمنَّع إبراهيم، فجبذه صاحبُ المسلحة] فبدت لحيةُ إبراهيم، فرفعه إلى صاحب الجسر [فعرفه] فذهب به إلى المأمون، فأمر أن يُحبسَ في الدار.

فلمَّا كان صبيحةُ يومِ الأحد، جلس المأمونُ وأَحضر بني هاشمٍ والقوادَ والجندَ والخلائق، فصيَّروا المِقنعةَ التي كان متنقِّباً بها في عُنقه، والملحفةَ التي كان ملتحفاً بها في صدره؛ ليرى الناسُ كيف أُخذ.

فلما كان يومُ الخميس، حوَّله المأمونُ إلى منزل أحمدَ بن أبي خالد، فحبسه عنده ثم أخرجه المأمونُ معه لمَّا خرج إلى الحسن بنِ سهلٍ[(٦)] بواسط، فـ [قال الناس: إنَّ الحسن] كلَّمه فيه، فرضي عنه وخلَّى سبيلَه، وصيَّره عند أحمدَ بن أبي خالد،

---

(١) في المنتظم ١٠/ ٢١١: كتب القواد وغيرهم إليه.

(٢) في (خ): وأسمائه، وفي المنتظم: أن فيكم البريء الذي لا اسم له في الصناديق، ومنكم الغائب والمستزيد.

(٣) في (خ): وما لم أصف. والمثبت من المنتظم.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٣، والمنتظم ١٠/ ٢١٢، والكامل ٦/ ٣٩٢.

(٦) في (خ): الحسن بن علي. وهو خطأ.

و[صيَّر][١] معه يحيى بنَ معاذ[٢] وخالدَ بن يزيد [بنِ مزيد][٣] يحفظانه ، إلّا أنه موسَّع عليه، عنده أمُّه[٤] وعيالُه، وإذا ركب إلى دار المأمونِ كانا معه [ليحفظاه][٥].

[قال الطبري[٦]: وفي روايةٍ أنه] لما أُخذ صيرَ به إلى دار أبي إسحاقَ بنِ الرشيد، وأبو إسحاقَ عند المأمون، فحُمل رديفاً لفَرَج التُّركي، فلمَّا دخل على المأمون، قال له: [هيهِ][٧] يا إبراهيم، فقال: يا أميرَ المؤمنين، وليُّ الثأر محكَّم في القصاص، والعفوُ أقرب إلى التقوى، ومَن تناوله الاغترارُ[٨] بما مُدَّ له من أسباب الشَّقاء، مكَّن عاديةَ الدهرِ من نفسه، وقد جعلك اللهُ فوق كلِّ شيءٍ عفواً، كما جعل كلَّ ذي ذنبٍ دون عفوك، فإن تعاقِبْ فبحقِّك، وإن تعفُ فبفضلك، فقال: القدرة تُذهب الحفيظة، والندمُ توبة، وبينهما عفوُ الله. فكبَّر إبراهيمُ ثم خرَّ ساجداً[٩]، ثم قال: [من الخفيف]

إنْ أكن مذنباً فحظِّيَ أخطأ ... تُ فدعْ عنك كثرةَ التأنيبْ
قلْ كما قال يوسفٌ لبني يعـ ... ـقوبَ لمَّا أتوهُ لا تثريبْ

فقال: لا تثريب. وأنشده[١٠]: [من المجتث]

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظمُ منهُ
فخذ بحقّك أَوْ لا ... فاصفح بحِلمك عنهُ
إنْ لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنْهُ

وأنشد أيضاً[١١]: [من المجتث]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) المنتظم ١٠/ ٢١٢، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٣: أحمد بن يحيى بن معاذ.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (ب): عند أمه، وفي (خ): عند أبيه، والمثبت من تاريخ الطبري والمنتظم.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في تاريخه ٨/ ٦٠٤ وفي (خ): وقيل.
(٧) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.
(٨) في (خ): الاقتدار، والمثبت من تاريخ الطبري.
(٩) هنا انتهى الخبر عند الطبري، وما بعده من تاريخ بغداد ٧/ ٧٢. وانظر المنتظم ١٠/ ٢١٣.
(١٠) في المنتظم: وفي رواية: دخل عليه فأنشده. وهو ليس في تاريخ بغداد.
(١١) في المنتظم: ثم قال.

أذنبتُ ذنباً عظيماً وأنت للعفو أهلُ
فإنْ عفوت فمنٌّ وإنْ جَزيتَ فعدلُ

فرقَّ له المأمون، وأقبل على أخيه أبي إسحاقَ وابنِه العباس والقوَّاد فقال: ما ترون في أمره؟ فقال بعضهم: ضَرْبَ عنقه، وقال آخرون: تُقطع أطرافهُ وتُقصَص، فقال المأمون لأحمدَ بنِ أبي خالد: ما تقول أنت؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن قتلتَه وجدت مثلَك قد قتل مثلَه كثيراً، وإن عفوتَ عنه لم تجد مثلَك عفا عن مثله، فأيُّما أحبُّ إليك: أن تفعلَ فعلاً تجد لك فيه شريكاً، أو تنفردَ بالفضل؟ فأطرق المأمونُ طويلاً، ثم رفع رأسَه وقال: يا أحمد، أَعِد ما قلت، فأعاده، فقال: بل ننفرد بالفضل، ولا رأيَ لنا بالشركة. فكشف إبراهيمُ القناعَ عن رأسه وكبَّر تكبيرةً عالية وقال: عفا أميرُ المؤمنين واللهِ تعالى، فقال أميرُ المؤمنين: لا بأسَ عليك يا عمّ.

وأمر بحبسه عند أحمدَ بنِ أبي خالد، فلمَّا كان بعد شهر، أحضره وقال: اعتذرْ من ذنبك، فقال: ذنبي أجلُّ من أن أتفوَّهَ فيه بعذر، وعفوُك أعظم من أن أنطقَ معه بشكر، ولكني أقول: [من الكامل]

يا خيرَ مَن ذَمَلَت[1] يمانيَةٌ به بعدَ الرسولِ لآيسٍ ولطامعِ
وأبرَّ مَن عبدَ الإلهَ على التُّقى عيناً وأقولَه بحقٍّ صادع
متيقِّظاً حَذِراً وما يخشى العِدَى نبهانَ من وَسَناتِ[2] ليلٍ هاجع
مُلئت قلوبُ الناسِ منك مهابةً وتبيت تكلؤهمْ بقلبٍ خاشع
ما أكبرَ[3] الكَنَفَ الذي بوَّأتني وطناً وأمرعَ رتعه للراتع
للصالحات أخاً جُعِلتَ وللتُّقى وأباً رَؤوفاً للفقير القانع
نفسي فداؤك إذ تضلُّ معاذري وألوذ منك بفضلِ حلمٍ[4] واسع

---

(١) في المنتظم ١٠/ ٢١٤: حملت، وما هنا موافق لما في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٤، وأشعار أولاد الخلفاء ص ١٩، والأغاني ١٠/ ١١٧، والكامل ٦/ ٣٩٣. والذَّميل: السير الليِّن ما كان، ذمل يذمِل ويذمُل. القاموس المحيط (ذمل).

(٢) في (خ): وسنان، والمثبت من المصادر.

(٣) في تاريخ الطبري وابن الأثير: ما ألين. والبيت غير موجود في باقي المصادر.

(٤) في (خ): حكم.

أَمَلاً لفضلك والفواضلُ شِيمةٌ ... رَفَعَتْ بناءك للمحلِّ الرافع
إلَّا العلوَّ عن العقوبة بعدما ... ظفرتْ يداك بمستكينٍ خاضع[1]
ورحمتَ أطفالاً كأفراخ القَطا ... وعويلَ عانسةٍ كقوس النازع[2]
اللهُ يعلم ما أقول فإنَّها ... جَهدُ الأَليَّة من حَنيفٍ راكع
ما إنْ عصيتُك والغواةُ[3] تقودني ... أسبابُها إلَّا بنيَّةِ طائع
حتى إذا علقتْ حبائلُ شِقوتي ... بردًى إلى حُفَر المهالكِ هائع[4]
لم أدرِ أنَّ لمثل جُرمي غافراً ... فوقفتُ أنظر أيُّ حتفٍ صارعي
ردَّ الحياةَ عليَّ بعد ذهابها ... وَرَعُ الإمامِ القادرِ المتواضع
أَحياك مَن ولَّاك أطولَ مدَّة ... ورمى عدوَّك في الوَتين بقاطع[5]
كم من يدٍ لك لم تحدِّثْني بها ... نفسي إذا آلت إليَّ مطامعي[6]
أسديتَها عفواً إليَّ هنيئةً ... فشكرتُ مصطنعاً لأكرم صانع
إنْ أنت جُدتَ بها عليَّ تكن لها ... أهلاً وإن تمنع[7] فأعدلُ مانع
إنَّ الذي قَسَمَ الخلافةَ حازها ... في صُلب آدمَ للإمام السابع

فقال المأمون: قد عفوتُ عنك، فاستأنف الطاعةَ متجرِّداً عن الظِّنَّة، يَصْفُ عيشُك. وأمر بإطلاقه وردِّ ضِياعه عليه، فقال: [من البسيط]

رددتَ مالي ولم تبخل عليَّ به ... وقبل ردِّك مالي قد حقنتَ دمي
وأُبتُ عنك وقد خوَّلتَني نِعَماً ... هما الحياتانِ من موتٍ ومن عدمِ
فلو بذلتُ دمي أَبغي رضاك به ... والمالَ حتى أَسُلَّ النعلَ من قدمي

(١) البيت الذي قبله في المصادر:
وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع إليك بشافع
(٢) في (خ): نازع.
(٣) في (خ): والغزاة.
(٤) الهيعة والهائعة: الصوت تفزع منه وتخافه من عدو، وليل هائع: مظلم. القاموس المحيط (هيع).
(٥) في (خ): الكوبن القاطع.
(٦) في (خ): هبني إذا آلت إلي مطالع.
(٧) في(خ): تخشع.

ما [كان][(١)] ذاك سوى عاريةٍ رجعتْ إليك[(٢)] لو لم تُعِرها كنتَ لم تُلَمِ
وقام علمُك بي[(٣)] واحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متَّهم

فقال المأمون: إنَّ من الكلام ما يُشبه الدُّرّ، وهذا منه.

وأمر له بخِلعة من ثيابه، ومركبٍ من مراكبه، وقال له: يا عمّ، إنَّ أبا إسحاقَ والعباسَ أشارا عليَّ بقتلك، قال: يا أميرَ المؤمنين، فما قلتَ لهما؟ قال: قلت: إنَّ له قرابةً قريبة، ورَحِماً ماسَّة، وقد ابتدأناه بأمرٍ ينبغي أن نتمَّه، فإن نكث فاللهُ مغيِّر ما به. قال إبراهيم: أمَّا أن يكونا نصحاك، فقد - لَعَمرو الله - فعلا، ولكن أبيتَ إلَّا ما أنت أهلُه، فقال المأمون: مات حقدي بحياة عذرك، وأعظمُ من عفوي أني لم أجرِّعك مرارةَ امتنانِ الشافعين.

وقال الفضلُ بن مروان: لما دخل إبراهيمُ على المأمون، كلَّمه بكلامٍ كان سعيدُ بن العاص كلَّم به معاويةَ بن أبي سفيانَ في سَخطةٍ سخطها عليه فاستعطفه به، وكان المأمونُ يحفظ الكلام، فقال: يا إبراهيم، هيهات، سبقك بهذا الكلامِ فحلُ بني العاص[(٤)] وفارسُهم[(٥)] سعيدٌ يخاطب به معاوية، قال إبراهيم: يا أميرَ المؤمنين، وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سبقك فحلُ بني حربٍ وقارحُهم إلى العفو، فلا يكن حالي عندك في ذاك أبعدَ من حال سعيدٍ عند معاوية، فأنت أشرفُ منه، وأنا[(٦)] أشرفُ من سعيد، وأقربُ إليك من سعيدٍ عند معاوية، وإنَّ من أعظم الهُجنة أن تسبقَ أميةُ هاشميًّا[(٧)] إلى مَكرمة. فقال: صدقتَ يا عمّ، فقد عفوتُ عنك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): إلي، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٢١٥.

(٣) في (خ): لي. والمثبت من المنتظم ١٠/ ٢١٥. وبعض الأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ص١٩، والأغاني ١٠/ ١١٩.

(٤) في (خ): العباس، وهو خطأ، والمثبت من الأغاني ١٠/ ١٢٤، والمنتظم ١٠/ ٢١٦.

(٥) في الأغاني والمنتظم، وقارحهم. والقارح: الأسد، والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل. القاموس المحيط (قرح).

(٦) في (خ): وأنت.

(٧) في الأغاني والمنتظم: هاشماً.

وقال محمد بنُ عبدوس[(١)]: لما ظفر المأمونُ بإبراهيم، حبسه عند أحمدَ بن أبي خالد، فلم يزل عنده في أَزَج[(٢)]، فقال إبراهيم: الحمدُ لله الذي منَّ عليَّ بحبسي في دارك ولم يبتلِني بغيرك، فكشر أحمدُ في وجهه وقال: يا إبراهيم، أتظنُّ أن أميرَ المؤمنين لو أمرني بضرب عُنقِك أكان يسعني مخالفتُه؟! وكان عند أحمدَ وجوهُ أهلِ خُراسان، فعظم قولُه على الحاضرين، وتغيَّرت وجوهُهم إنكاراً على أحمد، فبكى إبراهيمُ وقال: يا ابنَ أبي خالد، إن قتلني المأمونُ كان غيرَ ملوم، وإني لم أَحمد ربِّي لحُسن ظنِّي بك، ولكن لعلمي أنَّ للمأمون خزنةَ سيوفٍ وخزنةَ أقلام، فحمدت ربِّي على ما منَّ به عليَّ من إحلالي عند مَن يسائلني لا عندَ مَن يعاجلني.

فأشرقتْ وجوهُ القوم وأُعجبوا بما كان من إبراهيم، وقال أحمد: الناس يتكلَّمون على قدر نفوسِهم وأمانهم، وكلامُك على قدرك وقدرِ المهديِّ، وكلامي على قدري وقدرِ جدِّي يزيدَ الأحول، وأنا أستقيلك ممَّا بدا مني، فأَقِلْني أقالَ اللهُ عثرتَك، وسهَّل أمرك، وأَحسن خَلاصَك. فدعا له إبراهيمُ وأقاله.

قال إبراهيم: فلمَّا مضى لي في داره خمسٌ وخمسون ليلة، أخرجني نصفَ الليل على دابَّة وجاء بي إلى ما بين الجسرِ والخُلد[(٣)]، فأوقفني هناك، وعاد وهو يركض وقال: يا [إبراهيم][(٤)] أميرُ المؤمنين يقول لك: أما كفاك توثُّبك عليَّ وفعلُك السابقُ حتى وثب عليَّ ابنُ عائشةَ والإفريقي، وأحوجتَني إلى قتلهما وقتلِ مَن قتلتُ معهما في هذه الليلةِ بالمُطبق! وأنا لاحقُك بهما إن لم تحتجَّ بحجَّة.

فعلمت أنه قد غلب عليه السُّكر، وأني أَحتاج إلى مداراته، فقلت: يا أبا العباس، اللهَ اللهَ في دمي، فإنَّه في عنقك، فاتقِ اللهَ في حقنه، فإنه أن تؤدِّيَ ما تسمعه مني. فقال: عليَّ عهدُ الله وميثاقُه أن أؤديَ إليه ما تقول، قلت: تقول له: استترتُ عنك وأنت خارجَ البلد ومعي عالَمٌ من الناس، وأنا اليومَ أسير في سرداب أحمد! كيف أُوثب عليك!

(١) قاله في كتابه «الوزراء» كما في الفرج بعد الشِّدَّة ٣/ ٣٢٩-٣٣٢.

(٢) ضرب من الأبنية. القاموس المحيط (أزج).

(٣) قَصْرٌ بناه المنصور ببغداد بعد فراغه من مدينته على شاطئ دجلة. معجم البلدان.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

أيفعل هذا عاقل!

فمضى إليه وأَخبره بما قلت، فقال: صدق، رُدَّه إلى موضعه. فرجع أحمدُ وهو يقول: السلامة السلامة، فردَّني إلى سِردابه حتى خرج المأمونُ إلى فم الصِّلح إلى بُوران بنتِ الحسن، فسأَلْتُه فيّ، فرضي عني.

وقال أبو الفَرَج الأَصبهاني: لما حصل إبراهيمُ في يد المأمونِ لم يشكَّ أحدٌ في قتله، فأقام محبوساً في مطمورةٍ على أقبح حال، قال إبراهيم: فيئستُ من الحياة وتعرَّيت عنها، وتمنَّيت الموتَ لما أنا فيه، وإذا بأحمدَ بنِ أبي خالدٍ قد دخل عليَّ وقال: اكتبْ وصيَّتك؛ فقد أمرني بضرب عُنقك.

فكتبتُ وصيَّتي، وأسندتُها إلى المأمون وشَكلَةَ والدتي، وصلَّيت ركعات، وقعدتُ أنتظر القتل، وإذا بأحمدَ بنِ أبي خالدٍ قد دخل عليَّ وقال: أميرُ المؤمنين يسلِّم عليك ويقول لك: إِحمد اللهَ الذي وفَّقني لصِلة رَحِمك والعفوِ عنك، وانصرفْ إلى دارك، وقد رددتُ عليك أموالَك وضِياعك، فغلبني البكاء، فقال أحمد: لقد رأيتُ منك عجباً، أخبرتُك أنه قد أمر بضرب عنقِك فلم تبكِ ولم تَجزَع، ثم أخبرتك بعفوه عنك وتفضُّله عليك فبكيت! فقلت: أما الأوَّل؛ فلأني كنت موطِّناً نفسي عليه غيرَ شاكٍّ فيه، فلم أَجزَع، وأمَّا بكائي الآن، فواللهِ ما هو من سروري بالحياة ورجوعِ النِّعمة، وإنما هو لِمَا كان مني من قطيعة رحمِ مَن فعل معي مثلَ هذا العفوِ الذي لم يُسمع بمثله في جاهليةٍ ولا في إسلام، فقد حاز الثوابَ من الله في صِلَة الرَّحم، وثناءَ الناس عليه، وحزتُ المأثمَ في قطيعة الرَّحم، وذمَّ الناس لي.

فرجع إلى المأمون وأَخبره، فاستحسن قولي، وبعث إليَّ بالخِلَع والمراكب والأموال، فانصرفتُ إلى داري ونعمتي.

وقال التَّنوخي[1]: لمَّا أطلق المأمونُ إبراهيم، أمر محمدَ بن يزدادَ[2] بمنعه من دار الخاصَّة والعامَّة، ويوكِّلَ به رجلاً من قِبَله يطالعه بأخباره، فكتب إلى المأمون الرجلُ

(١) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٥١.

(٢) في (خ): برادان، وهو خطأ. انظر الفرج بعد الشدة ١/ ٣٨٤ و ٢/ ١٢٧، والأغاني ١٠/ ١١٨.

أنَّ إبراهيمَ لما مُنع من دار الخاصَّة والعامة تمثَّل: [من البسيط]

يا سرحةَ الماءِ قد سُدَّت مواردُهُ أَمَا إليك طريقٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ[١] حامَ حتى لا وصولَ له[٢] مُحلَّأٍ عن طريق الماءِ مطرود

فبكى المأمونُ وأمر بإحضاره، فقبَّل بساطَه وقال:

البِرُّ بي منك وطَّا العُذْرَ عندك لي دون اعتذاري فلم تَعذُلْ ولم تَلُمِ
تعفو بعدلٍ وتسطو إن سطوتَ به فلا عَدِمناك من عافٍ ومنتقم

[وحكى الأصمعيُّ أن المأمون لما جيءَ إليه بإبراهيم، جمع بني هاشمٍ وغيرهم، وأقامه في المِلحفة، ودعا بعودٍ ومنبر وقال: اصعدْ واضرب به، ففعل، ولمَّا نزل من المنبر أمر بحبسه.

وقال الصُّولي:][٣] لما عفا المأمون عن عمِّه، حَسُنَ ذلك من قلوب الناس، فازدادوا محبَّةً له، ولمَّا شفعت فيه بُوران صار نديماً له.

وقال إبراهيم: واللهِ ما طمعتُ في الخلافة، وإنَّما وليتها حفظاً لها؛ لئلا تخرجَ من البيت ويتسلَّطَ عليها الغير لمَّا ولَّى المأمونُ عليَّ بن موسى الرِّضى. [وسنذكر إبراهيمَ في سنة أربعٍ وعشرين ومئتين عند وفاته].

وفيها مضى المأمونُ إلى فم الصِّلح وبنى ببُورانَ بنتِ الحسنِ بن سهل.

[وقد ذكر القصَّةَ الطبريُّ والصُّولي والخطيب وغيرُهم، فأمَّا الطبريُّ فإنَّه ذكر كلاماً طويلاً اختصرته] فقال[٤]: خرج المأمونُ من بغدادَ في رمضانَ ومعه إبراهيمُ بن المهديِّ محتاطاً عليه، وتقدَّم العباسُ بن المأمون أباه، فالتقاه الحسن، وأراد أن يترجَّلَ له، فأقسم عليه العباسُ بحياة أبيه، فامتنع، ووافى المأمونُ وقتَ العشاءِ في رمضان، فأفطر في منزل الحسنِ بن سهل، ومعه ولدُه العباس، ودينارُ بن عبدِ الله قائمٌ على رأس المأمون، فلمَّا فرغوا من الأكل دعا المأمونُ بشراب، فأُتي بجامٍ من ذهب، فصبَّ فيه

---

(١) في (خ): بحائم.
(٢) في الأغاني والفرج بعد الشدة: حيام له.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في التاريخ ٨/ ٦٠٦ فما بعد، وما بين حاصرتين من (ب).

وشربه، ومدَّ يده بجامٍ فيه شرابٌ إلى الحسن بنِ سهل، فتباطأ عنه؛ لأنَّ الحسنَ لم يكن يشرب النبيذَ قبل ذلك، فغمز دينار [بن عبد الله] الحسنَ أن اشربه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أَشربه بإذنك وأمرِك؟ فقال [المأمون](١): لولا أمري لم أَمددْ يدي إليك، فأخذ الجامَ فشربه.

[قلت: لقد جنى الطبريُّ على المأمون جنايتَين إحداهما: شربُ النبيذ في رمضان، وهو أنَّه وإن كان مذهبَ أهل العراق، غيرَ أنه حرامٌ عند مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ ومحمدِ بن الحسن، وأنه مثلُ الخمر عند البعض، ولو كان مباحاً كان ينبغي أن ينزِّهَ رمضانَ عنه. والثاني: قولُه: إن المأمونَ شرب في جام ذهب، وهل يُستباح استعمالُ الذهبِ والفضة لأهل العامَّة؟! فكيف بالخليفة!

قال:] ولمَّا كانت الليلةُ الثالثةُ دخل المأمونُ بِبُوران، وكان عندها حمدونةُ وجدَّتها وأمُّ جعفر، فلمَّا جلس المأمونُ معها، نثرت عليها جدَّتُها ألفَ دُرَّة، وكانت في صِينية ذهب، فأمر المأمونُ أن تُجمع، وسألها عن عددها، فقالت: ألفُ حبَّة، فأمر بعدِّها، فنقصت عشرة، فقال: مَن أخذها؟ قالوا: حسينٌ الخادم، فأمر بردِّها، فقال الخادم: إنما نُثرت لنأخذَها، فقال: رُدَّها وعليَّ الخَلَف، فردَّها، فجمع المأمونُ الجميعَ ووضعه في حجرها وقال: هذه نِحلتُك وسلي حوائجَك، فقالت لها جدَّتها: كلِّمي سيِّدَك، فقد أمركِ أن تسأليه حوائجَك، فسألتْه الرِّضا عن إبراهيمَ بنِ المهدي، وسألته الإذنَ لزُبيدةَ في الحجِّ، فأجابها إلى ذلك، وألبستها أمُّ جعفرٍ البَدَنةَ(٢) اللؤلؤيةَ الأُموية، وبنى بها من ليلته، وأُوقِد في تلك الليلة شمعةُ عنبر، فيها أربعون مَنّاً في تورٍ(٣) من ذهب، فأنكر المأمونُ ذلك عليهم وقال: هذا سَرَف. فلمَّا كان من الغد دعا بإبراهيم [بن المهدي](٤) فلمَّا دخل عليه رمى بنفسه، فصاح المأمون: يا عمّ، لا بأسَ عليك. ودعا بالخِلَع والمراكب، فخلع عليه وقلَّده سيفاً، وخرج فسلَّم على الناس وردَّ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) الدرع القصيرة. القاموس المحيط (بدن).
(٣) المن: رطلان، والتور: إناء يشرب فيه. مختار الصحاح (منن، تور).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

إلى موضعه.

[قال:] وأقام المأمونُ عند الحسنِ سبعةَ عشرَ يوماً يقوم به وبجميع مَن معه، وخلع على القوّاد على قَدْر مراتبهم ووصلهم، فكان مبلغُ نفقته عليهم خمسين ألفَ ألفِ درهم، وأمر المأمونُ أن يُقطَعَ الحسنُ فمَ الصِّلح ويُحملَ إليه عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، فحُملت إليه، ففرَّقها في قوّاد المأمونِ وخدمه، وانصرف المأمونُ ببُورانَ إلى بغداد.

وكتب الحسنُ رِقاعاً فيها أسماءُ ضِياعه ونثرها على القوّاد وبني هاشم، فمَن وقعت بيده رقعةٌ فيها اسمُ ضَيعة، أقرَّ له بها وسلَّمها إليه.

[وفي رواية الطبريِّ أن الحسنَ بن سهلٍ كان] يصف[1] رجاحةَ عقلِ أمِّ جعفر زبيدةَ وفهمَها، فقال: سألها المأمونُ وسأل حمدونةَ بنت غضيض بفم الصِّلح: كم أنفقتما على بُوران؟ فأما حمدونةُ فقالت: أنفقتُ خمسةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم، وأما أمُّ جعفر فقالت: ما أنفقت شيئاً، وكانت قد أنفقت ما بين خمسةٍ وثلاثين ألفَ ألفِ درهمٍ إلى سبعةٍ وثلاثين ألفَ ألفِ درهم، ونحلتها أمُّ جعفرٍ في ذلك اليومِ فمَ الصِّلح، وكانت له قبل ذلك.

[قال الصُّولي:] ولما بنى المأمونُ ببوران، فرش له الحسنُ [بن سهلٍ يومَ البناء][2] حصيراً[3] من ذهب مسفوف، ونُثر عليه جوهرٌ كثير، فجعل بياضُ الدُّرِّ يُشرق على صُفرة الذهب، وبعث الحسنُ إلى المأمون: هذا نِثارٌ أسأل أن يُلتقط، وكان حول المأمون بناتُ الخلفاء، فلم يمدَّ أحدٌ يدَه إليه، فقال المأمون: شرِّفْن أبا محمد، فمدَّت كلُّ واحدةٍ منهن يدَها فأخذت دُرَّة، وبقي الباقي يلوح على الحصير، فقال المأمون: قاتل اللهُ أبا نُواس، فقد شبَّه بشيءٍ ما رآه قطّ، حيث وصف الخمرَ والحَبَابَ[4] الذي فوقها فقال[5]: [من البسيط]

---

(١) في (خ): وكان الحسن يصف.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): حصراً، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٥، والمنتظم ١٠/ ٢١٧.

(٤) حبَاب الماء: فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير. القاموس المحيط (حبب).

(٥) الديوان ص ٤٠.

كأنَّ صُغرى وكُبرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهبِ

فكيف لو رآه معاينة. وكان أبو نُواسٍ قد مات.

و[قال أبو حسَّان الزِّيادي:](١) كان مقامُ المأمونِ عند الحسن [بنِ سهل] وذهابُه ومجيئُه أربعين يوماً، وعاد إلى بغدادَ يومَ الخميس لإحدى عشرةَ ليلةً خلت من شوَّال. وقيل: إنَّه خرج من بغدادَ لثمانٍ خلونَ من رمضان، وعاد إليها لتسعٍ بقين من شوال.

قال الخطيب(٢): [بلغنا أنَّ الحسن بنَ سهلٍ نثر على المأمون ألفَ حبّةٍ جوهر، وأشعل بين يديه شمعةَ عنبر وزنُها مئةُ رَطل، ونثر على القوَّاد رِقاعاً فيها أسامي ضِياعه، فمن وقعت بيده رقعةٌ أشهد له الحسنُ بها]. وكان الحسن يُجري مدةَ إقامةِ المأمون [عنده على ستَّة وثلاثين ألفَ ملَّاح، فلمَّا أراد المأمون] أن يصاعدَ إلى بغداد، أمر له بألف ألفِ دينار، وأقطعه مدينةَ الصِّلح.

[وقد ذكرنا أنَّ المأمون تزوَّج بُورانَ في السَّنة الحادية بعد المئتين لمَّا زوَّج ابنتَه من عليِّ بن موسى الرِّضى، ولم يدخلْ بها إلَّا في هذه السَّنة، سنةِ عشرٍ ومئتين.

قلت: وقد ذكر ابنُ عبد ربِّه في كتاب «العِقد»(٣) حكايةً طويلة، حاصلها أنَّ إسحاقَ ابن إبراهيمَ الموصليَّ خرج ليلةً في بغداد، فدخل زُقاقاً، فرأى فيه زِنبيلاً معلَّقاً بحبالٍ من الإبرِيسَم، والزنبيل مجلد، وأنه قعد في الزنبيل، فاستاقُوه إلى دارٍ فيها أنواعُ الفرش، وفيها جوارٍ كالدُّمى، وأنه رأى مجامرَ العُود والنَّدِّ(٤) والمتاعِ ما لم يشاهدْه في دار الخلفاء، وأنه رأى امرأةً على سريرٍ من الذهب لم يشاهِدْ في الدنيا مثلَها حسناً وجمالاً، وأنه جالسها وشرب معها ونادمها وغنَّى لها، ولمَّا طلع الفجر، حملوه وألقَوه في الزنبيل ودلَّوه إلى الزُّقاق، وأنه طلع إليها مِراراً، وأنه حكى للمأمون صورةَ الحال وقال للجارية: لي صديق، وأريد أن أُحضرَه عندك، وأنَّها أجابته، وأنَّ المأمونَ صعد إليها في الزنبيل وشرب عندها، ولما ثمل وأخذ منه الشرابُ عرَّفها نفسَه، وأن

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٩.

(٢) في تاريخه ٨/ ٢٨٦، وما سيرد بين حاصرتين من (ب).

(٣) ٦/ ٤٥٦ فما بعد. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) الزِّنبيل: الجِراب، وقيل: الوعاء يُحمل فيه. والنَّدُّ: الطِّيب أو العَنْبَر. القاموس (زبل، ندد).

المرأةَ هربت واختبأت منه، وهرب الجواري، وأنَّ المأمون لما طلع الفجرُ أحضر الحسنَ بن سهلٍ وتزوَّجها منه[١].

والحكاية مذكورةٌ على حالها في «العِقد» وقد نزَّهت كتابي عن مثل هذه الخرافات، التي ما تُسمع إلا من العُميان في الطُّرقات، والله أعلم].

وفيها فتح عبدُ الله بن طاهرٍ مصر، لمَّا فرغ من أمر نصر بن شَبَث كتب إليه المأمونُ بالمسير إليها، وكان قد تغلَّب عليها عبيدُ الله بن السَّري بنِ الحكم، فلمَّا قرب منها، خندق ابنُ السريِّ عليه، وبعث ابنُ طاهر قائداً من قوَّاده يرتاد له منزلاً، فالتقى بابن السريِّ فهزمه، وتساقط عامَّةُ أصحابِه في الخندق، وأقام ابنُ السري في الفُسطاط محصوراً.

وبعث إلى ابن طاهرٍ بألف وصيفٍ ووصيفة، مع كلِّ وصيفٍ ألفُ دينارٍ في كيس حرير، وبعث بهم ليلاً، فردَّ ابنُ طاهر ذلك عليه، وكتب إليه: لو قبلتُ هديَّتك نهاراً قبلتُها ليلاً ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ الآية [النمل: ٣٦-٣٧] فحينئذٍ طلب ابنُ السري الأمانَ منه، فأمَّنه. وكتب إلى المأمون فأمضى أمانَه.

وكتب المأمونُ إلى ابن طاهرٍ أبياتاً لمَّا فتح مصر: [من الهزج]

أخـــــي أنـــــتَ ومـــــولايَ ... ومَـــن أَشـــكـــر نُـــعـــمـــاهُ
فـــمـــا أحـــبـــبـــتَ مـــن شـــيءٍ ... فـــإنِّـــي الـــدَّهـــرَ أهـــواه
ومـــا تـــكـــره مـــن شـــيءٍ ... فـــإنِّـــي لـــســـت أرضـــاه
لـــك اللهُ عـــلـــى ذاكَ ... لـــك اللهُ لـــك اللهُ[٢]

ذِكرُ واقعةٍ جرت:

قال أبو السَّمراء: خرجنا مع عبدِ الله بن طاهرٍ متوجِّهين إلى مصر، حتى إذا كنا بين الرَّملة ودمشق، إذا بأعرابيٍّ قد اعترض على بعيرٍ أَورَق، وكان شيخاً، فسلَّم علينا،

(١) وهي بوران بنت الحسن بن سهل.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٦١٥، سنة إحدى عشرة ومئتين، والأبيات أوردها أيضاً أبو حيان التوحيدي في الصداقة والصديق ص١٢٦.

فرددنا عليه السلام، وكنت أنا وإسحاقُ بن إبراهيمَ الرافقيُّ وإسحاقُ بن أبي ربعي، ونحن نساير عبدَ الله بن طاهر، وكانت كِسوتنا أحسنَ من كسوة ابنِ طاهر، ودوابُّنا أَفرهَ من دابَّته، فجعل الأعرابيُّ ينظر في وجوهنا، فقلنا: يا شيخ، قد ألححتَ في النظر إلينا، عرفتَ شيئاً أم أنكرتَه؟ فقال: لا واللهِ ما عرفتكم قبل يومي هذا، ولا أنكرتكم لسوءٍ أراه فيكم، ولكني رجلٌ حسن الفراسةِ في الناس، جيِّدُ المعرفة بهم، فأشرتُ إلى إسحاقَ بن أبي ربعي وقلت: ما تقول في هذا؟ فقال: [من الطويل]

أرى كاتباً جاهُ[1] الكتابة بيِّنٌ ... عليه وتأديبُ العراقِ منيرُ
له حركاتٌ قد يشاهِدنَ أنَّه ... عليمٌ بتقسيط الخَراجِ بصيرُ

ونظر إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ الرافقيِّ وقال:

ومُظهِر نُسْكٍ ما عليه ضميرُه ... يحبُّ الهدايا بالرِّجال نكيرُ[2]
إخالُ به جُبنٌ وبخلٌ وشيمةٌ[3] ... تخبِّر عنه أنَّه لوزيرُ

ثم نظر إليَّ وقال:

وهذا نديمٌ للأمير ومؤنسٌ ... يكون له بالقُرب منه سرورُ
أخا أدبٍ للشِّعر والعلمِ راوياً ... فبعضُ نديمٍ مرَّةً وسميرُ

ثم نظر إلى الأمير وقال:

وهذا الأميرُ المرتجَى سَيبُ كفِّه ... فما إنْ له فيمن رأيتُ نظيرُ
عليه رداءٌ من جَمالٍ وهيبةٍ ... ووجهٌ بإتيان النَّجاحِ بشيرُ
لقد عَظُمَ الإسلامُ [منه][4] بذي يدٍ ... به عاش معروفٌ ومات نكيرُ
أَلَا إنَّما عبدُ الإله ابنُ طاهرٍ ... لنا والدٌ بَرٌّ بنا وأميرُ

فوقع ذلك من عبد اللهِ بن طاهرٍ أحسنَ موقع، وأَعجبه ما قال الشيخ، وأمر له بخمس مئةِ دينار، وجعله في صَحَابته.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦١١، وابن الأثير ٦/ ٣٩٧: داهي.

(٢) في تاريخ الطبري وابن الأثير: مكور.

(٣) في تاريخ الطبري وابن الأثير: إخال به جبناً وبخلاً وشيمةً.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري وابن الأثير.

ذِكرُ واقعةٍ أخرى:

قال الحسنُ بن يحيى الفِهري: بينا نحن مع عبدِ الله بن طاهرٍ مما بين سَلَمْية وحمصَ ونحن نريد دمشق، إذ عارضنا البُطين الشاعر، فلمَّا رأى عبدَ الله قال ينشد: [من الخفيف]

مـرحـبـاً مـرحـبـاً وأهـلاً وسـهـلاً بـابن ذي الـجُـودِ طاهرِ بن الـحسينِ
مـرحـبـاً مـرحـبـاً وأهـلاً وسـهـلاً بـابـن ذي الـغُـرَّتـيـن فـي الـدَّعـوتـيـن
مـرحـبـاً مـرحـبـاً بـمَـن كـفُّـه الـبحـ ـرُ إذا فـاض مُـزبـدَ الـرَّجَـوَيـن[١]
مـا يـبـالـي الـمـأمـونُ أيَّـده اللهُ إذا كـنـتـمـا لـه بـاقـيَـيْـن
أنـت غـربٌ وذاك شـرقٌ مـقـيـمـاً أيُّ فـتـىً أتـى مـن الـجـانـبَـيْـن
وحـقـيـقٌ إذ كـنـتـمـا فـي قـديـمٍ لِـزُريـقٍ ومـصـعـبٍ وحـسـيـن
أنْ تـنـالا مـا نـلـتـمـاه مـن الـمجـ ـدِ وأن تـعـلـوَا عـلـى الـثَّـقـلـيـنِ

فأمر له عن كلِّ بيتٍ بألف دينار، وسار معه إلى مصرَ والإسكندرية، فبينا هو راكبٌ على فرسه بالإسكندرية، انخسف به مخرج، فوقع فيه فمات[٢].

وفيها فتح عبدُ الله بنُ طاهر الإسكندرية، وكان قد تغلَّب عليها رجلٌ من أهل الأندلسِ يقال له أبو حفص، وكان قد قصدها في مراكبَ كثيرة، وكانت الحربُ قائمةً بينه وبين ابنِ السري [وحكى القصَّةَ يونسُ بن عبدِ الأعلى: قال ولمَّا ملك ابنُ طاهرٍ مصر، سار إليها ونزل عليها، فعلموا أنَّه لا طاقةَ لهم به، فطلبوا منه الأمانَ على أن يرتحلوا من الإسكندرية وينزلوا بعضَ الجزائر، فأمَّنهم، فرحلوا عنها ونزلوا جزيرةً [من جزائر البحر يقال لها][٣] أَقْرِيطِش، فاستوطنوها فيقال: إنَّ عَقِبهم بها إلى هلمَّ جرًّا.

---

(١) الرجوان: ناحيتا البئر وحافتاها، وكل ناحية رجا. مختار الصحاح (رجو).

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٦١٢ وفيه أنه أمر له عن كلِّ بيت ألف درهم أو مئة دينار، والبطين شاعر حمصي، كان طوله اثني عشر شبراً، وكان جيد الشعر، تنظر أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٤٨-٢٥١ . ومن قوله: ذكر واقعة جرت . . . إلى هنا، لم ترد في (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

وفيها خلع أهلُ قُمَّ المأمونَ وعصَوا عليه، وسببه أن خَراجَهم كان ألفَي ألفِ درهم، فاستكثروه، وكان المأمونُ قد حطَّ عن أهل الرَّي لمَّا اجتازهم ألفَ ألفِ درهم، فسأله أهلُ قُمّ أن يفعل بهم كذلك [فقيل له: هذا مالٌ عظيم، فلم يُجبهم إلى ذلك] فمنعوه الخراجَ أصلاً، فبعث إليهم عليَّ بن هشام، فقاتلهم وظهر عليهم وهدم سورَهم، وجباها سبعةَ آلافِ ألف درهم [بعدما كانوا يتظلَّمون من ألفَي ألفِ درهم] وقيل: [إنَّما جباهم] أربعةَ آلافِ ألف درهم[1]، ضعفَي ما كانوا يتظلَّمون منه.

وحجَّ بالناس [في هذه السَّنة] صالحُ بن العباس [وهو] عاملُ [المأمونِ على] مكَّة.

[فصل] وفيها توفي

أبو عَمرٍو الشيباني

صاحبُ العربية، واسمه إسحاقُ بن مِرار[2] الكوفي، نزل بغدادَ وحدَّث بها، وكان عالماً متقناً خيِّراً فاضلاً، وأقوالُه مدوَّنة في كتب النحو واللغةِ وتفاسيرِ القرآن، وجمع أشعارَ العرب ودوَّنها [وكتب بيده ثمانين مصحفاً، وجاوز تسعين سنة، وقال الخطيب:][3] كان أعلمَ الناس باللغة، موثَّقاً فيما يحكيه.

[وحكى الخطيبُ[4] عن ثعلبٍ قال: دخل أبو عَمرو الباديةَ ومعه دَسْتِيجتان[5] حِبراً، ما خرج منها حتى أفناهما] ودوَّن أشعارَ ثمانين قبيلة، وكان كلَّما فرغ من قبيلةٍ كتب مصحفاً.

[قال:] وقال ثعلب: كان مع أبي عَمرٍو الشيبانيِّ من العلم والسَّماع عشرةُ أضعافِ ما كان مع أبي عُبيدة مَعْمر، ولم يكن بالبصرة مثلُ أبي عبيدةَ في السَّماع والعلم.

---

(١) كذا في (ب) و(خ) والمنتظم ١٠/ ٢١٨، وفي تاريخ الطبري: وجباها سبعة آلاف ألف درهم.

(٢) في (ب) و (خ): مراد، والمثبت من المصادر، انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص١٩٤-١٩٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٤٠، والمنتظم ١٠/ ٢١٩، والوفيات ١/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٠، والوافي ٨/ ٤٢٥.

(٣) في تاريخه ٧/ ٣٤١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخه ٧/ ٣٤٣-٣٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) الدستيج: آنية تحوَّل باليد، معرَّب: دستي. القاموس المحيط (دستج).

وقال عَمرو[1] بن أبي عَمرٍو الشيباني: كان أبي يُكثر من إنشاد هذا البيت: [من الرمل]

لا تُهِنِّي بعد إكرامِك لي فشديدٌ عادةٌ منتزَعهْ[2]

فقلت له: يا أَبَة، إنك تُكثر إنشادَ هذا البيت، فقال: يا بُنيّ، واللهِ أنا أدعو به في صلاتي وقتَ السَّحَر.

[قال الخطيب:][3] توفِّي أبو عَمرٍو [في سنة عشرٍ ومئتين في] يوم السَّعانين - بسين مهمَلة - وهو عيدٌ من أعياد النَّصارى، وقد أناف على تسعين سنة. وأسند عن أئمَّة اللغة، وروى الحديثَ عن رُكنٍ الشامي [وركنٌ روى عن مكحول]. وروى عن أبي عَمرٍو الإمامُ[4] أحمد رحمةُ الله عليه وغيرُه.

[قال الخطيب:] وكان الإمام أحمدُ يثني عليه ويلازم مجلسَه ويسأله ويكتب أماليَه. [قال[5]: وقال أحمد: سألت أبا عَمرٍو الشيبانيَّ عن معنى قولِه عليه السلام: «أَخنعُ الأسامي عند اللهِ يومَ القيامةِ رجلٌ تسمَّى بمَلِك الأَملاك»[6] فقال: معنى «أخنع» أوضع. وقد أشار إليه الجوهريُّ[7] فقال: الخنوع كالخضوع والذُّلّ، والخانع: المُريبُ الفاجر].

وقال الخرائطي[8]: لقي عالمٌ من العلماء راهباً من الرُّهبان، فقال له: كيف ترى الدَّهر؟ فقال: يُخلق الأبدانَ ويجدِّد الآمال، ويُبعد الأمنية ويقرِّب المَنيَّة. قال: فأيُّ الأصحاب أَبَرّ؟ قال: العملُ الصالح، قال: فأيُّ شيءٍ أضرُّ على المرء[9]؟ قال: اتِّباع النفسِ والهوى.

---

(١) في (خ): عمر، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٢١٩. وانظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٠٤، ومعجم الأدباء ١٦/ ٧٣، وإنباه الرواة ٢/ ٣٦٠.

(٢) اختلف في نسبة هذا البيت، انظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٢٩، وحماسة البحتري ٢/ ٢٧١، والأغاني ٨/ ٣٩٢، والحماسة البصرية ٢/ ١٠، والخزانة ٦/ ٤٧١.

(٣) في تاريخه ٧/ ٣٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): والإمام. ولعله سهو.

(٥) في تاريخه ٧/ ٣٤٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) في الصحاح (خنع).

(٨) في اعتلال القلوب ص٦٨ بإسناده عن أبي عمرو الشيباني.

(٩) في (خ): البر، والمثبت من (ب).

واتفقوا على صِدق أبي عَمرٍو ونُبله وفضله، وقد غمزه الخطيبُ [فقال[١]: كان مشهوراً] بشُرب النبيذ [فقصَّر به ذلك عند أهلِ العلم، قلت: شربُ النبيذ][٢] مذهبُ أهل العراق [ولو عابه ذلك لما روى أحمدُ بن حنبل عنه أماليَه، ولا لازم مجلسَه، ولا أثنى عليه، واللهُ أعلم.

وفيها توفي]

حُميدُ بن عبد الحميد الطُّوسيّ

من قوَّاد المأمون. [ذكره الصوليُّ فقال:][٣] كان جبَّاراً، قال له رجل: رأيتُ في المنام قصوراً في بساتين، فقلت: ما هذه؟ قالوا: الجنةُ أُعدَّت لحُميد الطوسي، فقال له حميد: إنْ صدقتْ رؤياك، فالجَوْرُ ثَمَّ أشدُّ من هاهنا بكثير.

[وروى ابنُ ناصرٍ بإسناده إلى] أبي الحسنِ بن البراءِ قال[٤]: مات حميدٌ [الطوسيُّ في سنة عشرٍ ومئتين][٥] فإنَّا لَجلوسٌ ننتظر إخراجه، إذ أشرفت [علينا] جاريةٌ من القصر، فأنشأتِ تقول[٦]: [من البسيط]

مَن كان أصبح هذا اليومَ مغتبطاً ... فما غبطنا به واللهُ محمودُ

أو كان منتظراً في الفطر سيِّدهُ ... فإنَّ سيِّدنا في اللَّحد ملحود

فأقلقتْنا واللهِ وأحزنتنا[٧].

---

(١) في تاريخه ٧/ ٣٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وهو مذهب أهل العراق.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر المنتظم ١٠/ ٢٢٠.

(٤) في (خ): وقال أبو الحسن بن البراء.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) واسمها: عذل، كذا في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٩.

(٧) المنتظم ١٠/ ٢٢٠.

[قلت: وإنَّما قالت كذا؛ لأن حُميداً مات يومَ الفطر[١]. وقد ذكره أبو جعفرٍ الطبري[٢].

وفيها توفي]

شَهريار بن شروين

صاحبُ الديلم. وملك بعده ابنُه سابور بن شهريار، فنازعه مازيار بنُ قارن، فأسره وقتله، واستولى مازيار على الجبال والدَّيلم[٣] [وهزمَ أصحابه].

[وفيها توفي]

الأصمعي

أبو سعيد الباهليُّ البصري. [وقد نسبه أبو حاتمٍ السِّجستانيُّ فقال:][٤] عبدُ الملك[٥] ابن قُرَيب بن عبدِ الملك بن عليِّ بن أَصْمَعَ بن مظهِّر[٦] بن رِياح بن عَمرو بن عبد شمس ابن أَعْيا بن سعد بن عبد [بن][٧] غَنْم بن قُتيبة بن مَعْن بن مالك بن أَعْصُر بن سعد بن قَيس عَيلان. [وباهلة قبيلةٌ من قيس عَيلان، وقد ذكرناه، وهي في الأصل اسمُ امرأةٍ من هَمْدان.

وقال أبو عُبيد: وقريب الأصمعي، بقاف وراءٍ مهمَلة وبالنقطتين من تحتُ وباءٍ منقوطة واحدةٍ من تحت][٨]. وقيل: اسمُ قُريب عاصم، وإنَّما قيل له الأصمعي؛ لأنه نُسب إلى جدِّه أصمع [بن مظهر].

(١) في (خ): ومات حميد يوم العيد. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٨/ ٦٠٩.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٦١٤.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٥٧.

(٥) في (خ): واسمه عبد الملك...

(٦) كذا ضُبط في الإكمال ٧/ ٢٦٢، والأنساب ١/ ٢٩٣، وجمهرة أنساب العرب ص٢٤٥، وضُبط بالقاموس (ظهر) بتشديد الهاء المفتوحة، وفي تبصير المنتبه ٤/ ١٢٩٦ بظاء معجمة ساكنة وكسر الهاء.

(٧) ما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٨٥، ونزهة الألباء ص١١٢-١٢٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٠، وتهذيب الكمال، والسير ١٠/ ١٧٥.

(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

[وقال الجوهريّ[١]: يقال: هو أصمعُ القلب، إذا كان متيقِّظا ذكيّاً، والأَصْمَعَان: القلب الذَّكي، والرأيُ الجازم[٢]، والأصمع: الصغيرُ الأُذن، والأنثى صَمْعاء. ولم يذكر الجوهريُّ غيرَ هذا.]

وذكر ابن الجواليقي في «المعرَّب»[٣]: كان عليُّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه قطع عليَّ بن أصمعَ [جدَّ الأصمعي][٤] في سرقة، فقطع أصابِعَه من أصولها، فلمَّا ولي الحجَّاج [بنُ يوسف][٥] جاء عليٌّ إليه فقال: إنَّ أهلي عقُّوني، قال: بماذا؟ قال: بتسميتهم إياي عليّاً، فاقْلِب اسمي، قال: قد سمَّيتك سعيداً، وولَّيتك البَارْجَاه، وأجريتُ عليك في كلِّ يومٍ دانِقَين وطَسُّوجاً[٦]، وبالله أُقسم لئن زدتَ عليه لأقطعنَّ ما أبقى أبو ترابٍ من جُذْمُورها، أي: من أصلها.

[قال ابنُ الجَوَاليقي:][٧] البَارْجَاه: كلمة أعجميَّة، وهي موضع الإِذْن [وقد تكلَّم بها الحَجَّاج ورُوي أنَّ مالكاً يقول: عبدُ الملك بن قُرَير[٨]، براءٍ مهملة، وقد أخذوا عليه ذلك، وسنذكره في آخر ترجمته].

ذِكرُ طَرَف من أخباره:

[قال علماءُ السِّير:][٩] هو صاحبُ العربية، والنَّحو، والغرائب والمُلَح، وأيامِ الناس، والأخبار، وسمع من الأعراب بالبوادي، وقدم بغداد، وصحب [هارون] الرَّشيد، واستفاد منه أموالاً [جمَّة] واختصَّ بالبرامكة.

(١) في الصحاح (صمع). وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في الصحاح: العازم.
(٣) جاء مكانها في (خ): وقال أبو إسحاق التقي. وكلام الجواليقي في المعرَّب ص١٢٣-١٢٤.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) الطسوج: ربع دانق، والدانق: سدس الدرهم. القاموس المحيط (طسج) و(دنق).
(٧) في المعرب ص ١٢٣.
(٨) في (ب): قريب. وهو سهو. وينظر قول مالك في طبقات النحويين واللغويين ص١٦٧.
(٩) ما بين حاصرتين من (ب).

[ذِكر قصَّته مع جاره البقَّال:

وحكى القاضي التَّنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»[١] عن الأصمعيِّ قال: كنت أطلب العلمَ بالبصرة وإنما أنا مُقِلّ، وكان على باب زُقاقنا بقَّال، إذا خرجت بُكرةً يقول: إلى أين؟ أقول: إلى فلان المحدِّث، فإذا عُدتُ آخرَ النهار قال: من أين؟ فأقول: من عند فلانٍ اللغوي، فيقول: اِقبل وصيَّتي، فأنت شابٌ، [فلا تضيِّع نفسك][٢] واطلب معاشاً ينفعُك ويعود [عليك نفعُه][٣] أعطني جميعَ ما عندك من الكتب لأطرَحه في دَنٍّ وأَصبَّ عليه من الماء عشرةَ أرطال[٤] [وأنبِّذَه] وأنظرَ ما يكون منه، واللهِ لو طلبتَ مني بجميع ما عندك جُرْزَةَ بَقلٍ ماأعطيتك. قال: فكان يخاطبني بهذا دائماً، فيضيِّق صدري، وبلغ بي حتى بعت آجُرَّ داري وسقوفَها، وأشرفت على الهلاك.

قال: فبينما أنا كذلك، إذ جاءني رسولُ محمدِ بن سليمانَ والي البصرة، فرأى قبيحَ حالي وسوءَ منظري، فعاد إلى الأمير وأخبره، فبعث إليَّ بألف دينارٍ وطِيب وتخت ثياب، وقال: قد أمرني الأميرُ أن أُدخلَك الحمَّام وأُلبسَك من هذه الثياب، فأدخلَني الحمام، وحملني إلى الأمير، فدخلت، فقرَّبني وأدناني، وقال لي: يا عبدَ الملك، قد اخترتك لتأديب ابنِ أميرِ المؤمنين، فارحل إليه.

قال: فدعوت له، وجهَّزني من وقتي، فأخذتُ ما أحتاج إليه من كتبي، وتركت الباقي في بيت وطيَّنت بابَه، وأَقعدتُ في الدار عجوزاً من أهلي تحفظ البيت، وأصعدت إلى بغداد، فدخلت على الرشيد، فقرَّبني ورفعني، وقال: اعلم أنَّ ولدَ الرجل ثمرةُ قلبه ومُهجته، وأنا مسلِّم إليك ولدي محمداً - يعني الأمين - بأمانة الله، لا تعلِّمه ما يُفسد عليه دِينَه، فلعلَّه يكون للمسلمين إماماً. فقلت: سمعاً وطاعة.

ثم حوِّلت إلى دارٍ لتأديب محمد، ورُتِّبت الموائد، وأُجري عليَّ في كل شهر عشرة

(١) ٣/ ١٦١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة.

(٣) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة.

(٤) في الفرج بعد الشدة: للعشرة أربعة. وما بين حاصرتين منه.

آلاف درهم، وكنت أقضي حوائجَ الناسِ عنده، فحصل لي مالٌ عظيم، وكان كلَّما حصل لي شيءٌ أنفذته إلى البصرة أوّلاً فأوّلاً، فيشترى لي به الدُّورُ والضِّياع والبساتين، وأقمت مع محمدٍ حتى تعلَّم القرآنَ وتفقَّه في الدِّين، وروى الشعرَ وفهم العربيةَ واللغة، وبرع في النَّحو وأيامِ الناس، فاستدعاه هارونُ الرشيد، فاستنطقه، فأُعجب به وقال: يا عبدَ الملك، أريد أن يصلِّيَ بالناس، فاختر له خطبة، ففعلت، وخطب وصلَّى بالناس الجُمُعة، ونُثرت عليه الدراهمُ والدنانير، ووصلني هارونُ وزبيدةُ بأموالٍ لا تُحصى ولا تُعدّ.

قال: فاستأذنته في عَودي إلى البصرة ومشارفةِ أهلي ومالي وأصحابي، فأذن لي، وكتب لي كتاباً إلى العامل بها بوصيَّته، فلمَّا دخلت البصرة، لم يبقَ بها إلا مَن تلقاني. فلما كان في اليومِ الثالث، جاء البقَّال وعليه ثوبٌ وسخ وعِمامةٌ وسخة، فقال لي: كيف أنت يا عبدَ الملك؟ وخاطبني بما يخاطبني به الرشيد، فقلت: بخير، وقد قبلتُ وصيَّتك، وجمعت ما عندي من الكتب وجعلته في دَنّ، وصببتُ عليه من الماء عشرةَ أرطال[1]، فخرج كما ترى، فقال: جيّداً عملت، ثم أحسنتُ عليه وجعلته وكيلي، ثم استقدمه[2] هارونُ فأعطاه مئةَ ألفٍ أخرى.

واجتمع الأصمعيُّ بهارونَ الرشيد] قال الأصمعيّ: أمر الرشيدُ بحملي إليه، فأدخلني عليه الفضلُ بن الربيعِ وهو منفرد، فأمرني بالجلوس، فجلست، فقال: يا عبدَ الملك، وجَّهت إليك بسبب جاريتَين قد أخذتا طَرفاً من الأدب، فأحببت أن تتعرَّف ما عندهما، فأحضر جاريتين لم أرَ مثلهما حُسناً وجمالاً، فقلت لإحداهما: ما عندكِ من العلم، قالت: ما أمر اللهُ به في كتابه، ثم ما تنظر الناسُ فيه من الأشعار والآدابِ والأخبار، فسألتها عن حروفٍ من القرآن، فأجابتني كأنَّها تقرأ الجوابَ من كتاب، وسألتُها عن النحو والعَروضِ فما قصَّرت، فقلت لها: هل قرضتِ الشِّعر؟ قالت: نعم، ثم أنشدت تقول: [من الخفيف]

يا غياثَ البلادِ في كلِّ مَحْلٍ ... ما يريدُ العبادُ إلَّا رضاكا

---

(١) في الفرج بعد الشدة: للعشرة أربعة.

(٢) قوله: ثم استقدمه ...، ليس في الفرج بعد الشدة.

لا ومَـن شـرَّف الأنـامَ[1] وأعـلـى ... مـا أطـاعَ الإلَـهَ عـبـدٌ عـصـاكـا

من أبيات. فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما رأيت امرأةً في مَسْك رجلٍ مثلَها، ثم سألتُ الأخرى، فوجدتُها دونها، فأمر عاتكةَ القيِّمة على النساء أن تزيِّنَ الأولى وتحملهَا إليه في تلك الليلة.

ثم قال: حدِّثني حديثاً أرتاح له، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، كان لي صاحبٌ بدور بني فلان[2]، وكنت أغشاه وأتحدَّث إليه، وكان أصحَّ الناس ذِهناً، وأجودَهم خاطراً، وأقواهم نفساً، وكان قد أتت عليه ستٌّ وتسعون سنة، فغبتُ عنه زماناً ثم جئته، فإذا هو متغيِّر الحال، كاسفُ البال، فقلت: اعتراك المرض؟ قال: لا، قلت: فما الذي بك؟ قال: اجتزتُ بحيٍّ بني فلان، فرأيت جاريةً كأنها غُصن بانٍ وفي عُنقها طَبْل، وهي تنشد: [من الوافر]

مـحـاسـنُـهـا سِـهـامٌ لـلـمـنـايـا ... مُـرَيَّـشـةٌ بـأنـواع الـخُـطـوبِ
بـرى رَيـبُ الـزمـانِ لـهـنَّ سـهـمـاً ... تـصـيـب بـنَـصْـلـه مُـهَـجَ الـقـلـوبِ

قال: فقلت: [من الطويل]

دعي شَفَتي في موضع الطبلِ ترتقي ... كما قد أبحتِ الطبلَ في جِيدكِ الحسنْ
هـبـيـنـيَ عُـوداً أجـوفـاً تـحـت شَـنَّـةٍ ... تـمـتَّـع فـيـمـا بـيـن نَـحـرِك والـذَّقَـنْ

قال: فرمت الطبلَ من عُنقها ودخلت الخِباء فوقفتُ إلى أن حميت الشمسُ على رأسي، لا تخرج إليَّ ولا تُرجع جواباً، فكنت معها كما قال الشاعر: [من الطويل]

فـواللهِ يـا سـلـمـى لـطـالـت[3] إقـامـتـي ... عـلـى غـيـر شـيءٍ يـا سُـلـيـمـى أُراقـبُـهْ

فضحك الرشيدُ حتى استلقى، وقال: ويحك، وهل بعد ستٍّ وتسعين سنةً عشق! فقلت: قد كان هذا، فأمر لي بمئة ألفِ درهم، وبعث إلى الجارية الحاذقِة بألف دينارٍ وطيب[4].

---

(١) في تاريخ بغداد ١٢/ ١٥٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٠٢، والمنتظم ١٢٠/ ٢٢٢: الإمام، وفي إنباه الرواة ٢/ ٢٠٠: البلاد.

(٢) كذا في (خ)، والذي في المصادر: صاحب لنا في بَدْوِ بني فلان.

(٣) في المصادر: لطال.

(٤) من قوله: قال الأصمعي: أمر الرشيد . . . إلى هنا، لم يرد في (ب).

[ذِكرُ ما نُقل عنه من مُلَح الأعراب:

حكى المدائنيُّ عنه][1] قال: نزلتُ بحيٍّ من كلبٍ مُجْدِبِيْن، قد توالت عليهم سِنونَ موّتت الماشية وأَيبست النبات، ومنعت السماءُ قطرَها، فارتفعت سحابة سوداء، فطبَّقت السماء، فاستشرفوا لها ورفعوا أصواتَهم، فمالت عنهم، ثم جاءت سحابةٌ أخرى، فعدلها اللهُ عنهم، فلمَّا كثر ذلك، خرجت عجوزٌ فَعَلَت شَرَفاً ثم نادت بأعلى صوتِها: يا ذا العرشِ افعلْ ما شئت؛ فإنَّ أرزاقَنا عليك. فوالله ما نزلت من الشَّرف حتى مُطروا مطراً كاد أن يغرقَهم، وأنا حاضر.

و[حكى الرِّياشي عنه] قال: مررتُ بصنعاءِ اليمن على مزرعةٍ إلى جانبها عَين، وإذا بغلامٍ قد ملأ قِربةً وقد عجز عنها، فتعلَّق بعُراها[2] وصاح: يا أَبة، أدرك فاها، فلم يُجبه أبوه، وقال: يا أَبة، غلبني فوها، فلم يُجبه، وقال: يا أَبة، لا طاقةَ لي بفيها. فجمع العربيةَ في ثلاث كلمات.

وقال: قدم جماعةٌ من الأعراب على النبيِّ ﷺ وفيهم غلام،فسمع رسولَ الله ﷺ يقرأ في الفجر: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ السورة، فبُهت، ورجع إلى أبيه فقال: يا أَبة، سمعتُ محمداً ﷺ يُقسم على ربِّه بخيلٍ تصيح من خواصرها، بقُدوح الحصى من سنابكها، تغار على الأحياء في الغَلَس، توسَّط بفارسها الجمع، وسمعته يقول في غُضون كلامه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ فقال: يا بُني، هذا اللفظُ بعينه سمعتَه منه؟! فقال: يا أَبة، كلامُه لفظٌ شريف، هذا معناه.

وقال: دخلتُ الباديةَ فنزلت على بعض الأعراب، فقلت له: أَفِدني، فقال: إذا شئت أن تعرف وفاءَ الرجل وحُسنَ عهده وكرمَ أخلاقه وطهارةَ مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وشوقِه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

وقال: قام أعرابيٌّ بجامع البصرةِ فقال: أيها الناس، الحاضرُ يحثُّ على سؤالكم، والحياءُ الزاجر يصدُّ عن التعريض لكم، فرحم اللهُ امرأً ساعد بنَيل، أو دعا بخير؛ فإنَّ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): بعزلتها، وفي (خ): بعزلها. والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٣.

الدعاءَ إحدى الصَّدقتين. فقلت: مَن الرجل؟ فقال: سوءُ الاكتساب يمنع من الانتساب، وكان معي أربعُ مئةِ درهمٍ فدفعتها إليه.

وقال: رأيتُ بعرفاتٍ أعرابيًا يقول ويتضرَّع قائماً: اللهم إنَّ لك عليَّ حقوقاً فتصدَّق بها عليّ، وإنَّ قِبَلي للناس [تَبِعات] فتحمَّلها عني، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيف قِرَى، وأنا الليلةَ ضيفُك، فاجعل قِراي المغفرة [أو الجنة].

وقال: رأيتُ أعرابياً قد أخذ بأستار الكعبةِ وهو يقول: سائلُك ببابك، ذهبت أيَّامه، وبقيت آثامُه، وانقضت شهوتُه، وبقيت تَبِعته، فارضَ عنه، فإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه؛ فإنَّ المولى [قد] يعفو عن عبده وهو غيرُ راضٍ عنه.

وقال: رأيت آخَرَ قد وقف عند البيتِ وقال: اللهمَّ إن أقواماً آمنوا بك بألسنتهم ليَحقنوا دماءَهم، فأدركوا ما أمَّلوا، وقد آمنَّا بك بألسنتنا وقلوبنا، فأَجِرنا من عذابك، وأَنِلنا ما أمَّلنا من عفوك.

قال: وسمعت أعرابيًّا يطوف بالبيت ويقول: إلهي، إليك عجَّت الأصواتُ بصنوف اللُّغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي أن تذكرني في البلاءِ إذا نسيني أهلي.

وقال: حجَّت أعرابية فقطعت عليها الطريق، فقالت: ربِّ أنعمتَ ثم سلبت، وكلُّ ذلك منك فضلٌ وعدل، وعزَّتِك لا بسطتُ لساني بمسألة غيرِك، ولا بذلتُ رغبتي إلَّا إليك، يا قُرَّة عيونِ الطالبين، أَغِنني بجُودٍ منك أَتبحبح به في فراديس نعمتِك، وأرتفع به في غياض فضلِك، احملني بكَرَمك بغير راحلة، وأوصِلني بغير مطيَّة، وأَسبغ عليَّ سِترك الذي لا تحرِّكه الرياح، ولا تخرِّقه الرِّماح.

وقال: سمعتُ أعرابياً ذكر قوماً تغيَّرت حالُهم فقال: كانوا واللهِ في عيشٍ رقيق الحواشي، فطواه الدهرُ بعد سَعة، ولم أرَ صاحباً أغرَّ من الدنيا، ولا ظالماً أغشمَ من الموت، ومَن عصف عليه الليلُ والنهار أدَّباه، ومن وُكِّل به الموتُ أفناه.

قال: وسمعتُ آخَرَ يصف منزلاً باد أهلُه فقال: رحل عنه واللهِ ربَّات الخدور، وأقامت فيه رواجلُ[1] القُدور، وكان أهلُه يعفون آثارَ الرياح، فأصبحت الرياحُ تعفو

(١) كذا، وفي نفح الطيب ١/ ٥٠٠ : أثافي.

آثارَهم، فالعهدُ قريب، والملتقَى بعيد.

وقال: سمعت أعرابياً يقول: إنَّ الدنيا تنطق بغير لسان، فتُخبر عمَّا يكون بما قد كان.

وقال: قلت لأعرابيّ: حدِّثني عن ليلتك مع فلانة، فقال: نعم، خلوتُ بها والقمرُ يُرينيها، فلمَّا غاب أَرتْنيه، قلت: فما كان بينكما؟ فقال: الإشارةُ لغير ما باس، والدنوُّ بغيرِ إمساس، ولَعمري إن كانت الأيامُ طالت[١] بعدها، لقد كانت قصيرةً[٢] معها.

أَنشدني عليُّ بن الحسن الإسكافيُّ في المعنى وقال: [من المنسرح]

ما إنْ دعاني الهوى لفاحشةٍ إلَّا نهاني[٣] الحياءُ والكرمُ
فلا إلى ريبةٍ مددتُ يدي ولا مشتْ لي بزلَّةٍ قَدَمُ

و[حكى الخرائطيُّ عن الأصمعي][٤] قال: خلا رجلٌ من الأعراب بامرأةٍ وقعد بين رجليها، ثم قام سالماً منها، فقالت له: مالك؟! فقال: إن امرأً باع جنَّةً عرضُها السماواتُ والأرضُ بعَرْضِ ما بين[٥] رِجلَيكِ لَقليلُ الخبرةِ بالمساحة.

وقال: قيل لأعرابيّ - وقد تزوَّج بنت عمٍّ له -: أيسرُّك أن تظفرَ بها الليلة؟ فقال: نعم والذي منعني عنها وأَشقاني بطلبها، قيل له: فإن ظفرتَ بها ما كنت صانعاً؟ فقال: أُطيع الحبَّ في لثمها، وأعصي الشيطانَ في إثمها، ولا أُفسد عشقَ سنينَ بما يَبْقى ذميمُ عاره، ويُنشر قبيحُ آثاره، في لحظةٍ تَنْفَد لذَّتها، وتبقى تَبِعتها، إني إذن لَلئيم، لم يَغذُني أصلٌ كريم.

وقال: قلت لأعرابيَّة: ما تعدُّون العشقَ فيكم؟ فقالت: القُبلة والضمَّة والغَمزة، ثم قالت: [من مجزوء الرجز]

ما الحبُّ إلَّا قُبلةٌ وغمزُ كفٍّ وعضدْ

---

(١) في (خ): أطالت، والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢٦٩.

(٢) في (خ): قصيرها، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٣) في (خ): ونهاني، وهو خطأ، والمثبت من المستطرف ٢/ ٣٥١، وفي مصارع العشاق ٢/ ٢٦٣: إلا عصاه...

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (ب): بفتر بين. والفِتْر: ما بين طرف الإبهام والسبّابة إذا فتحتهما. مختار الصحاح (فتر).

مـــا الـــحـــبُّ إلا هـــكـــذا إنْ نـــكـــح الـــحـــبّ فـــســـدْ[١]

قلت: أما نحن، فالعشقُ عندنا أن يقعدَ بين رجلَيها ويُجهدَ نفسَه، فقالت: ما هذا عاشق، هذا طالبُ وَلَد.

وقال: رأيت جاريةً بالطواف كأنَّها مَهاةُ رَمْلٍ، فجعلتُ أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها، فقالت: [من الطويل]

وكنتَ متى أرسلتَ طَرْفَك رائداً لقلبك يوماً أتعبتْك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابر[٢]

وقال: رأيتُ بالرَّبَذة جاريةً متبرقعةً وهي تقول: يا معاشرَ الحجيج، نفرٌ من هُذَيل، ذهب بنعمتهم السَّيل، وضرمت بهم الأيام، حتى ما بهم نُجعة[٣]، ولا لهم قعدة، فمن يراقب منهم الدارَ الآخرة، ويعرف لهم حقَّ الآصرة؟ فقلنا: هل قلتِ في ذلك شيئاً؟ قالت: نعم: [من الكامل]

كفُّ الزمانِ توسَّدتْنا عَنوةً شلَّت أناملُها عن الأعرابِ
قومٌ إذا حلَّ العُفاةُ ببابهمْ أَلقَوا نوافلَهم بغير حساب

فقلنا: لو مَتَّعتينا بالنظر إلى وجهك، فكشفَت البُرقعَ عن وجهٍ لا تهتدي العقولُ بوصفه، فبُهتنا، فقالت: [من الكامل]

الدَّهرُ أبدى صفحةً قد صانها أبَوايَ قبل تمرُّسِ الأيام
فتمتَّعوا بعيونكم في حُسنها وانهَوا جوارحَكم عن الآثام[٤]

وقال: سمعت أعرابيةً تودِّع ابنها وتقول: كان اللهُ صاحبَك في سفرك، وخليفتَك في أهلك، وتولَّى نُجحَ طِلْبتك، امضِ مصاحَباً مكلوءاً، لا شمَّت اللهُ بك عدوًّا، ولا أراني فيك سوءاً.

وقال: مات لأعرابيٍّ ولد، فقال: اللهمَّ إني وهبتُ له ما قصَّر فيه من بِرِّي، فهَبْ له

(١) أشعار أولاد الخلفاء ص ٣٢٦، والأغاني ٣/ ١٩٩ دون نسبة.
(٢) انظر ديوان الحماسة ٣/ ١٢٣٨ (بشرح المرزوقي)، ومصارع العشاق ٢/ ١٩٤، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٢١٦.
(٣) النجعة: طلب الكلأ في موضعه. مختار الصحاح (نجع).
(٤) انظر روضة المحبين ص ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٦٢.

ما قصَّر فيه من طاعتك، فأنت أجودُ وأكرم.

وقال: سمعتُ أعرابيةً تقول - وقد ذكرتْ مصيبة -: تركتْ واللهِ سودَ الرؤوس بيضاً، وبيضَ الوجوه سُوداً، وهوَّنت المصائبَ بعدها، فنظر شاعرٌ فقال[1]: [من الوافر]

رمى الحدَثانُ نِسوةَ آلِ[2] حربٍ ... بأقدارٍ سَمَدْنَ لها سُمُودا
فردَّ شعورهنَّ السُّودَ بيضاً ... وردَّ وجوههنَّ البيضَ سُودا
فإنَّك لو سمعتَ بكاء هندٍ ... ورَملةَ إذ تَصُكَّان الخُدودا
بكيتَ بكاءَ موجعةٍ بحزنٍ ... أصاب الدَّهرُ واحدَها الفريدا[3]

وقال: خاصم أعرابيٌّ امرأتَه إلى زيادٍ فقال: أصلح اللهُ الأمير، خيرُ عُمرِ الرجل آخرُه، يذهب جهله، ويثوب حِلْمُه، ويجتمع رأيُه، وإنَّ شرَّ عُمرِ المرأة آخرُه، يسوء خُلُقها، ويشتدُّ لسانها، ويَعقمُ رَحِمُها، فقال له: زياد: صدقت، خذ بيد امرأتِك.

وقلت لأعرابيّ: أتهمز إسرايِيل؟ فقال: إنِّي إذن لَرجل سَوء، قلت: أتجرُّ فلسطين؟ فقال: إني إذن لَقويّ.

[قال: وخطب أعرابيٌّ امرأةً وكان طُوالاً قبيحاً، فقيل له: بأيِّ ضربٍ تريدها؟ فقال: قصيرة جميلة؛ ليأتيَ ولدُها في جَمالها وطولي. وتزوَّجها على تلك الصِّفة فجاء ولدُها على قصرها وقُبح أبيه.

قال: وغزا أعرابيٌّ مع رسول الله ﷺ، فلمَّا عاد إلى أهله سألوه: ما رأيتَ في غَزاتك مع رسول الله ﷺ؟ فقال: وضع عنَّا شطرَ الصلاة][4].

وقال: وَلِيَ اليمامةَ أعرابيّ [يقال له: أبو مهديَّة]، وكان بها يهودٌ لهم مال، فجمعهم وقال: ما تقولون في المسيح؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه، فقال: فهل غَرِمْتم دِيَته؟

---

(١) اختلف في قائل الأبيات، انظر ديوان الحماسة ٢/ ٩٤١ (بشرح المرزوقي)، ٣/ ٤ (بشرح التبريزي)، وعيون الأخبار ٣/ ٦٧، وذيل الأمالي ص ١١٥، وزهر الآداب ١/ ٤٠٥.

(٢) في (خ): إلى. والمثبت من المصادر.

(٣) كذا في العقد الفريد ٣/ ٤٢٥، وفي سائر المصادر: الفقيدا.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

قالوا: لا، فقال: واللهِ ما تبرحون حتى تؤدُّوا دِيَته، فأرضَوه بمالٍ فأطلقهم[١].

وقال: مررتُ بالبادية على بئرٍ عليها جَوارٍ، وبينهنَّ جاريةٌ كأنها البدر، فوقعتْ عليَّ رِعدة، وقلت: [من البسيط]

يا أحسنَ الناسِ إنساناً وأملَحَهم هل باشتكائي إليك الحبَّ من باسِ
فَبَيِّني لي بقولٍ غير ذي خُلُفٍ أبالصَّريمة نمضي عنكِ أم ياسِ

فقالت: اِخسأ. فوقع في قلبي مثلَ جَمرِ الغَضَا، ثم قالت: [من البسيط]

هلمَّ نمحُ الذي قد كان أوَّلُه ونظهر الآن إقبالاً من الراسِ
حتى نكونَ سواءً في مودَّتنا مِثلَ الذي يحتذي نَعلاً بمقياس

فسألت عن أبيها، فدُللت عليه، فخطبتها منه، فزوَّجني إياها، فهي أمُّ ابني[٢].

[قال: وقلت: لأعرابي: لمَ لا تتزوَّج؟ فقال: لو قدرتُ على طلاق نفسي لطلَّقتها.

قال: وقلتُ لآخَر: ما عندكم في البادية (طبيب)؟ فقال: حُمر الوحش لا تحتاج إلى بَيطار][٣].

وقال: قلت لأعرابيّ: ما تعدُّون البلاغةَ فيكم؟ فقال: قلَّة الكلام، وإصابةُ الصواب، والقصدُ في المعنى.

وقال: سمعتُ أعرابياً يقول: اللهمَّ إنَّ استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي لؤم، وإنَّ تركي الاستغفارَ مع علمي بسَعة قدرتِك لَعجز، إلهي كم تتحبَّب إليَّ بنعمتك وكم أتبغَّض إليك بذنوبي وأنا فقيرٌ إليكَ! اللهم أَعِذني من سَطَواتك، وأَجِرني من نَقِماتك، فإني أتوسَّل إليك بك، وأفرُّ منك إليك.

وقال: كنت أتردَّد إلى أعرابيّ، فكنت أسمعه يذكر أُمامة، ثم ترك ذِكرَها، فقلت له: لمَ تركت ذِكرَها؟ فقال: [من مجزوء الكامل]

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٤٨٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٧٥-١٧٦، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٤- ٢١٥، وينظر مصارع العشاق للسراج ٢/ ٢٢١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وما بين قوسين من العقد الفريد.

ذهبتْ[١] أُمامةُ بالطلاقِ ... ونجوتُ من حبلِ الوَثاقِ
بانت فلم يألمْ لها ... قلبي ولم تبكِ المآقي
ودواءُ مَن لا تشتهيـ ... ـهِ النفسُ تعجيلُ الفراقِ
والعيشُ ليس بطيِّبٍ ... إن كان من غير اتِّفاقِ

وقال: سمعتُ أعرابيّاً يقول: خَفِ الشرَّ من موضع الخير، وارجُ الخيرَ من موضع الشرّ، فربَّ حياةٍ سببُها طلبُ الموت، وربَّ موتٍ سببُه طلب الحياة، وأكثرُ ما يأتي الآمنَ الخوفُ من مأمنه.

وقال: مررت بالمِربَد، إذا بأعرابيةٍ تبكي عند قبرٍ وتقول: [من مخلع البسيط]

هل أخبر القبرُ سائليه ... أم قرَّ عيناً بزائريهِ
أم هل تراه أحاط علماً ... بالحَسَنِ[٢] المستكِنِّ فيه
لو يعلم القبرُ مَن يواري ... تاه على كلِّ مَن يليه[٣]
يا جبلاً كان لامتناعٍ[٤] ... ورُكنَ عِزٍّ لآمليه
ونخلةً طلعها نضيدٌ ... يَقرُب مِن كفِّ مُجتنيه
ويا مريضاً على فراشٍ ... تؤذيه أيدي ممرِّضيه
ويا صَبوراً على بلاءٍ ... كان [به][٥] اللهُ يَبتليه
يا موتُ لو تقبل افتداءً ... كنتُ بنفسي سأفتديه
يا موتُ ماذا أردتَ مني ... حقَّقتَ ما كنتُ أتَّقيه
موتٌ[٦] رماني بفقد إلفي ... أَذُمُّ دهري وأشتكيه
آمنك اللهُ كلَّ رَوعٍ ... وكلَّ ما كنتَ تتَّقيه[٧]

(١) في العقد الفريد ٣/ ٤٧١: طعنت.
(٢) في الأمالي ٢/ ٣٢١، والمنتظم ١٠/ ٢٢٨، والحماسة البصرية ١/ ٢٥٩: بالجسد.
(٣) في (خ): يتيه، والمثبت من الأمالي ٢/ ٣٢١، والمنتظم ١٠/ ٢٢٨، والحماسة البصرية ١/ ٢٥٩: بالجسد.
(٤) في الأمالي والحماسة: ذا امتناع.
(٥) ما بين حاصرتين من المصادر.
(٦) في الأمالي والحماسة: دهر.
(٧) في (خ): أتقيه، والمثبت من المصادر.

فقلت لها: يا جارية، أَعيدي عليَّ شِعرَك، فقالت: أسمعتَ ذلك مني؟ فأعدتُ[١] شِعرها عن آخره، فقامت تنفض ثيابَها وتقول: إنْ كان حقًّا في عبادك أصمعيٌّ فهو هذا.

ومررتُ بأعرابيَّة عند قبرٍ وهي تقول: [من الطويل]

فإنْ تسألاني فيمَ حُزْني فإنَّني رهينةُ هذا القبرِ يا فتيانِ
عزيز عليَّ أن أراه كما ترى عزيزٌ عليه بعضُ ما تريان
وإنّي لأستحييه والتُّرب بيننا كما كنتُ أستحييه وهو يراني[٢]

وقال الأصمعيّ: وقع طاعونٌ بالبصرة، فخرج رجلٌ من أهلها على حمارٍ ومعه أهلُه وولدُه، وخلفه عبدٌ حبشيٌّ يمشي ويسوق الحمارَ ويرتجز:

لن يُسبقَ اللهُ على حمارِ ولا على ذي مَيعةٍ مُطَارِ[٣]
قد يصبح اللهُ أمامَ الساري

فلما سمع الرجلُ قولَ العبد، رجع بأهله وولدِه.

وركب الأصمعيُّ يوماً حماراً دميماً، فقيل له: بعد مراكبِ الخلفاءِ تركب هذا! فقال متمثِّلاً: [من الطويل]

ولمّا أبتْ إلَّا انصرافاً[٤] بودِّها[٥] وتكديرِها الشِّربَ الذي كان صافيا[٦]
شَرِبنا برَنْقٍ[٧] من هواها مكدَّرٍ وليس يَعاف الرَّنْقَ من كان صاديا

ثم قال: ركوبُ هذا مع سلامة ديني أحبُّ إليَّ من ركوب تلك وتذهب آخرتي.

---

(١) في (خ): فأعادت. وهو خطأ، والتصويب من المنتظم.
(٢) البيت الأول والثالث في العقد الفريد ٣/ ٢٧٨، ومصارع العشاق ٢/ ٨٨.
(٣) ماع الفرس: جرى. وفرس مُطار وطيار: حديد الفؤاد ماض. القاموس المحيط (ميع) (طير). والأبيات في البيان والتبيين ٣/ ٢٧٨، وعيون الأخبار ١/ ١٤٤، ومحاضرات الأدباء ٤/ ٣٢٤، وزهر الآداب ٢/ ٩٩٥.
(٤) في تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٧، والوفيات ٣/ ١٧٤: انصراماً. وفي تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٦، ونزهة الألباء ص ١٢٢: طراقاً.
(٥) في نزهة الألباء: بِوِرْدِها.
(٦) في (خ): عافيا، والمثبت من المصادر.
(٧) الرَّنْق: الماء الكَدِر.

[حديث الأصمعيِّ مع يحيى بنِ خالدٍ والجارية:

ذكر الخطيبُ[١] بإسناده الواقعةَ إلى محمد بنِ القاسم بن خلّاد قال: كان الأصمعيُّ دميماً قصيراً، كريه المنظر، استحضره يحيى بنُ خالدٍ وقال له: هل لك زوجة؟ [قال: لا، قال: فجارية؟ قال: جاريةٌ للمِهنة، قال: هل لك أن أهبَ لك جارية][٢] حسناء؟ قال: نعم، فأخرج له جاريةً لم يرَ مثلَ حسنها، فقال: خذها، فجزعت الجاريةُ وبكت، وقالت: يا سيِّدي، تدفعني إلى هذا الشيخِ القبيح! فقال له يحيى: هل لك في ألف دينارٍ وتدعها؟ قال: نعم، فأعطاه ألفَ دينار، ثم قال: يا أصمعيُّ، تظنُّ أني سمحتُ لك بها! وإنما كان بيني وبينها أمرٌ فأنكرتُه عليها فأردتُ أن أعاقبَها بك ثم رَحمتها، قال الأصمعي: فكنتَ أخبرتَني قبل ذلك حتى كنت أسرِّح لحيتي وأسوِّي عمامتي، فلو رأتْني كذلك لَما كرهتني، فضحك يحيى[٣].

ذِكر دخولِ الغاضريِّ عليه:

حكى عنه ابنُ الأعرابيِّ قال: قال لي الأصمعي: دخل عليَّ الغاضريُّ وكان أحمق، فقال لي: يا أصمعيّ، مَن حفر البحر؟ وأين ترابُه؟ يقدر الخليفةُ يحفر مثلَه في ثلاثة أيام؟ قلت: لا.

ذِكرُ حديثه مع الأحمقَين:]

وقال: كان لي صديقان أحمقانِ ولهما عبد، فقام أحدُهما يضربه، فقال له شريكُه: تضربُ عبدي! فقال له: ما عليك أنا أضربُ في حصَّتي! فقام الآخر يضرب في الجانب الآخَر، فسلح[٤] العبدُ عليهما وقال: اقتسما هذه بينكما بالحِصَص.

[ذِكرُ حديثِه مع أحمقٍ آخرَ

قال: مرَّ أحمق على امرأةٍ تبكي عند قبر، فقال لها: ما هذا الميتُ منك؟ قالت:

---

(١) في تاريخه ١٢/ ١٦١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

(٣) كذا، والذي في تاريخ بغداد: أيها الأمير، فهلا أعلمتني قبل ذلك، فإني لم آتك حتى سرحت لحيتي وأصلحت عمتي، ولو عرفتُ الخبرَ لصرتُ على هيئة خِلْقتي، فوالله لو رأتني كذلك لما عاودت شيئاً تنكره منها أبداً ما بقيت.

(٤) أي: بَالَ.

زوجي، قال: فما كان يصنع؟ قالت: كان يحفر القبور، قال: ويحه، أمَا علم أنَّ مَن حفر لأخيه المؤمنِ قَليباً أوقعه اللهُ فيها قريباً!

حديثُ الأصمعيِّ مع المرأة الطائفةِ بالبيت:

حكى الأصمعيُّ عن المازنيِّ قال: بينما أنا أطوف بالبيت إذ جاء رجلٌ على قفاه كارةٌ[1] وهو يطوف، فقلت له: ما هذه الكارةُ التي على عُنقك؟ فقال: هذه والدتي أريد أن أؤدِّيَ حقَّها، فقلت: ألا أدلّك على ما تؤدِّي به حقَّها قال: وما هو؟ قلت: تزوّجها، فقال: يا عدوَّ الله، تستقبلني في أمِّي بمثل هذا! قال: فرفعت أمُّه يدها وصفعت ابنَها في قفاه وقالت: إذا قيل لك الحقُّ تغضب؟!

ذِكر نُبذة من كلامه:

حكى المازنيُّ عنه أنَّه][2] قال: الفرس لا طِحالَ له، والبعيرُ لا مَرَارةَ له، والظَّليم[3] لا مُخَّ لساقه، والسمكة لا رئةَ لها، وكلُّ ذي رئةٍ يتنفَّس.

[قال][4] وقال: البصرة عُثمانيّة، والكوفة عَلَويَّة، والشامُ أمويّ، والجزيرة خارجيَّة، وإنما صارت البصرةُ عثمانيةً من يوم الجَمَل، وإنما صارت الكوفةُ علويةً من يومِ استوطنها أميرُ المؤمنين ﷺ، والشام لمّا سكنها معاويةُ بن أبي سفيان، وإنما صارت الجزيرةُ خارجيةً لأنَّها مسكن ربيعة، وهي رأسُ كلِّ فتنة.

ولما سأل الرشيدُ [يزيدَ] بن مَزْيَد قال: ما أكثرَ الخلفاءَ في ربيعة! قال: نعم ومنابرُهم الجذوع. يعني الخوارج[5].

وقال الأصمعيّ: مَن دخل أرضاً وَبِئَةً فأخذ من ترابها وجعله في ماءٍ وشربه، فإنَّه يَسلم من وبائها.

وقال: بين بغدادَ وإفريقيةَ ألفُ فرسخ، وبين الكوفةِ والبصرة ثمانونَ فرسخاً،

---

(١) الكارة: الحال الذي يحمله الرجل على ظهره. تاج العروس (كور).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) الظليم: الذَّكر من النعام.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في وفيات الأعيان ٦/ ٣٢٩: يعني الجذوع التي يصلبون عليها إذا قتلوا.

وواسطُ في الوسط.

وقال: سمعت الحسنَ بن سهلٍ في وِزارته يتمثَّل ويقول: [من الوافر]

وما بقيتْ من اللذَّات إلَّا محادثةُ الرِّجال ذوي العقولِ
وقد كانوا إذا ذُكروا قليلاً وقد صاروا أقلَّ من القليل[١]

ذِكرُ وفاته:

[اختلفوا فيها، فقال ابنُ الأعرابي: توفِّي الأصمعيُّ بالبصرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ[٢] ومئتين وقد بلغ ثمانيةً وثمانين، وقيل: ستَّةً وثمانين. وحكى السِّيرافي[٣] عن أبي العَيناءِ قال: مات الأصمعيُّ بالبصرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئتين. وقد حكى معظمَ هذه الأقوالِ الخطيب][٤].

أسند [الأصمعيُّ] عن الأئمَّة: عبد الله بن عون، والحمَّادَين، وشعبةَ [بن الحجَّاج، ومِسعرِ[٥] بن كِدام الهلالي، والمباركِ بن سعيدٍ الثوري، ونافعِ بن أبي نعيم][٦] وأبي عَمرو بنِ العلاء [وسليمانَ التَّيمي، وقُرَّة بن خالد، وهشامِ بن سعد] وسفيانَ بن عُيينة [وعبد العزيز بن أبي حازم] وخلقٍ كثير.

وروى عنه الإمامُ أحمد [بن حنبل]، وابن مَعين، وابن المَديني[٧]، ومالكُ بن أنس، [وأبو عُبيد] القاسم بن سلَّام [وأحمدُ الدَّورقي، وأبو حاتم السِّجِستاني، واسمه

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٤٢.

(٢) لعل الصواب: سنة خمس عشرة، أو: سبع عشرة، أو ست عشرة؛ لأن هذا القول سيذكره قريباً، فيكون تكراراً، وما بين حاصرتين من (ب)، والذي في (خ): توفي سنة عشر ومئتين وقد بلغ ثمانياً وثمانين سنة، وقيل: ستاً وثمانين سنة بالبصرة، وقيل: ثلاث عشرة ومئتين . اهـ. وقد وقع اضطراب شديد في وفاته، انظر التاريخ الكبير ٥/ ٤٢٨، وأخبار النحويين البصريين ص ٥٢، والفهرست ص ٦١؛ وتاريخ بغداد ١٢/ ١٦٨-١٦٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٨-٢١٩، والمنتظم ١٠/ ٢٢٩-٢٣٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٠٢، والوفيات ٣/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٨٦-٣٨٧.

(٣) في أخبار النحويين البصريين ص ٥٢.

(٤) في تاريخه ١٢/ ١٦٨.

(٥) في (ب): مسعود، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) لم تذكر المصادر أحمد وابن المديني رحمهما الله تعالى.

سهلُ بن محمد، ومحمدُ بن مسلم بنِ وَارَة] وأبو حاتِمٍ الرازي [وأبو الفضل الرِّياشي، واسمه: العباسُ بن الفرج (وأحمدُ)[١] بن محمد اليزيدي] في آخرين.

وكان [الأصمعيُّ] يقول: لقيتُ من العلماء والفقهاءِ ورُواة الحديثِ والفصحاءِ خلقاً لا أُحصيهم، ولقيتُ من الشعراء رُؤبة، وبلالاً ونوحاً ابنَي جرير، ولَبْطة بنَ الفرزدق [ومحمدَ بن علقمةَ التيمي، وأبا نائل إهابَ بن عُمَير، وابنَ ميَّادة][٢] والحسينَ بن مُطير، وابن هَرْمَة، وابن أُذينة، وابن الدُّمَيْنة، وابن الطَّثْرِية.

و[سبقني][٣] زيادُ الأعجم ونَهارُ بن تَوسِعة، وذكر غيرَهم.

و[روى الخطيب[٤] عن عمرَ بن شبَّة قال:] قال [الأصمعيّ]: أَحفظ ستَّةَ عشرَ ألفَ أُرجوزة.

وكان الإمامُ أحمد رحمه الله يُثني عليه.

وقال الإمام الشافعيُّ رحمة اللهِ عليه: ما رأيتُ بذلك العسكر أصدقَ لهجةً منه، ولا عبَّر أحدٌ عن العرب بمثل ما عبَّر. ولقد كان يتَّقي أن يفسِّرَ حديث النبيِّ ﷺ كما يتَّقي أن يفسِّر القرآن.

وقال ابن مَعين وابن مَهديٍّ وغيرهما: كان ثقةً صدوقاً، أميناً فيما يرويه.

[وقال ابن مَعين: وقد وهم مالكٌ في اسم أبيه فقال: حدَّثنا عبدُ الملك بن قُرَيْر بالراء، وإنما هو: قُريب، بالباء.

قلت: وقد ذكر الدارَقُطنيُّ في «المؤتلِف والمختلِف»[٥] وقال: الذي روى عنه مالكٌ إنما هو عبدُ الملك بن قُرير أخو عبدِ العزيز بن قرير، روى عن ابن سِيرينَ وعطاء[٦]. فعلى هذا القولِ الوهمُ من ابن معينٍ لا من مالك.

(١) ما بين قوسين من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٨٩، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٩١.
(٤) في تاريخه ١٢/ ١٥٨.
(٥) ٤/ ١٨٩٥ - ١٨٩٦. وما بين حاصرتين من (ب)، وينظر الاستذكار ١٣/ ٢٧٥-٢٧٦، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٩٣.
(٦) الراوي عن ابن سيرين وعطاء هو عبد العزيز، وينظر التعليق السابق.

قلت:] ولم يتكلَّموا في الأصمعيِّ إلَّا من حيث البخلُ وسقوطُ الهمّة [وخساسةُ النفس. حكى ابنُ دُريد عن] أبي عبيدةَ [معَمر] قال[1]: كان الأصمعيُّ ساقطاً خسيساً، يجمع أخبارَ البخلاءِ ويحدِّث بها أهلَه وأولادَه، ويأمرهم بالعمل بها. [قال:] وارتفعت يوماً في داره ضجَّة، فقيل: إنَّما يفعلون هذا عند تفرقةِ الخبز.

وقال المبرِّد: كان الأصمعيُّ ينشد لنفسه: [من السريع]

يا أُمَّةَ اللهِ أَلَم تَسْمَعِي[2] ... ما قال عبدُ الملكِ الأصمعيْ
واحدةٌ أثقلني حملُها ... فكيف لو قمتُ على أربعِ

يريد أربع نسوة.

وهجا يحيى بنُ المبارك اليزيديُّ الأصمعيَّ فقال: [من المتقارب]

أَبِنْ لي دَعِيَّ بني أَصمعٍ ... أَقَفْرٌ رباعُك أم[3] آهلَهْ
ومَن أنت هل أنت إلَّا امرؤٌ ... إذا صحَّ أنَّك[4] من باهلَه

يشير إلى خساسة باهلةَ في العرب.

وقال أبو العَيناء: لما رُفعت جنازةُ الأصمعيِّ حدَّثني أبو قِلابةَ الجَرمي، ثم قال وأشار إلى الجنازة: [من الخفيف]

قبَّح[5] اللهُ أعظُماً حملوها ... نحو دارِ البِلى على خشباتِ
أعظُماً تُبغض النبيَّ وأهلَ الـ ... ـبيتِ والطَّيِّبين والطَّيِّبات

[فقال أبو العيناء:] ثم حدَّثني أبو العَتَاهيةِ[6] وقال: [من البسيط]

لا دَرُّ دَرِّ بناتِ الأرضِ إذ فُجعت ... بالأصمعيِّ لقد أبقتْ لنا أسفا

---

(١) في (خ): قال أبو عبيدة.
(٢) في (خ): إن لم تسمعي. هو خطأ.
(٣) في (خ): أمر، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٩٢.
(٤) في تاريخ دمشق: أصلك.
(٥) في تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٨، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٩: لعن.
(٦) كذا في (ب) و (خ)، والصواب: أبو العالية الشامي، كما في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق. وما بين حاصرتين من (ب).

عِشْ ما بدا لك في الدنيا فلستَ ترى ... في الناس منه ولا من عِلمه خَلَفا

قال أبو العَيناء: فعجبتُ من اختلافهما فيه.

وقال [الخطيب[1]: لمّا مات الأصمعيُّ جزع عليه] أبو العَتاهية [ورثاه بأبياتٍ وقال][2]: [من الطويل]

لَهفي[3] لِفَقد الأصمعيِّ لقد مضى ... حميداً له في كلِّ صالحةٍ سهمُ

تقضَّت بَشاشاتُ المجالسِ بعده ... وودَّعنا إذ ودّع الأُنس والعِلم

وقد كان نجمَ العلمِ فينا حياتَه ... فلمَّا انقضت أيامُه أَفَلَ النَّجم

[قلت: وقد ذكر صاحبُ «بيت مال العلوم» حكايةً تدلُّ على خَساسة نفسِ الأصمعيِّ وسقوطِ همَّته، فقال: روى السِّندي بنُ شاهك قال: ركب جعفرُ بن يحيى بنِ خالد يوماً بعيرَه، فاجتاز بباب الأصمعيِّ وقال لغلامه: إذا أشرتُ إليك فأعطِه ألفَ دينار، فلما نزل دارَ الأصمعيِّ فرأى زِيّاً عجيباً، رأى منزلَه أوسخ المنازل وأقذرَها، تحته مصلًّى عتيق[4]، وتحته بُردٌ خَلَق، وعمامةٌ عتيقة وسخة، وإلى جانبه حُبٌّ مكسور، وقصعة مُشعَّبة، وحصيرٌ قد اسودَّ من طول اللَّبث[5]، ومنارةٌ من خشب قد اسودَّت من الزيت، فوجم جعفر، وأخذ الأصمعيُّ يحادثه ويمازحه ويباسطه، فلم يدعْ مضحكةً ولا نادرةً إلَّا وأتى بها، وجعفرٌ واجم، وأشار لغلامه أن لا، ثم قام وخرج فلمَّا ركبا، قال السِّندي: [قام][6] جعفرٌ إليَّ وقال: يا سِندي، مَن استرعى الذئبَ ظلم ووضع النِّعمةَ في غير موضعها، ولقد نفخنا نحن وأميرُ المؤمنين في غير ضَرَم، إنَّ هذا يأخذ من مال اللهِ في كلِّ سنةٍ ما يبني به قصوراً، ويشتري به سراريَّ وغِلماناً وأثاثاً، ودوابَّ كثيرة،

---

(١) في تاريخه ١٢/ ١٦٨- ١٦٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): يرثيه.

(٣) كذا في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٩. وفي ذيل الديوان ص ٦٣٥، ونزهة الألباء ص ١٢٤: أسفت، وبها يصح الوزن.

(٤) رسمت في (ب) هكذا: مصلياً عتيقاً! والكلام ليس في (خ)، وينظر الخبر في عيون الأخبار ١/ ٢٩٩، وديوان المعاني للعسكري ١/ ١٢٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٧.

(٥) في (ب): اللبس.

(٦) ما بين حاصرتين ليس في (ب)، وانظر تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٧.

وقُرى، وهمَّته كما ترى، واللهِ لو عَلِمْنا أنه يكتم المعروفَ بفعله ما قبلنا قولَه.

فصل وفيها توفي][(١)]

عفانُ بن مُسلم

أبو عثمانَ الصفَّار [البَصْري]. من الطبقة السابعةِ من أهل البصرة، مولى عَزرةَ[(٢)] بن ثابتٍ الأنصاري.، ولد سنةَ أربعٍ وثلاثين ومئة.

وكان قد جمع بين العلمِ والزهد والسُّنة [فروى الخطيبُ[(٣)] بإسناده إلى حنبلِ بن إسحاقَ قال:] كتب المأمونُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم عامِله بالبصرة أن ادعُ عفانَ بن مسلمٍ إلى القول بخلق القرآن، فإن أجاب وإلَّا فاقطع عنه ما يجري عليه، وكان له في كلِّ شهرٍ] خمسَ مئةِ درهم، وقيل: في [كلِّ شهر] ألفَ درهم. فدعاه إسحاقُ وعرض عليه الكتاب، فقال له [عفَّان:] ما تقول في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أهذا مخلوق؟ فقال: ما أدري إلَّا أنَّه قد أمر بقطع ما يجري عليك، فقرأ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] واللهِ لا قلتُ هذا أبداً.

وكان في داره أربعون نَفْساً، فقال: اصبروا، فدقَّ [البابَ] داقّ، فأذن له، فدخل رجلٌ كأنه زيَّات أو سمَّان ومعه كيسٌ فيه ألفُ درهم، فقال له: يا أبا عثمان، ثبَّتك اللهُ كما ثبَّتَّ الدِّين، وهذا لك عندي في كلِّ شهر.

وقال الخطيب أيضاً عن عفَّان بن مسلم أنَّه أُعطي عشرةَ آلاف دينار على أن يسكتَ عن رجلٍ من أهل البصرة، فلا يقول: إنَّه عدلٌ، ولا: غيرُ عدل، فامتنع وقال: لا أضيِّع حقّاً من حقوق اللهِ تعالى[(٤)].

و [اختلفوا في وفاته: فقال ابنُ سعد:][(٥)] توفِّي ببغداد، وصلَّى عليه عاصم [بنُ عليٍّ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وذكر وفاته هنا وهم، وسيأتي الكلام عليه.

(٢) في (ب) و (خ): عروة، وهو تحريف. انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٣٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٠١، والمنتظم ١١/ ٦٠، وتهذيب الكمال، والسير ١٠/ ٢٤٢.

(٣) في تاريخه ١٤/ ٢٠٣-٢٠٤ وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) انظر تاريخه ١٤/ ٢٠٢-٢٠٣ ففيه قصة مشابهة.

(٥) في طبقاته ٩/ ٣٠٠، وما بين حاصرتين من (ب).

ابن عاصم] وكان ثقةً ثبتاً حجَّة، كثيرَ الحديث [ولم يذكر ابنُ سعد تاريخَ وفاته[(١)]، وحكى الخطيبُ عن الزِّيادي قال: مات في سنة عشرٍ ومئتين][(٢)]. وقال ابنُ سعد[(٣)]: سمعته يقول سنةَ عشرٍ ومئتين: أنا في ستٍّ وسبعين سنة [وقيل: مات في سنة تسعَ عشرة، أو في سنة عشرين ومئتين، والأولُ أشهر].

أسند عن شعبةَ والحمَّادَين وخلقٍ كثير. وروى عنه الإمام أحمدُ بن حنبل وابن مَعين وابنُ المديني[(٤)] [ومحمد بنُ سعدٍ صاحبُ «الطبقات»][(٥)] وأخرج عنه البخاريُّ في «صحيحه»، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وورعه.

[وفيها توفِّيت][(٦)]

عُلَيَّة بنتُ المَهدي

[أختُ هارونَ الرشيد] وأُمُّها أمُّ ولد اسمُها مكنونة، واشتُريت للمهدي بمئة ألفِ درهم، فغلبت عليه، وكانت الخَيْزُران تقول: ما ملك أَمَةً هي عليَّ أشدُّ منها، فولدت عُلَية سنةَ ستِّين ومئة.

وكانت عُلَية من أجمل النساءِ وأظرفهنَّ، وأكملِهنَّ عقلاً وأدباً، ونزاهةً وصيانة، وكان في جبهتها سَعةٌ تَشين وجهها، فاتَّخذت العصابةَ المكلَّلة بالجوهر لتسترَ جبينَها، فهي أول من اتخذها.

[قال جَدِّي رحمه اللهُ في «المنتظم»:][(٧)] كانت [عُلَية] لا تشرب النَّبيذ، وتقول: ما حرَّم اللهُ شيئاً إلا وجعل فيما أحلَّ عوضاً عنه، فبماذا يحتج العاصي؟!

---

(١) بل ذكر وفاته في سنة عشرين ومئتين. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) لم نقف عليه في تاريخه، والذي فيه - بأسانيده - أنه توفي سنة تسع عشرة أو عشرين ومئتين، ثم صحح الثاني، ولعل المصنّف تابع جده ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) في طبقاته ٩/ ٣٠٠.

(٤) في (خ): المهدي، والمثبت من (ب)، وهو الصواب.

(٥) في (خ): وغيرهم.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) ١٠/ ٢٣٠، وما بين حاصرتين من (ب).

[قال:] وكانت تقول: اللهمَّ لا تغفرْ لي حراماً أتيتُه قطّ، ولا عزماً على حرامٍ إن كنتُ عزمته، ولا استفزعني لهوٌ إلا ذكرتُ نسبي من رسول اللهِ ﷺ فقصَّرت عنه، ولا أقول ما أقول في شِعري إلَّا عبثاً.

وكانت تدخل على الرشيدِ فيُكرمها ويأمرها بالجلوس معه على سريره فتأبى.

وكانت تحبُّ المراسلةَ بالأشعار لمن تختصُّه [قال:] فاختصَّت خادماً للرشيد يقال له: طَلّ، فلم تره أياماً، فمشت على ميزابٍ حتى أبصرتْه وقالت: [من مجزوء الكامل]

قد كان ما كُلِّفتُه زمناً يا طَلُّ من وَجدٍ بكمْ يكفي
حتى أتيتُك زائراً عَجِلاً أَمشي على حَتْفي إلى حَتْفي[1]

فحلف عليها الرشيدُ ألَّا تكلِّم طلًّا ولا تسمِّيه باسمه، فضمنتْ له ذلك، فاستمع عليها يوماً وهي تقرأ: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥] [فقالت: فإن لم يصبها وابل، وإلَّا] فالذي نهاني عنه أميرُ المؤمنين، فدخل الرشيد، فقبَّل رأسها ووهب لها طلًّا.

وتزوَّجها موسى بنُ عيسى بن موسى بن محمدِ بن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس[2].

قال: وسببُ وفاتها أنَّ المأمونَ دخل عليها يوماً، فضمَّها إليه وقبَّل رأسها ووجهُها مغطًّى، فتأذَّت بذلك وشَرِقت وسَعَلت، ثم حُمَّت أياماً وماتت [في هذه السَّنة عن خمسين سنة. وهذا الذي ذكره جدِّي في «المنتظم»[3].

قلت:] ولها ديوانٌ مشهورٌ، فمن ذلك: [من مجزوء الكامل]

أوقعتِ في قلبي الهوى ونجوتِ منه سالمهْ
وبدأتِني بالوصل ثمَّ قطعتِ وَصْلي ظَالِمَه[4]

وقالت أيضاً: [من الكامل]

اليأسُ[5] بين جوانحي يتردَّد ودموعُ عيني تستهلُّ وتَنفَدُ

(١) أشعار أولاد الخلفاء ص ٥٦، والأغاني ١٠/ ١٦٣، والمنتظم ١٠/ ٢٣١.
(٢) كذا في (ب) و(خ) والمصادر، والذي في المنتظم ١٠/ ٢٣١ دون ذِكْر: ابن موسى. ينظر السير ١٠/ ١٨٧-١٨٨، ومصادر الترجمة ثمَّة.
(٣) ١٠/ ٢٣٢-٢٣٣. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) أشعار أولاد الخلفاء ص ٦٤، والمنتظم ١٠/ ٢٣١.
(٥) في أشعار أولاد الخلفاء ص ٧٥: الشوق، وما هنا موافق لما في المنتظم ١٠/ ٢٣١.

إنِّي لَأطمع ثم أنهض بالمُنى والبأسُ يجذبني إليه فأقعدُ

وقالت أيضاً: [من السريع]

أصابني بعدَكَ ضُرُّ الهوى واعتادني شوقٌ وإقلاقُ
قد يعلم اللهُ وحسْبي به أنِّي إلى وجهك مشتاقُ[1]

وقالت أيضاً: [من الوافر]

كتمتُ اسمَ الحبيبِ من العباد[2] وردَّدتُ الصَّبابةَ في فؤادي
فيا شوقي إلى بلدٍ خَليٍّ لعلِّي باسمِ مَن أهوى أُنادي

[وكان لها وكيلٌ يقال له: سباع، فكان يخونها في مالها ويتصدَّق به، فكتبت إليه تقول: [من الطويل]

أتسلبني مالي ولو جاء سائلٌ رقَقتَ له إن حطه نحوَك الفقرُ
كشافِيَةِ المرضى بعائدة الزِّنى تؤمِّل أجراً حيث ليس[3] لها أجر]

وكتبت إلى بعض الرؤساءِ شفاعة: سألني - أعزَّك الله - فلانٌ أن أكتبَ إليك في حقِّه، ورأيت حقَّه عليك شامله كحقِّه عليَّ بقصده لي، ولستُ برعاية حرمتِه أولى منك بإسعاف طِلْبته، إذ كان ما يَمتُّ به إليَّ من جهة القصدِ يوازي ما يمتُّ به إليك من الثقة بالقَبول، وهو في نفسه من رجال الشُّكر، ومعادن الحمدِ والأجر، فإن حَسُنَ في رأيك أن تقضيَ حقِّي عليك بقضاء حقِّه، وتحقِّقَ آمالَه بتحقيق رجائه، فإنَّه كالواصل إليّ، والمحسوبِ عليّ، وأن تهنِّئني وإياه في إيصال معروفِك وتعجيله وتضاعف موقعه بتسهيله، فعلتَ موفَّقاً إن شاء الله تعالى[4].

ولها[5] قصصٌ وأخبار [خشينا التطويل، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم].

---

(١) المنتظم ١٠/ ٢٣٢.

(٢) كذا في (ب) و(خ)، والذي في المصادر: عن العباد.

(٣) في (ب): لا، وهو خطأ، والمثبت من أشعار أولاد الخلفاء ص٦٣، والأغاني ١٠/ ١٨٣.

(٤) من قوله: وكتبت إلى بعض الرؤساء شفاعة .. إلى هنا، لم يرد في (ب).

(٥) في (خ): ولعُليَّة. وما سيرد بين حاصرتين من (ب).

ميخائيل بن جُرجُس

ملكُ الروم. كان ملكُه تسعَ سنين، ولمَّا مات، ملك بعده ابنُه توفيل. وقيل: كان ذلك في سنة تسعٍ ومئتين[١].

[وفيها توفي

هَوْذة بن خليفة

ابن عبد الله بن أبي بكرة، أبو الأشهب الثقفي البصري الحنفي. وأمه الزُّهرة بنت عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بكرة.

قال الخطيب: ولد هوذة سنة خمس وعشرين ومئة، وكان أطروشاً، وطلب الحديث وسمع الشيوخ، وكانت وفاته ببغداد في شوال في هذه السنة، ودفن خارج باب خراسان.

أسند عن ابن عون وأبي حنيفة النعمان وابن جريج وسليمان التيمي، وكانت كتبه قد ذهبت، فلم يرو عنه إلا القليل، وروى عنه محمد بن سعد كاتب الواقدي][٢].



(١) وهو الذي ذكرته المصادر دون غيره. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٠١، والمنتظم ١٠/ ٢٠٩، والكامل ٦/ ٣٩٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٩، والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٤.

(٢) قلت: إيراد ترجمته هنا خطأ، فوفاته في سنة ست عشرة ومئتين، وقيل: خمس عشرة. انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٣٤١، وتاريخ بغداد ١٦/ ١٤٦، وتهذيب الكمال، والسير ١٠/ ١٢٣.

السَّنة الحاديةَ عشرة بعدَ المئتين

فيها قدم السَّري بغدادَ لسبعٍ بقين من رجب، وأُنزل مدينةَ أبي جعفر، وأقام عبدُ الله ابن طاهرٍ بمصرَ والياً عليها وعلى الشام والجزيرة.

[وقال طاهرٌ الغسَّاني: وفيها كتب المأمونُ إلى ابن طاهر: [من الهزج]

أخـــــي أنـــــتَ ومـــــولايَ ومَـــن أَشْـــكُـــرُ نُـــعْـــمَـــاهُ

وقد ذكرنا الأبيات[1]].

وفيها قال رجلٌ من إخوة المأمون: إنَّ عبدَ الله بن طاهرٍ يميل إلى آل أبي طالب، وكذا كان أبوه من قبله، فدسَّ المأمونُ رجلاً وقال: اذهب في زِيِّ النُّسَّاك إلى مصر، وادعُ [جماعة][2] من كبرائها إلى القاسم بنِ إبراهيمَ بن طباطبا العَلَوي، واذكر ما فيه من الزُّهد والفضل، ثم صِر إلى ابن طاهرٍ فادعُه إليه ورغِّبه فيه، وائتني بما تسمع منه.

ففعل الرجلُ ما أمره به، ثم جاء فقعد على باب عبدِ الله بن طاهر، فلمَّا خرج دفع إليه رُقعة، فدخل دارَه وقرأها واستدعى الرجل، فدخل عليه، فقال له: هاتِ ما عندك، قال: ولي أمانُك وذمَّة اللهِ معك؟ قال: لك ذلك. فدعاه إلى القاسم، وأخبره بزُهده وفضله، قال له عبدُ الله: أَتنصفني؟ قال: نعم، قال: هل يجب شكرُ اللهِ على العباد؟ قال: نعم، قال: هل يجب شكرُ بعضِهم لبعض عند الإحسانِ والتفضُّل؟ قال: نعم، قال: فتجيءُ إليَّ وأنا في هذه الحالِ التي[3] ترى، لي خاتَمٌ في المشرق وخاتَمٌ في المغرب، وفيما بينهما أمري مطاعٌ وقولي مقبول، ثم ما التفتُّ يميناً ولا شِمالاً، ولا وراءً ولا قُدَّاماً، إلا أرى نعمةً لرجل أنعمها عليّ، ومنَّةً ختم بها رقبتي، ويداً لائحة بيضاءَ ابتدأني بها تفضُّلاً وتكرُّماً، تدعوني إلى الكفر بهذه النعمةِ وهذا الإحسان، وتقول لي: اغدُرْ بمن كان أوَّلاً لهذا الأمرِ وآخرِه، وَاسْعَ في سفك دمِه! أتراك لو

(١) في أحداث سنة ٢١٠. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦١٥.
(٣) في (خ): الذي، والمثبت من تاريخ الطبري.

دعوتَني إلى الجنَّة عِياناً فعلتُ ذلك، وكيف أكفر إحسانَه ومنَّته؟! فسكت الرجل، فقال له عبدُ الله: أما إنِّي قد بلغني خبرُك، وتاللهِ إنَّ أخوفَ ما أخاف عليك نفسُك، فارحل من هذا البلد.

فخرج الرجلُ وأتى المأمونَ فأخبره، فاستبشر وقال: ذاك غَرس يدي، وإِلفُ أدبي. ولم يعلم ابنُ طاهرٍ بذلك إلَّا بعد موتِ المأمون.

وأقام ابنُ طاهرٍ ظاهرَ مصرَ ولم يدخلْها، فقيل له في ذلك، فقال: قبَّح اللهُ همَّة فرعون، أيفتخر بقريةٍ من قرى الدنيا ويقول: أليس لي ملكُ مصر! واللهِ لا دخلتُها أَنفةً منه. ثم فرَّق في أهلها أربعةَ آلاف ألفِ دينار.

وفيها كتب المأمونُ إلى ابن طاهرٍ بالقدوم عليه إلى بغداد، فقدم عليه ومعه المتغلِّبون على الشام؛ كابن أبي الصفر[1] وابنِ أبي الجمل وغيرِهما، وتلقَّاه الناس، فلم يتخلَّف عنه سوى المأمون.

قال إسحاقُ بن إبراهيمَ الموصلي: لما ولَّى المأمونُ عبدَ الله بن طاهرٍ الجزيرةَ والشامَ ومصر، خرج بنفسه معه يودِّعه، وقد حلَّ من قلبه محلًّا عظيماً، وقال له: قد حكَّمتك في الأموال والرجالِ والأمصار، فقال: يا أميرَ المؤمنين، حسبي منها حُسنُ رأيك بي، واعلم أنَّ نصر اللهِ لمن أنت وليُّه، فقبَّل المأمونُ ما بين عينيه وقال: لا يقرب مكانَك من قلبي أخٌ أَثير، ولا ابنُ عمٍّ خطير، فنزل ابنُ طاهرٍ وقبَّل ركابَه ثم ودَّعه، وسار ابنُ طاهر إلى الجزيرة، فأباد الخوارجَ الذين كانوا بها، وجمع أموالَها، وفتح الشامَ ومصر، ثم عاد إلى بغداد، فلمَّا قرب منها قال المأمون: لا يبقى أحدٌ من الأقارب ولا من غيرهم إلّا ويخرج لاستقبال عبدِ الله وتقبيلِ ركابه، وكان في الجماعة المعتصمُ والعباس بنُ المأمون، وبقي ذلك في قلب المعتصم، ولما ولي الخلافةَ قال لي: يا إسحاق، لقد غرس المأمونُ في قلب ابنِ طاهر شجراً إن لم يُجتثَّ من أصله وإلَّا طالت فروعُه في الخلافة، فقلت: فما يمنعك؟ فتنفَّس الصعداءَ وقال: هيهاتَ هيهات! نَيلُ السماءِ أهونُ من ذلك، إنَّ معه من الأولياءِ مَن قد شاهد فعلَ المأمون معه، فلم تَخرج تلك الهيبةُ من قلوبهم، ثم تمثَّل: [من الطويل]

(١) في (ب): كأبي الصفر، وفي (خ): كأبي الشقر. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦١٨.

فـإنْ تُـمـكـن الأيـامُ مـن حِـيـلـتـي بـه تـرى ضـيـغـمـاً قـد هـرَّه بـابُ ضـيـغـمِ
وإلَّا فـهـذا فـي الـحـشـا غـيـرُ زائـلٍ تـذوب لـه نـفـسُ الـشـجـاع الـمـصـمِّـمِ

ثم قال: إياك أن يشردَ عنك هذا الكلام، فإنَّه ينفعك.

وفيها أمر المأمونُ منادياً ينادي: برئت الذمَّة ممَّن ذكر معاويةَ بن أبي سفيانَ بخير أو فضَّله على أحدٍ من الصحابة. وكتب إلى الآفاق بذلك، وأن أفضلَ العالمِ بعد رسولِ الله ﷺ عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

[وحجَّ بالناس صالحُ بن العباسِ بن محمد بن عليّ، وكان على مكَّة.

فصل][(١)] وفيها توفي

أبو العَتَاهِيَة الشاعر

واسمه إسماعيلُ بن القاسم بن سُويد بن كَيسان، أبو إسحاقَ العَنَزي[(٢)].

أصله من عَين التَّمر، ونشأ بالكوفة، وسكن بغداد، وكان يقول في الغَزَل والمدحِ والهجاء، ثم تنسَّك وصار يقول في الزُّهد والوعظ.

[وأبو العتاهية لقب له واختلفوا لمَ سمِّي بأبي العتاهية، فقال أبو زكريا يحيى بنُ عليٍّ التَّبريزي[(٣)]: العتاهية من التعتُّه، وهو التحسُّن والتزيُّن، وقد كان يتحسَّن في شبابه ويتزيَّن. وقيل: إنما لقِّب بذلك لاضطرابٍ فيه، قال الجوهري[(٤)]: المعتوه: الناقص، والتعتُّه: التجنُّن والرُّعونة. وقال أبو عُبيد: وأبو العتاهية كُنيته.

وأبو العتاهية شاعرٌ مشهور، انتشر شعرُه وسار ذِكره، وكان يحبُّ الخلاعة، ثم عدل إلى الحِكَم والرَّقائق.

وذكر الخطيب[(٥)] سببَ عدوله إلى المواعظ والزُّهدِ فقال: حدَّثنا أبو حنيفةَ المؤدِّبُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب) و (خ): العنبري، والمثبت من المصادر. انظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٩١، والأغاني ٤/ ١، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، والمنتظم ١٠/ ٢٣٦، والوفيات ١/ ٢١٩، والسير ١٠/ ١٩٥.

(٣) في شرح ديوان الحماسة ٤/ ٥٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في الصحاح (عته).

(٥) في تاريخه ٧/ ٢٣٥.

بإسناده إلى] أبي سلمةَ الغَنَويِّ[(١)] قال[(٢)]: قلت لأبي العتاهِيَة: ما الذي صرفك عن الغزل إلى الزُّهد؟ فقال: إذن واللهِ أُخبرك، إني لمَّا قلت: [من المنسرح]

اللهُ بيني وبين مولاتي أهدت[(٣)] لي الصَّدَّ والمَلالاتِ
هيَّمني حبُّها وصيَّرني أُحدوثةً في جميع جاراتي

رأيتُ في المنام تلك الليلةَ كأنَّ آتياً أتاني فقال: يا إسماعيل، ما وجدتَ أحداً يدخل بينك وبين عتبةَ يحكم لك عليها بالمعصية إلَّا اللهُ تعالى! تبّاً لك. قال: فانتبهت مذعوراً، وتبتُ إلى الله تعالى من ساعتي من قولي الغزل.

[قلت:][(٤)] وهذه عُتبةُ جارية المَهدي، كانت تخرج من دار المهدي مع الخدم فتشتري الدُّرَّ[(٥)] والمصاغَ وغيرَه، فرآها أبو العتاهية، فهَوِيها وشبَّب فيها في شِعره.

[وقد ذكرها الخطيبُ فقال[(٦)]: أخبرني ابنُ أيوبَ القُمِّي [بإسناده][(٧)] عن أبي شعيبٍ أحمدَ بن يزيدَ قال: قلتُ لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، حدِّثْني بقصَّتك مع عتبة، فقال: نعم، قدمنا من الكوفة ثلاثة فتيانٍ شباب، وليس لنا ببغدادَ من نقصده، فنزلنا بالقُرب من الجسر في غرفة، وكنا نبكِّر في مسجدٍ بباب الجسر كلَّ غداة، فمرَّت بنا امرأةٌ راكبة ومعها خدَّام سودان، فقلنا: مَن هذه؟ فقالوا: خالصة، فقال أحدُنا: قد عشقتُها، وعمل فيها شعراً، وأَعنَّاه.

ثم لم يلبث إذ مرَّت امرأةٌ أخرى راكبة ومعها خدمٌ بيض، فقلنا: مَن هذه؟ فقالوا: عُتبة، فقلت: قد عشقتها، ولم أعملْ فيها شعراً. فلم نزل كذلك كلَّ يومٍ إلى أن التأمت لنا أشعارٌ كثيرة، فدفع صاحبي شِعرَه إلى خالصة، ودفعت أنا شعري إلى عُتبة، وألححنا إلحاحاً شديداً، فمرَّةً تُقبل أشعارُنا ومرَّة تُطرد، إلى أن أخذوا في طردنا.

---

(١) في (ب) و (خ): العنبري، والمثبت من تاريخ بغداد.
(٢) في (خ): قال أبو سلمة.
(٣) في تكملة الديوان ص ٥٠٥: أبدت.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ): البر، والمثبت من (ب).
(٦) في تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٠. وما بين حاصرتين من (ب).
(٧) ما بين حاصرتين ليس في (ب)، وانظر تمام الإسناد في تاريخ بغداد.

فجلست عتبةُ يوماً في سوق الجوهر، فلبستُ ثيابَ راهبٍ وجلست إلى شيخٍ صائغ، وقلت له: قد رغبتُ في الإسلام على يد هذه المرأة، فقام معي ومعه جماعة، فقالوا: إنَّ الله قد ساق إليكِ أجرَ هذا الراهب، ويريد أن يسلمَ على يديك، فقالت: هاتوه، فدنوت منها وأسلمت، وقطعت الزُّنَّار وقبَّلت يديها، فعرفتني، فقالت: نحُّوه لعنه الله، فقالوا: قد أسلمَ فلا تلعنيه، فقالت: إنَّما لعنته لقذره.

فعرضوا عليَّ كسوة، فأبيت وقلت: إنَّما كان قصدي أن أتشرَّفَ بولائها. ثم انصرفتْ فشكت إلى خالصة، وقالت: ليس يخلو إمَّا أن يكونا مستأكِلَين أو عاشقين، فنحن نمتحنهما بمال، فإنْ قبلاه كانا مستأكلين، وإلَّا فهما عاشقان.

فلمَّا كان من الغد، مرَّت خالصة، فتعرَّض لها صاحبي، فقالت له الخدم: اِتْبعنا، فتبعهم، فمرَّت عتبة، فقال لي الخدم: اتبعنا، فتبعتُهم، فمضت إلى منزل، ثم دعت بي وقالت: يا هذا، إنك شابٌّ وأرى بك أدباً، وأنا حُرمةُ الخليفة، فإن أنت كففتَ وإلا أنهيتُ حالَك إليه، ولا آمن عليك. قال: فقلت: أسألك بالله إلَّا فعلت[1]؛ فإنَّ سفكَ دمي أهونُ عليَّ مما أُقاسي في حبِّك، فقالت: لا تفعل، واتَّقِ الله في نفسك، وخذ هذه الخمسَ مئة دينارٍ واخرج عن هذا البلد.

فلما سمعتُ ذِكرَ المال ولَّيت هارباً، فقالت: ردُّوه، فردُّوني، وقلت: جُعلت [فداكِ] ما أصنع بعرضٍ من الدنيا وأنا [لا][2] أراك! فقالت: خذ ألفَ دينار واخرج، فقلت: لو أعطيتيني جميعَ مالِ الخليفة ما كانت لي فيه حاجةٌ بعد أن لا أراك.

ثم قمتُ وخرجت، وأتيت الغرفَة التي نزلنا بها، وإذا صاحبي مورَّمُ الأُذنين، وقد امتُحن بمثل ما امتُحِنْتُ به، فلما مدَّ يده إلى المال، أمرت خالصةُ بصفعه وضربه، وحلفتْ إن وقف لها بعد ذلك لَتودعنَّه الحبس، ثم التقتا فأخبرتها عتبةُ الخبر، فصحَّ عندها أني محبٌّ محقّ.

فلمَّا كان بعد أيام، دعتني عتبةُ فقالت: بحياتي عليك، إن كنتَ تحبُّني فخذ ما

(١) في (ب): تفعلي. والمثبت من تاريخ بغداد.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

يعطيك الخادمُ فأَصلح به من شأنك، فقد غمَّني سوءُ حالك، فامتنعتُ، فقالت: ليس هذا مما تظنّ، ولكن لا أحبُّ أن أراك في هذا الزِّيّ، قال: فأخذت الصُّرَّةَ - وفيها خمسُ مئة دينار[١] - فغيَّرت من حالي. وهذا حديثٌ مختصر.

وروى الخطيبُ بإسناده إلى] أشجعَ السُّلميّ[٢] قال[٣]: أذن [لنا] المهديُّ [و] للشُّعراء في الدُّخول عليه، فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتَّفق أن جلس إلى جانبي بشارُ ابن برد، فقال: يا أشجع، مَن هاهنا؟ قلت: أبو العَتَاهية، قال: أتراه يُنشد في هذا المحفل؟ قلت: ما أعلم، فقال له المهديّ: أنشِدْ، فأَنشد: [من المتقارب]

ألا مـــا لـــسـيِّــدتـــي مـــالَــهـــا

فقال بشار: ويحك، رأيتَ أجسرَ[٤] من هذا يُنشد مثلَ هذا في هذا الموضع؟! فلمَّا بلغ إلى قوله:

أتـــتـــه الـــخـــلافـــةُ مـــنـــقـــادةً ... إلـــيـــه تـــجـــرِّر أذيـــالَـــهـــا
ولـــم تَـــكُ تـــصـــلـــح إلَّا لـــه ... ولـــم يَـــكُ يَـــصـــلـــح إلَّا لـــهـــا
ولـــو رامـــهـــا أحـــدٌ غـــيـــرُه ... لَـــزُلـــزلـــت الأرضُ زِلـــزالَـــهـــا
ولـو لـم تُـطـعْـه سَـخَـاً بـالـنُّـفـوس[٥] ... لَـــمـــا قـــبـــل اللهُ أعـــمـــالَـــهـــا

فقال له بشَّار: ويحك يا أشجع، هل طار الخليفةُ من الفُرُش؟! قال أشجع: فما انصرف أحدٌ من ذلك المجلسِ بجائزة غيرُ أبي العتاهية.

و[حكى الخطيبُ[٦] عن] العُتبيِّ قال[٧]: رُئي مروانُ بن أبي حفصةَ واقفاً بباب الجسر كئيباً حزيناً أسفاً، ينكت بسَوطه في مَعْرَفة[٨] دابَّته، فقيل له: يا أبا السِّمط، ما الذي بك؟

---

(١) في تاريخ بغداد: ثلاث مئة دينار.
(٢) في (ب) و (خ): الأسلمي، والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٣.
(٣) في (خ): وقال أشجع ....، وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (ب) و (خ): أحسن، والمثبت من تاريخ بغداد.
(٥) في تاريخ بغداد: بنات النفوس، وفي تكملة الديوان ص ٦١٣: بنات القلوب.
(٦) في تاريخه ٧/ ٢٣٤-٢٣٥.
(٧) في (خ): وقال العتبي.
(٨) الموضع الذي ينبت عليه العُرف. مختار الصحاح (عرف).

فقال: أُخبركم بالعَجَب، مدحتُ أميرَ المؤمنين، ووصفت له [ناقتي من خِطامها إلى خُفِّها، ووصفت له الفيافي من اليمامة إلى بابه][1] أرضاً أرضاً ورَمْلةً رَمْلة، حتى إذا أَشفيتُ منه على غنى الدَّهر، جاء ابنُ بيَّاعة الفخاخير - يعني أبا العَتاهية - فأنشده بيتين، فضعضع بهما شِعري وسوَّاه في الجائزة بي، قيل: وما البيتان؟ فأنشد: [من الكامل]

إنَّ المطايا تشتكيك لأنَّها ... قطعتْ إليك سَبَاسِباً ورِمالا

فإذا رَحَلْنَ بنا رَحَلْنَ مُخِفَّةً ... وإذا رجعْن بنا رجعن ثِقالا[2]

[وحدَّثنا غيرُ واحد: حدَّثنا إسماعيلُ بن أحمدَ السمرقنديُّ بإسناده إلى أبي الحسين ابنِ المنادي قال: أنشدني يوسفُ بن يعقوبَ لأبي العَتَاهية][3] [من الخفيف]

كم يكون الشتاءُ ثم المَصِيفُ ... وربيعٌ يمضي ويأتي خريفُ

وانتقالٌ من الحَرور إلى الظِّلِّ ... وسيفُ الرَّدى عليك مُنيفُ

يا قليلَ البقاءِ في هذه الدا ... رِ إلى كم يَغرُّكَ التسويفُ

عجباً لامرئٍ يذلُّ لذي دُنـ ... ـيا[4] ويكفيه كلَّ يومٍ رغيفُ

و[روى ابنُ ناصرٍ بإسناده إلى أبي بكرٍ الأُموي قال:][5] قال الرشيدُ لأبي العتاهية: الناسُ يزعمون أنك زِنديق، فقال: يا أمير المؤمنين كيف أكون زنديقاً وأنا الذي أقول: [من الخفيف]

أيا عَجَباً كيف يُعصى الإلـ ... ـهُ أم كيف يجحده الجاحدُ

ولله في كلِّ تسكينةٍ ... وفي كل تحريكةٍ شاهد[6]

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنَّه واحد

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وورد فيها: يافة، بدل: بابه. والمثبت من المصادر.

(٢) تكملة الديوان ص ٦٠٦.

(٣) في (خ): ومن شعره، وانظر المنتظم ١٠/ ٢٤١.

(٤) في تكملة الديوان ص ٥٨٠: لمخلوق.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر المنتظم ١٠/ ٢٤١.

(٦) رواية الديوان ص ١٠٤.

ولله في كل تحريكة ... علينا وتسكينة شاهد

و[روى الصُّولي عن] هارونَ بن سعدٍ قال[١]: كنتُ جالساً مع أبي نُواس في بعض طرقِ بغداد، وبنو هاشم والأشرافُ يمرُّون به ورِجلُه ممدودة، فيسلِّمون عليه، وما يلتفت وما يكفُّ رِجلَه، إذ أقبل شيخٌ على حمارٍ وعليه رداء، فقام إليه أبو نُواس وعانقه وجعل يحادثه، وأطال الوقوف، وجعل يرفع إحدى رِجلَيه ويضع الأخرى من الإعياء، فلما انصرف الشيخُ قلت لأبي نُواس: مَن هذا الشيخُ الذي عظَّمتَه هذا التعظيمَ وأجللتَه هذا الإجلال؟! فقال: هذا أبو العَتَاهية، فقلت: فأنت عند الناسِ أكبرُ منه! فقال: مَهْ، فواللهِ ما رأيته قطُّ إلا وتوهَّمتُ أنه سماويٌّ وأنا أرضيّ.

وقال أبو تمَّام الطائي: قد قال أبو العَتَاهية شِعراً لم يَشركْه أحدٌ فيه، منه [قولُه في موسى الهادي:] [من المتقارب]

ولـمَّـا اسـتـقـلُّـوا بـأثـقـالـهـمْ ... وقـد أَزمـعـوا بـالـذي[٢] أزمـعـوا
قـرنـتُ الـتـفـاتـي بـآثـارهـمْ ... وأَتْـبـعـتـهـمْ مُـقـلـةً تـدمـعُ

ومنه: [من الوافر]

هَـبِ الـدُّنـيـا تُـسـاق إلـيـكَ عـفـواً ... ألـيـس مـصـيـرُ ذاك إلـى زوالِ[٣]

ومنه: [من مجزوء الكامل]

الـنـاسُ فـي غَـفَـلاتـهـمْ ... ورحـى الـمـنـيَّـة تَـطـحـنُ[٤]

ومنه: [من الطويل]

ألـم تـرَ أنَّ الـفـقـرَ يُـرجَـى لـه الـغِـنـى ... وأنَّ الغنى يُخشى عليه من الفقرِ[٥]

ومنه: [من الطويل]

وإنِّـي لَـمـشـتـاقٌ إلـى ظِـلِّ صـاحـبٍ ... يـروقُ ويـصـفـو إنْ كَـدَرتُ عـلـيـهِ[٦]

[وهذا البيتُ له قصَّة نذكرها في ترجمة المأمون.

---

(١) في (خ): وقال هارون بن سعد.
(٢) في تكملة الديوان ص ٥٧٤: للذي.
(٣) الديوان ص ٢٩٧.
(٤) الديوان ص ٣٨١.
(٥) وينسب أيضاً لدعبل. انظر ديوانه ص ٤٤٩- ٤٥٠، وديوان أبي العتاهية ص ١٤٥ .
(٦) الأغاني ١١/ ٣٤٦، والتذكرة الحمدونية ٩/ ٤٠.

وقال الصُّولي][1]: وقف أبو العتاهيةِ بباب رجل، فحجبه، فقال: [من الطويل]

لَئن عدتُ بعد اليومِ إني لَظالمٌ ... سأصرفُ وجهي حيث تُبغَى المكارمُ
متى يظفرُ الغادي إليك بحاجةٍ ... ونصفُك محجوبٌ ونصفُك نائم[2]

وقال: [من البسيط]

يا مَن تشرَّف بالدنيا وزينتِها ... ليس التشرُّفُ رفعَ الشِّيدِ والطينِ[3]
إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهم ... فانظرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مسكين
ذاك الذي عَظُمَت في الله نعمتُه ... وذاك يصلح للدُّنيا وللدِّين

وكان أبو العَتَاهية مع فضلِه إذا سمع شعراً رائقاً ولفظاً فائقاً يعترف بفضل قائِله، ويبكي بكاءَ مَن أُصيبت مقاتلُه.

ذكرُ وفاته:

[روى الخطيبُ عن][4] أحمدَ بن عليٍّ بن مرزوقٍ قال[5]: دخلتُ عليه وهو يجود بنفسه ويقول: [من مجزوء الكامل]

يا نفسُ قد مثَّلتُ حا ... لي هذه لكِ منذ حينِ
وشككتِ أنِّي ناصحٌ ... لكِ فاشتملتِ على الظُّنونِ[6]
فتأمَّلي ضعفَ الحَرا ... كِ وكَلَّه بعدَ السُّكونِ
وتيقَّني أنَّ الذي ... بكِ من علامات المنونِ

و[اختلفوا في وفاته، فقال الخطيب:][7] مات سنة إحدى عشرةَ ومئتين ببغداد يومَ الخميس لتسعٍ[8] خلونَ من جُمادى الآخرة، ودُفن على جانب نهرِ عيسى قُبالةَ قنطرة

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) تكملة الديوان ص ٦٣٣.
(٣) في الديوان ص ٣٩٢: رفع الطين بالطين.
(٤) في تاريخه ٧/ ٢٣٦-٢٣٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ): قال أحمد بن علي بن مرزوق.
(٦) في تكملة الديوان ص ٦٥٧، وتاريخ بغداد: فاستلمت إلى الظنون.
(٧) في تاريخه ٧/ ٢٣٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٨) في تاريخ بغداد: يوم الاثنين لثمان ليال ...

الزيَّاتين. وقيل: مات سنةَ اثنتي عشرة[1]. وقيل: ثلاثَ عشرةَ ومئتين وله تسعون سنة[2].

وقال [الخطيب[3]: حدَّثني عبدُ العزيز بن عليّ الورَّاق قال: سمعتُ عُبيد الله[4] بنَ أحمد المقرئَ يقول: سمعت محمدَ بن مَخلدٍ العطارَ يقول: سمعت] إسحاقَ بن إبراهيمَ البغويَّ [يقول:] قرأتُ على قبر أبي العتاهية: [من مجزوء الخفيف]

أُذْنَ حـيٍّ تـسـمَّـعـي ... إِسـمـعـي ثـم عِـي وعِـي
أنـا رهـنٌ بـمـصـرعـي ... فـاحـذري مـثـلَ مَـضـجـعـي[5]
عـشـتُ تـسـعـيـن حِـجَّـةً ... ثـم فـارقـتُ مَـجـمـعـي
لـيـس زادٌ سـوى الـتُّـقـى ... فـخُـذي مـنـه أو دَعـي

[وفيها توفي][6]

عبدُ الرزاق بن همَّام بنِ نافع

أبو بكرٍ الصَّنعاني الحِميَري، مولًى لحمير [ذكره ابنُ سعد][7] في الطبقة الرابعةِ من أهل اليمن. وقيل: مات باليمن في النِّصف من شوَّال سنةَ إحدى عشرةَ ومئتين.

[هذا صورةُ ما قاله ابنُ سعد، وقال غيره:] ولد في سنةِ ستٍّ وعشرين ومئة، وهو من الأبناء من اليمن.

[ذِكر طَرفٍ من أخباره:][8]

حكى عبدُ الله بنُ الإمام أحمدَ بن حنبل عن أبيه حديثَ رحلته إلى عبد الرزاق فقال: حدَّثني أبي فقال: قدمتُ صنعاءَ أنا ويحيى بنُ مَعين وأبو خيثمةَ زهيرُ بن حرب، وكنَّا

---

(١) لم نقف على هذا القول، وفي الأغاني ٤/ ١١١ قولان آخران: سنة تسع ومئتين، وسنة عشر ومئتين.
(٢) في السير ١٠/ ١٩٧: وله ثلاث وثمانون سنة أو نحوها.
(٣) في تاريخه ٧/ ٢٣٧-٢٣٨. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (ب): محمد بن عبد الله. والمثبت من تاريخ بغداد.
(٥) في تاريخ بغداد:
أنـا رهـنٌ بـمـضـجـعـي ... فـاحـذري مـثـل مـصـرعـي
(٦) مابين حاصرتين من (ب).
(٧) في طبقاته ٨/ ١٠٨. وما بين حاصرتين من (ب).
(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

قد حججنا في ذلك العام، فلما أتينا منزلَ عبدِ الرزاق وكان بقريةٍ يقال لها: الرَّمادة، وتخلَّف يحيى بنُ معين، فلما جئت منزلَه ذهبت لأدقَّ الباب، فقال لي رجل: لا تدقّ؛ فإنَّ الشيخ مَهيب.

فجلستُ من العصر إلى المغرب، فخرج، فقمتُ إليه وفي يدي أحاديثُ قد انتقيتُها، فسلَّمت عليه وقلت له: حدِّثني بهذه الأحاديثِ فأنا رجلٌ غريب، فقال: مَن أنت؟ قلت: أحمدُ بن حنبل، قال: أبو عبدِ الله؟ قلت: نعم، فضمَّني إلى صدره، وصلَّى المغرب، وقرأتُ عليه الأحاديث، فسلَّم إليَّ مفتاحَ البيت الذي فيه كتبُه وقال: أنت أمينُ اللهِ على هذه الكتب، فهذا بيتٌ ما دخله غيري منذ ثمانين سنة.

قال الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه: فكتبتُ عنه ثلثي العلم، وجاء ابنُ معينٍ وأبو خيثمة، فأنزلنا وأكرمنا، وخصَّني من دونهم ببيته الذي فيه الكتب، وكان قد كتب إليه أصحابُه من مكَّة: قد قدم عليك الحفَّاظ، فانظر كيف تكون.

وكان عبدُ الرزاق يقول: كتب عني ثلاثةٌ لا أبالي مَن لا يكتب عني غيرَهم: أحمدُ ابن حنبل، وابنُ معين، والشاذَكُوني، فأحمد أزهدُ الناس، وابن مَعينٍ أعرفُهم بالرجال، والشاذكونيُّ أحفظُ الناس.

[وروى الحافظ ابنُ عساكر عن][1] فيَّاض بن زهيرٍ النَّسائي قال[2]: قدمنا على عبد الرزَّاق، فامتنع علينا، فتشفَّعنا إليه بامرأته، فلمَّا دخلنا عليه قال: تشفَّعتم إليَّ بمن يبيت معي في فراشي! ثم أنشد: [من البسيط]

ليس الشفيعُ الذي يأتيك متَّزراً ... مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا[3]

[وفي روايةٍ[4] أنَّه قال لهم: أما سمعتم قولَ عمرو بن معدي كَرِب: [من الوافر]

إذا لم تستطعْ أمراً فدعْهُ ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وحدَّثنا غيرُ واحدٍ عن إسماعيلَ بن أحمدَ بإسناده إلى إبراهيمَ بن عبدِ الله بن همامٍ

(١) في تاريخه ٤٢/ ٢١٣. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): وقال فياض بن زهير النسائي.
(٣) البيت للفرزدق، انظر الشعر والشعراء ١/ ٤٧٧، والأغاني ٢١/ ٢٨٧.
(٤) انظر تاريخ دمشق ٤٢/ ٢١٣. وما بين حاصرتين من (ب).

قال: سمعتُ] عبدَ الرزاق يقول[١]: حججتُ فقدمت المدينة، فطلبت الدخولَ على مالك بنِ أنس، فحجبني ثلاثةَ أيام، ثم أذن للنَّاس، فدخلتُ معهم، وإذا به جالسٌ على الخزِّ يتقلب في فُرُش الحرير، فقلت: حدَّثني مَعمر، عن الزُّهري، عن سالم، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ في جهنَّمَ رحًى تطحن جبابرةَ العلماءِ طحناً» فقال مالك: مَن هذا الذي يروي عن معمر؟! فقلت: أنا عبدُ الرزاق بن همَّام، فقال: يا أبا بكر، وإنَّك لَهُو! واللهِ ماعلمتُ بقدومك، ولو علمت لتلقَّيتك. ثم أخرج إليَّ كتبَه فكتبت منها.

[وقد أخرج ابنُ عساكرٍ الحافظُ هذا الحديثَ في تاريخه[٢] وقال: هذا الحديثُ في إسناده إبراهيمُ بن عبد اللهِ بن همَّام، كان كذَّاباً.

قلت: هذا الحديثُ وإن كان ضعيفاً فمعناه صحيح، ودلَّت عليه الأخبار][٣].

وقال عبدُ الرزاق: كان أحمدُ بن حنبلٍ يكتب مني الحديث، وابنُ مَعين يكتب الحديثَ والشِّعر، فأنشدتُ يوماً: [من السريع]

كُنْ موسِراً إن شئتَ أو معسِراً ... لا بدَّ في الدنيا من الهمِّ
وكلَّما زادك من نعمةٍ ... زاد الذي زادك من غَمٍّ[٤]

فكتبهما أحمدُ بن حنبل عنِّي.

[ذِكر وفاته:

حكينا عن ابن سعدٍ أنَّه قال: مات عبدُ الرزاق في نصف شوَّال من هذه السَّنة. قال[٥]: ولأبيه همَّام بن نافعٍ رواية، روى عن سالم بنِ عبد الله وغيرِه. وقال أحمدُ بن حنبل: مات عبدُ الرزاق وله ستٌّ وثمانون سنة].

أسند عبدُ الرزاق عن الأوزاعيّ [وسعيدِ بن عبد العزيز، ومحمد بن راشدٍ المكحولي، وإسماعيلَ بن عيَّاش، ومالك بن أنس، وسفيانَ الثوري، وثورِ بن يزيد،

(١) في (خ): وقال عبد الرزاق.
(٢) ٤٢/ ٢١٤-٢١٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) إلا أن ما نسب فيه إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى من التقلب على فرش الحرير، مُنكَر ليس بصحيح.
(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢١١.
(٥) في طبقاته ٨/ ١٠٨. وما بين حاصرتين من (ب).

ومَعْمر بن راشد، وابن جُرَيج وعبد الرحمن بن زيدِ بن أسلم، وقيسِ بن الربيع، وابن عُيينة، وأيمن بن نابِل][1] وخَلقٍ كثير.

وروى عنه الإمامُ أحمد بنُ حنبل، وابن مَعين [وأبو خَيثمة] وابن راهُويه [والشاذَكوني، ومحمدُ بن يحيى الذُّهْلي، وابنُ المَديني وغيرُهم في آخرين.

قلت:][2] وقد تكَّلموا فيه بعلَّة ذهابِ بصره [روى الحافظ ابنُ عساكرٍ[3] عن أحمدَ ابن حنبل قال: أتيناه قبل المئتين وهو صحيحُ البصر، ثم ذهب بصرُه بعد ذلك، فمن سمع منه قبلَ ذهابِ بصره فهو صحيح، أما بعدَ ذهابِ بصره فضعيفُ السَّماع. وقال ابنُ عساكر: كان عبدُ الرزاق أحدَ الثِّقات المشهورين، قدم الشامَ، وسمع من زكريا[4]. وضعَّفه النَّسائي بعلَّة ذهابِ بصره[5]. وقال أحمدُ العِجلي: كان عبدُ الرزاق ثقةً] وكان يتشيَّع فلا يرى تقديمَ عثمانَ على عليٍّ رضي الله عنهما[6].

[وذكروا يوماً عنده معاوية، فقال: لا تقذِّروا مجلسَنا بِذكره. قال [عبدُ الله بن][7] أحمدَ بن حنبل: وسألتُ أبي عن هذا فقال: أمَّا أنا فلم أسمعْ منه هذا، ولم أسمعْ منه شيئاً من هذا].

وقال أبو زكريا غلامُ أحمدَ بنِ أبي خيثمة: كنتُ جالساً في مسجد الرُّصافة وفيه ابنُ معين، فجاءه رسولُ أحمدَ بن حنبلٍ فقال له: أخوك أحمدُ يسلِّم عليك ويقول: إنك تُكثر الحديثَ عن عُبيد الله بنِ موسى العَبْسي، وأنت وأنا سمعناه يتناول معاويةَ بن أبي سفيان، وقد تركتُ الحديثَ عنه. فقال ابنُ معين: سلِّم على أبي عبدِ الله وقل له: أنا وأنت سمعنا عبدَ الرزاقِ يتناول عثمان، فاترك الحديثَ عنه؛ فإنَّ عثمانَ أفضلُ من معاوية.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في تاريخه ٤٢/ ٢٠٦. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) كذا في (ب)، وفي تاريخ دمشق ٤٢/ ١٩٧: قدم الشام تاجراً وسمع بها الأوزاعي وسعيد بن بشير، وذكر آخرين، ولم يرد فيهم ذِكْر لزكريا، ولعلَّه زكريا بن إسحاق المكي، كما في تهذيب الكمال.
(٥) انظر كتاب الضعفاء والمتروكين ص ٧٠.
(٦) ينظر الثقات للعجلي ص٣٠٢.
(٧) ما بين حاصرتين ساقط من (ب)، وانظر تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٢٢.

ثم قال ابنُ مَعين: واللهِ لقد سمعتُ من عبد الرزاق أنا وأحمدُ بن حنبلٍ أعظمَ مما سمعتُ من العبسي، ولكن خاف أحمدُ أن تذهبَ رحلتُه إلى عبد الرزاق.

قال المصنِّف رحمه الله: ولم يرجع ابنُ مَعينٍ عن الرِّواية عن عبد الرزاق؛ لأجل الرِّحلة، وقال: ولو ارتدَّ ما تركنا حديثَه.

وقال أبو أحمدَ بنُ عَدِي: كان عبدُ الرزاق ثقةً كثيرَ الحديث، رحل إليه الأئمَّة، إلَّا أنهم نسبوه إلى التشيُّع، وروى أحاديثَ في الفضائل أنكرها عليه الحفَّاظ، فهذا أعظمُ ما رمَوه به(١).

وكان(٢) عبدُ الرزاق يقول: أخزى اللهُ سِلْعَةً لا تَنفُق [إلَّا](٣) في آخر العُمر بعد الكِبَر والضَّعف، حتى إذا بلغ الرجلُ مئةَ سنةٍ كتبوا عنه، فإما أن يقال: كذَّاب، فيُبطلون حديثَه، وإما أن يقال: مبتدع، فيبطلون عِلمَه، وما أقلَّ مَن ينجو من ذلك.

[وفيها توفي]

مُعلَّى(٤) بنُ منصور

أبو يعلى الرازيُّ الحنفي [صاحبُ أبي يوسفَ ومحمد، وذكره ابنُ سعدٍ(٥) فيمن نزل بغدادَ من الفقهاء، قال: وطلب الحديث. وقال الخطيب(٦): نزل قطيعةَ الربيعِ بالكَرخ، وأثنى عليه. أخذ الفقهَ عن أبي يوسف] سُئل عن القرآن فقال: مَن قال: إنَّه مخلوق فهو كافر، وطُلب للقضاء [مِراراً] فامتنع.

[وقال الخطيبُ بإسناده إلى إبراهيمَ بن سعيدٍ قال: أحضر المأمونُ موسى بنَ

---

(١) الكامل ٥/ ١٩٥٢. وليس فيه: كان عبد الرزاق ثقة.

(٢) في (ب): وقال النسائي: كان عبد الرزاق . . . ولم نقف على الخبر عن النسائي بل أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٢١٥-٢١٦ عن سلمة بن شبيب، عن عبد الرزاق، به.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢١٥، وتنظر ترجمته أيضاً في السير ١٠/ ٣٦٥، وتهذيب الكمال.

(٤) في (خ): يعلى، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.

(٥) في طبقاته ٩/ ٣٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في تاريخه ١٥/ ٢٤٩.

سليمان[١] الجُوزجاني ومعلَّى الرازي، فعرض على موسى القضاءَ فامتنع، فأقبل على معلَّى فقال له مثلَ ذلك، فقال: لا أصلح، قال: ولِمَ؟ قال: لأني رجلٌ أُداين، فأنا بين مطلوبٍ وطالب، قال: نأمر بقضاء ديونِك وتتقاضى ديونَك، فمن أعطاك قبلنا منه، ومن لم يُعطِك عوَّضناك بمالك عليه، قال: ففيَّ شكوكٌ في الحكم، وفي ذلك تلفُ أموالِ الناس، قال: يحضر مجلسَك أهلُ الدِّين إخوانُك، فما شككتَ فيه سألتهم عنه، وما صحَّ عندك أمضيتَه، فقال: يا سبحانَ الله! فأنا أرتاد منذ أربعين سنةً رجلاً أُوصي إليه فما أقدر عليه، فمن أين أجد مَن يُعينني على قضاء حقوقِ الله الواجبةِ حتى أأتمنَه! أعفني. فأعفاه.

وروى الخطيبُ[٢] عن ابن مَعينٍ قال:] كان معلى يوماً يصلِّي، فوقع على رأسه كُورُ الزَّنابير، فما التفَتَ ولا انفتلَ حتى أتمَّ صلاته، فنظر، فإذا رأسُه قد صار هكذا من شدَّة الانتفاخ.

و[قال خليفةُ[٣] والخطيب[٤]:] مات [المعلَّى] ببغدادَ سنةَ إحدى عشرةَ أو اثنتي عشرةَ ومئتين.

[وقال الخطيب][٥]: حدَّث [ببغدادَ] عن مالك بنِ أنس [والليثِ بن سعد، وأبي عَوَانة، وشريكٍ القاضي، وابن لَهِيعة، وموسى بن أَعْيَن، ويحيى بنِ زكريا بنِ أبي زائدة، وأبي بكرٍ بن عياش، وهُشَيم] وغيرهم[٦].

وروى عنه ابنُ المديني وغيرُه، ولم يسمع منه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه، وكان في قلبه غُصَص من أحاديثَ ظهرت على الملأِ كان يحتاج إليها، وإنَّما لم يسمع منه لأنَّه كان يكتب الشُّروط، وكاتبُها لا يخلو من التزيُّد في الكلام، فتورَّع الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه عنه على عادته، فإنَّه كان ينظر في باب الورع.

(١) في (ب): سعيد، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٢٧.
(٢) في تاريخه ١٥/ ٢٤٨. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في طبقاته ص ٣٢٩. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في تاريخه ١٥/ ٢٤٩.
(٥) في تاريخه ١٥/ ٢٤٦. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ): وغيره.

واتَّفقوا على أنَّه كان ثقةً صدوقاً، صاحبَ فقهٍ وسنَّة، نبيلاً جليلاً، كثيرَ الحديث صحيح السَّماع [كتب عنه الأئمَّة والحفَّاظ، وذكره الحافظُ ابن عساكرٍ فقال(١): قدم دمشقَ وسمع يحيى بنَ حمزة، وصَدَقة بنَ خالد، وأبا عَوَانة، وأبا يوسفَ القاضي. وذكر بعضَ مَن ذكرنا، قال: وقال البخاريّ: دخلنا عليه سنةَ عشرٍ ومئتين، كذا ذكر في «التاريخ الصغير»(٢) ولم يُخرِّج عنه في «الصحيح»، وإنَّما خرَّج عن رجلٍ عنه].

موسى بنُ سليمانَ الجُوزجانـيّ

أبو سليمان، الفقيهُ الحنفي.

[كان](٣) فقيهاً بصيراً بالرأي، ويذهب مذهبَ أهل السنَّة، وكان صدوقاً.

عرض عليه المأمونُ القضاء، فقال: يا أميرَ المؤمنين، احفظ حقوقَ اللهِ في القضاء، ولا تولِّ على أمانتك مثلي؛ فإني واللهِ غيرُ مأمون الغضب، ولا أرضى نفسي لله أن أحكمَ في عباده. فقال: صدقتَ وقد أعفيناك. وكانت وفاتُه ببغداد.

أسند عن ابن المباركِ وغيره، واتَّفقوا على دينه وورعِه وثقته وصدقِه رحمةُ الله عليه.



---

(١) في تاريخ دمشق ١٧/ ٢١ (مخطوط). وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ذكره في تاريخه الصغير والكبير، ولم نقف فيهما على هذا الكلام.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٢٦، والمنتظم ١٠/ ٢٤٦، وتنظر ترجمته أيضاً في السير ١٠/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٦٨-٤٦٩.

السَّنةُ الثانيةَ عشرةَ بعد المئتين

فيها أَظهر المأمونُ القولَ بخلق القرآن، ولم يسبقْه إلى هذا أحد، وثارت الفتنُ في الدنيا، واشمأزَّت قلوبُ الخواصِّ والعوامِّ منه، وامتحن العلماءَ، وآذاهم وضربهم وسجنهم ونفاهم. وقويت شوكةُ الخوارج.

وخلعه أحمدُ بن محمدِ العمريُّ باليمن، ويُعرف بالأحمر العين، فبعث إليه محمدَ ابن عبدِ الحميد [ويُعرف بأبي[1] الرازي].

واشتدَّت شوكةُ بابك، فأغار على البلاد، فبعث إليه المأمونُ محمدَ بن حُميد[2] الطوسيَّ لمحاربته.

وفيها في ربيعٍ الأوَّل كتب المأمونُ إلى الآفاق بتفضيل عليٍّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه على جميع الصحابة، وقال: هو أفضلُ الناسِ بعد رسولِ الله ﷺ.

وفيها توجَّه المأمونُ إلى دمشقَ فصام بها رمضان. وصلَّى بالناس عيدَ الفطر عبدُ الله ابن عُبيد الله بنِ العباس بن محمد بن عليٍّ بن عبد اللهِ بن عباس، ثم توجَّه فحجَّ بالناس.

وفيها توفي

أحمدُ بن أبي خالدٍ

أبو العباس، وزيرُ المأمون[3]. كان أبوه كاتباً لأبي عبدِ الله وزيرِ المهدي.

وكان أحمدُ فاضلاً مدبِّراً جَوَاداً، ذا رأيٍ وفطنة، إلَّا أنه كانت له أخلاقٌ وفَظَاظة، قال له رجلٌ يوماً: واللهِ لقد أُعطيتَ ما لم يُعطَه رسولُ الله ﷺ، فقال: واللهِ لئن لم تخرجْ ممَّا قلتَ لأعاقبنَّك، فقال: قال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأنت فظٌّ غليظُ القلب وما ننفضُّ من حولك.

---

(١) في (ب): بابن، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦١٩، وابن الأثير ٦/ ٤٠٨.

(٢) في (خ): حسين، والمثبت من (ب)، وهو الموافق للمصادر.

(٣) تنظر ترجمته في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٦-٣٢٧، والمنتظم ١٠/ ٢٤٣-٢٤٤، والسير ١٠/ ٢٥٥-٢٥٦، والوافي ٨/ ٢٧٢-٢٧٤.

ومازح أحمدُ يوماً ثُمامةَ بن أشرسَ في دار المأمونِ بمحضرٍ من الناس فقال: يا ثُمامة، كلُّ مَن ها هنا له معنًى إلّا أنت، فإنَّك لا معنى لك، فقال ثُمامة: بلى، معناي أنَّني أُشاوَر في مثلك هل يصلح للوِزارة أم لا.

وكان المأمونُ قد سأل ثمامةَ أن يليَ له الوزارةَ فأبى، فقال: أَشِر عليّ، فقال: أحمدُ بن أبي خالد، يقوم بالأمر حتى ينظرَ أميرُ المؤمنين فيمن يصلح.

وقال إبراهيمُ بن العباس: دخلتُ على أحمدَ وقد ألحَّ عليَّ الهمّ، فترنَّمت وقلت: [من الهزج]

أرى المـوتَ لـمـن أَمـسـى ... عـلـى الـذُّلِّ لـه أصـلـحْ
أَلَا [يـا][1] أيُّـهـا الـقـلـبُ الــ ... ـذي بـالـهـمِّ قـد يَـطـفـحْ
إذا ضـاق بـك الأمـرُ ... فـفـكِّـر فـي ألـم نَـشـرَحْ
فـإنَّ الـعُـسـرَ مـقـرونٌ ... بـيُـسـرَيـنِ فـلا تَـبْـرَحْ

قال: فزال همِّي فسُررت.

ومات يومَ الاثنين لعشرٍ خلونَ من ذي الحِجَّة سنةَ إحدى عشرةَ ومئتين، وقيل: سنةَ اثنتي عشْرة، وصلَّى عليه المأمون، فلما دُلِّي في قبره ترحَّم عليه وقال: يا أحمد، كنتَ واللهِ كما قال الشاعر: [من الطويل]

أخو الجِدِّ إن جَدَّ الرِّجال وشَمَّروا ... وذو باطلٍ إن كان في القوم باطلُ[2]

[وفيها توفي]

إسماعيلُ بن حمَّاد[3]

ابنِ أبي حنيفةَ النعمانِ بن ثابت [وكُنيته] أبو عبدِ الله، وقيل: أبو حيَّان. كان عالماً زاهداً عابداً وَرِعاً، وكان المأمونُ يثني عليه [وسنذكره في ترجمته].

(١) ما بين حاصرتين لضرورة الوزن، وانظر الفرج بعد الشدة ١/ ١٠٧، وبهجة المجالس ١/ ١٨٣.
(٢) المنتظم ١٠/ ٢٤٤، والوافي ٨/ ٢٧٤.
(٣) تنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٢١٦-٢١٨، والجواهر المضية ١/ ٤٠٠-٤٠٣، وباقي مصادر ترجمته ثمَّة.

وقال [الخطيبُ[١] بإسناده إلى] محمدِ بن عبد اللهِ الأنصاريِّ [أنه قال:] ما وَلِيَ القضاءَ من لَدُنْ عمرَ بن الخطاب ﷺ إلى اليوم مثلُ إسماعيل [بن حمادِ بن أبي حنيفة] فقيل له: ولا الحسن [البصريّ؟! فقال: لا واللهِ، ولا الحسن.

وقال الخطيب[٢]: كان إسماعيلُ بن حمَّاد أحدَ الفقهاء على مذهب جدِّه أبي حنيفة] وكان ولي القضاءَ بالجانب الشرقيِّ من بغدادَ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئةٍ بعد محمدِ بن عبد اللهِ الأنصاري، فأقام مدَّة، ثم صُرف ووَلِّي قضاءَ البصرة [في سنة عشرٍ ومئتين] لمَّا عُزل يحيى بنُ أكثمَ عنها، ثم عُزل عنها بعد سنةٍ بعيسى بنِ أَبَان.

[قال الخطيب: ولما عُزل إسماعيلُ عن البصرة [شيَّعه[٣] أهلُها ودعَوا له، وقالوا: عففتَ عن أموالنا ودمائنا، فقال: وعن أبنائكم. يعرِّض بيحيى بنِ أكثم[٤]. وفي رواية ابنِ يحيى: لما عُزل عن البصرة وخرج عنها، التقى إسماعيلَ بن حماد وهو داخل، فوقف ابنُ أكثمَ يُثني عليه ويقول: واللهِ يا أهلَ البصرة ما وليكم مثل إسماعيلَ العفيفِ عن أموالكم ودمائكم، فقال إسماعيل: وعن أولادهم. فوجم يحيى. وقيل: كانت الواقعةُ بالكوفة.

[وحكى الخطيب[٥] عن] إسماعيلَ قال[٦]: ما ورد عليَّ مثلُ امرأةٍ تقدَّمت إليَّ فقالت: أعزَّ اللهُ القاضي، إنَّ ابن عمِّي زوَّجني من هذا ولم أعلم، فلما علمتُ رددتُ، فقلت لها: متى رددتِ؟ فقالت: وقتَ ما علمت. قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقتَ ما رددت. فما رأيتُ مثلَها.

و[قال أبو العَيناء:][٧] لما ولي إسماعيل القضاء، دسَّ إليه محمدُ بن عبد الله الأنصاريُّ رجلاً يسأله عن مسألة، فقال له: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت.

---

(١) في تاريخه ٧/ ٢١٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في تاريخه ٧/ ٢١٦. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ): فشيعه. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) أي: في اللواط. كذا في تاريخ بغداد ٧/ ٢١٨.
(٥) في تاريخه ٧/ ٢١٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ): فقال إسماعيل.
(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٢١٧.

فقطع إسماعيلُ الكلامَ عليه وقال: قل للذي بعثك إنَّ القاضيَ لا يفتي.

أسند إسماعيلُ عن أبيه [عن جدِّه[١]، وعن مالك بن مِغْوَل، وعمر بن ذَرّ، ومحمدِ ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب، والقاسمِ بن مَعن، وأبي شهابٍ الحنَّاط] وغيرِهم[٢].

وروى عنه غسانُ بن المفضَّل [الغَلَابي، وعمرُ بن إبراهيمَ الثَّقفي، وسهلُ بن عثمان العسكري، وعبدُ المؤمن بن عليٍّ الرازي، في آخرين].

وكان ثقةً صدوقاً [أميناً فاضلاً] لم يغمزْه سوى الخطيب، فإنه روى عن سعيد بنِ سالم[٣] الباهليِّ قال: سمعتُ إسماعيلَ في دار المأمونِ يقول: القرآنُ مخلوق، وهو دِيني ودينُ أبي وجدِّي.

قال المصنِّف رحمه الله: لو صحَّ أنه قال ذلك؛ فإنَّما قال تقيَّة؛ لأن المأمونَ ما أبقى في الإكراه على هذا القولِ بقيةً لنا.

والحمد [لله] وحده وصلى الله على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.



(١) في (ب): وعن جده. ولم يدرك جده كما في الفوائد البهية ص ٨١.

(٢) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): سلام، والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢١٨.

السنةُ الثالثة عشرةَ بعد المئتين

فيها عصى بِشر بنُ داودَ بنِ يزيدَ على المأمون بالسِّند، وجبى الخَراجَ لنفسه ولم يحملْ منه [إلى المأمون[1]] شيئاً، فعزله وولّى غسانَ بن عباد، وكان استشار أصحابَه، فتكلَّم مَن حضر وأطنبوا في ذِكره وفي مدحه، فنظر المأمونُ إلى أحمدَ بن يوسفَ بن القاسمِ الكاتب، وكان سيِّئ الرأي في غسان، فقال: ما تقول أنت يا أحمد؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ذاك رجلٌ محاسنه أكثرُ من مساوئه، لا تصرفه إلى طبقةٍ إلّا انتصف منهم، فمهما تخوَّفتَ عليه فإنه لن يأتيَ أمراً يعتذر منه؛ لأنه قد قسم أيامَه بين أهلِ[2] الفضل، فجعل لكلِّ خلقٍ نَوبة، فإذا نظرتَ في أمره لم تدرِ أيُّ حالاته أعجب، ما هداه إليه عقلُه، أو ما اكتسبه بالأدب. فقال المأمون: لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه، فقال: لأنَّه كما قال الشاعر: [من الوافر]

كفى شكراً بما أسديتَ أنّي ... مدحتُك في الصَّديق وفي عِداتي

فأعجب المأمونَ كلامُه واسترجع أدبه، وولّى غساناً السِّند.

وفيها خلع عبدُ السلام وابنُ جَليسٍ[3] المأمونَ بمصر، وساعدتهما القَيسيةُ واليمانية وبيوتُها[4]، فولَّى المأمونُ أخاه المعتصمَ الشامَ ومصر، وولّى ابنَه العباسَ الجزيرةَ والعواصم، وأمر لكلٍّ واحدٍ منهما [ولعبد اللهِ بن طاهر] بخمس مئةِ ألف دينار، فيقال: إنَّه لم يفرَّق في يومٍ من المال مثلُ ذلك اليوم.

وحجَّ بالناس عبدُ الله [بنُ عبيد الله][5] بنِ العباس بن محمد بن عليّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٠.

(٢) في تاريخ الطبري: أيام.

(٣) في تاريخ الإسلام ٥/ ٢٤٤: حَلْبَس. وما هنا موافق لتاريخ الطبري ٨/ ٦٢٠، والكامل ٦/ ٤٠٩، والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٨.

(٤) كذا في (ب) و (خ)، وعبارة الطبري: فمن ذلك ما كان من خلع عبد السلام وابن جليس بمصر في القيسية اليمانية ووثوبهما بها.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

[فصل][١] وفيها توفي

أحمدُ بن يوسفَ

ابنِ القاسم بن صبيح، أبو جعفر، الكاتبُ الكوفي، مولى بني عِجْل.

[قال الخطيب[٢]: كان] كاتبَ المأمونِ على ديوان الرسائل، وكان من أفاضل الكتَّاب وأذكاهم وأجمعِهم للمحاسن، فصيحَ اللسان، مليحَ الخطّ، يقول الشِّعر في الغَزَل والمديح، [له أخبارٌ مع إبراهيمَ بن المَهدي وأبي العتاهية وغيرِهما، وكتب للمأمون بعد أحمدَ بن أبي خالد].

وقال له رجلٌ يوماً: ما أدري ممَّ أعجب: مما وَلِيَه اللهُ من حُسْنِ خَلقك، أو ممَّا وليتَه من تحسين خُلقك، فوَصَله.

ومن شِعره: [من الطويل]

إذا قلتَ في شيء نَعَمْ فأَتِمَّه ... فإنَّ نَعَمْ دَينٌ على الحرِّ واجبُ
وإلَّا فقل لا واسترحْ وأَرِح بها ... لكيلا يقولَ الناس إنَّك كاذب[٣]

ومنه: [من الطويل]

إذا المرءُ أَفشَى سِرَّه بلسانه ... ولام عليه غيرَه فهو أحمقُ
إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِه ... فصدرُ الذي يُستودَع السِّرَّ أَضيق[٤]

و[قال الصُّولي:] وماتت لبعض إخوانِه الكتَّاب بَبْغاء، وكان للكاتب أخٌ اسمه عبدُ الحميد وكانت فيه غفلة [وتضعُّف[٥]، فحزن عليها أخوه[٦]] فكتب إليه أحمدُ [بنُ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) انظر تاريخ بغداد ٦/ ٤٦٣. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٨ (مخطوط)، والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٦. ونسبهما صاحب العقد الفريد ١/ ٢٤٥ لابن أبي حازم.
(٤) تاريخ دمشق والبداية والنهاية.
(٥) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٦٤، وتاريخ دمشق ٢/ ٢٨٩ (مخطوط)، ومعجم الأدباء ٥/ ١٦٤: وكان له أخ يضعف. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (ب): أبوها. والمثبت مستفادٌ من المصادر.

يوسف:] [من الخفيف]

أنت تبقى ونحن طُرًّا فِداكا أحسنَ اللهُ ذو الجلالِ عَزَاكا
فلقد جلَّ خطبُ [دهرٍ] أتانا بمقاديرَ أتلفتْ ببَّغاكا
عَجَباً للمَنون كيف أتتْها وتخطَّت عبدَ الحميد أخاكا
كان عبدُ الحميد أصلحَ للمو تِ من البَبَّغاءِ وأولى بذاكا
شَمِلتْنا المصيبتانِ جميعاً فَقدُنا هذه ورؤيةُ ذاكا

وقد أخذ هذا المعنى أبو الحارثِ النَّوفلي، فإنَّه قال: كنت أكرهُ القاسمَ بن عُبيد اللهِ لمكروهٍ نالني منه، فلما مات ابنُه وبقي أخوه الحسنُ(١) وكان يضعف، قلتُ على لسان ابنِ بسَّام: [من مخلع البسيط]

قلْ لأبي القاسمِ المرجَّى قابلكَ الدهرُ بالعجائبْ
مات ابنُكَ وكان زَيْناً وعاش ذو الشَّينِ والمعايب
حياةُ هذا كموتِ(٢) هذا فلستَ تخلو من المصائب

وكان المأمونُ قد سخط على أحمد، فمات في سَخَطه سنةَ ثلاثَ عشْرة، وقيل: سنةَ أربعَ عشرةَ ومئتين.

وقال [ابنُ أبي الدُّنيا: حدَّثنا] الحسينُ بن عبدِ الرحمن [قال]: أشرف أحمدُ بن يوسفَ بن عليٍّ على بستانٍ له بشاطئ دِجلة - وهو يموت - فجعل [يتأمَّلهُ و](٣) يتأمَّل دِجلة، ثم تنفَّس وقال متمثِّلاً: [من البسيط]

ما أطيبَ العيشَ لولا موتُ صاحبِه ففيه ما شئتَ من عيبٍ لعائبه

فما أنزلناه حتى مات.

و[قال الصُّولي:](٤): رثتْه جاريةٌ له مُغَنِّيةٌ شاعرةٌ فقالت: [من البسيط]

نفسي فداؤك لو بالناس كلِّهمِ ما بي عليك تمنَّوا أنَّهمْ ماتوا

(١) قوله: ابنه وبقي، ساقط في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق ومعجم الأدباء.
(٢) في (خ): هناك موت. والمثبت من المصادر.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٤٦٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٢٩٠.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

وللورى موتةٌ في الدَّهر واحدةٌ ولي من الهمِّ والأحزانِ موتاتُ[(١)]

[قال الخطيب[(٢)]: كان لأحمدَ بن يوسفَ أخٌ يقال له: القاسم بن يوسف، كان كاتباً شاعراً أديباً، وهما وأولادُهما جميعاً من أهل الأدبِ والبلاغة. قال: وحكى أحمدُ بن يوسفَ عن المأمون وعن عبد الحميدِ بن يحيى الكاتب وقدم الشامَ صحبةَ المأمون.

وقال أحمد بن كامل القاضي]: وأهدى أحمدُ بن يوسفَ إلى المأمون هديةً في يوم نَيروز [أو يومِ مهرجان][(٣)] وكتب إليه [هذه الأبيات]: [من الطويل]

على العبد حقٌّ فهْو لا بدَّ فاعلُه وإن عَظُمَ المَولى وجلَّت فواضلُه
أَلَمْ تَرَنَا نُهدي إلى الله ما لَه وإنْ كان عنه ذا غنًى فهْو قابله
ولو كان يُهدَى للمليك بقَدرِه لقصَّر عافي[(٤)] البحرِ عنه وناهله
ولكنَّنا نُهدي إلى مَن نُجِلُّهُ وإنْ لم يكن في وُسعنا ما يُشاكله

انتهت ترجمته.

[وفيها توفي]

أسودُ بن سالم

أبو محمدٍ البغدادي، الزاهدُ الورع. كان بينه وبين معروفٍ الكرخيِّ مودَّة ومحبةٌ ومصافاة.

قال [الخطيبُ[(٥)] بإسناده إلى] عليِّ بن محمدٍ الصفار: أنشدتُ للأسود [بن سالم] ليلةً [هذه الأبيات]: [من الوافر]

أمامي موقفٌ قدَّامَ ربِّي يسائلني وينكشف الغطاءُ
وحسْبي أنْ أمُرَّ على صراطٍ كحدِّ السَّيف أسفلُه لَظاءُ

[قال:] فصرخ أسودُ [صرخة] وغُشي عليه، فما أَفاقَ حتى طلع الفجر.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٠، ومعجم الأدباء ٥/ ١٧٩.

(٢) كذا في (ب)، والصواب: ابن عساكر، والكلام في تاريخه ٢/ ٢٨٧ (مخطوط).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٨، ومعجم الأدباء ٥/ ١٧٢.

(٤) في (خ) وتاريخ دمشق: على، والمثبت من (ب). وفي معجم الأدباء: لقصر فضل المال عنه ونائله.

(٥) في تاريخه ٧/ ٥٠٠. وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٩/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٨٠.

و[حكى الخطيب قال:][١] جاء رجلٌ إلى ابن حميدٍ فقال: اغتبتُ الأسود، فأُتيتُ في منامي فقيل لي: أتغتاب وليّاً من أولياء الله تعالى لو ركب حائطاً ثم قال له: سِرْ، لَسَارَ به!!.

[وروى ابنُ باكويه الشيرازيُّ عن أسودَ أنَّه قال:][٢] رَكعتان أصلِّيهما أحبُّ إليَّ من الجنَّة، فقيل له في ذلك، فقال: دعونا من كلامكم، فإنَّ الرَّكعتين رضا ربِّي، والجنَّة رضا نفسي، ورضا ربِّي أحبُّ إليَّ من رضا نفسي.

[قال الخطيب:][٣] وكان يُسرف في الوضوء ثم ترك، فقيل له في ذلك، فقال: أسرفتُ[٤] ليلة، فهتف بي هاتف: يا أسود، ما تصنع! حدَّثنا يحيى بنُ سعيد الأنصاريُّ عن سعيد بنِ المسيَّب قال: إذا جاوز الوضوءُ ثلاثاً لم يُرفَعْ إلى السماء، فقلت: أجِنِّيٌّ أم إِنْسي؟! فقال: هو ما تسمع، قال: فقلت: فأنا تائبٌ، فأنا اليومَ يكفيني كفٌّ من ماء.

وكانت وفاتُه ببغدادَ في هذه السَّنة، وقيل: في سنة أربعَ عشرةَ ومئتين، وقيل: في سنة عشرٍ ومئتين[٥].

أسند عن [حمَّاد بنِ زيد، و] سفيانَ بن عُيينة [وإسماعيل بن عُلَيَّة، ومعتمرِ بن سليمان] وغيرِهم.

وروى عنه حاتِمُ بن الليث [الجوهري، وعبدُ الوهاب بن عبدِ الحكم الورَّاق] وغيرُهما[٦]. وكان صدوقاً ثقة.

[وقال الخطيب][٧]: غسل وجهَه يوماً من بُكرة إلى نصف النَّهار، فقيل له في ذلك، فقال: رأيتُ مبتدعاً، وقد غسلتُ وجهي إلى الساعة وما أظنُّه ينقى.

(١) في تاريخه ٧/ ٥٠٠. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): وقال أسود.
(٣) في تاريخه ٧/ ٤٩٩. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ): أرقت.
(٥) لم أقف على هذا الأخير.
(٦) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).
(٧) في تاريخه ٧/ ٥٠٠. وما بين حاصرتين من (ب).

[وفيها توفي]

بِشْر بن أبي الأزهر يزيد

[وكُنية بشر] أبو سهل، القاضي، الحنفي، الكوفي.

كان من أعيان أهلِ الكوفة وزهَّادهم [أخذ الفقه والحديث عن القاضي أبي يوسف.

وذكر الحاكمُ أبو عبد الله النيسابوريُّ قال:][(١)] سأله رجلٌ عن مسألةٍ فأخطأ فيها، فعزم أن يقصدَ عبدَ الله بن طاهرٍ ليناديَ في البلد أنَّ بِشراً قد أخطأ في مسألةٍ في النِّكاح، فقال له رجل: أنا أعرف الرجلَ الذي سألك، فأتاه به، فقال: أخطأتُ، وقد رجعتُ عن قولي، والجوابُ فيها كذا وكذا.

وكانت وفاتُه في رمضانَ [في هذه السَّنة] أسند عن ابن المباركِ وابن عُيَيْنَةَ وأبي معاوية [الضَّرير] وغيرِهم [انتهت ترجمته.

وفيها توفي]

ثُمامة بن أَشْرَسَ

أبو مَعْنٍ النُّميري البَصْري [رئيس المعتزلة] الماجِن. [ذكره الصوليُّ والخطيبُ وغيرهما] كان له نوادر [قال الخطيب[(٢)]: كان أحدَ معتزلةِ البصرة] ورد بغدادَ واتَّصل بالرَّشيد والمأمون [والأكابر، وحكى عنه الجاحظُ وغيره.

وروى الصوليُّ عن المقدَّمي عن الحارث بن أبي أسامةَ قال: حدثني] الوليدُ بن عباس قال[(٣)]: خرج ثمامةُ [بنُ أشرس] من منزله بعد المغربِ وهو سكران، فإذا هو بالمأمون قد ركب في نفر، فلمَّا رآه ثمامةُ عدل عن طريقه، وبَصُرَ به المأمون، فساق إليه وحاذاه، فوقف ثمامة، فقال له المأمون: ثُمامة؟ قال: إي والله، قال: أسكرانُ أنت؟!

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر المنتظم ١٠/ ٢٥٣ - ٢٥٤، وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ الإسلام ٥/ ٢٨٢، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٦.

(٢) في تاريخه ٨/ ٢٠. وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته في الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي ص١٥٧-١٥٩، والسير ١٠/ ٢٠٣-٢٠٦، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

(٣) في (خ): قال الوليد بن عباس، والكلام من المنتظم ١٠/ ٢٥٤-٢٥٥.

قال: لا والله، قال: أفتعرفني؟ قال: إي والله، قال: فمن أنا؟ قال: لا أدري والله، فضحك المأمونُ حتى انثنى عن دابَّته وقال: عليك لعائنُ الله، قال: تَتْرى إن شاء الله، فضحك المأمونُ حتى كاد يقع من دابَّته، وأمر له بخمسين ألفاً.

وقال [الصُّولي: قال الجاحظ: قال] ثُمامة: دخلتُ على صديقٍ لي أعوده و تركتُ حماري على الباب، فخرجتُ وإذا فوقه صبيّ، فقلت: ما هذا؟ قال: حفظتُه لك، قلت: لو ذهب كان أعجبَ إليَّ، قال: فاحْسبه قد ذَهَبَ وهَبْه لي وارْبَح شكري، قال: فلم أدرِ ما أقول.

[وحكى الصوليُّ عن سَلَّام الأبرش قال:][1] غضب الرشيدُ على ثمامةَ، وأمرني أن أَحبسَه في بيتٍ فيه ثقب، [وأنزل فيه هنا، ففعلت، قال:][2] فجلس سلامٌ ليلةً يقرأ في المصحف، فقرأ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذَّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [بفتح الذال، فقال ثُمامة: ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾] بكسر الذال، وهم الذين كذَّبوا الرُّسل، والمكذَّبون هم الرسل، وجعل يشرحه، فقال له سلَّام: قد قيل لي إنَّك زنديقٌ، ولم أقبل. ثم ضيَّق عليه أشدَّ الضيق وسدَّ الطاقة، ثم رضي الرشيدُ عن ثمامةَ وجالسه، ثم قال [الرشيدُ] ليلة: مَن أسوأُ الناسِ حالاً؟ فقال كلُّ واحدٍ شيئاً، فقال ثمامة: أسوأُ الناسِ حالاً عاقلٌ يجري عليه حكمُ جاهل، فغضب الرشيدُ وتغيَّر وجهه، فقال ثمامة: يا أميرَ المؤمنين، ما أظنُّك وقفتَ على ما أردت، قال: فاشرح لي، قال: يا أمير المؤمنين، قصَّتي مع سلَّامٍ كذا وكذا، فجعل يضحك حتى استلقى، وقال: واللهِ لقد صدقت.

و[حكى عنه محمدُ بن يزيدَ النحويُّ][3] قال: خرجتُ من البصرة أُريد المأمون، فلمَّا وصلت إلى دَيْر هِرَقْل دخلتُه، فإذا مجنونٌ مشدودٌ بسلسلة، فقال: ما اسمُك؟ قلت: ثُمامة، قال: المتكلِّم؟ قلت: نعم، قال: أخبِرني متى يجد القائمُ لذَّةَ النوم، إن قلتَ: قبل أن ينام، أَحلتَ؛ لأنَّه يقظان، وإن قلت: في حالة النَّوم، أَبطلت؛ لأنَّه لا يعقل، وإن قلت: بعد يقظته، أخطأت؛ لأنَّه لا يوجد الشيءُ بعد فقده [قال:] فو اللهِ ما

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ بغداد ٨/ ٢٢-٢٣.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وليست في تاريخ بغداد.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

دريت ما أقول.

قال: ودخلتُ على المأمون وعنده أبو العَتَاهِيَة، فقال: أتأذن لي يا أميرَ المؤمنين بمناظرته؟ قال: نعم، فأخرج أبو العتاهيةِ يدَه من كُمِّه وحرَّكها، ثم قال: يا ثُمامة، مَن حرَّك يدي؟ فقال: مَن أمُّه زانية، فقال أبو العتاهية: تشتمني يا ثمامة، فقال ثمامة: ناقضتَ أصلَك، فقال المأمون: قد أجابك، فسكت أبو العتاهِيَة(١).

و[حكى عنه الجاحظُ] قال: مررتُ ببغداد، فإذا برجلٍ قد قدَّم رجلاً إلى الوالي وقال: أصلح اللهُ الأمير، هذا خصمي، ناصبيٌّ رافضيٌّ جَهمي مشبِّهي، يلعن معاويةَ بن أبي طالبٍ(٢) ويحبُّ [عليَّ] بن أبي سفيان، فقال له الوالي: ثَكِلتك أمُّك، ما أدري من أيِّ شيءٍ أعجب، من علمك بالمقالات أو من معرفتك بالأنساب! فقال الرجل: ما خرجت من الكتَّاب حتى تعلَّمتُ هذا كلَّه، فقال الوالي: لا جَرَم.

وقال [ثُمامة:] مررت بجامع المهديّ، وإذا بقاصٍّ يقصُّ على الناس، فذكر حديثَ غَزاةِ أُحد، وأنَّ هِنْداً بقرت بطنَ حمزةَ رضوانُ الله عليه وأخرجت كبده، فلاكَتْها فلم تُسِغْها، فبلغ رسولَ الله ﷺ فقال: «لو ازدردتْها لم تمسَّها النار»(٣) ثم رفع القاصُّ يديه وقال: أَطعِمنا من كَبِد حمزة.

وقال: خطب بعضُ الأمراء بخُراسان فقال: إن الله خلق السماواتِ و الأرضَ في ستَّة أشهر، فقيل له: في ستَّة أيام، فقال: قد سمعتُ هذا ولكني استقللتُها.

وقال: دخلتُ مروَ فرأيت الديكَ يأكل وحده، فعلمت أنَّ لؤم أهلِ مروَ وبخلَهم علَّم الديكَ ذلك.

وقال: من رؤساء البخلاءِ محمدُ بن الجهم، لم يسألْه أحدٌ شيئاً من ماله إلَّا شغله بالطَّمع في غيره، ولا شفع لصديقٍ في حاجة إلا لقَّن المسؤولَ المنع، وفتح على السائل بابَ الحرمان.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢١، وهما خبران عن ابن النديم وعن الجاحظ.

(٢) في (خ): العاص، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه. وانظر تاريخ بغداد.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب ص١٣٦ بسند فيه مقال، ولفظه عنده: «لو دخل بطنها لم تدخل النار».

قال: وقال له أصحابه: اجعلْ لنا علامةً في القيام عنك لئلا نُثقلَ عليك بقعودنا، فقال: علامةُ ذلك إذا قلت: يا غلام هاتِ الغَداء.

ذكر وفاته:

[ذكر أبو منصورٍ عبدُ القاهر بن طاهرٍ التَّيميُّ قال: قُتل ثمامةُ بين الصَّفا والمروةِ في سنة ثلاثَ عشرةَ ومئتين] قتلته خُزاعةُ من أجل سعيه على أبي أحمد[(١)] الخُزاعي[(٢)].

[وفيها توفي]

أبو عاصمٍ النَّبيل

واسمُه الضحَّاك بن مَخْلَدِ بن الضحَّاك بن مسلمٍ الشَّيباني البَصري.

[ذكره ابنُ سعد][(٣)] في الطبقة السادسة [من أهل البصرة، قال: و] كان ثقةً فقيهاً، مات بالبصرة ليلةَ الخميس لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من ذي الحِجَّة سنةَ اثنتي عشرة [ومئتين في خلافة عبدِ الله بن هارون. هذا صورةُ ما ذكر ابنُ سعد. وذكره خليفةُ وقال:] ولد في سنة اثنتين وعشرين ومئة[(٤)].

[وقد ذكرنا في ترجمة زُفَرَ بن الهُذَيْلِ في سنة ثمانٍ وخمسين ومئة لمَ سمِّي النبيل؛ لأنه كان يتجمَّل في ملبوسه[(٥)].

قال:] وكان كبيرَ الأنف [قال: أُخبركم عن شيء؟ تزوَّجت امرأة، فلمَّا أردت أن أقبِّلها منعني أنفي، فقالت: نَحِّ ركبتكَ عن وجهي، فقلت: ما هذه رُكبتي، هذا أنفي.

قال:] ولم يُرَ في يد أبي عاصم كتابٌ ينظر فيه، وكذا سفيانُ الثوري وشُعبة وابن عُيينة.

---

(١) في الفَرق بين الفِرق ص ١٥٩: أحمد بن فهر. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) بعدها في (خ): بين الصفا والمروة.

(٣) في طبقاته ٩/ ٢٩٦. وما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمته في السير ٩/ ٤٨٠-٤٨٥، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

(٤) الذي في تاريخ خليفة بن خياط ص٣٥٢ أنَّ ولادته كانت في سنة إحدى وعشرين ومئة، وينظر تاريخ وفاته ص٤٧٤، وكذا في طبقاته ص٢٢٦.

(٥) في (خ): وقيل له: لم سميت النبيل؟ فقال: لتجملي بثيابي. وما بين حاصرتين من (ب).

وقال أبو عاصم: رأيت أبا حنيفةَ في المسجد الحرامِ يُفتي وقد اجتمع عليه الناسُ فآذَوه، فقال: ما ها هنا أحدٌ يأتينا بشُرْطيٍّ يفرِّق هؤلاء عنا؟ فدنوتُ منه وقلت: تريد شرطيًّا؟ قال: نعم، قلت: اقرأْ عليَّ هذه الأحاديثَ التي معي، فقرأها، فقمتُ عنه ووقفت بإزائه، فقال: وأين الشُّرطي؟فقلت: لا أدري، قال: فأين ذهب قولُك؟ فقلت: أنا قلت لك: تريد شُرطيًّا؟ ولم أقل: إني أَجيبه، فقال: أُنظروا، أنا أحتال منذ كذا وكذا وقد احتال عليَّ هذا الصبيّ.

[واختلفوا في وفاته، فحكينا عن ابن سعدٍ أنَّه مات في سنة اثنتي عشرةَ ومئتين، وكذا قال خليفة. قال: وهو ابنُ تسعين سنةً وأربعةِ أشهر[١]. وقال غيرُه: سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئتين، أو أربعَ عشرةَ ومئتين][٢].

أسند عن [خلقٍ كثير؛ لأنه طاف الدنيا، فسمع بالحجاز] جعفرَ بن محمدٍ الصادق، ومالكَ بن أنس [وابن جُرَيج] وسليمان[٣] [وغيرَهم، وبالعراق] الثوريَّ[٤] [وشُعبة، وسعيدَ بن أبي العروبة، في آخرَين، وسمع بالشام الأوزاعيَّ وأقرانَه، وبمصرَ حَيْوَةَ بن شُرَيْح وطبقتَه].

وروى عنه [جَرير بن حازمٍ الجَهضمي، وعبدُ الله بن داودَ الخُرَيبي، وهما أكبرُ منه[٥]، و] الإمامُ أحمد بن حنبلٍ رحمةُ الله عليه، وابن المَديني [والأصمعي][٦] ومحمد بن إسماعيل البخاري، وخلقٌ كثير.

واتفقوا على صدقه وثقتِه وأمانته وديانته. و[روى ابنُ عساكرٍ[٧] عنه أنه] كان يقول:

---

(١) لم يصرِّح في الطبقات والتاريخ بهذا القول، بل ذكر ولادته سنة (١٢١هـ) ووفاته سنة ٢١٢، فيكون عمره إحدى وتسعين عاماً تقريباً.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) هو سليمان التيمي. ووقع في (خ): سليمان الثوري، وفوقها: كذا. ولم يذكر في (ب).

(٤) في (خ): وخلق كثير لأنه طاف الدنيا.

(٥) عبد الله بن داود من أقرانه، وستأتي ترجمته قريباً. وانظر تهذيب الكمال.

(٦) وهو من أقرانه.

(٧) في تاريخه ٨/ ٤٥٣ (مخطوط)، وكذا نقل عنه البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٦. وما بين حاصرتين من (ب).

ما اغتبتُ أحداً مذ علمتُ [تحريمه].

وكان الإمام أحمدُ رحمه الله يعظِّمه. [وروى الخطيبُ عن] حمدانَ بن عليٍّ الوارقِ قال[(١)]: ذهبنا إلى أحمدَ بن حنبل سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئتين نسأله أن يحدِّثَنا، فقال: تسمعون مني ومثلُ أبي عاصمٍ في الحياة! أُخرجوا إليه.

طلحةُ بن طاهرِ بن الحسين

والي خُراسان. كان جَوَاداً سَمْحاً شجاعاً، أقام على خُراسانَ سبعَ سنين والياً عليها نيابةً عن أخيه عبدِ الله، ومات بمَرْو[(٢)].

عبدُ الله بن داودَ

ابن عامرِ بن الربيع أبو عبد الرحمنِ الهَمْداني الخُرَيبي. أصلُه من الكوفة، وسكن محلَّةً بالبصرة يقال لها: الخُرَيْبَة، فنُسب إليها.

وكان عالماً ناسكاً من الطبقة السادسةِ من أهل البصرة، وُلد سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة.

مضى إليه جماعةٌ من أهل الحديثِ يسمعون عليه، فقال لهم: إني مشغولٌ عن هذا ببُسَيتينةٍ لي فيها معاش، وتحتاج إلى سَقي، وليس لي مَن يسقيها، فقال: إنْ حضرتكم نيَّةٌ فافعلوا، فأداروا الدولابَ وسقَوها، وقالوا له: حدِّثْنا الآن، فقال: ليس لي نيَّةٌ في أن أحدِّثَكم، وأنتم لكم نيَّةٌ تؤجَرون[(٣)] عليها. فانصرَفوا وهم يذمُّونه.

وقال بِشر بنُ الحارث: كنت عند الخُريبي، فجاءه قومٌ [فقالوا له: ما تقول][(٤)] فيمن يقول: القرآنُ مخلوق؟ فقرأ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] ثم قال: أمخلوقٌ هذا؟!

---

(١) في (خ): وقال حمدان بن علي الوراق. ولم نقف على ترجمة أبي عاصم في تاريخ بغداد، والخبر ذكره الذهبي في السير ٩/ ٤٨٤ وعزاه لابن المقرئ، عن أبي طلحة التمَّار، عن حمدان بن علي الوراق.

(٢) ينظر تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٥٧، وتجارب الأمم لمسكويه أحداث سنة (٢١٣هـ)، والمنتظم ١٠/ ٢٥١، والكامل ٦/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٧.

(٣) في (خ): تؤجروني. والمثبت من تاريخ دمشق ٩/ ١٧١(مخطوط)، والمنتظم ١٠/ ٢٥٦، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٣٥٠، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

(٤) في (خ): فقال. والمثبت من تاريخ دمشق ٩/ ١٦٨.

ودخل عليه يحيى بنُ أكثم، فرأى مِشيتَه فأنكرها، فقال له يحيى: حدِّثْني، فقال: لا أحدِّث مَن يمشي هذه المِشية.

وبلغه أنَّ يحيى جلس بين يديه خصمان، فتربَّع أحدُهما، فأمر به أن يقامَ ويجلسَ جالساً، فجاء إليه يحيى ليحدِّثَه، فقال له الخُرَيبي: [لو أنَّ رجلاً صلَّى متربعاً؟ قال: فقال له يحيى: لا بأسَ بذلك، فقال له عبدُ الله بنُ داود:](١) فحالٌ يكون عليها بين يدي اللهِ لا يكرهها تكرهها أنت! ثم ولَّاه ظهرَه. فقام يحيى وخرج.

وجاءه أبو العيناءِ محمدُ بن القاسم، فقال له الخُريبي: ما جاء بك؟ قال: فقلت له: طلبُ الحديث، فقال: اذهب فاحفظ القرآن، فقلت: قد حفظتُه، فقال: اِقرأ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١] فقرأتُها، فقال: اذهب فتعلَّم الفرائض، قلت: قد حفظتُها، فقال: أيُّما أقرب إليك ابنُ أخيك أو ابن عمِّك؟ قلت: ابنُ أخي؛ لأنَّ أخي من أبي، وعمِّي من جدِّي، قال: اذهب فتعلَّم العربية، فقلت: قد تعلَّمتها، قال: فلمَ قال عمرُ رضي الله عنه لمَّا طُعن: يا لَله يا لِلمسلمين، بفتح الهمزةِ الأولى وكسرِ الثانية؟ قلت: فتح الأولى بالدُّعاء، وكسر الثانيةَ للاستنصار، فقال: اذهبْ فلو حدَّثتُ أحداً لَحدَّثتك.

وقال الخريبي: كلُّ صديقٍ ليس له عقلٌ فهو أشدُّ عليك من عدوِّك.

أسند عن هشام بنِ عروةَ وغيرِهِ، وروى عنه سفيانُ بن عُيينةَ وخلقٌ كثير، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وورعه.

[وفيها توفي](٢)

عليُّ بن جَبَلَةَ بن مُسْلم

أبو الحسن، الشاعرُ البغدادي [ويقال له:]: العَكَوَّك(٣).

ولد سنةَ ستِّين ومئة، وذهب بصرُه بالجُدَريِّ وله سبعُ سنين.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٩/ ١٧٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) العَكَوَّك: القصير السمين. تنظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٠-٢٨١، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥٠، والسير ١٠/ ١٩٢-١٩٤، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

مدح الخلفاءَ وأبا دُلَفٍ العِجْلي، فأَفرط في قوله، ومن ذلك قولُه: [من البسيط]

أنت الذي تُنْزل[١] الأيامَ منزلَها ... وتَنقُل الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أحدٍ ... إلَّا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

فأعطاه [أبو دُلَف] مئة ألفِ درهمٍ وقال: واللهِ لو أعطيتُه مئةَ ألف دينارٍ ما وفيتُ له، ولا كنتُ قاضياً حقَّه.

ولما بلغ المأمونَ قولُه دعاه وقال له: فضَّلتَ أبا دُلَفٍ على العرب كلِّها في أشعارك، وأدخلتَ في ذلك قريشاً وآلَ رسولِ الله ﷺ وعِترتَه، وأنا لا أستحلُّ دمَك بهذا، بل أكفِّرك بقولك:

أنت الذي تُنْزل الأيامَ منزلَها

وذكر البيتَين وقال: ما يَقْدر على ذلك إلَّا اللهُ تعالى. فيقال: إنَّه أمر به فسُلَّ لسانُه من قَفاه، والصحيحُ أنَّه هرب من المأمون فمات ببغدادَ في هذه السَّنةِ ولم يُقْدر عليه.

[وقال الخطيب: مدح ابن جبلة حميد بن عبد الحميد الطوسي فبالغ، فقيل له: بالغت في مدحه، فقال: لا أمدح من كنت عنده في يوم سرور فأنشدته قصيدة فأمر أن يحمل إلي كل ما حمل إليه، مئة ألف درهم![٢]

وفي حُميدٍ يقول:

لولا حُميدٌ لم يكن ... حَسَبٌ يُعَدُّ[٣] ولا نَسَبْ

وروى الخطيبُ جملةً من أشعاره فقال[٤]: أخبرني عليُّ بن أيوبَ الكاتب: حدَّثنا محمدُ بن عمرانَ المَرْزُباني: حدَّثني عليُّ بن هارونَ عن أبيه قال] ومن [مختار] شعرِه:

لو أنَّ لي صبرَها أو عندها جَزَعي ... لكنتُ أعلمُ ما آتي وما أَدَعُ
لا أَحملُ اللَّومَ فيها والغرامَ بها ... ما حمَّل اللهُ نَفْساً غيرَ ما تَسَعُ

---

(١) في (خ): نزل، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في الديوان ص٩٥.
(٢) لم نقف عليه في تاريخه، والخبر في المنتظم ١٠/ ٢٥٨، وفيه: يوم نيروز، بدل: يوم سرور..
(٣) لفظة: يعد، ساقطة من (ب)، وأثبتها من الديوان ص ٣١.
(٤) في تاريخه ١٣/ ٢٨٠. وما بين حاصرتين من (ب).

إذا دعـا بـاسـمـهـا داعٍ فـأَسـمَـعَـنـي كـادت لـه شُـعـبـةٌ مـن مُـهـجـتـي تَـقَـعُ[١]

وقال: كنتُ لا أدخل على أبي دُلَفٍ إلا تلقَّاني ببرٍّ، فلما أفرط انقطعتُ عنه، فبعث إليَّ أخاه يقول: لمَ هجرتنا؟ فكتبتُ إليه [هذه الأبيات]: [من الطويل]

هـجـرتُـك لـم أَهـجـرْك مـن كُـفـرِ نـعـمـةٍ وهـل يُـرتـجَـى نـيـلُ الـزيـادةِ بـالـكـفـرِ
ولـكـنَّـنـي لـمَّـا أتـيـتُـك زائـراً فـأفـرطـتَ فـي بِـرِّي عـجـزتُ عـن الـشُّـكـر
فَـمِ الآنَ[٢] لا آتـيـك إلا مـسـلِّـمـاً أزورك فـي شـهـريـن يـومـاً وفـي شـهـر
فـإنْ زدتَـنـي بِـرّاً تـزايـدتُ جَـفـوةً ولـم تَـلـقَـنـي طـولَ الـحـيـاةِ إلـى الـحـشـر

[قال: فلمَّا قرأها أبو دُلَفٍ كتب إليه هذه الأبيات:][٣]

أَلَا رُبَّ ضـيـفٍ طـارق قـد بـسـطـتُـه وآنـسـتُـه قـبـل الـضـيـافـةِ بـالـبِـشْـرِ
أتـانـي يـرجِّـيـنـي فـمـا حـالَ دونـه ودون الـقِـرى مـن نـائـلـي عـنـده سِـتـري
وجـدتُ لـه فَـضْـلاً عـلـيَّ بـقـصـده إلـيَّ وبِـرّاً يـسـتـحـقُّ بـه شـكـري
فـلـم يـعـدُ[٤] أنْ أدنـيـتُـه وابـتـدأتـه بـبِـشـرٍ وإكـرامٍ وبِـرٌّ عـلـى بِـرِّ
وزوَّدتـه مـالاً قـلـيـلاً بـقـاؤه وزوَّدنـي مـدحـاً يـدوم عـلـى الـدَّهـر

وبعث بالأبيات مع الوصيفِ يحمل كيساً فيه ألفُ دينار.

قال المصنِّف رحمه اللهُ تعالى: لله دَرُّ أبي دُلَفٍ هو كما قال الشاعر:

تـأخـذ مـن مـالـه ومـن أدبـه

كم بين شِعره وشعر ابنِ جَبَلة؟! فسبحانَ مَن على الجود والفضلِ جَبَلَه.

وابنُ جَبَلَةَ هو القائلُ في أبي دُلَفٍ قصيدةً منها: [من المديد]

إنَّـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ بـيـن نـاديـه[٥] ومُـحـتَـضَـرِهْ

(١) الديوان ص ٧٨.

(٢) في الأغاني ٢٠/ ٢٤: فها أنا، وفي المنتظم ١٠/ ٢٥٨: من الآن، والمثبت موافق لما في الديوان ص ١٢٠. وقد نسبت الأبيات لدعبل أيضاً.

(٣) في (خ): فأجابه.

(٤) في الأغاني: أعدُ.

(٥) في الديوان ص ٦٨: مغزاه.

فأعطاه مئةَ ألفِ درهم.

[وفيها توفي]

محمدُ بن يوسفَ بن واقد

أبو عبد اللهِ الفِرْيَابي.

[قال ابنُ ماكولا[١]: هو منسوبٌ إلى فيرياب[٢]. ونزل قَيْسارِيَّة].

ولد سنةَ عشرين ومئة. وكان عالماً زاهداً ورعاً [ذكره ابنُ سُمَيع] في الطبقة السادسة.

[حكى عنه محمد بن مسلم بن وارة قال: قال الفريابيُّ:] رأيتُ في المنام كأني دخلتُ كَرْماً فيه عِنَب، فأكلتُ من عنبه كلِّه إلا الأبيض، فقصصتُ رؤياي على سفيانَ الثوري، فقال: تُصيب من العلوم كلِّها إلَّا الفرائض؛ فإنها جوهرُ العلم، كما أنَّ العِنَبَ الأبيضَ جوهرُ العنب. فكان كما قال.

وكانت وفاتُه في هذه السَّنة[٣]. وقيل: سنة اثنتي عشرةَ ومئتين.

[أسند عن الأوزاعيِّ ببيروت، و] روى عن الثوريِّ [وابنِ عُيينة، وابنِ أبي عَبلةَ، وأبي بكرِ بن عيَّاش] وغيرهم[٤].

وروى عنه الإمامُ أحمد بن حنبل رحمةُ الله عليه [والبخاري، ومحمدُ بن مسلمِ بن وارَة، وابنُ أبي الحَوَاري، ودُحَيم، والقاسم الجُوعي، وأحمدُ بن عبد الرحيم البَرقي] في آخرين.

[وقال أحمدُ بن حنبل: كتبتُ عن الفريابي بمكَّة].

وقال البخاريّ: كان الفِريابيُّ من أفضل أهلِ زمانه. وكان ثقةً صدوقاً مُجابَ الدَّعوة.

---

(١) في الإكمال ٧/ ٩٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): فرياب. والمثبت من الإكمال وتاريخ دمشق ٦٥/ ٣٤٨.

(٣) كذا في المنتظم ١٠/ ٢٦٠، وفي سائر المصادر: سنة اثنتي عشرة ومئتين. انظر تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، والسير ١٠/ ١١٨، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة، والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٧.

(٤) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).

[وجرت له مع عبدِ الله بن طاهرٍ حكايةٌ عجيبة، رواها] السَّريُّ بن معاذٍ أميرُ الرَّي قال[١]: كنتُ مع أبي، وكان قائداً من قوَّاد عبدِ الله بنِ طاهر [وأنا غلام، فخرج عبدُ الله ابن طاهرٍ إلى الشام ونحن معه، وكان قريباً من شهر رمضان، فقال عبدُ الله بن طاهر: هاهنا أحدٌ من العلماء نسأله عن الإفطار وعن الصيام؟ فإنَّا على ظهر سَفَر] فقيل له: هاهنا بالقُرب منك محمدُ بن يوسفَ الفِريابي صاحبُ سفيانَ الثوري.

فضرب بعسكره إلى باب دارِه، وكان له حاجبان، أحدُهما يقال له: عُزَير، والآخر: ميكال، وكانا على مقدِّمته، فتقدَّما على بابه، فأومأ إليهما عبدُ الله بن طاهرٍ أن ترفَّقا في قَرع الباب، فقرعاه ثم وقفا مليًّا، فخرجت جاريةٌ تخدُم الفِريابي، فقالت: مَن أنتما؟ فقالا: قولي للشيخ: الأميرُ عبد اللهِ بنُ طاهرٍ بالباب.

[قال:] فمضت الجاريةُ فأطالت، ثم عادت فقالت: يقول لكما الشيخ: ما حاجتُه؟ فتذمَّرا، فأومأ إليهما ابنُ طاهرٍ أن اسكتا، وتقدَّم ابنُ طاهرٍ إلى الباب فقال لها: قولي للشيخ: يقول لك عبدُ الله بنُ طاهر: إنَّنا على سفر، وقد أظلَّنا رمضان، أفنصوم أم نُفطر؟ ما ترى في ذلك؟ [قال:][٢] فمضت الجاريةُ ورجعت بعد هُنيَّة، فقالت: يقول لكم الشيخ: إنْ كنتم على سفرٍ في طاعة اللهِ فأنتم مخيَّرون بين الصومِ والإفطار، وإن كنتم على سفرٍ في معصية الله، فلا تجمعوا بين العصيانِ والإفطار.

فانصرف ابنُ طاهر، ثم التفتَ إلى عُزير وميكال، وقال: هذا واللهِ العزّ، لا الذي نحن عليه.



(١) في (خ): وقال السري بن معاذ بن البري، والمثبت من (ب)، وهو موافق لما في المنتظم ١٠/ ٢٦٠.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

السَّنةُ الرابعةَ عشرةَ بعد المئتين

فيها التقى بابكُ الخُرَّمي بمحمد بنِ حُميد الطُّوسي، فقتله بابَك يومَ الخميس لخمسٍ ليالٍ بقين من ربيعِ الأوَّل، وقتل عامَّةَ عسكرِه قتلاً ذريعاً، وغنم غنائمَ كثيرة.

وفيها التقى عبدُ السلام وابنُ جَلِيس الخارجان بمصرَ بعُمير بنِ الوليد الباذَغيسي عاملِ المعتصمِ بالحَوْف، فقتلا عُميراً، فسار المعتصمُ بنفسه إليهما، والتقاهما، فقتلهما وفتح مصر.

وفيها خرج بلالٌ الضَّبابيّ، فبعث إليه المأمونُ العباسَ ابنَه ومعه جماعةٌ من القوَّاد، منهم هارونُ بن أبي خالد، فقتل هارونُ بلالاً وفضَّ جمعَه.

وفيها خرج عبدُ الله بن طاهرٍ إلى الدِّيْنَور، فبعث إليه المأمونُ يحيى بنَ أكثَمَ وإسحاقَ بن إبراهيمَ يخيِّرانه بين ولايةِ خُراسان، وبين ولاية إرْمِيْنِيَةَ وأَذْرَبيجانَ والجبالِ، ومحاربةِ بابَك، فاختار ولايةَ خُراسانَ وسار إليها.

وحجَّ بالناس إسحاقُ بن العباسِ بن محمدِ بن علي.

وعُزل القاضي عِكرمةُ[1] بن طارقٍ عن قضاءِ الشرقيَّة ببغداد، وولَّى المأمونُ عليَّ بن هشامٍ إرمِينيَةَ وأَذْرَبيجانَ والجبالَ وقتالَ بابَك.

وفيها توفي

إسحاقُ بن حسَّان

أبو يعقوب، الشاعرُ المعروف بالخُرَيمي.

أصلُه من خُراسان من أبناء السُّغد[2]، واتصل بخُريم بنِ عامر المُرِّي فنُسب إليه. وقيل: لاتِّصاله بعثمانَ بن خُرَيمٍ [الموصوف بـ] الناعم.

وكان إسحاقُ من أكابر الشعراءِ الفصحاء، وكان يتديَّن. و[قال أبو حاتِم

(١) في (خ): علي، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٠/ ٢٦٢.
(٢) كذا في (خ) والمنتظم ١٠/ ٢٦٣، وفي هامش المنتظم و(ب): الشعراء.

السِّجستاني:][1] هو أَشعرُ المُحْدَثين.

[وذكر الخطيبُ[2] أبياتاً من شعره فقال: حدثنا عليُّ بن أيوبَ القُمِّي: حدَّثنا محمدُ ابن عمرانَ الكاتب: حدثنا الصُّولي قال: أَنشدني عَونٌ لأبي يعقوبَ الخُرَيميِّ الأبيات:]

بـــاحَـــتْ بـــبـــلـــواه جـــفـــونُـــهْ ... وجـــرتْ بـــأَدمُـــعـــه شـــؤونـــهْ
لـــمّـــا رأى شَـــيـــبـــاً عـــلا ... هُ ولـــم يَـــحِـــنْ فـــي الـــوقـــت حـــيـــنـــه
فـــعَـــلَا عـــلـــى فـــقـــد الـــشَّـــبـــا ... بِ وفَـــقـــدِ مَـــن يـــهـــوى أَنـــيـــنُـــه
مـــا كـــان أَنـــجـــحَ ســـعـــيَـــهُ ... وشـــبـــابُـــهُ فـــيـــه مُـــعـــيـــنُـــه
والـــلَّـــهـــو يَـــحـــسُـــن بـــالـــفـــتـــى ... مـــا لـــم يـــكـــن شَـــيـــبٌ يـــشـــيـــنـــه

[وكانت وفاته في هذه السَّنة][3].



(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٧/ ٣٣٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر المنتظم ١٠/ ٢٦٣، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٠، والوافي بالوفيات ٨/ ٤٠٩.

السنة الخامسة عشرة بعد المئتين

فيها سار المأمونُ من بغدادَ طالباً الغزوَ لبلاد الروم لثلاثٍ بقينَ من المحرَّم، واستخلف على بغدادَ إسحاقَ بن إبراهيمَ بنِ مصعب، وولَّاه مع ذلك السَّوادَ و حُلوانَ وكُوَرَ دِجلة.

[ولمَّا لبس درعَه بكت جاريةٌ له، وقد ذكر قصَّتَها جعفرٌ السرَّاج في «مصارع العُشَّاق»[١]، حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن دُلَفٍ القارئ قال: أَخبرتنا شُهْدة الكاتبةُ بإسنادها[٢] إلى يحيى بن أبي حمَّاد، عن أبيه قال:] وُصفت للمأمون[٣] جاريةٌ بكلِّ ما توصَف به امرأةٌ من الكمال والجمال، فبعث لشرائها، فأُتي بها في وقت خروجِه [إلى بلاد الروم] فلمَّا همَّ ليلبَسَ دِرعَه خطرت بباله فأمر فأُخرجت إليه، فلمَّا نظر إليها أُعجب بها وأُعجبت به، وقالت: ما هذا؟! فقال: أريد الخروجَ إلى بلاد الروم، فقالت: قتلتَني [يا سيِّدي] وحدرت دموعَها [على خدِّها كنظام اللؤلؤ، وأنشأتْ تقول][٤]: [من الوافر]

سأدعو دعوةَ المضطرِّ رَبًّا ... يُثيب على الدُّعاءِ ويستجيبُ
لعلَّ اللهَ أنْ يكفيْكَ حرباً ... ويَجمعَنا كما تهوى القلوب

فضمَّها المأمونُ إلى صدره وأنشأ [متمثِّلاً] يقول: [من الطويل]

فيا حُسنَها إذ يغسل الدمعُ كُحلَها ... وإذ هي تُذرِي الدمعَ منها الأناملُ
صبيحةَ قالت في العِتاب قتلتَني ... وقَتْلي بما قالت هناك تحاول[٥]

ثم قال لخادمه مسرور: احتفظْ بها وأَكرِمِ مَحَلَّها، وأصلحْ لها كلَّ ما تحتاج إليه من

(١) ٢/ ١٧٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) شيخها في هذه القصة جعفر السراج صاحب مصارع العشاق. انظر المنتظم ١٠/ ٢٦٦.
(٣) في (خ): وكان قد وصف للمأمون.
(٤) في (خ): وقالت. وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) البيتان لجميل بثينة، وهما في ديوانه ص ١٥٨-١٥٩.

المقاصير والخَدَمِ والجواري إلى وقتٍ أن أَرجع [فلولا ما قال الأخطلُ لأقمت][١]:

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزِرَهم دون النساءِ ولو باتتْ بأَطهارِ

ثم خرج. فأصلح مسرورٌ حالها، فاعتلَّت الجارية علَّةً شديدة، أَشفق مسرورٌ عليها منها، وورد نَعْيُ المأمونِ بعد ذلك، فلمَّا علمت تنفَّست الصُّعَداء وماتت.

[قال علماءُ السِّير:][٢] ولما وصل المأمونُ إلى تكريت، قدم عليه محمدُ بن عليٍّ بن موسى الرِّضا[٣] في صَفَر[٤]، فأجازه وأمره أن يدخلَ بابنة المأمونِ أمِّ الفضل، وكان زوَّجها منه، فقدم إلى بغداد، فدخل بها في دار أحمدَ بن يوسفَ التي على شاطئ دِجلة، وأقام بها [حتى جاء أوانُ الحجّ، فخرج بأهله وعياله، فشهد الموسم، وقدم المدينةَ وأَقام بها] وأمَّا المأمون، فإنَّه أتى الموصلَ وسار إلى حلبَ فنزل مَرجَ دابِق، ثم خرج إلى أَنطاكِيَةَ، ثم إلى المَصِّيصة، ثم إلى طَرَسُوس، وكان دخولُه الدَّربَ في جُمادى الأولى، ودخل العباسُ بن المأمونِ من ناحية مَلَطْيَة، ونزل المأمونُ على حصنٍ [يقال له][٥]: قُرَّة، فحصره وفتحه عَنوة، وهدمه، وذلك في جُمادى الأولى، وكان قد افتتح قبلَه حِصناً [يقال له:] ماجدة[٦]، فمنَّ على أهله.

وقدم أبو إسحاق المعتصمُ من مصرَ فوافى المأمونَ بالروم، وقيل: بالموصل.

وبثَّ المأمونُ عساكرَه في بلاد الروم، ففتحوا وغَنِموا، وخاف نزولَ الثلج، فعاد إلى حلب، ثم سار إلى دمشقَ فأَقام بها.

وفيها ظهر قومٌ من الزُّطّ بالبطائح التي عند واسط، وهي مغيضُ دجلةَ والفرات، وكانوا ثلاثين ألفاً[٧]، فقطعوا الطرقَ وسفكوا الدماءَ ما بين البصرةِ وواسط، فأرسل إليهم المأمونُ عيسى بنَ يزيدَ في جيشٍ كثيف، فالتقوه فهزموه، ولم يظفرْ منهم بطائل،

---

(١) في (خ): ثم قال. والبيت في ديوان الأخطل ص ١٢٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) الرضا وصف لعلي بن موسى.

(٤) في (ب): سفره، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٣.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٣.

(٦) في (خ): حصن ماجدة.

(٧) في المنتظم ١٠/ ٢٦٦: سبعة وعشرين ألفاً ومئتين.

فداموا على الفساد وقطعِ الطُّرقات.

وحجَّ بالناس عبدُ الله بنُ عُبيد اللهِ بن العباس بن محمدِ بن عليٍّ.

فصل وفيها توفي

أحمدُ بن جعفر

أبو عبدِ الرحمن الضريرُ الوكيعيُّ البغدادي. وسُمِّي الوكيعيَّ؛ لملازمته لوكيع.

قال إِبراهيمُ الحَرْبي: كان الوكيعيُّ يحفظ مئةَ ألفِ حديث، ما أَحسَبه سمع حديثاً قطُّ إِلَّا وحفظه.

وروى عن وكيعٍ وغيره، وروى عنه إِبراهيمُ الحربيُّ وطبقتُه. وكان ثقة[1].

أبو زيدٍ النَّحويُّ البصري

واسمه سعيدُ بن أَوس بنِ ثابت بن بَشير بن أبي زيدٍ الأنصاري. وقيل: ثابت بنُ زيد[2]. وأبو زيدٍ من السِّتَّة الذين جمعوا القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ.

كان أبو زيدٍ إماماً في النَّحو واللغةِ والأَشعار، ومذاهبِ العربِ وأيامهم.

وقال المازِني[3]: كنا عند أبي زيد، فجاء الأصمعيُّ فأكبَّ على رأسه وجلس، وقال: هذا عالمُنا ومعلِّمنا منذ ثلاثين سنة، وجاء خَلَفٌ الأحمر ففعل مثلَ ذلك، وقال: هذا عالمنا ومعلِّمنا منذ عشرين سنة[4].

وقال رَوحُ بن عُبادة: كنا عند شعبةَ بن الحجَّاج، فضَجِرَ من الحديث، فرمى بطَرْفه فرأى أبا زيدٍ في أُخرَيات الناس، فقال: إليَّ إليَّ يا أبا زيد، فجعلا يتناشدان الأَشعار، فقال بعضُ أصحاب الحديثِ لشعبة: يا أبا بِسطام، نقطعُ إليك ظهورَ الإبل لنسمعَ منك

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٩٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٥٨.

(٢) كما في تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٩ عن ابن القداح، والأول ذكره ابن سعد في طبقاته ٩/ ٢٦، وصوبه الخطيب البغدادي. قلت: ثابت بن زيد هو أبو زيد الأنصاري الصحابي جَدُّ جدِّه، فانتقل بصر ابن القداح من الجد إلى جد الجد ثم تابع سرد النسب على الجادة.

(٣) في (خ): المازري، والمثبت من المصادر. انظر تاريخ بغداد ١٠/ ١١٠، ونزهة الألباء ص ١٢٦، وإنباه الرواة ٢/ ٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣١٩، والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٨-١٩٩.

(٤) في المصادر: منذ عشر سنين.

حديثَ رسولِ الله ﷺ فَتَدعنا وتُقْبِل على الأشعار! فغضب شعبةُ غضباً شديداً وقال: يا هؤلاء، أنا أعلمُ بالأصلحِ لي، أنا واللهِ الذي لا إله إلَّا هو في هذا أَسلَمُ منِّي في ذاك.

توفِّي أبو زيدٍ بالبصرة سنةَ خمسَ عشْرةَ ومئتين. وقيل: سنة أربعَ عشرة، وله ثلاثٌ وتسعون سنة.

حدَّث عن شعبةَ وغيرِه، وروى عنه القاسمُ بن سلَّامٍ وغيرُه. واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وبصحَّة روايته[١].

[وفيها توفي]

قَبِيصةُ بن عُقبةِ

أبو عامر السُّوائيُّ، من بني عامرِ بن صَعْصَعة. كان زاهداً قنوعاً.

[حكى الخطيبُ[٢] عن] جعفرِ بن حَمْدويهْ[٣] قال[٤]: كنا على باب قَبيصةَ ومعنا دُلَف بن [أبي دُلَفٍ أبو][٥] عبدِ العزيز ومعه الخدم، فأبطأ قَبيصةُ في الخروج، وعاوده الخَدَمُ وطرقوا عليه الباب، وقالوا: ابنُ مَلِك الجبالِ[٦] على بابك وأنتَ لا تخرج إليه! [قال:][٧] فخرج قَبيصةُ وفي طَرَف إزاره كِسرٌ من الخبز، فقال لهم: رجلٌ قد رضي من الدنيا بمثل هذا ما يصنع بابن مَلِكِ الجبال! اذهبوا فو اللهِ لا حدَّثتُه. ولم يحدِّثه.

وكانت وفاته في هذه السنة. وقيل: سنة ثلاث وعشرين[٨] ومئتين، والأول أصحُّ.

أسند عن الثوري والحمَّادَيْن[٩] وغيرهم. وروى عنه الإمام أحمد ابن حنبل رحمة

(١) كذا في (خ). والترجمة ليست في (ب)، وكذا التي قبلها.

(٢) في تاريخه ١٤/ ٤٩٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب) و (خ): حمويه. والمثبت من تاريخ بغداد.

(٤) في (خ): قال جعفر بن حمويه.

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

(٦) في تاريخ بغداد: الجبل.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

(٨) الصواب: ثلاث عشرة. وعزاه الذهبي في السير ١٠/ ١٣٥ لمعاوية بن صالح، ووهَّمه فيه، وانظر تاريخ بغداد وتهذيب الكمال.

(٩) لم تذكر المصادر سوى حماد بن سلمة.

الله عليه وابن معين وغيرهما، واتفقوا على صلاحه[(١)] وثقته [وبعضُهم قال: سمع من سفيانَ الثوريِّ وكان صغيراً][(٢)].

محمدُ بن عبدِ الله

ابن المثنَّى بن أنسِ بن مالكٍ الأنصاريُّ البصري، أبو عبدِ الله.

وُلد سنةَ ثمانِ عشرةَ ومئة، ووَلِي قضاءَ البصرة للرشيد، ومات بالبصرة وله نيِّفٌ وتسعون سنة.

وجَّه المأمونُ إليه خمسين ألفَ درهم، وأمره أن يقسمَها بين الفقهاءِ بالبصرة، وكان هلالُ بن مسلمٍ يتكلَّم على أصحابه، والأنصاريُّ يتكلَّم على[(٣)] أصحابه، فقال هلال: هي لي ولأصحابي، قال الأنصاريُّ كذلك، واختلفا، فقال الأنصاريُّ لهلال: كيف تتشهَّد؟ فقال: أَوَ مِثلي يُسأل عن التشهُّد! فتشهَّدَ على حديث ابنِ مسعود، فقال له الأنصاريّ: مَن حدَّثك به؟ من أين ثبت عندك؟ فبقي هلالٌ ساكتاً لا يدري ما يقول، فقال له الأنصاري: أنت تصلِّي كلَّ يومٍ وليلة خمسَ صَلَوات منذ سنين وتردِّد فيها هذا الكلامَ وأنت لا تدري مَن رواه عن نبيِّك ﷺ! فد باعد اللهُ بينك وبين الفقه. فقسمها الأنصاريُّ في أصحابه.

أَسندَ عن أبيه وغيرِه، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمة اللهِ عليه وغيرُه، وكان صدوقاً ثقة.

[وفيها توفِّي]

مكِّيُّ بن إبراهيمَ

ابنِ بشير بن فَرقد، أبو السَّكَن، التميمي البُرْجُمي البَلخي الحنظلي. أحدُ الرحَّالين

---

(١) في (ب): صدقه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤٩٤-٤٩٥، وقال هارون الحمال: سمعته يقول: جالست الثوري وأنا ابن ست عشرة سنة ثلاث سنين. تهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٢٨.

(٣) كذا في (خ)، والمنتظم ١٠/ ٢٧٢، والوافي ٣/ ٣٠٣، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٤٠٦، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٥٣٦: عن (في الموضعين) ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

في طلب العلم.

[وذكره خليفةُ(١)] في الطبقة الخامسةِ من أهل خُراسان(٢) [وذكره ابنُ سعدٍ(٣) فيمن كان في خُراسانَ من الفقهاء والمحدِّثين بعد الصحابة. وقال: توفِّي ببلخَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتين، وكان ثقة. قال: وقدم بغدادَ يريد الحجّ، فحجَّ ورجع، وحدَّث الناسَ في ذهابه ورجوعِه، وكتبوا عنه] وكان ثَبْتاً في الحديث [هذا صورةُ ما قال ابنُ سعد.

وقال الخطيب:](٤) وُلد سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة.

وقال [مكي بن إبراهيم]: رأيت بالرَّملة كُروماً، فقيل لي: هذه غرسها إبراهيمُ بن أدهمَ بيده، يُعرف بها البركةُ إلى اليوم.

وقال [الخطيبُ(٥) بإسناده إلى عبد الصمدِ بن الفضلِ يقول: سمعت مكِّيَّ بن إبراهيمَ يقول:] حججتُ ستِّين حَجَّة، وتزوَّجت ستِّين امرأة، وجاورتُ بمكَّةَ عشْرَ سنين، وكتبت عن سبعةَ عشرَ نَفْساً من التابعين، ولو علمتُ أن الناسَ يحتاجون إليَّ ما كتبتُ دون التابعين عن أحد.

وفي رواية: وقطعتُ الباديةَ من بلخَ خمسين مرَّةً حاجًّا، ودفعت في كِراء بيوتِ مكة ألفَ دينار ومئتي دينارٍ ونيِّفاً.

وكانت وفاته [ببلخَ في هذه السَّنة] ليلةَ نصف شَعبانَ وقد قارب مئةَ سنة.

أَسند عن بَهْز بنِ حَكيم [وابن جُرَيج، ومالكِ بن أنس، وهشام بن حسَّان] وغيرِهم(٦)، وروى عنه الإمامُ أحمد ابن حنبل رحمه الله [وعُبيدُ الله(٧) القواريري، والعبَّاس الدُّوري، والحسنُ بن عَرَفة] وأخرج عنه البخاريُّ في صحيحه، واتَّفقوا على

---

(١) في طبقاته ص ٣٢٣، وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) بعدها في (ب): قال: قدم الشام. وليست في طبقات خليفة.

(٣) في طبقاته ٩/ ٣٧٧، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) لم أقف على كلامه في تاريخه، والخبر ـ ومابعده ـ ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٣٥.

(٥) في تاريخه ١٥/ ١٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (خ): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (ب): عبد الله. والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ١٤٣، وتهذيب الكمال.

أنه محلُّ الصِّدق رحمه الله.

الوليدُ بن أَبَان الكرابيسي[١]

من أكابر المعتزلةِ بالبصرة، وله مقالاتٌ معروفة يقرِّر فيها مذاهبَ المعتزلة[٢]. وقد رُوي رجوعُه عن علم الكلام؛ فقال أحمدُ بن سنان: كان الوليدُ خالي، فلمَّا حضرته الوفاةُ قال لبنيه: هل تعلمون أحداً أعلمَ مني بعلم الكلام؟ قالوا: لا، قال: فتتَّهموني؟ قالوا: لا، قال: فأُوصيكم أَتقبلون مني؟ قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أصحابُ الحديث، فإني رأيت الحقَّ معهم، ولست أعني الرؤساء، ولكن هؤلاء الممزّقين، ألم ترَ أحدَهم يأتي إلى الرئيس منهم فيخطِّئه ويهجِّنه!

[وفيها توفِّي]

يَسَرةُ بن صفوانَ

ابن جميل أبو صفوانَ الدِّمشقي. أصلُه من البَلَاط قريةٍ بغوطة دمشق [كان يسكنها واثلةُ بن الأسقع.

وحكى الحافظُ ابن عساكرٍ عن أبي زُرعةَ الدمشقيِّ أنَّه ذكره في «أهل الفتوى من أهل دمشق»[٣] قال: وقال الكلاباذي:] وُلد سنةَ عشرٍ ومئة، وأنشد له[٤]: [من الكامل]

ولَربَّما ابتسم الكريمُ من الأذى ... وضميرُه من حرّه يتأوَّهُ
ولربَّما خَزَنَ التَّقيُّ لسانَه ... حَذَرَ الجوابِ وإنَّه لَمفوَّه

و [اختلفوا في وفاته، فقال الكلاباذي:] مات في سنة عشرٍ ومئتين، [وقال أبو

---

(١) هذه النسبة إلى بيع الثياب. الأنساب ١٠/ ٣٧١.

(٢) كذا قال، وكذا نقل عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٠، وفي الكلام نظر. انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٦١٢، والمنتظم ١٠/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٢٢، والسير ١٠/ ٥٤٨. وانظر ما سيأتي.

(٣) في (خ): كان من أهل الفتوى. وتنظر ترجمته في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٣٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٨٣، وتهذيب الكمال، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): ومن شعره. وفي تاريخ الإسلام ٥/ ٤٨٣: ومن شعره فيما قيل، وفي العقد الفريد ٢/ ٢٨٣: للأحنف أو غيره.

زُرْعة :][١] سنة خمسَ عشرةَ ومئتين.

أسند عن إبراهيمَ بن سعدٍ الزُّهريِّ [وهشيم بن بشير، وشريك بن عبد الله القاضي] وغيرِهم[٢]، وروى عنه [ابنهُ صفوانُ بن يَسَرة، ودُحَيم، و] أبو زُرْعَة الدمشقي [وأبو حاتِمٍ الرازي، في آخرين.

قال الكلاباذي: وأخرج عنه البخاريُّ في تفسير سورة الحُجُرات، وغَزَاة أُحد، والتوحيد، ووفاةِ النبيِّ ﷺ]. وكان صالحاً صدوقاً ثقة.



(١) في تاريخه ٢/ ٧٠٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).

السنة السادسةَ عشْرةَ بعد المئتين

فيها عاد المأمونُ من دمشقَ إلى بلاد الروم [واختلفوا في سبب عودِه إليها على قولَين: أحدهما أنَّه بلغه] أنَّ ملكَ الروم[١] قَتَلَ من أهل طَرَسوسَ ألفاً وستَّ مئة رجلٍ ومن أهل المَصِّيصة، فقطع المأمونُ الدربَ [وذلك] في [شهر] جُمادى الأولى، فلم يزل مقيماً إلى نصف شعبان.

والثاني[٢]: أنَّ توفيل كتب إلى المأمون كتاباً بدأ فيه بنفسه، فعزَّ على المأمون ولم يقرأْه، وسار يقصده، فوافته رسلُ ملكِ الرُّوم بأَذَنَة، وبعث معهم بخمس مئةِ أسيرٍ من المسلمين، ونزل المأمونُ على الهِرَقْلة، فخرج إليه أهلُها على صُلح، وبعث أخاه أبا إسحاقَ [ابن الرشيد] ففتح ثلاثين حصناً، ووجَّه يحيى بنَ أكثَمَ من طُوَانة، فقتل وسبى وعاد إلى العسكر، وعاد المأمونُ إلى الشام وجعل طريقَه على كَيْسُوم[٣]، فأقام يومين [أو ثلاثة][٤] ثم سار إلى حلبَ وعاد إلى الشام.

و[روى الحافظُ ابن عساكرٍ[٥] بإسناده إلى أبي القاسمِ العَبديِّ أنَّ] في هذه الغَزَاةِ[٦] وجد المأمونُ قصراً عاديًّا مبنيًّا بالرُّخام الأبيض [ببلاد الروم وكأنَّ الصابغ قد خرج منه الآن، وعليه مِصراعان مردومان، عليهما كتابةٌ بالحِميَرية، فنُقل إلى العربية، وإذا هي: باسمك اللّهم[٧]: [من المنسرح]

مـا اخـتـلـف الـلـيـلُ والـنـهـارُ ولا دارت نـجـومُ الـسـمـاءِ فـي فَـلَـكِ

وقد ذكرنا الأبياتَ في ترجمة الأمينِ في السَّنة الثامنةِ والتسعين ومئة. فأمر بفتح

---

(١) في (خ): وذلك لأن ملك الروم. وما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥.

(٢) في (خ): وقيل.

(٣) في (ب) و (خ): كيسون. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥، وابن الأثير ٦/ ٤١٩ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في تاريخه ٢/ ٧٠٦ (مخطوط)، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب): السنة. وفي تاريخ دمشق: عن أبي القاسم العبدي قال: قال المأمون: بينما أدور في بلاد الروم وقفت على قصر عادي . . . الخبر.

(٧) في تاريخ دمشق: بسم الله الرحمن الرحيم.

المصراعَين، وإذا بقُبَّة من الرُّخام] مكتوبٌ عليها(١) بالحِمْيَرية: [من مجزوء الرجز]

لَـهْـفـي عـلـى مـخـتـلَـسِ ... فـي قـبـرِه مـحـتَـبَـسِ
قـد عـاش دهـراً مَـلِـكـاً ... مـنـعَّـمـاً بـالأُنْـس
لـم يـنـتـفـعْ لـمَّـا أتـى ... بـجـنـده والـحَـرَس

وفي القُبَّة قبر، فأمر بفتحه، ففُتح، وإذا بميِّت على سريرٍ من الذهب، وعند رأسه لوحٌ من الذهب مكتوبٌ عليه بالحِمْيَرية: [من البسيط]

الموتُ أخرجني من دار مملكتي ... فالتُّربُ مُضطَجَعي من بعد تَتْريفِ
للهِ عبدٌ رأى قبري فأحزنه ... وخاف من دهره رَيبَ التصاريف
أستغفرُ اللهَ من ذنبي ومن زَلَلي ... وأسأل اللهَ عفواً يوم توقيفي

[وقيل: إنَّ هذا القصرَ وُجد باليمن، وإنَّ الميِّتَ هو تُبَّعٌ المؤمن. والله أعلم](٢)

وفيها وثب عبدُ القُدُّوس(٣) الفِهري بمصرَ وقتل عمَّالَ المعتصم، وذلك في شعبان، فسار المأمونُ إلى مصرَ في ذي الحِجَّة.

وفيها قدم الأَفشينُ من بَرْقَة منصرفاً عنها، فأقام بمصر.

وفيها كتب المأمونُ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ ببغداد [يأمره] أن يأخذَ الجندَ بالتكبير إذا صلَّوا الجُمُعة، وبعد الصَّلوات الخمسِ إذا قضَوا الصلواتِ أن يقوموا قياماً ويكبِّروا ثلاثَ تكبيرات، ففعل ذلك في شهر رمضان [جانبَي بغداد] في جامع المنصورِ وجامع الرُّصافة [فكانوا يفعلون ذلك عقيبَ كلِّ صلاة](٤) فقال الناس: هذه بدعةٌ ثانية.

وفيها أباح المأمونُ المُتعةَ، فقال الناس: بدعةٌ ثالثة [وسنذكر القصَّة في ترجمة ابنِ أكثم](٥).

---

(١) في (خ): عليه.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في المصادر: عبدوس. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥، والمنتظم ١٠/ ٢٧٤، والكامل ٦/ ٤١٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٠٠.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

وفيها غضب المأمونُ على عليِّ بنِ هشام، وبعث إليه عُجيفاً وأحمدَ بن هشامٍ لقبض أموالِه وأسبابه.

وفيها قدم غسانُ بن عبَّادٍ من السِّند وقد استأمن إليه بِشرُ بن داودَ المهلَّبي، وأصلح غسانٌ السِّند، واستعمل عليها عمرانَ بن موسى البرمكي، فقال شاعرٌ من الشعراء:

سيفُ غسان رونقُ الحزمِ فيهِ وسهامُ الحتوفِ في ظُبَتَيهِ
فإذا جرَّه[1] إلى بلد السِّنـ ـدِ فألقى المقادَ بِشرٌ لديه
ظالماً لا يعود ما حجَّ لله مصلٌّ وما رمى جَمْرتَيه
غادراً يخلع الملوكَ[2] ويقتا دُجنوداً تأوي إلى ذِرْوَتَيه

ثم لحق غسانٌ بالمأمون.

و[اختلفوا فيمن] حجَّ بالناس [على قولين: أحدهما]: سليمانُ بن عبدِ الله بن سليمانَ ابن عليٍّ بن عبدِ الله بن عباس. [الثاني:][3] عبدُ الله بن عُبيد اللهِ بن العباس بن محمد بن عليٍّ بن عبد اللهِ بن عباس، وكان المأمونُ قد ولَّاه اليمن [وجعل إليه ولايةَ كلِّ بلدٍ يدخله حتى يصلَ إلى اليمن] فخرج من دمشقَ فوصل إلى بغداد، فصلَّى بالناس يومَ الفطر، ثم شخص إلى الحجِّ يومَ الاثنين لليلةٍ خَلَتْ من ذي القَعدة، فأقام الحجَّ للناس.

وفيها توفِّي

إسماعيلُ بن جعفر

ابن سليمانَ بن عليٍّ بن عبدِ الله بن عباس، أبو الحسن.

كان من رِجالات بني هاشمٍ وأفاضلِهم، طُوالاً مَهيباً، جَوَاداً، محترماً بين أهلِه، ذا مروءةٍ ظاهرة، عاقلاً، لم يلِ له ولاية[4]، ولم يدخلْ في أمرٍ من أمور الدنيا.

---

(١) في (خ): قاد حرارة. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٦، وفيه أيضاً: الحرب، بدل الحزم، وسمام، بدل: سهام. والظُّبَة: حدُّ السيف. القاموس (ظبي).

(٢) في (خ): عاد الخلع للملوك. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في (خ): وقيل.

(٤) كذا في (خ)، وفي تاريخ الإسلام ٥/ ٢٧٧: لم يل لبني عمه ولاية. وفي الوافي بالوفيات ٩/ ١٠٤: لم يَلِ ولاية. وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٨.

وكانت وفاتُه ببغدادَ والمأمونُ في بلاد الروم، فصلَّى عليه إسحاقُ بن إبراهيم، ودُفن بمقابر قريش، وروى عن أبيه وجدِّه(١).

[وفيها توفِّيت]

زُبيدةُ

أَمَةُ العَزيز بنتُ جعفرِ بن أبي جعفرٍ المنصور وتُكنى أمَّ جعفر.

وُلدت في زمن المنصور [وكان يرقِّصها ويقول: أنت زُبدة وزُبَيدة، فغلب ذلك الاسمُ عليها، وقد ذكرناها] وهي زوجةُ الرشيد وأمُّ الأَمين.

وكان هارونُ قد شكا لعبد اللهِ بن مصعبٍ الزُّبيري أن زبيدة لا تَحمل [منه]، فقال [له]: أَغِرها؛ فإنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام كانت عنده سارةُ فلم تَحملْ منه، فحملت هاجرَ، فغارت سارةُ فحملت بإسحاق، فأَغار هارونُ زبيدةَ بمَرَاجل، فولدت زبيدةُ الأمين، وولدت مراجلُ المأمونَ في سنةٍ واحدة.

[قلت: وقد أخطأَ الزُّبيريّ؛ فإنَّ حَمْلَ سارةَ ما كان باعتبار الغَيرة، وقد ذكرناه في صَدر الكتاب.

ذكرُ طَرَفٍ من أخبارها:

قال علماءُ السِّيَر:](٢) كانت زُبيدةُ صاحبةَ المعروفِ والصَّدقات، وأبوابِ البرِّ على الفقراء والعلماءِ والمساكين وأَربابِ البيوت، ولها الآثارُ الجميلة بأرض الحجازِ ومكَّةَ والمدينة، وحفر الآبارِ والمصانع، وإنفاق الأموالِ الجزيلة في أهل الحَرَمين، وأُحصي ما أنفقت في الحجاز فكان أَلفَي ألفِ دينار، وبلغت نفقتُها في حَجَّتها ألفَ ألفِ دينار.

[وروى الخطيبُ(٣) عن] إسماعيلَ بن جعفرِ بن سليمانَ قال(٤): حجَّت أمُّ جعفرٍ

(١) وكذا في الوافي بالوفيات، وفي تاريخ الإسلام: عن أبيه عن جده.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمتها في تاريخ بغداد ١٦/ ٦١٩، والمنتظم ١٠/ ٢٧٦، والسير ١٠/ ٢١٤، وبقية مصادر ترجمتها ثمَّة.

(٣) في تاريخه ١٦/ ٦٢٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقال إسماعيل بن جعفر بن سليمان.

فبلغت نفقتُها في ستِّين يوماً أربعةً وخمسين ألفَ ألفِ درهم، فرفع إليها وكيلُها[١] حسابَ النفقة، فنهته عن ذلك وقالت: ثوابُ اللهِ بغير حساب.

وحبس وكيلُها رجلاً كان ينظر في ضِياعها، قد أَخذ من مُغَلِّها مئتَي ألفِ درهم، فشفع فيه الفيضُ بن أبي صالح، فلم تشفِّعْه وقالت: لا بدَّ من المال، وكان الفيضُ قد أتى إلى بابها، فلما مَنعتْ، أخذ الدَّواة وكتب إلى وكيله بحمل ما على الرَّجل إلى ديوانه[٢]، وكتب إليها صاحبُ الخبرِ بذلك، فقالت: نحن أَوْلى من الفيض بهذه المَكْرُمة، أَطلِقوا له الرَّجل، ولم تأخذْ منه شيئاً.

[وقد ذكرنا اجتماعَ المأمونِ بزبيدةَ وما جرى له معها لمَّا دخل بغداد][٣].

و [قال الصُّولي:] دخل المأمونُ يوماً على أمِّ جعفرٍ وعلى رأسها جاريةٌ من جواري الأمينِ مُغنِّية، فعرفها [المأمون] فقال: غنِّي، فقالت: أَبعدَ مولاي! فأشارت إليها زُبيدة: غنِّي، فغنَّت: [من الطويل]

هـمُ قـتـلـوه كـي يـكـونـوا مـكـانَـه ... كـمـا غـدرتْ يـومـاً بِـكـسـرى مَـرَازِبُـهْ
فـإلَّا تـكـونـوا قـاتِـلِـيْـه فـإنَّـه ... سـواءٌ عـلـيـه مـا سِـكُـوه وضـارِبُـهْ

فتغيَّر وجهُ المأمون، فقالت زُبيدة: واللهِ ما علمتُ ما في ضميرها، فصدَّقها، وعجب من هذا الاتِّفاق، فتطيَّر وأَيقن بالموت وقُربِ الأجل، فخرج إلى بلاد الرومِ ولم يعُدْ إلى بغداد.

[وهذا الشِّعر للوليد بن عُقبة في عثمان ﷺ، وقد ذكرناه فيما تقدَّم، إلَّا أنَّ فيه زيادةً ذكرها الصُّولي، وهي أنَّ المأمون لم يَعُدْ إلى بغداد][٤].

وكانت وفاة زبيدة في جمادى الأولى هذه السنة، ودفنت بمقابر قريش.

---

(١) قوله: فرفع إليها وكيلها ...، ليس في تاريخ بغداد، وهو في المنتظم ١٠/ ٢٧٧.
(٢) في (ب) و (خ): ديوانها. ولعله سهو. وانظر المنتظم ١٠/ ٢٧٧.
(٣) انظر فصل: ذِكر مقتله، من ترجمة محمد الأمين في السنة الثامنة والتسعين ومئة. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

[وروى الخطيبُ[١] عن] عبد الله بن المبارك الزَّمِن قال[٢]: رأيتُ زبيدةَ في المنام وفي وجهها صُفْرة، فقلت: ما فعل اللهُ بكِ؟ قالت: غفر لي في أوَّل مِعْوَلٍ ضُرب بطريق مكَّة، قلت فما هذه الصُّفرةُ في وجهك؟ قالت: دُفن بين أظهُرنا رجلٌ يقال له: بِشْرٌ المَرِيسي، زفرت عليه جهنمُ زفرةً فاقشعرَّ لها جِلدي [أو جسدي]، فهذه الصُّفرةُ من تلك الزَّفرة، [وفي رواية: فرأيتُ في وجهها سُفْعة][٣]، وأصاب مَن حولي من ذلك.

وقال القاضي التَّنوخي: إنَّ زبيدةَ لمَّا ماتت رُئيت في المنام، فقيل لها: ما فعل اللهُ بك؟ قالت: غفر لي، قيل: بحفرك الآبارَ والمصانع وفعلِك بطريق مكَّة ما فعلت؟ قالت: لا، تلك أموالٌ كانت مغصوبة، رجع ثوابُها إلى أربابها. قيل: فبماذا؟ قالت: جلستُ يوماً وبين يديَّ جواريّ، فأخذن العيدانَ وشرعنَ يغنِّين، وإذا بصوت المؤذِّن، فقلت: ضعْن عيدانكنّ، وقلنَ كما قال المؤذِّن، فلما متُّ أوقفني الحقُّ بين يديه وقال: يا ملائكتي، هذه زبيدةُ التي ذكرتْني في وقت لذَّتِها، أُشهدكم أنِّي قد غفرتُ لها.

[انتهت ترجمة زبيدة، والحمد لله.

فصل: وفيها توفِّي

محمدُ بن بكَّار

ابنِ بلال أبو عبدِ الله، قاضي دمشق. ذكره أبو زُرعةَ الدمشقيُّ في «أهل الفتوى بدمشق» وأثنى عليه. قال:[٤] وشهدت جنازتَه عند منصرِفه من الحجِّ في المحرَّم سنةَ ستَّ عشرةَ ومئتين.

وكان ثقةً صدوقاً، أخذ عن اللَّيث بنِ سعد وغيره، وروى عنه ابناه هارونُ والحسن، وابنُ ابنه أبو عليٍّ الحسنُ [بن أحمدَ][٥] بن محمد بن بكار، وأحمدُ بن أبي الحَوَاري، وأبو زُرعةَ الدمشقي، وأبو حاتِمِ الرازي، وغيرُهم.

---

(١) في تاريخه ١٦/ ٦٢٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقال عبد الله بن المبارك الزمن.

(٣) السُّفْعَة: سوادٌ في خَدَّي المرأة الشاحبة. الصحاح (سفع). وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخه ١/ ٢٨٢-٢٨٣، ٢/ ٧٠٨. والترجمة ليست في (خ).

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٦١/ ١٥٧، وتهذيب الكمال.

ومات وهو ابن أربعٍ وسبعين].

محمدُ بن عبَّاد

[ابنِ عبَّاد][(١)] بن حَبيب بن المهلَّب بن أبي صُفْرةَ ظالمِ بن سرَّاق. ولي إمرةَ البصرة والصلاةَ بها، وكان جَواداً ممدَّحاً.

قدم على المأمون، فقال له: يا محمد، لقد أردتُ أن أولِّيَك، فمنعني إسرافُك في المال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَنْعُ الموجودِ سوءُ ظنٍّ[(٢)] بالمعبود. فقال له المأمون: لو شئتَ أبقيتَ على نفسك؛ فإنَّ الذي تنفقه بعيدُ الرجوع، فقال محمد: مَن له مولًى غنيٌّ لا يفتقر. فاستحسن ذلك منه، وقال للناس: مَن أراد أن يُكرِمَني فلْيكرمْ ضيفي محمدَ بن عباد، فجاءت الأموالُ من كلِّ ناحية، فما برح وعنده منها درهمٌ واحد، وقال: إنَّ الكريمَ [لا][(٣)] تحنِّكه التجارب.

ووصله المأمونُ بستَّة آلافِ ألف درهم، ومات وعليه خمسون ألفَ دينار.

وقال له المأمون: يا محمد، بلغني أنه لا يَقدَم أحدٌ البصرةَ إلَّا دخل دارَ ضيافتِك قبل أن ينصرفَ في حاجاته، فكيف تَسَعُ لهذا!

وكتب إليه منصورُ بن المَهديِّ يسأله دَيناً عليه، فبعث إليه بعشرة آلافِ دينار.

وقال له المأمون: ما أكثرَ الطاعنين في آل المهلَّب! فقال: [من البسيط]

إنَّ العرانينَ[(٤)] تلقاها مُحسَّدةً ... ولا ترى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادا

وهذا البيتُ لعُمرَ بنِ لجأ[(٥)] في يزيدَ بنِ المهلَّب من أبيات، منها:

---

(١) في (خ): عبادة، وهو خطأ، وما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٦، والمنتظم ١٠/ ٢٧٩، والسير ١٠/ ١٨٩. والترجمة ليست في (ب).

(٢) في (خ): الظن. والمثبت من المصادر.

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٤) في (خ)، وتاريخ بغداد ٣/ ٦٤٨، والمنتظم ١٠/ ٢٨٠: الغرانيق، والمثبت من سائر المصادر، انظر العقد الفريد ٢/ ٣٢٤، والحماسة البصرية ١/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٨٣. وعَرانين القوم: سادتهم. الصحاح (عرن).

(٥) في (خ): نجا، وهو خطأ.

آلُ المهلَّب قومٌ إنْ نسبتَهمُ ... كانوا الأكارمَ[1] آباءً وأجدادا
كم حاسدٍ لهمُ يَعْيَا[2] لفضلهمُ ... ولا دنا من مساعيهمْ ولا كادا

وقال إبراهيمُ بن عبدِ الرحمن: لمَّا احتضر محمدُ بن عبَّاد، دخل عليه نفرٌ من قومه كانوا يحسُدونه، فلمَّا خرجوا قال متمثِّلاً: [من الطويل]

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ فإنْ أمُت ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ
فما عيشُ مَن يبقى خلافي بضائري ... ولا موتُ مَن يَمضي أمامي بمُخْلِدي[3]
فقل[4] للذي يبقى خلافَ الذي مضى ... تهيَّأ لأُخرى مِثلها فكأنْ قدِ

وكانت وفاتُه بالبصرة. وقيل: للعُتْبي: مات محمدُ بن عبَّاد، فقال: [من مجزوء الخفيف]

نحن متْنا بفَقْدِهِ ... وهو حيٌّ بمجْدِهِ

قدم محمدٌ بغداد، وحدَّث بها عن أبيه وعن صالح المُرِّي وهُشَيم، وروى عنه إبراهيمُ الحَرْبي والكُدَيمي وأبو العَيناءِ وغيرُهم.



(١) في (خ): المكارم. والمثبت من المصادر.
(٢) في (خ): بغياً. والمثبت من ديوانه، والوافي بالوفيات.
(٣) في (خ) مخلدي. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٨، والمنتظم ١٠/ ٢٨١.
(٤) في (خ): قل.

السنةُ السابعةَ عشْرةَ بعد المئتين

فيها ورد المأمونُ مصرَ في المحرَّم، فأُتي بعبدوس الفِهري، فضرب عُنقَه وعاد إلى دمشق.

وفيها قتل المأمونُ علياً وحُسيناً ابنَي هشامٍ بأَذَنَةَ في جُمادى الأولى.

وفيها دخل المأمونُ أرضَ الروم، فنزل على لؤلؤة، فأقام عليها ثلاثةَ أشهرٍ وعشرةَ أيام، ورحل عنها وخلَّف عليها عُجَيفاً، فخدعه أهلُها وأَسَروه، فأقام في أيديهم ثمانيةَ أيام، ثم أَطلقوه، وسار توفيل ملكُ الرومِ إلى لؤلؤة، فأحاط بعُجَيْف، وبلغ المأمونَ، فصرف الجنودَ إليه، فارتحل قبل موافاتهم، ورجع أهلُ لؤلؤةَ إلى عُجَيف بأمان.

وفيها كتب توفيل ملكُ الرومِ إلى عبد اللهِ ملكِ المسلمين: أما بعد، فإنَّ اجتماع المختلفَين على حظِّهما أَولى بهما من الدأْب فيما يعود بالضَّرر عليهما، ولستَ حَرِيًّا أن تدعَ لحظٍّ يصل إلى غيرك حظًّا تجرُّه إلى نفسك، وفي علمك كافٍ عن إخبارك، وقد كتبتُ إليك داعياً إلى المسالمة، راغباً في فضيلة المهادَنة، لنضعَ أوزارَ الحرب عنَّا، وتكونَ الموادعة، وتتصلَ بيننا المرافقُ بأمن السُّبل، فإن أجبتَ حصل المراد، وإن أبيتَ خضت إليك همّاً وغمّاً، وملأت بلادَك بخَيل الروم ورَجِلها، وقدَّمتُ المعذرةَ إليك، وأقمت الحجَّةَ عليك، والسلام.

وبعث بالكتاب مع وزيرٍ يقال له: الصقيل[1]، فلما قرأه المأمونُ استشاط غضباً، وكتب إليه:

من عبد اللهِ المأمونِ أميرِ المؤمنين إلى كُليب الروم، أما بعد: فقد بلغني كتابُك فيما سألتَ من الهُدنة، ودعوتَ إليه من الموادعة، وخلطتَ فيه من اللِّينَ بالشدَّة . . . وذكر كلاماً في هذا المعنى، وقال في آخره: وأنا أدعوك للمِلَّة الحنيفية، والشريعةِ الإسلامية، أو جزيةٍ تَحقن بها دمَك، فإن أَبيت، ففي المعاينة ما يُغني عن الإغراق في

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٩: الفضل.

الصِّفة، ولا ينال عهدي الظالمين.

ثم تقدَّم فنزل على سَلَغُوس، وعزم يُنيخ على خليج القُسْطنطينية، فخاف هجوم الشتاء.

وفيها وقع حريقٌ بالبصرة، فأَتى على أكثرها، فصاح رجل: قد علمتم أنَّ لي في نهر كذا وكذا كذا وكذا جَرِيباً، فمن خلَّص ابنتي أخذ منها عشرة، فبلَّ رجلٌ كساءَه ودخل النار، وغاب ساعةً ثم خرج ومعه بنتُ الرَّجل، فوقع مغشيّاً عليه من حرِّ النار، فلمَّا أفاق قال له أبوها: اذهب فخذْ ما شئت، فقال: لا واللهِ لا آخذ شيئاً، قال: ولم؟ قال: لو دخلتُ النارَ على طمعٍ لَمَا خَلَصتُ لا أنا ولا هي، ما دخلتها إلَّا على غير طمع، بل لله تعالى. ولم يأخذْ منه شيئاً.

وحجَّ بالناس سليمانُ بن عبدِالله بن سليمانَ بن عليّ.

وفيها توفِّي

عليُّ بن هشامِ بن فَرَّخُشرو[1]

أبو الحسن، القائدُ المَرْوَزي. أحد قوَّاد المأمونِ وندمائه، وكان قريباً منه، فرُفع إلى المأمون سوءُ سيرته في رعيَّته، وكان قد ولّاه كُوَر الجبال، فقتل الرِّجال وأخذ الأموال، فوجَّه إليه المأمونُ عُجَيفَ بن عَنْبسة، فأراد أن يفتكَ به ويلحقَ ببابَك الخُرَّمي، فظفر به عُجيفٌ وقدم به على المأمون، فأمر بضرب عُنقِه، فقتله عليُّ بن الخليل ابنُ أخيه، وأمر بضرب عُنقِ أخيه الحسينِ[2] محمدَ بنَ يوسف ابنَ أخيه، فقتله، وذلك يومَ الأربعاء، بأَذَنَة، في جُمادى الأولى.

وبعث المأمونُ برأس عليٍّ إلى بغدادَ وخُراسانَ والجزيرةِ والشام ومصر، وطيف به، وأُلقي في البحر. وكتب المأمونُ على الرأس رُقعة، وفيها:

---

(١) في (خ): موخسرو. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٢/ ١٨، والوافي ٢٢/ ٢٨٨، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة، والترجمة غير موجودة في (ب).

(٢) في (خ): بن محمد. وهو خطأ، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٧.

أما بعد، فإنَّ أميرَ المؤمنين دعا عليَّ بن هشامٍ فيمن كان دعا أيامَ المخلوعِ[1] من أهل خُراسانَ إلى معاونته، فأجاب، فرعى له ذلك، وولَّاه الأعمالَ السَّنيَّة، ووصله بالصِّلات الجزيلة، فبلغت أكثرَ من خمسين ألفَ ألفِ درهم، فمدَّ يده إلى الخيانة، والتضييعِ لما استرعاه من الأمانة، فباعده عنه وأقصاه، ثم استقال أميرَ المؤمنين، فأَقاله عَثْرتَه، وولَّاه الجبالَ وإرْمِينيَةَ وأَذْرَبيجان، ومحاربةَ أعداءِ الله الخُرَّميَّة، على ألَّا يعودَ إلى ما كان، فأَساء السِّيرة، وعَسَفَ الرَّعية، وسفك الدماءَ المحرَّمة، فوجَّه أميرُ المؤمنين عُجيفَ بن عنبسةَ مباشراً لأمره، وداعياً إلى تلافي ما كان منه، فوثب بعجيفٍ يريد قتلَه، فظفر به عجيفٌ ودفعه عن نفسه، ولو تمَّ ما أراد [لَكان في ذلك ما لا يُستدرك ولا يستقال، ولكنَّ الله إذا أرادَ][2] أمراً كان مفعولاً، فلما أَمضى أميرُ المؤمنين من حكم اللهِ في عليٍّ بن هشام، رأى ألَّا يؤاخذَ مَن خلفه بذنبه، وأَجرى على مَن ترك من ولده وعيالِه ومَن اتصل بهم في حال حياتِه ما كان جارياً عليهم بعد مماتِه، والسلام.

وكان عليُّ بن هشامٍ فاضلاً شاعراً، وكان المأمونُ يزوره في بيته، ومن شِعره: [من البسيط]

يا موقِدَ النارِ يُذْكيها فيُخمدُها … قُرُّ الشتاءِ بأرياحٍ وأمطارِ
قم فاصطلِ من فؤادي النار مُضْرَمَةً[3] … بالشوق تَغْنَ بها يا موقدَ النار
ويا أخا الذَّودِ قد طال الظَّماءُ بها … ما تعرف الرِّيَّ من جَذْبٍ وإقتار
رُدَّ العِطاش على عيني ومَحْجِرِها … تَروَ العِطاشُ بدمعٍ واكفٍ جاري
إنْ غاب شخصُك عن عيني فلم تره … فإنَّ ذِكرَك مقرونٌ بإضماري

ومرَّت جاريةٌ له بعد قتلِه على قصره، فبكت وقالت: [من السريع]

يا مَنْزلاً لم تَبْلَ أطلالُهُ … حاشا لأطلالك أن تَبلَى

(١) في (خ): إماماً مخلوع. والمثبت من تاريخ الطبري.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.
(٣) في تاريخ دمشق ٥٢/ ١٨.: النارَ من قلبي مُضَرَّمةً، وفي الوافي ٢٢/ ٢٨٩: من أحشاي.

لــم أَبْــكِ أطــلالَــكَ لــكــنَّــنــي بــكــيــتُ عــيــشــاً فــيــك إذ ولَّــى
قــد كــان لــي فــيــك هــوًى مــرَّةً غــيَّــبــه الــتُّــربُ ومــا مُــلَّا
والــعــيــشُ أَوْلــى مــا بــكــاه الــفــتــى لا بــدَّ لــلــمــحــزون أن يَــسْــلَى[(١)]

واسمُ هذه الجاريةِ مُراد، وكانت شاعرةً فصيحةً رئيسة، فقالت: [من المجتث]

هــل مُــسْــعِــدٌ لــبــكــائــي بــعَــبــرةٍ[(٢)] أو دمــاءِ
وذاك مــنِّــي قــلــيــلٌ لــســيِّــد الــنُّــجــبَــاء
أبــكــيــتــهــمْ[(٣)] فــي صــبــاحــي بــلَــوعــتــي ومــســائــي

[وفيها توفِّي]

عَمرُو بن مَسعدةَ

ابنِ سعيد بن صُوْل أبو الفضل الصُّولي. أحدُ كتَّاب المأمون وخاصَّتِه.

[وقال الخطيب:][(٤)] كان له ببغدادَ فوق الجسرِ ساباطٌ يُعرف به، وكان جواداً ممدَّحاً فاضلاً رئيساً نبيلاً جليلاً، ذا مروءةٍ ظاهرةٍ، وفيه يقول الشاعر[(٥)]: [من الطويل]

لَــشــتَّــانَ بــيــن الــمــدَّعــيــن وِزارةً وبين الوزيرِ الحقِّ عَمرِو بن مَسعَدَهْ
فــهــمُّــهــمُ فــي الــنــاس أن يَــجــبَــهــوهــمُ وهــمُّ أبي الفضلِ اصطناعٌ ومَحمدَه

قال عَمرو بن مَسعدة: كنت مُصعداً من واسط إلى بغدادَ في حرٍّ شديد، فبينا أنا في الزَّلَّال[(٦)]، إذا برجلٍ ينادي: يا صاحبَ الزَّلَّال، بنعمة اللهِ عليك إلَّا نظرتَ إليّ،

(١) الأغاني ٧/ ٣٠٢-٣٠٣، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٣ وليس فيه البيت الأخير.
(٢) في (خ): بعبر: والمثبت من الأغاني ٧/ ٣٠٣، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٣، وتحرفت في مطبوع الإماء الشواعر للأصفهاني ص٨٨ إلى: بعرة!!.
(٣) في الأغاني وتاريخ دمشق والإماء: أبكيهم.
(٤) في تاريخه ١٤/ ١١٢. وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) هو عمرو بن أبي بكر العدوي القرشي، كما في معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٤-٣٥.
(٦) في (خ): الزلازل، في المواضع كلها والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ٣١٤، والمنتظم ١١/ ١٠، والزَّلَّال: ضرب من السفن الصغيرة والسريعة، كانت معروفة بنهاية العصر العباسي، وورد ذكرها في بعض المصادر بلفظ: زلّالة. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى الخطيب ص٢٢٣.

فكشفتُ [سَجْفَ][(١)] الزَّلَّالِ، وإذا بشيخٍ ضعيفٍ حاسر، فقال: قد ترى ما أنا فيه، ولستُ أجد من يحملني، فابتغِ الأجرَ فيَّ، فأدركتني له رِقَّة، وأمرتُ بحمله، وكسوته ثوباً ونقداً معي، فقلت: حدِّثني حديثَك. فقال: حديثي طويل:

أنا رجلٌ كانت لله عليَّ نعمة، وكنت صَيرفيّاً، فابتعتُ جاريةً بخمس مئةِ دينار، فشُغفتُ بها، وكنت لا أقدر أن أُفارقَها ساعة، فتعطَّل مكسبي، وأنفقتُ رأسَ المال، ولم يبقَ لي قليلٌ ولا كثير، وحَمَلَت الجارية، فأقبلتُ أَنقض داري وأبيع الأنقاضَ حتى فرغت من ذلك، ولم يبقَ لي حيلة، فأخذها الطَّلْق، فقالت: إنني أموت، فاحتلْ في دقيقٍ وعسلٍ وشَيْرَج[(٢)] وحاجتي، قال: فبكيت، وخرجتُ على وجهي وجئت إلى دِجلة، وهممتُ أن أُغرق نفسي فيها، فخفتُ من الله عزَّ وجلَّ، فخرجت على وجهي في البرِّيَّة من قريةٍ إلى قرية، حتى بلغت خُراسان، فصادفتُ مَن عرفني، واكتسبتُ مالاً عظيماً، وكتبتُ إلى بغدادَ كتباً كثيرةً نحو ستِّين كتاباً، إلى الجارية، فلم يَصِلني جواب، فلم أشكَّ إلا أنَّها ماتت.

وتراخت فيَّ الأيامُ والسِّنون، وحصل معي ما قيمتُه عشرون ألفَ دينار، فقلت: أَعود إلى وطني، فاشتريتُ متاعاً من خُراسانَ وخرجت، فقطع عليَّ اللصوصُ الطريق، فأخذوا ما معي وما كان في القافلة، وعُدْتُ فقيراً كما خرجتُ من بغداد، ولي منذ فارقت بغدادَ ثمانيةٌ وعشرون سنة.

قال عَمرو: فقلت: إذا صرتَ إلى بغدادَ فَصِرْ إليَّ حتى أُصرِّفَك فيما يصلح لمثلك، ووهبتُ له دراهم، ودخلنا بغداد، ومضت مدَّةٌ ونسيته، فبينا أنا يوماً في موكبي أريد دارَ الخلافة، وإذا بالشيخ راكباً على بغلٍ بمركب ثقيلٍ وعليه ثيابٌ رفيعة، وبين يديه غلامٌ أسودُ وهو واقفٌ على بابي، فسلَّم علي، فرحَّبتُ به وقلت: ما الخبر؟ قال: حديثي طويل، فقلت: عُدْ غداً إليّ، فلما كان من الغد جاءني، فقلت: قد سُرِرت بحالك فحدِّثْني.

(١) ما بين حاصرتين زيادة من الفرج والمنتظم، والسَّجْف: السِّتْر. القاموس (سجف).

(٢) الشيرج: دهن السمسم.

قال: لمَّا صعدتُ من زَلّالك قصدت داري، فرأيت حائطَها كما تركته، إلا أنَّ الباب قد غُيِّر بباب مَجلوٍّ نظيف، وعليه بوَّاب، فقلت: إنَّا لله، ماتت جاريتي وملك الدارَ بعضُ الجيران فباعها على رجلٍ من أصحاب السلطان، ثم تقدَّمتُ إلى دكَّان بقَّالٍ كنت أعرفه في المحلَّة، وإذا فيها غلامٌ حَدَث، فقلت: مَن تكون من فلانٍ البقَّال؟ فقال: ابنُه، قلت: ومتى مات أبوك؟ قال: منذ عشرين سنة، قلت: ولمن هذه الدار؟ قال: لابن دايةِ أمير المؤمنين، وهو الآن جِهْبِذُه[1] وصاحبُ بيت ماله، قلت: فبمن يُعرف؟ قال: بابن فلانٍ الصَّيرفي، فذكر اسمي، قلت: فهل يعيش أبوه؟ فقال: كان رجلاً جليلاً فافتقر، وإنَّ أمَّ هذا الصبيِّ ضربها الطَّلق، فخرج أبوه يطلب لها شيئاً، ففُقد وهلك. قال لي أبي: فجاءني رسولُ هذه المرأةِ يستغيث بي، فقمت لها بحوائج الوِلادة، ودفعت إليها عشرةَ دراهم، فأنفقتها، فقيل: وُلد لأمير المؤمنين الرشيدِ وَلَدٌ ذَكَر، وقد عرض عليه الداياتِ فلم يقبل ثديَ امرأة، قال أبي: فأرشدتُ الذي كان يطلب الداياتِ إلى أمِّ هذا، فحُملت إلى دار أميرِ المؤمنين الرشيد، فحين وُضع فمُ الصبيِّ على ثديها قَبِلَه، فأرضعته، وكان الصبيُّ المأمون، ونشأ الصبيُّ وصار عندهم في حالةٍ جليلة، ووصل إليه منهم أموالٌ عظيمة.

ثم خرج المأمونُ إلى خُراسان، فخرجت هذه المرأةُ وابنُها معها، ولم نعرفْ من أخبارهم شيئاً إلا منذ قريبٍ، لمَّا عاد المأمونُ من خُراسانَ وعادت حاشيتُه معه، رأينا هذا قد صار رجلاً، ولم أكن رأيته قطّ، فقيل: هذا ابنُ فلان الصيرفيِّ وابنُ دايةِ أميرِ المؤمنين، فبنى هذه الدارَ وسوَّاها.

قلت: فهل عندك علمٌ من أمّه أحيَّةٌ هي أم ميِّتة؟ قال: حيَّة، تمضي إلى دار الخليفةِ فتكون عندهم أياماً، وتأتي إلى ابنها فتكون عنده أياماً، قال: فحمدتُ اللهَ على هذه الحالة، وجئت فدخلت مع الناس إلى الدار وقد تغيَّرت عمارتها، وفيها مجلسٌ كبير مفروش، وفي صدره شابّ، وبين يديه كتَّابٌ وجهابذةٌ وأموال وشواهين[2]، وهم يَقبَضُون ويُقبِضُون، ورأيت شَبَهي في الغلام، فعلمت أنَّه ابني، فجلست في غِمار

(١) الجهبذ: النقاد الخبير.

(٢) الشاهين: عمود الميزان. القاموس (الشاهين).

الناسِ إلى أن لم يبقَ في المجلس غيري، فأقبل عليَّ وقال: يا شيخ، هل من حاجة؟ قلت: نعم، ولكنها أمرٌ لا يجوز أن يسمعَها غيرك، فأشار إلى الغِلمان فتأخَّروا، فقلت: أنا أبوك، فلمَّا سمع ذلك تغيَّر وجهه، ولم ينطقْ بحركة ولا بحرفٍ واحد، وقام مسرعاً وتركني في مكان، فلم أَشعرْ إلا بخادمٍ قد جاء وقال: قم يا سيِّدي، فقمت أمشي، فبلغت إلى سِتارة ممدودةٍ في دارٍ لطيفة، وكرسيٌّ بين يديها والفتى جالسٌ عليه، وكرسيٌّ آخَر، فقال: اجلسْ أيها الشيخ، فجلست وقلت: أظنُّك تريد أن تعتبرَ[1] صدقَ قولي من جهة فلانة، وذكرتُ اسمَ جاريتي، وإذا بالسِّتارة قد هُتكت وخرجت الجاريةُ فألقت نفسَها عليّ، وجعلت تبكي وتقول: مولاي والله، وقام الفتى وخرج، والجاريةُ تبكي وتقول: حدِّثْني حديثَك، فحدَّثتها حديثي من يومِ فارقتُها إلى ذلك اليوم، وجاء خادمٌ فقال: يا مولاي، ولدُك يسألك أن تخرج إليه، فخرجت إليه، فلمَّا رآني من بعيدٍ قام قائماً وقال: العذرُ إلى الله وإليك يا أَبَهْ من تقصيري في حقِّك، فإنَّه قد جاءني ما لم أظنَّ أن يكونَ مثلُه، والآن فهذه النعمةُ لك، وأنا ولدُك، وأميرُ المؤمنين يجتهد لي منذ دهرٍ طويل أن أدعَ الجِهبذةَ وأتوفَّرَ على خدمته، فلا أفعلُ طمعاً للتمسُّك بصَنعتي، والآن فأنا أسأله أن يردَّ إليك عملي، وأخدمه أنا في غيره، قم عاجلاً فأَصلِحْ أمرَك.

فدخلت الحمَّام وتنظَّفت، وجاؤوني بخِلعة فلبستها، ثم أَدخلني على أمير المؤمنين وحدَّثه بحديثي، فأمر لي بخِلعة، فهي هذه، وردَّ إليَّ العملَ الذي كان إلى ابني، وأمر لي من الرِّزق بكذا وكذا، وقلَّد ابني أعمالاً هي أجلُّ من عمله، فجئت أشكرك على ما عاملتَني به من الجميل، وأعرِّفك تجدُّدَ النعمة.

قال عَمرو: فلما سمَّى لي الفتى عرفته، وعلمت أنَّه ابن دايةِ أمير المؤمنين.

واستبطأ المأمونُ عَمرَو بنَ مسعدةَ في أشياء، وكان أحمدُ بن أبي خالدٍ حاضراً، فأخبر عَمراً بذلك، فدخل على المأمون ورمى سيفَه وقال: أنا عائذٌ بالله من سخط أميرِ المؤمنين، فقال له: وما ذاك؟! فأخبره بما قال أحمد، فاستحيى منه، فلما خرج دخل أحمد، فقال له المأمون: أما لمجلسي حرمة! أشكو إليك خادمي سراً فترفعه إليه،

(١) في المنتظم والفرج: تختبر.

فقال يا أمير المؤمنين، مثل عمرو مناصحته لا يوجد، فأخبرته بتفريط ليستدرك ما مضى، فقال له المأمون: أحسنت.

[ولعَمرو بن مَسعدةَ حكاياتٌ مستطرَفة، منها ما ذكره القاضي التَّنوخي في كتاب «الفَرج بعد الشدَّة»[(١)] وحكاه جدِّي رحمه الله في «المنتظم»[(٢)] فقال: حدَّثنا محمد بنُ عبدِ الباقي: حدَّثنا عليُّ بن المحسِّن التنوخيُّ، عن أبيه] قال: قال عَمرو بن مَسعدة[(٣)]: كنتُ مع المأمون عند قدومِه من بلاد الروم، حتى إذا نزل الرَّقَّةَ قال: يا عَمرو، ما ترى الرُّخَّجيَّ[(٤)] قد احتوى على [أموال] الأهواز وجمعها وطمع فيها؟! وكتبي متصلةٌ في حملها، وهو يتعلَّل [ويتربَّص بي الدوائر!][(٥)] فقلت: أنا أكفي أميرَ المؤمنين بأمره، قال: تخرجُ إليه بنفسك حتى تصفِّدَه بالحديد وتحملَه إلى بغداد، وتقبضَ على جميعِ ما في يده من أموالنا، وتنظرَ في العمل وترتِّب فيه عمَّالاً، فقلت: السمع والطاعة.

فلمَّا كان من غدٍ دخلتُ عليه [فاستعجلني] فانحدرتُ[(٦)] في زلَّال أُريد البصرة، واستكثرت من الثلج لشدَّة الحرِّ، فلما صرت بين جَرْجَرَايا وجَبُّل سمعت صائحاً من الشاطئِ يصيح: يا ملَّاح، فرفعت سُجُفَ الزلَّال، فإذا بشيخٍ كبير السِّنّ، حاسر، حافي القدمين، خَلَقِ القميص، فقلت للغلام: أَجِبه، فأجابه، فقال: يا غلام، أنا شيخٌ كبير

---

(١) ٣/ ٣٠٦. والحكاية مذكورة أيضاً في العقد الفريد ٤/ ١٧٥-١٧٩، وصبح الأعشى ١/ ١٤٢-١٤٥ وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ١١/ ٧.

(٣) في (خ): قال: قلت للقاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي ذكر للقاضي أبو الحكماء كتابه قال: وقال عمرو بن مسعدة...

(٤) هو: عمر بن الفرج، كما في صبح الأعشى ١/ ١٤٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (خ): دخلت عليه فقال: ما فعلت فيما أمرتك؟ قلت: أنا على ذلك، قال: أريد أن تجيئني في غد مودعاً، فلما كان من الغد جئته مودعاً، قال: أريد أن تحلف لي أنك لا تقيم إلا يوماً واحداً ببغداد، فاضطربت في ذلك، فاستحلفني ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام، فخرجت حتى قدمت بغداد ولم أقم إلا ثلاثة أيام، وانحدرت في زلازل ... إلخ.

وكذلك هو في الفرج بعد الشدة، إلا أني أثبت ما في (ب)؛ لأنه يوافق ما في المنتظم، وقد قال كما سيأتي: هذا صورة ما حكى جدي عن التنوخي.

السِّنِّ على هذه الصورةِ التي ترى، وقد أحرقتني الشمسُ وكادت تُتلفني، وأريد جَبُّل، فاحملوني معكم، فإنَّ اللهَ يُحسن أجرَ صاحبكم، فشتمه الملَّاح وانتهره، فأدركتني رِقَّة عليه، فقلت للغلام: خذوه معنا، فحملناه، فتقدَّمت بأن يُدفَعَ إليه قميصٌ ومنديل، وغسل وجهَه واستراح، وحضر وقتُ الغداء، فقلت للغلام: هاتِه يأكلْ معنا، فجاء فأكل أكلَ أديب، غير أنَّ الجوع بيِّن عليه، فلمَّا أكلنا قلت: يا شيخ، أيُّ شيءٍ صناعتُك؟ قال: حائك، فتناومتُ عليه ومددتُ رِجلي، فقال: وأنت أعزَّك اللهُ أيُّ شيءٍ صناعتُك؟ فأكبرت ذلك وقلت: أنا جَنَيتُ على نفسي، أتُراه لا يرى زلَّالي وغِلماني ونعمتي وأنَّ مثلي لا يقال له هذا! [قلت:] ليس إلَّا الهَزْلُ[١] بهذا، فقلت: كاتب، فقال: أصلحك الله، إنَّ الكُتَّاب خمسة، فأيُّهم أنت؟

فسمعت كلمةً أكبرتها، وكنت متَّكئاً فجلست، ثم قلت: فصِّل الخمسة، قال: نعم، كاتبُ خَراج: يحتاج أن يكونَ عالماً بالشُّروط والطُّسوق[٢] والحسابِ والمساحة والبُثوق والفُتوق والرُّتوق، وكاتبُ أحكامٍ: يحتاج أن يكونَ عالماً بالحلال والحرامِ والاختلاف والأُصول والفروع، وكاتب معونةٍ: يحتاج أن يكونَ عالماً بالقصاص والحدودِ والجِراحات، وكاتبُ جيشٍ: يحتاج أن يكونَ عالماً بحُلي الرِّجال وسِمات الدوابِّ ومداراةِ الأولياءِ وشيءٍ من العلم بالنَّسب والحساب، وكاتبُ رسائلَ: يحتاج أن يكونَ عالماً بالصُّدور والفصول والإِطالة والإيجاز وحُسنِ الخطِّ والبلاغة [فما أنت من هؤلاء؟!].

فقلت له: فإني كاتبُ رسائل، فقال: أَصلحك الله، لو أنَّ رجلاً من إخوانك تزوَّجتْ أمُّه فأردتَ أن تكاتبَه مهنِّئاً، كيف كنت تكاتبه؟ ففكَّرت في الحال، فلم يخطرْ ببالي شيء، فقلت: ماأرى للتهنئة وجهاً، قال: فكيف تكتب إليه تعزِّيه؟ ففكرت فلم يخطرْ ببالي شيء، فقلت: أعفِني، قال: قد فعلت، ولكنك لستَ بكاتب رسائل، قلت: فأنا كاتبُ خَرَاج، قال: لو أنَّ أميرَ المؤمنين ولَّاك ناحيةً وأمرك فيها بالعدل واستيفاءِ حقِّ السلطان، فتظلَّم إليك بعضُهم من مسَّاحك، وأحضرتَهم للنظر بينهم وبين

(١) في (ب): الزهد، وما بين حاصرتين منها، والمثبت من (خ).

(٢) الطسق: مكيال، وما يوضع من الخراج على الجريب. معجم متن اللغة (طسق).

رعيَّتك، فحلف المسَّاح بالله لقد أنصفوا، وحلفت الرعيةُ لقد ظُلموا، فقالت الرعية: قفْ معنا على ما مسحوه، فخرجتَ لتقف، فوقفوا بك على قَرَاحٍ[1] شكلُه: قاتل [قثا][2] كيف كنتَ تمسحه؟ قلت: كنت آخذ طولَه على انعواجه وآخذ عرضَه ثم أَضربه في مثله، قال: إنَّ شكل: قاتل قثا، يكون[3] رأساه محدَّدان، وفي تحديده تقويس، قلت: فآخذ الوسَطَ فأَضربه في العرض[4]، قال: إذن ينثني عليك العمود، قال: ولستَ كاتبَ خراج. قلت: فأنا كاتب قاضٍ، قال: أرأيتَ لو أنَّ رجلاً توفِّي وخلَّف امرأتين حاملتين، إحداهما حُرَّة والأخرى سُرِّيَّة، فولدت السُّرِّيةُ غلاماً، والحرَّة جاريةً، فعمدت الحرةُ إلى ولد السُّرية فجعلته في مهدها، ووضعت ابنتَها في مهد السُّرية، واختصمتا في ذلك، كيف يكون الحكمُ بينهما؟ قلت: لا أدري، قال: ولست بكاتب قاض. قلت: فأنا كاتبُ جيش، قال: أرأيت لو أنَّ رجلين جاءا إليك لتحلِّيَهما، وكلٌّ واحدٍ منهما اسمُه واسم أبيه كاسم الآخَر واسمِ أبيه، إلَّا أنَّ أحدهما مشقوقُ الشَّفة العليا، والآخر مشقوقُ الشَّفةِ السفلى، كيف كنت تحلِّيهما؟ قال: أكتب: فلانٌ الأَعلم وفلانٌ الأَعلم، قال: إنَّ رزقَيهما مختلفان، فيجيءُ كلٌّ واحد منهما في دعوى الآخَر، قلت: لا أدري، قال: فلست كاتبَ جيش. قلت: أنا كاتبُ معونة، قال: لو أنَّ رجلَين رُفعا إليك، قد شجَّ أحدُهما صاحبَه شجَّةً واضحة، وشجَّ الآخَرُ صاحبَه شجَّة مَأْمُومة[5]، كيف تفصل بينهما؟ قلت: لا أدري، قال: ولست إذن كاتبَ معونة، أُطلب لنفسك أيها الرجلُ شغلاً.

---

(١) بعدها في (ب): قال: وما زال يذكر في حق كل كاتب حالة لا أعلمها إلى أن قلت: فاشرح أنت فشرح الكل فقلت: أليس زعمت أنك حائك ... إلخ. وفي المنتظم: فوقفوك على قراح كذا كذا، لشيء وصفه، كيف تكتب؟ قلت: لا أدري، قال: فلست بكاتب خراج، فما زال يذكر في حق كل كاتب حالة ... إلخ. والمثبت من (خ)، وهو موافق لما في الفرج بعد الشدة. وينظر العقد والصبح، والقراح: المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر. مختار الصحاح (قرح).

(٢) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة، ووردت في صبح الأعشى ١/ ١٤٤: قابل قسيا.

(٣) في (خ): شكل قاتل أن يقول. والمثبت من الفرج بعد الشدة.

(٤) في الفرج بعد الشدة: في العمود.

(٥) الشَّجَّة: الجراحة. والواضحة والمُوضِحَة: الشَّجَّة التي بالرأس تكشف العظم. والمأمومة: الشَّجَّة التي تصل إلى أمِّ الدِّماغ. المصباح المنير (شجَّ) و(وضح) و(أمم).

فقَصُرت نفسي إليَّ، وغاظني، فقلت: سألتَ عن هذه الأمورِ، ويجوز ألَّا يكونَ عندك جوابُها كما لم يكن عندي، فإنْ كنتَ عالماً بالجواب فقل؟! قال: نعم، أما الذي تزوَّجَتْ أمُّه، فتكتب إليه: أمَّا بعد، فإنَّ الأمور تجري من عند اللهِ من غير محبَّة عباده ولا اختيارهم، بل هو تعالى يختار لهم ما أَحبّ، وقد بلغني تزويجُ الوالدة، خار اللهُ لك في قبضها؛ فإنَّ القبورَ أكرمُ الأزواج، وأسترُ للعيوب، والسلام.

وأما قَراح: قاتل [قتا] فتمسح العمود، حتى إذا صار عدداً في يدك ضربتَه في مثله ومثلِ ثُلثه، فما خرج فهو مساحتُه.

وأمَّا الجاريةُ والغلام، فيوزن اللَّبنان، فأيُّهما كان أخفّ، الجاريةُ له.

وأمَّا المرتزقان والمتوافقا الاسمَين، فإنَّه إذا كان الشَّقُّ في الشَّفة العليا كتبتَ: فلانٌ الأعلم، وإذا كان في الشَّفة السُّفلى كتبت: فلانٌ الأفلح.

وأما صاحبا الشَّجَّتين، فلصاحب المُوْضِحة ثُلث الدِّيَة، ولصاحب المأمومةِ نصفُ الديَة.

فقلت: يا شيخ، ألست زعمتَ أنَّك حائك؟! قال: أنا - أصلحك الله - حائكُ كلام، ولست بحائك نسَّاجة، ثم أنشأ يقول: [من مجزوء البسيط]

ما مرَّ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلَّا ولي فيهما نصيبُ
نوائبُ الدَّهرِ أدَّبتني وإنَّما يوعَظ اللَّبيب
قد ذُقتُ حُلْواً وذقتُ مُرّاً كذاك عيشُ الفتى ضُروب

قلت: فما الذي أرى بك من سوءِ الحال؟ فقال: أنا رجلٌ دامت عطلتي، وكثرت عَيلتي، وتواصلت مِحنتي، فخرجت أطلب التصرُّف، فقُطع عليَّ الطريق، فتُركت كما تراني، فمشيت على وجهي، فلمَّا لاح لي الزلّال استغثتُ بك.

قلت: فإني قد خرجتُ إلى تصرُّف جليل، أَحتاج فيه إلى جماعةٍ مثلِك، وقد أمرتُ لك عاجلاً بخِلعة حسنةٍ وخمسةِ آلاف درهمٍ تُصلح بها أَمرَك، وتُنفِذ منها إلى عِيالك، وتصير معي إلى عملي، فأولِّيك أجلَّه.

فقال: أحسن اللهُ جزاءك، إذن تجدني بحيث يسرُّك، فانحدر معي، فجعلتُه المناظرَ

للرُّخَّجي، والمحاسبَ له، فقام بذلك أحسنَ قيام، فحسنت حالُه معي وعادت نعمتُه.

[قلت: هذا صورةُ ما حكى جدِّي عن التَّنوخي].

وكانت وفاةُ عَمرٍو [بن مسعدة] في هذه السَّنة بأَذَنَة.

[قال الخطيب:](١) رُفع إلى المأمون أنه خلَّف ثمانين ألفَ ألفِ درهم [قال] فوقَّع [المأمون:] هذا قليلٌ لمن اتصل بنا، وطالت خدمتُه لنا، فبارك اللهُ لوَرَثته فيه.

[وكان عَمرو من أكابر أصحابِ المأمون، وله قصصٌ نذكرها في ترجمة المأمونِ إن شاء اللهُ تعالى.]



(١) لم أقف عليه في تاريخه، وهو في المنتظم ١١/ ٧. وما بين حاصرتين من (ب).

السَّنةُ الثامنةَ عشرةَ بعد المئتين

فيها شدَّد المأمونُ على الناس في القول بخلق القرآن، وذلك في [شهر] ربيعِ الأوَّل [فمات المأمونُ في رجبٍ في هذه السَّنة، ومات بِشرٌ المَرِيسيُّ بعده، وقد اختلفت الرواياتُ في ذلك، فروي أن المأمونَ لمَّا عاد من بلاد الرُّوم][1] نزل الرقَّة وأمر بتفريغ الرافقةِ لينزلَ بها حشمُه وخواصُّه، فاستغاث أهلُها وضجُّوا، فخاف من الشَّناعة، فكفَّ عنهم ونزل الرقَّة، وهي الخرابُ اليوم، والرافقة هي القائمةُ اليوم، فلما نزل الرقةَ بعث ابنَه العباسَ إلى الطُّوَانة وأمر ببنائها، فشرع فيها، وبناها مِيلاً في ميلٍ، وجعل دورَ سورها ثلاثةَ فراسخ، وجعل لها أربعةَ أبواب، وبنى على كلِّ بابٍ حصناً منيعاً، وكتب إلى المعتصم أن يضربَ البعوثَ على أهل الشامِ ومصرَ والجزيرة، ويسيرَ بنفسه فينزلَ الطُّوانةَ مع العباس، ففرض على جند مصرَ أربعةَ آلافِ رجل، وعلى الأُرْدُنِّ والسواحل ثلاثةَ آلاف، وعلى حِمْصَ ودمشقَ وقِنَّسرينَ والعواصم [أربعةَ آلاف][2] وعلى الجزيرة وبغداد كذلك، وجعل للفارس في كلِّ شهرٍ مئةَ درهم، وللراجل أربعين درهماً، ونزل الجميعُ الطُّوانة مع المعتصم والعباسِ بن المأمون.

وفي شهر ربيعِ الأوَّل كتب المأمونُ إلى بغدادَ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ بامتحان القضاةِ والمحدِّثين وإِشخاصِ جماعةٍ منهم إلى الرَّقة، وكان في الكتاب:

أمَّا بعد: فإن حقَّ اللهِ على أئمَّة المسلمين وخلفائهم الاجتهادُ في إقامة دينِ الله تعالى الذي استحفظهم، ومواريثِ النبوَّة التي ورَّثهم، وأثرِ العلمِ الذي استودعهم، والعمل بالحقِّ في رعيَّتهم، والتشمير لطاعة اللهِ فيهم، واللهَ يسأل أميرُ المؤمنين أن يوفِّقَه لعزيمة الرشد، والنظرِ فيما ولَّاه اللهُ من رعيَّته ومِنَّته، وقد عرف أميرُ المؤمنين أنَّ الجمهورَ الأعظم والسوادَ الأكبر من حَشْو الرعيَّة وسَفِلة العامَّة، ممَّن لا نظرَ له ولا رويَّة، ولا استدلالَ له بدلالة اللهِ تعالى وهدايته، والاستضاءةِ بنور العلمِ وبرهانه، في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٣١.

جميع الأقطارِ والآفاق، أهلُ جهالة بالله وعمًى عنه، وضلالةٍ عن حقيقة دينِه وتوحيده والإيمانِ به، وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدْرِه، ولا عرفوه كُنْهَ معرفته ، ولا فرَّقوا بينه وبين خلقِه؛ لضعفِ آرائهم ونقصِ عقولهم، فإنهم ساوَوا بين اللهِ تعالى وبين ما أَنزل من القرآن، أَطبقوا أجمعين، واتَّفقوا غيرَ متعاجمين، على أنه أوَّلٌ قديمٌ لم يخلقه اللهُ ولم يُحدثه ولم يخترعْه، وقد قال اللهُ تعالى في كتابه الذي جعله شفاءً لما في الصدور، وهدًى ورحمةً للمؤمنين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وكلُّ ما جعله فقد خلقه، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩] فأخبر أنه قَصَّ لأمورٍ أَحدثه بعدها وتلا به متقدِّمها، وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وكلُّ مُحْكَم مفصَّل [فله مُحكم مفصِّل][(١)] واللهُ تعالى مُحكمُ كتابَه ومفصِّلُه، وخالقُه ومبتدِعُه، ثم هم الذين جادلوا بالباطل ودعَوا إلى قولهم، ونسبوا نفوسَهم إلى السُّنَّة، ثم زعموا أنهم أهلُ السُّنة والجماعة، وأنَّ مَن سواهم على الباطل، فاستطالوا بذلك على الناس، وغرُّوا به الجهَّال، فمال قومٌ من أهل السَّمْتِ الكاذبِ والتخشُّع الباطل والتقشُّفِ لغير الدِّين إلى موافقتهم، ومواطأتِهم على سيِّئ آرائهم، تزييناً[(٢)] بذلك عندهم وتصنُّعاً للرِّئاسة. وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: لم تُعرف هذه المقالةُ قبل المأمون، وقد كان اجتماعُ الصحابةِ والتابعين والسَّلفِ الماضين على أنَّ كلامَ اللهِ تعالى قديمٌ أَزَليٌّ غيرُ مخلوق ولا مُحدَث، حتى نبغ ابنُ أبي دُؤاد، فجسَر المأمونُ على هذه المقالة، وتبعته المعتزلةُ من أهل البصرة وبغدادَ وبِشرٌ المَرِيسي، فقالوا: إنَّه مخلوق، وحملوا الخواصَّ والعوامَّ على ذلك، فعرض إسحاقُ بن إبراهيمَ كتابَ المأمونِ على العلماء ببغداد، فمنهم مَن أجاب ومنهم مَن توقَّف، فكتب إلى المأمون يعرِّفه، فكتب إليه: اِبعث إليَّ نَفَراً منهم، وذكر سبعةً[(٣)] من العلماء: محمدَ بن سعدٍ كاتبَ الواقدي، وأبا

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦٣٢.

(٢) في تاريخ الطبري: تزيناً.

(٣) في (ف): تسعة. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري، والمنتظم ١١/ ١٨، والكامل ٦/ ٤٢٣ .

مسلمٍ مستمليَ يزيدَ بنِ هارون[١]، ويحيى بنَ مَعين، وزهيرَ بن حَرْبٍ أبا[٢] خَيثمة، وإسماعيلَ بن داود، وأحمدَ بن الدَّورقي[٣]، وإسماعيل بن [أبي] مسعود.

فلمَّا قدموا الرقَّة، أحضرهم المأمونُ وامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوا جميعاً: إنَّ القرآنَ مخلوق، فأعادهم إلى بغداد، وكتب إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ بأن يُحضرَ الفقهاءَ ومشايخَ الحديث ويُخبرَهم بما أجاب به هؤلاء، ففعل فأجاب البعضُ وتوقَّف البعض.

قال المصنِّف رحمه الله: وكان محمدُ بن سعدٍ وابنُ معينٍ وأبو خيثمةَ وأبو مسلمٍ يقولون: إنَّا أجبنا خوفاً من السيف.

ثم كتب المأمون إلى إسحاقَ كتاباً آخرَ من جنس الأوَّل، وأمره بإحضار مَن امتنع، وأن يقرأ عليه، فأحضر جماعة، منهم الإمامُ أحمد بن حنبل، وأبو حسَّان الزِّيادي، وبِشرُ بن الوليد الكِندي، وعليُّ بن أبي مقاتل، وسجَّادة، والقواريري، والفضلُ بن غانم، والذَّيَّال بن الهيثم، وقتيبةُ بن سعيد[٤]، وسَعدويه الواسطي، وعليُّ بن الجعد، وإسحاقُ بن أبي إسرائيل، وابنُ عُليَّة الأكبرُ، ومحمدُ بن نوح، وغيرُهم، وقرئ عليهم كتابُ المأمون، فورَّوا، ولم يجيبوا ولم يُنكروا، فكان ممَّا قال إسحاقُ لبشر بنِ الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلامُ الله، فقال: أمخلوقٌ هو؟ قال: اللهُ خالق كلِّ شيء، قال: فالقرآن؟ فقال: كلامُ اللهِ شيء، قال: هو شيء، فمخلوقٌ هو؟ قال: ليس بخالق، قال: ما أسألك عن هذا، فمخلوقٌ هو؟ قال: فما أُحسن غيرَ ما قلتُ لك. ثم قال لعليِّ بن أبي مقاتل: ما تقول أنت؟ فقال: القرآنُ كلام الله، وإنْ أَمَرَنا أميرُ المؤمنين بشيءٍ سمعنا وأَطعنا. وسأل أبا حسَّان الزِّيادي، فأجاب بنحو ذلك.

ثم قال للإمام أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله: ما تقول؟ فقال: القرآن كلامُ الله، قال: أمخلوقٌ هو؟ قال: القرآنُ كلام الله، ما أزيدُ على هذا.

---

(١) في (ف): وأبا مسلم المستملي ويزيد بن يزيد بن هارون.

(٢) في (خ) و(ف): وأبا. وهو خطأ.

(٣) في خ) و (ف): الزورقي. والمثبت من المصادر، وما بين حاصرتين منها.

(٤) في (خ) و (ف): سعد، والمثبت من تاريخ الإسلام ٥/ ٢٤٩.

ثم امتحن الباقين وكتب بجواباتهم إلى المأمون، فجاء جوابه يقول: [قد عرف][1] أميرُ المؤمنين ما ذهب إليه مُتَصَنِّعة أهل القِبْلة، وملتمسو الرِّئاسة، فمن لم يقلْ منهم: إنَّ القرآنَ مخلوق، فمُرْهُ بالإمساك عن الحديث والفتوى، وأما بشرُ بن الوليد، فإن أجاب إلى خلق القرآنِ، وإلَّا فاضرب عُنقَه وابعث برأسه إليّ، وأما عليُّ بن أبي مقاتل، فقل له: ألست المكلِّمَ[2] لأمير المؤمنين بما كلَّمته به من قولك: إنك تحلِّل وتحرِّم؟ وأما الذَّيَّال، فأَعلِمْه أن أميرَ المؤمنين قد عرف مقالتَه، واستدلَّ على آفته وجهله، وأما الفضلُ بن غانم، فأَعلِمه أنه لم يخفَ على أمير المؤمنينَ ما خان فيه من الأموال بمصر. ثم ذكر لكلٍّ واحدٍ منهم عيباً، وقال في كتابه: ومَن لم يرجعْ منهم عن شِركه، فاحمِلْهم جميعاً موثَقين إلى عسكر أميرِ المؤمنين ليَعرِضَهم على السيف.

فعرض عليهم إسحاقُ ما قال المأمون، فأجاب الكلُّ إلا أربعة: الإمامُ أحمد بن حنبل، وسَجَّادة، والقواريري، ومحمدُ بن نوح. فأمر بهم إسحاقُ فشُدُّوا في الحديد، فلمَّا كان من الغد، دعاهم فأعاد عليهم المِحنة، فأجاب سَجَّادةُ وخلَّى سبيلَه، ثم أعاد القول، فأجاب القواريريُّ فأَطلقه، وأصرَّ الإمام أحمدُ ومحمدُ بن نوح، فشُدُّوا في الحديد وبُعث بهما إلى طَرَسُوس، فلمَّا وصلا إلى الرقَّة بلغتهم وفاةُ المأمون، فرُدُّوا إلى بغداد، فأمرهم إسحاقُ بلزوم منازلِهم، ورخَّص لهم بعد ذلك في الخروج.

وتوفِّي المأمونُ في هذه السَّنة، ووَلِي أخوه أبو إسحاقَ بنُ الرشيد.

الباب الثامنُ في ولايته

واسمُه محمد، ولقبه المعتصمُ بالله، وأمُّه ماردةُ بنت شبيب، من مولَّدات الكوفة، لم تُدرك خلافته، وكانت حَظيَّة عند الرشيد، أولدها أبا إسحاقَ وأبا إسماعيل وأمَّ حبيب.

[واختلفوا في مولد المعتصم، فحكى الصوليُّ أنه][3] وُلد بالرافقة في شعبانَ سنة

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) في (خ) و (ف): الكلام. والمثبت من المنتظم ١١/ ٢٣. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٤١: ألست القائل ...

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). ولم نقف على قول الصولي هذا.

ثمانٍ وسبعين ومئة. [وقال الطَّبري:][١] ولد ببغدادَ بالخُلْد قصرِ المنصور سنةَ ثمانين ومئة. وقيل: ولد بالقاطول، فكانت نفسُه تشتاق إلى تلك النواحي؛ ولهذا بنى سُرَّ مَن رأى. قال: وكان هارونُ يومَ لا يصل إلى ماردةَ يبعث إليها بألف دينار.

[ذكر صفته:]

وكان المعتصمُ أبيضَ مربوعاً، طويلَ اللحية، حَسَنَ الوجه، وقيل: كان أصهب[٢] [قال الصُّولي:] وكان المأمونُ قد أمر ابنَه العباسَ وإسحاقَ بن إبراهيم إن حدث به حَدَثُ الموتِ أن الخليفةَ بعده أبو إسحاق بنُ الرشيد.

[ذكر بيعته:][٣]

فلما احتضر ببلاد الرُّوم مال الجندُ إلى العباس [بن المأمون]، وأرادوه على البَيعة، فأبى، فشَغَبوا، فخرج إليهم وقال: ما هذا الحبُّ البارد! قد بايعتُ عمِّي وسلَّمت إليه الأمر، فسكن الجندُ وبايع الناس.

ولم يَعهد الرشيدُ إلى ابنه المعتصمِ مع شدَّة محبَّته له ولأمِّه، فساق اللهُ إليه الخلافة، وكان المأمونُ قد بنى الطُّوانة، فهدمها المعتصمُ وحمل ما كان فيها من السلاح وغيرِه، وأحرق ما لم يَقدرْ على حمله، وأمر الناسَ الذين أسكنهم المأمونُ بها فانصرفوا إلى بلادهم، وسار مُجدّاً فدخل بغدادَ يومَ السبت غُرَّةَ رمضان، وكان إسحاقُ بن إبراهيمَ قد أخذ له البيعةَ ببغداد، ومدَّ الفضلُ بن مروانَ يَدَه فبايع وقال: [من الكامل]

بايعتُ منبسطاً ولو لم تنبسطْ ... كفِّي لبيعته قطعتُ بَنانَها[٤]
مَن ذا إليها لا يَمدُّ يمينَه ... قطع الإلهُ يمينه فأبانها

[قال الخطيب[٥]: كان من أولاد هارونَ جماعةٌ اسمُ كلٍّ واحدٍ منهم محمد: الأمين، وأبو إسحاق، وأبو العبَّاس، وأبو أحمد، وأبو عيسى، وأبو أيُّوب، وأبو

(١) في تاريخه ٩/ ١١٩. وفي (خ) و (ف): وقيل ...
(٢) الصُّهْبة: الشُّقْرَة في شعر الرأس. الصحاح (صهب).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) البيت الأول لمروان بن أبي حفصة ضمن ثلاثة أبيات في مدح المهدي، وهي في ديوانه ص ١١١.
(٥) في تاريخه ٤/ ٥٥٣. وما بين حاصرتين من (ب).

يعقوب. وقد ذكرناهم في أولاد هارون].

وكان المعتصمُ أمِّيّاً لا يكتب ولا يقرأ [إلا كتابةً ضعيفة وقراءةً غيرَ جيِّدة. قال الخطيب:][١] وسببُه أنَّ المعتصم كان معه غلامٌ في الكُتَّاب يتعلَّم معه [فمات الغلام][٢] فقال الرشيد: يا محمد مات غلامُك. قال: نعم [يا سيِّدي][٣] واستراح من الكتَّاب، فقال له الرشيد: وإنَّ الكُتَّاب لَيبلُغ منكَ هذا المبلغ؟! دَعُوه إلى حيث انتهى ولا تعلِّموه شيئاً. فكان يكتب ضعيفاً ويقرأ قراءةً ضعيفة.

وكان المعتصمُ في فتنة الأمينِ يتردَّد إلى عليِّ بن الجنيد بمكانٍ يقال له: إسْكاف، فيُقيم عنده فيخدمه بنفسه ومالِه، فغاظ[٤] المعتصمُ يوماً عليّاً، فقال له على وجه المِزاح: واللهِ لا أفلحتَ أبداً، فأخذها المعتصمُ في نفسه، فلما قدم بغدادَ أحضر عليّاً وقال له: زعمتَ أنني لا أُفلح، فأيُّ فلاحٍ بعد هذا! وكان عليٌّ عدوَّ الفضلِ بن مروان، فقال له: الذي أفلح الفضلُ بن مروان، فضحك المعتصم، وحدَّث نفسه بالإيقاع بالفضل.

وكان إبراهيمُ بن المهديِّ لما دخل المعتصمُ بغدادَ ترجَّل وقبَّل يدَ المعتصم، فقال المعتصم لعليِّ بن الجنيد: أتذكر حين وقفتُ لإبراهيمَ بالمربعة، فلما مرَّ بي نزلتُ فقبَّلت يده وأَدنيتُ منه ابني هارونَ وقلت: عبدُك ابني هارون، فقبَّل يد إبراهيم، فأمر لي بعشرة آلافِ درهم؟ قال علي: نعم، قال: فإنَّ ابن المهديِّ ترجَّل اليومَ لي في ذلك الموضعِ بعينه وقبَّل يدي وقال لي: عبدُك هبةُ الله ولدي، وأَدناه فقبَّل يدي، فقال له عليّ: فكم أعطيتَه؟ قال: عشرة آلافِ درهم، لم تَطِب نفسي بغيرها، فقال له علي: بئس ما فعلت، قال: وكيف؟! قال: لأنَّ ابن المهديِّ أمر لولدك بعشرة آلافِ درهمٍ وليس في يده غيرُ بغدادَ وحدها، وأنت في يدك المشرقُ والمغربُ تقابله بمثلها! فقال: صدقت، اجعلوها عشرةَ آلافِ دينار.

وقال الصُّولي: ولا يُعرف خليفةٌ قبَّل يدَ خليفةٍ إلَّا إبراهيم بن المهديِّ

---

(١) في تاريخه ٤/٥٤٨، وما بين حاصرتين من (ف).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و (ف): فغاض. والخبر غير موجود في (ب).

[والمعتصم][١].

وفيها دخل جماعةٌ من أهل أصبهانَ وهَمَذانَ وتلك النواحي في دين بابَكَ الخُرَّمي، فاستباحوا الحُرُمات، فبعث إليهم المعتصمُ إسحاقَ بن إبراهيمَ واليَ بغدادَ في جندٍ كثيف، فأَوقع بهم في ذي الحِجَّة، فقتل منهم ستِّين ألفاً، وهرب الباقون إلى البلاد.

وحجَّ بالناس صالحُ بن العباسِ بن محمدِ بن علي.

[فصل][٢] وفيها توفِّي

إبراهيمُ بن إسماعيل

[ابنِ إبراهيم][٣] بن مِقْسَم، أبو إسحاق، البصريُّ الأَسَدي المعتزلي، ويُعرف بابن عُلَيَّة.

كان أحدَ المتكلِّمين القائلين بخلق القرآن، وله مع الإمام الشافعيِّ رحمه اللهُ مناظراتٌ بمصر، ومع غيره ببغداد [فذكر الخطيبُ[٤] أنَّه اجتمع بأحمدَ بن حنبلٍ والشافعيُّ حاضرٌ ببغداد] فقال له الشافعي رحمة الله عليه: أخبِرني عن خبر الواحدِ العَدْل، بإجماعٍ دفعتَه أو بغير إجماع؟ فلم يَدْرِ ما يقول.

و[كان ابنُ عُلَيَّةَ من أصحاب الأصمّ][٥] قدم مصرَ فنزل بمكانٍ يقال له: باب الضَّوال، فقال الإمامُ الشافعيّ رحمةُ الله عليه: قد نزل بباب الضوالِّ ليُضِلَّ الناس.

و[ذكر الخطيبُ[٦] عن يعقوبَ بن سفيانَ قال:] خرج [ابن عليةَ] ليلةً من مسجد مصر وقد صلَّى العَتَمةَ في زُقاق القناديلِ ومعه رجل، فقال له الرجل: إنِّي قرأت البارحةَ سورةَ الأنعامِ فرأيت ينقض بعضُها بعضاً، فقال ابن عُلَية: وما لم ترَ أكثر.

وكان الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه يقول: ابنُ عُلَيَّة ضالٌّ مُضِلّ. وكانت وفاتُه بمصرَ

(١) ما بين حاصرتين من (ف).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).
(٣) ما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ بغداد ٦/ ٥١٢، والمنتظم ١١/ ٣٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٦٤.
(٤) في تاريخه ٦/ ٥١٢. وما بين حاصرتين ليس في (خ).
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في تاريخه ٦/ ٥١٤. وما بين حاصرتين من (ب).

ليلةَ عَرَفَةَ وله سبعٌ وستُّون سنة.

[وقال الحافظ ابن عساكر: حدث عنه بحر بن نصر الخولاني وياسين بن أبي زرارة وغيرهما.[١]

وفيها توفِّي]

بِشْرُ بن غياثٍ

ابن أبي كَريمةَ، أبو عبدِ الرحمن المَرِيسي.

[ذكره الخطيبُ[٢] وقال:] مولى زيدِ بن الخطَّاب، كان أبوه يهودياً، وكان يسكن ببغدادَ في الدَّرب المعروفِ ببشر المريسي، بين نهر الدَّجاج[٣] ونهرِ البزَّازين.

[قال:] سمع الفقهَ من أبي يوسُف، إلا أنَّه اشتغل بالكلام، وجرَّد القولَ بخَلق القرآن.

[وقد روى من الحديث شيئاً يسيراً عن حمَّاد بنِ سَلَمةَ وسفيانِ بن عُيينة][٤]. وكان أبو زُرعةَ الرازيُّ يقول: بِشر بن غياثٍ زنديق. وقال يزيدُ بن هارون: هو كافرٌ حلالُ الدم.

[وروى الخطيبُ[٥] أن] الرشيدَ [كان] يقول[٦]: بلغني أنَّ بِشْراً المَرِيسيَّ يزعم أنَّ القرآنَ مخلوق، عليَّ إن أظفرني اللهُ به لأقتلنَّه قِتلةً ما قتلتُها أحداً قطّ، فهرب منه.

وروى الخطيب[٧] عن حُميدٍ أنَّه قال: يا أميرَ المؤمنين، هذا سيِّد الفقهاء، قد رفع

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وينظر تاريخ بغداد ٦/ ٥١٤.

(٢) في تاريخه ٧/ ٥٣١. وتنظر ترجمته أيضاً في السير ١٠/ ١٩٩، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة، وما بين حاصرتين من (ب)، والمَرِيْسي: بفتح الميم وكسر الراء وسكون المثناة التحتية. هكذا ضُبطت في معظم المصادر، في حين ضبطها ياقوت الحموي في معجم البلدان: بالكسر والتشديد، وياء ساكنة.

(٣) في النسخ: الزجاج. والمثبت من تاريخ بغداد. وانظر معجم البلدان.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في تاريخه ٧/ ٥٤١.

(٦) في (خ) و (ف): وكان الرشيد يقول.

(٧) في تاريخه ٧/ ٥٣٧.

عذابَ القبر ومساءلةَ مُنْكَرٍ ونكيرٍ والميزانَ والصِّراط، ثم نظر إلى بِشرٍ وقال: لو رفعتَ الموتَ كنت سيِّدَ العلماءِ حقاً.

[وحكى الخطيبُ[١] عن] محمد بن عليٍّ بن ظَبيان القاضي قال[٢]: قال لي بِشرٌ المريسي: القولُ في القرآن قولُ مَن خالفني أنَّه غيرُ مخلوق [قال:] فقلت له: فارجعْ عنه، فقال: كيف أرجع وقد قلته منذ أربعين سنةً ووضعتُ فيه الكتبَ واحتججت فيه بالحُجَج!

و[حكى الخطيبُ[٣] أيضاً عن الحسين بن عليٍّ الكرابيسيِّ قال:] جاءت أمُّ بِشرٍ [المريسي] إلى الشافعيِّ رحمةُ اللهِ عليه فقالت: يا أبا عبدِ الله، أرى ابني يهابك ويحبُّك، وإذا ذُكرتَ عنده أجلَّك، فلو نهيتَه عن هذا الرأيِ الذي هو فيه، فقد عاداه الناسُ عليه، ويتكلَّم في شيءٍ يواليه الناسُ عليه ويحبُّونه، فقال الشافعيُّ رحمة اللهِ عليه: نعم، ودخل عليه بِشْر، فقال له: أَخبِرني عمَّا تدعو إليه، فيه كتابٌ ناطق، أو فرض مفترَض، أو سنَّة قائمة، أو وجوب عن السلف البحث فيه والسؤال عنه؟ فقال بِشْر: ليس فيه شيءٌ من ذلك، إلا أنَّه لا يسعنا خلافُه، فقال له الشافعي: فقد أقررتَ على نفسك بالخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبارِ، يواليك الناسُ عليه وتترك هذا! فقال: لنا نَهْمَةٌ فيه. ثم قام [بشر] وخرج، فقال الشافعيّ: لا يُفلح هذا أبداً.

وقال الخطيب[٤]: حُكي عنه أقوالٌ شنيعة ومذاهبُ مستنكَرة، كفَّره أهلُ العلم بها.

[وحكى أيضاً[٥] عن] يحيى بنِ عليٍّ بن عاصمٍ قال[٦]: استأذن بِشْرٌ المَرِيسي على أبي، فأذن له، فقلت له: أَتُدخل عليك مثلَ هذا وهو يقول: القرآنُ مخلوق، وإنَّ اللهَ معه في الأرض، وإن الجنةَ والنارَ لم يُخلقا، وإن مُنكَراً ونكيراً باطل، وكذا الصِّراطُ

(١) في تاريخه ٨/ ٥٤٢.
(٢) في (خ) و (ف): وقال محمد بن علي.
(٣) في تاريخه ٧/ ٥٣٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في تاريخه ٧/ ٥٣٢.
(٥) في تاريخه ٧/ ٥٣٤.
(٦) في (خ) و (ف): وقال يحيى.

والشفاعةُ والميزان! فقال: أَدخِله، فلمَّا دخل قال له: ويحك مَن تعبد؟! وأين ربُّك؟! وما تقول فيما نُقل عنك؟ فقال: ما جئتك لهذا، إنَّما جئتك في كتابٍ أقرؤه عليك، قال: لا، ولا كرامة، حتى أعلمَ ما أنت عليه، قال: أَوَ تُعفيني؟ فقال: لا أُعفيك، قال: أمَّا إذا أبيتَ، فإنَّ ربِّي نورٌ في نور، فصاح أبي: اقتلوه، فإنَّه واللهِ زنديق.

وقال الإمامُ الشافعيُّ[١] رحمة اللهِ عليه: قلت لبِشر: ما تقول في رجلٍ قُتل وله أولياءُ صغارٌ وكبارٌ، فهل للكبار أن يقتلوا القاتلَ دون الصِّغار؟ قال: لا، قلت: فقد قَتَلَ الحسنُ بن عليٍّ رضي الله عنهما ابنَ مُلْجِمٍ ولعليٍّ رضوانُ الله عليه أولادٌ صغار، فقال: أخطأَ الحسن، فقلت: أما عندك جوابٌ أحسنُ من هذا؟! قال الشافعي: فهجرتُه من يومئذ[٢]. [قلت: إنَّما قتله الحسنُ سياسة، وللإمام هذه الولاية، وهذا جوابُ أبي حنيفةَ في المسألة.

قال الخطيب:][٣] قال الشافعيّ: قلت لبِشر: أَدخلك اللهُ جهنمَ في أسفلِ سافلينَ مع فرعونَ وهامانَ وقارون، فقال لي بِشر: أسكنك اللهُ أعلى عِلِّيين مع إبراهيمَ ومحمدٍ وعيسى وموسى. يعني أنَّه يستهزئ؛ لأنَّه ما كان يعتقد جنَّةً ولا ناراً.

قال: وكان إذا دعا قَلَّبَ يديه إلى الأرض، وجعل باطنَهما إلى الأرض، ويقول: إنَّ اللهَ تعالى في الأرض تحتها كما هو فوق السماء.

[وحكى الخطيبُ[٤] عن] إسحاقَ بن إبراهيم [أنه] مرَّ[٥] ببغدادَ في طريقٍ والناسُ مجتمعون على بِشر، فمرَّ يهوديٌّ فقال: أيها الناس، احذروه لا يُفسِدْ عليكم دِينكم وكتابَكم كما أفسد علينا أبوه نبيَّنا[٦] وكتابَنا. يعني التوارة، وكان أبوه غياثٌ يهوديًّا.

---

(١) كما في تاريخ بغداد ٧/ ٥٣٦.
(٢) بعدها في (ف): وعلمت أنه فاسد الحال. وليس هو في تاريخ بغداد. وتنظر المسألة في الأم ٧/ ١٣٦، ووسائل الأسلاف إلى مسائل الخلاف للمصنِّف ص٦٤٨-٦٥١.
(٣) في تاريخه ٧/ ٥٣٦-٥٣٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في تاريخه ٧/ ٥٣٧.
(٥) في (خ) و (ف): ومر إسحاق بن إبراهيم.
(٦) في (ب): ديننا.

[وحكى الخطيبُ أيضاً عن] صالحِ العِجْلي[1] قال[2]: رأيتُ بِشْراً شيخاً قصيراً دميماً، قبيحَ المنظر، وَسِخَ الثياب، أشبَه شيءٍ باليهود، وكان أبوه يهوديّاً بالكوفة، صبَّاغاً في سوق المراضع.

و[قال يزيدُ بن خالد:][3] دخل بِشرٌ على المأمون فقال: إنَّ هاهنا رجلاً قد هجانا فيما أَحدثناه من القول بخلق القرآن، فعاقِبْه، فقال: إن كان شاعراً لم أُقدِم عليه، فقال: إنه يدَّعي الشِّعرَ وليس بشاعر، فقال المأمون: حتى أَختبرَه، فكتب إليه: [من المنسرح]

قد قال مأمونُنا وسيِّدنا ... قولاً له في الكتاب تصديقُ
إنَّ عَليّاً أعني أبا حَسَنٍ ... أفضلُ مَن أرقلتْ[4] به النُّوقُ
بعد نبيِّ الهدى وإنَّ لنا ... أعمالَنا والقرآنُ مخلوق

فلمَّا وقف الرجلُ على الأبيات كتب: [من البسيط]

يا أيها الناسُ لا قولٌ ولا عملٌ ... لمن يقول كلامُ اللهِ مخلوقُ
ما قال ذاك أبو بكرٍ ولا عُمرٌ ... ولا الرسولُ ولم يذكرْه صِدِّيق
ولم يقل ذاك إلَّا كلُّ مبتدعٍ ... عند العبادِ وعند اللهِ زنديق

فلمَّا وقف عليه المأمونُ قال لبِشْر: يا ماصّ، ألستَ زعمتَ[5] أنه ليس بشاعر! ثم أغلظ له في القول.

ذِكرُ وفاتِه:

[واختلفوا فيها، فقال الخطيب:][6] مات في ذي الحِجَّة سنةَ ثمانِ عشرةَ ومئتين[هو والمأمونُ في سَنَةٍ واحدة]. وقيل: في سنة تسعَ عشرة. [والأوَّل أصحّ.

---

(١) هو في تاريخ بغداد ٧/ ٥٣٧ عن صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، عن أبيه.

(٢) في (خ) و(ف): وقال صالح العجلي.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). والخبر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨١-٢٨٢.

(٤) في (ب): قلّت. وأرقل: أسرع. القاموس المحيط (رقل).

(٥) العبارة في (ب) هكذا: يا ماصّ الاست، زعمت . . . .

(٦) في تاريخه ٧/ ٥٤٥. وما بين حاصرتين من (ب).

قال الخطيب:][1] وكان الصبيانُ يتعادَون في جنازته بين يديها ويقولون: مَن يكتب إلى مالكٍ خازنِ النار كتاباً؟

[قال[2]: ولما مات بِشرٌ] لم يشهد جنازتَه [أحدٌ] من أهل العلمِ والسُّنَّة إلَّا عُبيدٌ الشُّونيزي [فلمَّا رجع من جنازته] لامَهُ[3] الناس، فقال: أَنظروني حتى أُخبرَكم، ما شهدت جنازةً رجوتُ فيها من الأجر ما رجوتُ في هذه، قمت في الصفِّ فقلت: اللهم إنَّ هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة فاحجبْه عن النظر إليك، وإنَّه كان لا يؤمن بعذاب القبرِ فعذِّبه في قبره عذاباً لم تعذِّبه أحداً من العالمين، اللهم إنَّه كان ينكر الميزانَ فخفِّف ميزانه، اللهم إنه كان يُنكر الشفاعةَ فلا تشفِّع فيه أحداً من خَلْقك. فضحك الناسُ وأمسكوا عنه.

[وحكى الخطيبُ[4] عن] يحيى بنِ يوسفَ الزَّمِّي قال[5]: رأيتُ إبليسَ في المنام مشوَّهَ الخَلق، وهو مُلبَّسٌ بالشَّعر، ورأسُه إلى أسفلَ، ورجلاه إلى فوق، وفي بدنه عيونٌ مثل النار، فقال: ما من مدينةٍ إلَّا ولي فيها خليفة، قلت: ومَن خليفتُك بالعراق؟ قال: بِشرٌ المَرِيسي، دعا الناسَ إلى ما عجزتُ عنه، قال: القرآنُ مخلوق.

[وحكى[6] عن] سفيانَ بن عُيينةَ قال لمَّا بلغه قولُ بِشرٍ[7]: إنَّ اللهَ لا يُرى يومَ القيامة، قال: قاتله الله، ألم يسمع قولَه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] فجعل احتجابَه عنهم عقوبةً لهم، فإذا احتجب عن الأعداءِ والأولياء، فأيُّ فضلٍ للأولياء على الأعداء؟!

[انتهت ترجمة بشر المريسي][8].

---

(١) في تاريخه ٧/ ٥٤١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٧/ ٥٤٣-٥٤٤. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و (ف): فلامه.

(٤) في تاريخه ٧/ ٥٤١.

(٥) في (خ) و (ف): وقال يحيى ...

(٦) يعني: الخطيب في تاريخه ٧/ ٥٤٣.

(٧) في (خ) و (ف): ولما بلغ سفيان بن عيينة...

(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

ذِكر عبدِ الله المأمونِ بن هارونَ الرَّشيد(١)

ولد سنةَ سبعين ومئة. و[قال علماءُ السِّيَر:] كان المأمون إماماً في كلِّ فنٍّ من العلوم العربيةِ والنَّحو والشِّعر والحديثِ والطِّبِّ وعلومِ الأوائل والنجومِ والأرصاد، وعمل الزِّيجَ المأموني، واستخرج كتبَ الحكماءِ واليونانِ من جزيرة قُبرس، فنقلها له أبو مَعشرٍ المنجِّمُ إلى العربية [وله معه قِصص.

وقد وصفه الحسنُ بن وَهْبٍ فقال:] كان محمودَ السيرة، عفيفَ الطبيعة، كريم الشِّيمة، مباركَ الرأي، ميمون النَّقيبة، مؤدِّياً حقَّ الله، مقرّاً له بالشكر على نِعمه، لا يأمر إلَّا بالعدل، ولا ينطِق إلَّا بالفضل، عاملاً بكتاب الله، مراعياً لدينه وأمانته، كافّاً للسانه ويدِه عن رعيَّته، وإنَّما شان الكلَّ بما أَحدث من المقالة القبيحة بخلق القرآن، ولم يكن له فيه رأي، وإنَّما حمله عليه أحمدُ بن أبي دُؤاد، فقال له: هذا من [باب] الدِّين ومعالمِ الإسلام [وإنَّه لا يصحُّ الدينُ إلَّا به، فقَبِله.

وكان هارونُ يقول: إني لَأعرف في عبد اللهِ حزمَ المنصور، ونُسكَ المهدي، وعزَّة نفسِ الهادي، ولو أشاء أن أنسُبَه إلى الرابع لنسبتُه، واللهِ إني لأَحمدُ سيرتَه، وأرضى طريقتَه، وأَستحسن سياستَه، وأرى قوَّته وذهنه، وآمَن ضعفَه ووهنه، وقد قدَّمت محمداً عليه، وإنِّي لأعلم أنه منقادٌ إلى هواه، منصرفٌ مع طربه، مبذِّر لما حوته يده، مشارك الإماءِ والنساءِ في رأيه، ولولا أمُّ جعفرٍ وميلُ بني هاشمٍ لقدَّمت عبدَ الله عليه.

قِصَّة المأمونِ مع اليهوديّ:

روى الحسينُ بن فَهمٍ عن يحيى بنِ أكثَمَ قال: كان المأمونُ قبل الخلافةِ يَجلس للفطر، فدخل عليه رجلٌ حَسَن الوجه طيِّب الرائحةِ نقيُّ الثوب، فتكلَّم فأحسن الكلام، فلمَّا تقوَّض المجلسُ دعاه، قال له: يهوديٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أَسلِمْ حتى أفعلَ معك كذا وكذا، فقال: ديني ودينُ آبائي لا أَتركه.

فلما كان بعد سنةٍ دخل على المأمون وقد أَسلم، فتكلَّم في الفقه فأَحسن، فلما

---

(١) تنظر ترجمته في السير ١٠/ ٢٧٢ وما بعدها، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

تقوَّض المجلسُ دعاه المأمون فقال: ألستَ صاحبَنا بالأمس؟ قال: بلى، قال: ما الذي دعاك للإسلام وقد عرضتُه عليك بالأمس فأَبيت؟! فقال: أُخبرك، إني أُحسن الخطَّ، كتبتُ ثلاثَ نسخٍ من التوراة، فزدتُ فيها ونقصت، ثم أَدخلتها الكنيسةَ فبعتها، فاشتُريتْ بأَوفى ثمن، ثم كتبت ثلاث نُسخٍ من الإنجيل، فزدتُ فيها ونقصتُ منها، وأدخلتها البيعةَ فبعتها بأَوفى ثمن، وعمدتُ إلى القرآن فكتبت منه ثلاثَ نسخ، فزدت فيها، ونقصتُ منها، وأدخلتها إلى الورَّاقين فعرضتها عليهم، فتصفَّحوها، فرأوا الزيادةَ والنقصانَ، فرَموا بها، فعلمت أنَّ هذا الكتابَ محفوظٌ فأسلمت.

وقال يحيى بنُ أكثم: فحججت، فلقيني سفيانُ بن عُيينة، فحدَّثته بهذا الحديث، فقال: مِصداق ذلك من كتاب الله، قلت: وأين؟ فقال: في قول اللهِ تعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤] فجعل حِفظَه إليهم فضاع، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] فحفظه اللهُ تعالى فلم يضيَّع.

ذِكر نُبذةٍ من كلامه وتواضعِه وعَفوه:

حكى الصُّولي عن] المأمون أنَّه كان يقول[١]: لو عرف الناسُ حُسنَ العفو لتقرَّبوا إليَّ بالجرائم، وودت أنَّ أهلَ الجرائم عرفوا رأيي فيه؛ ليذهبَ الخوفُ عن قلوبهم، وأخاف ألَّا أُوجرَ على العفو. يعني أنَّه صار له اختياراً [وطبعاً][٢].

وقال يحيى بن أكثم: بِتُّ ليلةً عند المأمون، فعطشت، فقمتُ لأشربَ ماء، فرآني فقال: عُدْ إلى موضعك، فعُدت، فقام وأتاني بكُوزٍ من ماءٍ وقال: اشرب، وهو قائمٌ على رأسي، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، يشقُّ عليَّ قيامُك وتأتيني بالكوز! فقال: حدَّثني أبي، عن أبيه المَهديّ، عن أبيه المنصور، عن أبيه محمدِ بن علي، عن أبيه عليّ[٣]، عن أبيه عبدِ الله بن عباس، عن النبيِّ ﷺ[٤] أنَّه قال: «سيِّدُ القومِ خادمُهم» [وفي روايةٍ

(١) في (خ) و (ف): وكان المأمون يقول. وما بين حاصرتين كله من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

(٣) في تاريخ بغداد ١١/ ٤٣٦، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٦١: عن عكرمة.

(٤) في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق: عن ابن عباس عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ. ورواه ابن عساكر أيضاً عن المأمون، عن أبيه، عن جده، عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعاً.

أنَّ الذي عطش المأمون.

قال يحيى:] وكان لا يَدَعُني أَسقيه ويقول: استخدامُ الرجل ضيفه لؤم، ويقوم هو فيشرب، فأقول له: أَلَا أُوقظ الخدم؟ فيقول: لا، هم نيام، وقد تعبوا في الخدمة، وإنِّي لَأكون في المتوضَّأ فأَسمعهم يشتموني فأَعفو عنهم.

قال [يحيى:][1] وَبِتُّ عنده ليلة، فأخذه سعال، فجعل يسدُّ فاهُ بكمِّه لئلا أنتبه.

وقال: كنت معه في بستانٍ ونحن نتساير، وأنا في الشمس وهو في الظِّلّ، فلمَّا رجعنا، تحوَّل إلى الشمس وقال: سِرْ في الظِّل، فقلت: أميرُ المؤمنين أَوْلى بذلك منِّي؛ لأنك ظلُّ اللهِ في الأرض، فقال: الواجبُ على الملك العدلُ في بِطانته أوَّلاً، ثم في الذين يلونهم، ثم في الذين يلونهم، حتى بلغ إلى الطَّبقة السُّفلى.

وقال [يحيى]: كان المأمونُ يَحلُم حتى يَغيظَنا، جلس يوماً على جانب دجلةَ يتسوَّك عند دخولِه إلى بغداد، وعنده جماعةٌ من العلماء والقوّاد والأَشراف، وإذا بملَّاح في سفينة عتيقةٍ يدخل الماءُ من جوانبها، وعليه ثوبٌ خَلَق، وهو يصيح بأعلى صوتِه: أتظنُّون أنَّ هذا [المأمون] يَنبُل في عيني وقد قتل أخاه الأمين! قال: فسمعه المأمون، فتبسَّم والتفتَ إلينا وقال: ما الحيلةُ عندكم حتى أَنبُلَ في عين هذا السَّيِّد الجليل؟

و[قال إبراهيمُ بن سعيدٍ الجوهري:] وقف رجلٌ بين يدي المأمونِ وقد جنى جناية، فقال له: واللهِ لأَقتلنَّك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، تأنَّ عليّ؛ فإنَّ التأنِّيَ نصفُ العفو. فقال: وكيف وقد حلفتُ، فقال: لَأَن تلقى اللهَ حانثاً خيرٌ لك من أن تلقاه قاتلاً، فعفا عنه.

وقال لإسحاقَ بن العباس: لا تحسبني أغفلتُ إجلابَك مع ابن المهديِّ وتأييدَك لرأيه وإيقادَك لناره، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لَإجرامُ قريشٍ إلى رسول اللهِ ﷺ أعظمُ من إجرامي إليك، ولَرَحِمي أمسُّ من أرحامهم، وقد قال لهم يومَ الفتح: لا تثريبَ عليكم اليوم[2]، وأنت وارثُ ابنِ عمِّ رسولِ الله ﷺ، فأنت أحقُّ بهذه المِنَّة، فقال: هيهات، تلك أجرامٌ جاهلية عفا الإسلامُ عنها، فقال إسحاق: واللهِ، المسلمُ بإقالة

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مطولاً.

العَثْرةِ أَوْلى من الكافر، وقد أمر اللهُ بالعفو عن المسلم والكافر، فقال: صدقتَ [وَرِيَتْ بك زِنادي][(١)] وعفا عنه.

و[قال إبراهيمُ بن سعيدٍ الجوهري:] سخط [المأمونُ] على نعيم بن حازم، فقال له الحسنُ بن سهل: يا أميرَ المؤمنين، قد تقدَّمَت لنعيمٍ طاعة، وتأخَّرت له توبة، وليس للذَّنب بينهما موضع، ولو وُجد فما ذنبُه بأعظمَ من عفوك، فعفا عنه.

وأذنب رجلٌ من بني هاشمٍ إلى المأمون، فعاتبه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَن حمل مِثلَ دالَّتي، ولبس ثوبَ حُرمتي، وَمَتَّ بمثل قرابتي، غُفر له فوق زلَّتي، فقال: صدقتَ يا ابنَ عمّ، وعفا عنه.

و[قال الصُّولي:][(٢)] وغضب [المأمونُ] على رجل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ قديمَ الحُرمة وحديثَ التوبةِ يمحوان ما بينهما من الإساءة، فرضي عنه.

و[قال أيضاً:] أساء رجلٌ إليه مراراً، فلمَّا حضر بين يديه قال له المأمون: إنما هو عُذرٌ أو يمين، وقد وهبتهما لك، ولا تزال تُسيء وأُحسن، وتُذنب وأَعفو، حتى يكونَ العفوُ هو الذي يُصلحك.

[قال:] وجاءه الحسنُ بن سهلٍ برجلٍ قد أذنب، فقال [له الحسن]: هَبْه لي، فقال المأمون: وكيف لا أَهبه لمن به قَدرتُ عليه!

[ذِكر طَرَف من جود المأمون وكرمِ أخلاقه:

حكى الحسنُ بن عبدوسٍ الصفَّارُ قال:] لمَّا بنى [المأمون][(٣)] على بُوران، كان رجلٌ من أهل الأدبِ يحضر مجلسَ الحسنِ بن سهل، وكان فقيراً، فعمد إلى مِزْودَين، فملأ أحدَهما ملحاً والآخرَ أُشناناً، وبعث بهما إلى الحسن، وكتب معهما رُقعةً يقول فيها: خِفَّة البضاعةِ قصرتْ يدَ[(٤)] الهِمَّة، وكرهتُ أن تُطوَى صحيفةُ أهل البرِّ وليس لي فيها ذِكْر، فوجَّهت إلى سيِّدي بالمبتدأ به ليُمنه وبركتِه، وبالمختَتَم به لطِيْبه ونظافته.

(١) ما بين حاصرتين من (ف).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٦٧: ببعد.

وكتب في أسفلها: [من السريع]

بضاعتي تَقْصُر عن هِمَّتي وهِمَّتي تَقْصُر عن مالي

فالملحُ والأُشنان يا سيِّدي أَحسنُ ما يُهديه أمثالي

فأخذ الحسنُ المِزْوَدَين والرقعةَ ودخل على المأمون وأَوقفه على الرُّقعة، فاستحسن ذلك، وملأ المِزْودين دنانيرَ بعد أن أَفرغهما.

وقال هُدْبةُ بن خالد: حضرتُ مجلسَ المأمون، فلمَّا رُفعت الموائد، جعلتُ أَلتقط ما على وجه الأرض، فرآني المأمونُ فقال: يا شيخ، أَمَا شبعت؟! فقلت: بلى، ولكن حدَّثني حمَّاد بن سَلَمة عن ثابتٍ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: « مَن أكل ما سقط على المائدة[١] أَمِنَ الفقر »[٢] فأمر لي بألف دينار، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، وهذا مِصداقُ الحديث [وفي رواية: وهذا من ذاك][٣].

وأمر المأمونُ محمدَ بن أبي خالدٍ ومحمدَ بن يَزدادَ أن يناظرا عَمرَو بن مَسعدةَ في مال الأهواز، فناظراه، فظهر عليه ستَّةَ عشرَ ألفَ ألفِ درهم، فقال المأمونُ لابن يَزداد: انظر كلَّ ما تعلَّق به عَمرٌو فيما يدَّعيه فأَمضِه، فتعلَّق بأشياءَ لا أصلَ لها، فسقط من المال عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، وبقي ستَّةُ آلافِ ألفِ درهمٍ لا حجَّةَ له فيها، فأُخذ خطُّه بها وأنها واجبةٌ للمأمون في ذمَّته، فلما خرج محمدٌ أَحضر المأمونُ عَمراً وقال: هذا خطُّك؟ قال: نعم، قال: خذْه فقد وهبتُه لك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد وهبته لأحمدَ بنِ عروةَ عاملِ الأهواز؛ فإنه يطالَب به وهو فقير، فغضب المأمون، وعلم عَمرو أنَّه قد أخطأ، فقام وخرج، فدخل على أحمدَ بن أبي خالدٍ فأخبره، فقال: لا بأسَ عليك، ودخل على المأمون، فقال له: يا أحمد، أَلا تعجبُ من عَمروٍ وهبته ستةَ آلافِ ألف درهمٍ بعد أن تجافيتُ له عن أَضعافها فوهبها بين يديَّ لأحمدَ بنِ عروة! كأنه

(١) في (ب): من أكل مما تحت المائدة . . . .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والدارقطني في الغرائب، والخطيب في المؤتلف، قال ابن حجر في أطراف المختارة: سنده من هدبة على شرط مسلم، والمتن منكر، فلينظر فيمن دون هدبة. تخريج أحاديث الإحياء، وتنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٢٦٢، وكنز العمال ١٥/ ٢٥٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

أراد أن يضاهيَني ويصغِّرَ معروفي عنده! فقال أحمد: يا أميرَ المؤمنين، لو لم يفعلْ هذا لكان ينبغي أن يسقطَ حالُه عندك، قال: وكيف؟! قال: أراد أن ينتشرَ في ملوك الأممِ أنَّ بعضَ خدمك اتَّسع قلبُه لهبة هذا المالِ الذي هو من جُملة إحسانك، فيزيدَ ذلك في جلال الدَّولة، فيذلَّ أعداؤك الذي يكاثرونك[١]، قال: صدقتَ، ورضي عنه.

وقال يحيى بنُ خاقان: أَلزمني المأمونُ بخمسة آلافِ ألفِ درهم، فأخبرته أنِّي لا أملك إلا سبعَ مئةِ ألفِ درهم، وحلفت له على ذلك بالأيمان المغلَّظة، فلم يصدِّقني، وحبسني عند أحمدَ بنِ هشام، وكان بيني وبينه شرٌّ قد اشتهر، وكان على الحرس، فقال أحمدُ للموكَّلين بي: احفظوه لا يَسمَّ نفسَه، وبلغ المأمونَ ففطن لمراده، فقال: يا أحمد، لا يأكلْ يحيى بنُ خاقانَ ولا يشرب إلَّا ما يؤتَى به من منزله، قال يحيى: فأرسلتُ إلى جماعة، فبعث إليَّ الحسنُ بن سهل وفَرَجٌ الرُّخَّجي وحُميد الطوسيُّ بثلاثة آلافِ ألفِ درهم، كلُّ واحدٍ بألف ألفِ درهم، فأضفتُ ذلك إلى ما عندي، فكَمُلت خمسةَ آلافِ ألفِ درهم، وكتبت إلى المأمون أعرِّفه، وكان عنده أحمدُ بن أبي خالدٍ وعَمرو بن مَسعدةَ وعليُّ بن هشام، فأَحضرني وقال: ألست الحالفَ لي أنَّك لا تقدر إلَّا على سبع مئةِ ألفِ درهم؟! فمن أين لك هذا المال؟! فقصصتُ عليه القصَّة، فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: قد وهبتُ لك المال، فقال له مَن حضر: أتهب له هذا المالَ وليس في خزائنك درهم! قال: نعم، قالوا: خذْ منه قرضاً، وإذا جاءك مالٌ رددتَ عوضه، فقال: أنا أقدَرُ على المال من يحيى، ولا أرجعُ فيما وهبت. قال يحيى: فقمتُ فرددت على القوم أموالَهم وفرَّج اللهُ عني.

وسعى إليه محمدُ بن يَزداد بعَمرو بنِ بهبوبا[٢] أنَّه أخذ الأموال، فقال المأمونُ للفضل بنِ مروان: خُذ عَمراً إليك فقيِّده وضيِّق عليه ليؤدِّي ما اختانه من المال، قال

---

(١) اختصر المؤلف هنا كلام أحمد بن أبي خالد اختصاراً مخلّاً، والقصة في الفرج بعد الشدة ١/ ٣٨٤-٣٨٦، وفيها أنه قال له: لو استأثر به على أحمد بن عروة وأخذ أحمد بأداء هذا المال، لكان قد أخرجه من معروفك صفراً، ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادماك، فكان الأجمل أن يتضاعف معروفك عندهما ... إلخ.

(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ١٢٧: بهنوى.

الفضل: فأخذتُ عَمراً إلى داري، وأفردتُ له حُجرة، وأَقمتُ له ما يُصلحه، وأقام ثلاثةَ أيام، ثم أرسل إليَّ يسألني الاجتماعَ به، فأَذنتُ له، فدخل عليَّ وأخرج رقعةً قد أَثبت فيها ما يملكه، من مالٍ وجوهرٍ وعقار وأثاثٍ ودوابَّ وعبيدٍ وإماءٍ ونحوِ ذلك، ما مبلغُه عشرون ألفَ ألفِ درهم، وسألني أن أُوصلَ رقعتَه إلى المأمون، وأنه قد جعله في حِلٍّ وسَعَة من جميع ذلك، فقلت له: مهلاً، إنَّ أميرَ المؤمنين أجلُّ قَدْراً أن يسلُبَك نعمتك كلَّها عن آخرها، فقال: هو كما وصفت، ولكنَّ الساعيَ لا ينام عنِّي ولا عنك، وقد بلغني أنَّه أمرك بالغِلظة عليّ، وقد عاملتَني بضدِّ ذلك، وقد طابت نفسي أن أشتريَ خلاصي وخلاصَك بجميع مالي، فلم أزل أَرفقُ به حتى وافقته على شطر مالِه، وهو عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، وأخذت خطَّه بها وصرتُ إلى المأمون، وإذا بمحمد بنِ يزدادَ قد سبقني إليه، فلما دخلتُ خرج محمد، فقال لي المأمون: يا فضل، ما هذه الجرأةُ عليّ! أمرتُك بالتضييق على عَمرو بن بهبوبا فقابلتَ أمري بالضدِّ ووسَّعت عليه وأقمت له الأنزال[1]!

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ عَمراً يطالَب بمالٍ عظيم، ولم آمن أن أحبسَه في بعض الدواوين فيبذلَ مالاً يُرغَب في مثله فيخلُص، فجعلت حبسَه في داري، وأشرفتُ على طعامه وشرابِه لأَحرسَ نفسه؛ فإنَّ كثيراً من الناس اختانوا الأموالَ وأَودعوها، فاحتيل عليهم بإِتلاف نفوسهم، فذهبت الأموالُ التي كانت لهم عند الناس، فتلفوا وفاز بها غيرُهم.

قال: فسكن غضبُه، ولم أُخرج الرُّقعة، قال: سلِّم عَمراً إلى محمد بنِ يزداد، فسلَّمته إليه، فعذَّبه بأنواع العذاب، فلم يقرَّ بدرهم، فلمَّا رأى أصحابُه ذلك، جمعوا له ثلاثةَ آلافِ ألفِ درهمٍ وبذلوها لمحمد بنِ يزداد، فصار إلى المأمون متبجِّحاً بها، وأخبره وأنا واقف، فرفع المأمونُ رأسَه وقال لي: يا فضل، ألم تعلمْ أنَّ غيرَك أقومُ بأمرنا منك وأَطوعُ لما نأمر! هذا محمدٌ قد أخذ خطَّ عَمروٍ بثلاثة آلافٍ ألفِ درهم، فقلت له - وما اجترأتُ عليه مثلَها قطّ -: أرجو أن أكونَ في حال استبطانك لي أبلغَ من إسراع غيري.

(١) في (خ) و (ف): الأموال. والمثبت من الفرج بعد الشدة.

ثم أَوقفته على الرُّقعة التي كتبها عَمرو، وحدَّثته الحديثَ عن آخره، فقال: واللهِ ما أدري أيُّكما أعجب، أَعمرٌو حيث شكر بِرَّك فطاب نفساً بالخروج من جميع ما يملكه بهذا السَّبب! أم أنت ومحافظتُك على أهل النِّعم وسَترك عليهم في ذلك الوقت! واللهِ لا كنتما يا نَبَطِيَّان أكرمَ مني، قد وهبتُ له الكلّ، ومزَّق الرُّقعتين اللتين بخطِّ عَمرٍو بعشرة آلاف ألفِ درهم، والتي بثلاثة آلافِ ألفِ درهم، وبعث بعَمرٍو إلى داره مكرَّماً.

وقال عيسى بنُ عبَّاد[1]: دعاني المأمونُ يوماً فدفع إليَّ كتاباً مختوماً وقال: اذهب إلى عَمرو بنِ مَسعدةَ وناظرْه على ما في هذ الكتاب باباً باباً، وخذ خطَّه على كلِّ باب بحجَّة، واختمه بخاتَمي وخاتَمه، ويبقى عندك إلى أن أقولَ لك، ولا تبتدئْني فيها بشيءٍ حتى أسألَك.

قال: وكنت شاركت عَمراً في تلك الأموالِ التي رُفعت علينا، فخفت من ذِكرها في السِّعاية، وأن تكونَ مذكورةً في الكتاب، فصرت إلى عَمرٍو وهو جالسٌ يلعب بالشِّطرَنج في بستان، فقلت: لي حديثٌ فأَخْلِني، فقال: دعني أُتمِّم دَسْتي، فغاظني، فبدَّدتُ الرقعةَ وقلت: قد سال بنا السَّيلُ وأنت لا تدري، ثم ناولتُه الكتاب، فضحك وقال: ويحك! قد خدمتَ رجلاً مدَّة وأنت لا تعرف أخلاقَه ومذهبَه! أتريد أن أُطلعَك على ما هو أشدُّ من هذا؟ قلت: نعم، فأخرجَ إليَّ رقعةً فيها مثلُ ما في تلك، وقال: هذه لها عندي منذ سنة، كتب إليَّ بأن أفعلَ مثلَ هذا ولم أُخبرك.

قال: فجعلت أُرعَد من الخوف وعَمرٌو يضحك، وأنا أقول: عند اللهِ أحتسب نفسي ونعمتي، فقال عَمرو: أنت مجنون، إنَّ صاحبنا ليس بشَرِه ولا بخيل، ولكنه أراد أن يعرِّفَنا أنَّه قد علم ما صار إلينا من إنفاق، فقلت: لا بدَّ من الكتابة، فكتب رُقعة، فوجد ما نُسب إليه أربعين ألفَ ألفِ درهم، وما نُسب إليَّ سبعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم، وكتب في أسفلها: لو قصرت بنا هِمَمُنا عن هذا المقدارِ وسعتنا[2] منازلنا، ونرجو أن يُطيل اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنين ليصلَ إلينا أضعافُ ذلك.

---

(١) كذا في (خ) و (ف)، وفي الفرج بعد الشدة ٣/ ٤٣: أبو عباد. وقال محقِّقه: هو ثابت بن يحيى بن يسار، كاتب المأمون ووزيره.

(٢) في (خ): ما وسعتنا، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في الفرج بعد الشدة.

قال: وأخذتُ أنا الرُّقعة، فأقامت معي وأنا أذوب وأنحَل، ولا أشكُّ في زوال نعمتي وهلاكي، فكتبت وصيَّتي وهجرتُ طعامي وشرابي ولذَّاتي، حتى بَليت، فنظر المأمونُ إليَّ يوماً فقال: يا عيسى، هل تشكو عِلَّة؟ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لي سنة حيٌّ كميِّت بسبب الكتابِ الذي دفعتَه إليَّ لأُناظرَ عليه عَمرو بنَ مَسعدة، فقال: أَمسِك حتى أُعيدَ عليك ما جرى بينكما، فأعاده حرفاً حرفاً وقال: عمرٌو أعرفُ بنا منَّا، وأوسعُ صدراً، وأبعد همَّة، وما أردتُ إلَّا أن أعرِّفكما أني قد علمتُ بما صار إليكما وأنتما تتوقَّيان إظهارَه، وأحببتُ أن أُزيلَ عنكما غَمَّ المساتَرَة وثِقلَ المراقبة، وإني خَجِلٌ منكما من ضعف أمري[١] عندكما، فدعوتُ له وقلت: ما أَصنعُ بهذا الكتاب؟ فقال: ترميه في لعنة الله، وامضِ مصاحَباً في سِتر الله. فدعوتُ له وانصرفت كأنما أُطلقت من عِقال[٢].

و[قال الصُّولي:][٣] كان بعضُ خدمِ المأمون [واسمُه رشيد] بلغه عنه أنَّه يسرق، فقال له يوماً: يا رشيد، إذا سرقتَ شيئاً فَبِعْنيه، قال: نعم [قال:] وكان يصبُّ على يديه من إبريق في طَسْت، فقال: يا أمير المؤمنين، بكم تشتري منِّي هذا الطَّسْتَ والإبريق؟ قال: بكم تريدني أشتريه، قال: بعشَرة دنانير، فأمر له بها، فقال الرشيد: بقي هذان ما بقي الليلُ والنهار. فضحك المأمونُ [حتى استلقى].

[قال:][٤] وأهدى مَلِكُ الرومِ إلى المأمون هديَّةً سَنيَّة، فيها مئةُ رطلٍ من المِسك، ومئةُ حُلَّة من سَمُّور[٥]، فقال: أَضعِفوها له ليعلمَ عزَّ الإسلام وذُلَّ الكفر.

وقال العَيشي[٦]: كنت مع المأمونِ بدمشق، فضاق ما بيده، فشكا ذلك إلى أخيه أبي إِسحاقَ المعتصم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كأنَّك بالمال وقد وافاك بعد جُمُعة، وقدم بالمال وكان ثلاثين ألفَ ألفِ درهمٍ من خَراج كان يتولَّاه المعتصم، فقال لابن

(١) في الفرج بعد الشدة: أثري.
(٢) من قوله: وأمر المأمون محمدَ بن أبي خالد ومحمد بن يزداد أن يناظرا . . . إلى هنا، لم يرد في (ب).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) دابة يتخذ من جلدها فِراء مثمنة. القاموس المحيط (سمر).
(٦) في (خ) و (ف): العبسي. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٢، وابن الأثير ٦/ ٤٣٣. وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٧٢٥-٧٢٦ (مخطوط).

أَكثم: أُخرج بنا ننظرْ إلى المال، فخرجا وقد هُيِّئَ بأحسن هيئته، وزُيِّنت الجِمالُ بالأَحلاس الموشَّاة، واستشرف الناسُ إلى البِدَر[١] ينظرون إليها، فقال المأمونُ ليحيى: يا أبا محمد، أَنَنصرف بهذه الأموالِ وينصرف أصحابُنا هؤلاء الذين شاهدوها إلى منازلهم خائبين! إنَّا إذاً لَلِئام.

ثم دعا محمدَ بن يَزدادَ فقال: وقِّع لفلانٍ بألف ألف، ولفلانٍ بمثلها، ولفلانٍ بكذا وكذا. فواللهِ ما زال كذلك حتى فرَّق أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم ورِجْلُه في الرِّكاب، ثم قال: ارفع الباقيَ لجندنا.

قال العيشي: فجئت فقمت نُصبَ عينه، فقال: يا محمد، وقِّع لهذا بخمسين ألفَ درهمٍ من الستَّة آلافِ درهم لا يختلسْ ناظري، فأخذتُها.

وقال محمدُ بن أيوبَ بن جعفرِ بن سليمانَ والي البصرة: كان عندنا بالبصرة شاعرٌ يقال له: ابنُ تميم، ظريف، وكنت آنَس به، فقلت له يوماً: أين أنت من المأمون، فإنَّه أَجودُ من الرِّيح العاصفِ والسَّحاب الحافل، فقال: أنا ضعيف، فأعطيتُه نجيباً فارهاً ونفقة، وعَمِلَ أُرجوزة أثنى عليَّ فيها[٢]، وخرج إلى الشام، فوافى المأمونَ في بلاد الرُّوم.

قال الرجل: فبينا أنا ذاتَ غداةٍ على نجيبي وأنا أردِّد أُرجوزتي، وإذا بكهلٍ على بغلٍ فارِه، فسلَّم عليّ، فرددتُ عليه، فقال: مَن الرجل؟ قلت: من مُضَر، قال: ونحن من مُضَر، قال: ثم ماذا؟ قلت: من بني تميم، ثم من بني سَعد، فقال ورائحةُ المسكِ تفوح منه: ومِن أين وإلى أين؟ قلت: من البصرة إلى هذا المَلكِ العظيمِ الذي ما سمعتُ بأندى رائحةً ولا أوسعَ صدراً وراحةً منه [وقد عملتُ فيه رَجَزاً يَحسُن في مِثله][٣] وتقتفيه الرُّواة، ويحلو في آذان المستمعين، قال: فأنشدنيه، فغضبتُ وقلت: يا رَكيك[٤]، كيف أفعل هذا وأنا قاصدٌ الخليفة! فتغافل عنها وأَلغى جوابَها ثم قال: وما الذي تروم منه؟ قلت: ألف دينار، قال: إنْ رأيتُ شِعرك جيِّداً وكلامَك عذباً

(١) جمع بَدْرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. القاموس المحيط (بدر).
(٢) اختصر المصنف هنا الكلام على عادته، فإن شئت فراجعه في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٣، وابن الأثير ٦/ ٤٣٤.
(٣) ما بين حاصرتين من (ف).
(٤) الركيك: الضعيف في عقله ورأيه. انظر القاموس والمعجم الوسيط (ركك).

أعطيتُك ألفَ دينارٍ وأَرحتك من التعب، ومتى تصل إلى الخليفة وبينك وبينه عشرةُ آلافِ رامحٍ ونابل! فقلت: واللهِ عليك أن تعطيَني ألفَ دينار؟! قال: نعم، قلت: ومن أين لك ألفُ دينار؟! قال: هذا بغلي خيرٌ من ألف دينار، قال: فغضبت وقلت: ما يساوي هذا البغلُ هذا النَّجيب؟! قال: فدعْ عنك التعلُّل، ولله عليَّ أن أعطيَك الساعةَ ألفَ دينار، فأنشدته:

مـأمـون يـا ذا الـمِـنَـن الـشـريـفـهْ ... وصـاحـبَ الـمـراتـبِ الـمُـنـيـفـهْ
وقـائـدَ الـكـتـيـبـةِ الـكـثـيـفـه ... هـل لـك فـي أُرجـوزةٍ ظـريـفـه
أظـرفَ مـن فِـقـه أبـي حـنـيـفـه ... لا والـذي أنـت لـه خـلـيـفـه
مـا ظُـلِـمـت فـي أرضـنـا ضـعـيـفـه ... أمـيـرُنـا مُـؤنـتـهُ خـفـيـفـه
وما اجتبى [شيئاً][1] سوى الوظيفه[2] ... فـالـذئبُ والـنَّـعـجـةُ فـي سَـقـيـفـه
والـلِّـصُّ والـتـاجـرُ فـي قَـطـيـفـه

قال: فما فرغتُ من إنشادها إلَّا وقد أحدق بنا زُهاء على عشرة آلافِ فارس، فأخذني أَفْكَل[3]، وإذا به المأمون، فقال: أَيْ أخي لا بأسَ عليك، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أتعرف لغاتِ العرب؟ قال: إي لَعَمرُ الله، قلت: مَن جعل الكافَ منهم مكانَ القاف؟ قال: حِمْيَر. فقلت: لعنها اللهُ ولعن مَن استعمل هذه اللّفظة[4] بعد اليوم. فضحك المأمونُ وعلم ما أردت. يعني: يا ركيك، ثم أعطاني ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وقال: سلامٌ عليكم، ومضى، فكان آخرَ العهدِ به[5].

[وحكى الصُّولي عن يحيى بنِ أكثمَ حديثَ المرأة، قال يحيى: لما دخل المأمونُ بغدادَ جلس لردِّ المظالم، فقعد إلى الظُّهر] فلمَّا أراد القيام[6]، تقدَّمت إليه امرأةٌ غريبة

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥، وابن الأثير ٦/ ٤٣٥. وفي تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٢: فضلاً.
(٢) في (خ) و (ف): الوضيفه. والمثبت من المصادر.
(٣) في (خ): فأخذ به النكل، وفي (ف): فأخذني النكل. والمثبت من تاريخ الطبري. والأفكل: الرعدة. القاموس المحيط (فكل).
(٤) في تاريخ الطبري وابن الأثير: اللغة.
(٥) من قوله: وقال العيشي: كنت مع المأمون بدمشق . . . ، إلى هنا. لم يرد في (ب).
(٦) في (خ): جلس يوماً للناس، فلما أراد القيام. وفي (ف): وخرج يوماً في موكبه ثم جلس للخصوم، وكان =

في ثيابٍ رثَّة تتعثَّر بذيلها، ووقفت بين يديه، فقال: ما حاجتُكِ؟ فقالت: امرأةٌ غريبة، وأنشدت: [من البسيط]

يا خيرَ منتصِفٍ يُهدَى به الرَّشَدُ ... ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ المُلكِ أرملةٌ ... عَدَا عليها فما يَقوَى به[1] الأَسَد
فابتزَّ منِّي ضِياعي بعد مَنْعَتها ... لمَّا تفرَّق عنِّي الأهلُ والوَلَد

فأطرق المأمونُ ساعةً [مفكِّراً][2] ثم رفع رأسَه وقال[3]:

مِن دون ما قلت عِيلَ الصبرُ والجَلَدُ ... فأَحضِروا خصمَها اليومَ الذي أَعِدُ[4]
والمجلسُ السَّبت إنْ يُقضَ الجلوسُ لنا ... أُنْصِفْكِ منه وإلَّا المجلسُ الأَحَد

وقام، فلمَّا كان يومُ الأحدِ حضرت المرأة، فقال لها: وأين الخصم؟ فأشارت إلى العباس بنِ المأمون، وكان قائماً على رأسِ أبيه وهو غلام، فقالت: غصبني ضَيعتي، فسأله الحجَّة، فسكت، والمرأةُ ترفع عليه صوتَها وهو لا ينطِق، فقال لها بعضُ الحاضرين: أَترفعين صوتَك على ابن أميرِ المؤمنين! فقال له المأمون: أُسكت؛ فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرسه، ثم ردَّ عليها ضَيعتَها وأعطاها عشرةَ آلافِ درهمٍ وردَّها إلى أهلها.

وقال إسحاقُ بن إبراهيمَ المَوصلي: كان المأمونُ قد سخط على الخَليع[5] لأنَّه هجاه ومدح الأمين. قال إسحاق: فبينا أنا ذاتَ يومٍ عند المأمون، إذ دخل ابنُ البوَّاب الحاجبُ وبيده رُقعة، فاستأذن في إنشادها، فأذن له، فقال: [من الطويل]

أَجِرني فإنِّي قد ظمئتُ إلى الوعد ... متى تُنجز الوعدَ المؤكَّدَ بالعهدِ
أُعيذك من خُلْف الملوكِ فقد ترى ... تقطُّعَ أنفاسي عليك من الوَجْد

= يجلس للخصوم من الغداة إلى بعيد الظهر، فلما أراد القيام. والمثبت من (ب).

(١) في (ب): بها، وفي (خ) و (ف): يد، والمثبت من المحاسن والمساوئ ص٤٩٧، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٥٧. وفي العقد الفريد ١/ ٢٨: عدي عليها فلم يُترَك لها سَبَدُ.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) بعدها في (ف): هذا الشعر مصنوع عليه. وليست في المصادر.

(٤) دمج المصنف هنا بيتين في بيت، واختلفت المصادر في رواية عجز هذا البيت.

(٥) هو الحسين بن الضحاك الشاعر.

أَيبخل فَرْدُ الحُسْنِ عني بنائلٍ ... قليلٍ وقد أفردتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عبادِه ... فملَّكه واللهُ أعلمُ بالعبد
أَلَا إنَّما المأمونُ [للناس][(١)] عصمةٌ ... مميِّزة بين الضَّلالة والرُّشد

فقال له: أَحسنت، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أَحسن قائلُها، قال: ومَن هو؟ قال: عُبيدك الحسينُ بن الضحَّاك، فقال: لا حيَّاه الله ولا بيَّاه ولا قرَّبه، أليس هو القائل: [من الطويل]

أَعينيَّ جُودا وابكيا لي محمَّدا ... ولا تَذْخَرا دمعاً عليه وأَسعِدا
فلا تمَّت الأشياءُ بعد محمدٍ ... ولا زال شَملُ المُلكِ فيها مبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هذه بتلك، ولا شيء له عندنا، فقال ابنُ البواب: فأين عادةُ عفوِ أمير المؤمنين؟ قال: أما هذه فنعم، إئذنوا له، فدخل[(٢)]، فقال المأمون: هل عرفتَ يوم قُتل أخي هاشميةً هُتكت؟ قال: لا، قال: فما معنى قولِك: [من الطويل]

وممَّا شجا قلبي وكفكفَ عَبرتي ... محارمُ من آل النبيِّ استُحِلَّتِ
ومهتوكةٌ بالخُلْد عنها سجوفُها ... كَعابٌ كقَرن الشمسِ حين تبدَّت
فلا بات ليلُ الشامِتِين بغِبطةٍ ... ولا بُلِّغت آمالُهم ما تمنَّت

فقال: يا أميرَ المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ سُلبتُها بعد أن غمرتْني، وإحسان عمِّني سَيبُه فأَنطقني، وسيِّد فقدتُه فأوجعني، فإن عاقبتَ فبحقِّك، وإن عفوتَ فبفضلك، فدمعت عينا المأمونِ وأمر بإدرار رزقِه.

قال المصنِّف رحمه الله: والذي ذكر الخليعُ هو الصحيح، أيُّ هتكَةٍ أعظمُ من خروج هاشميةٍ حاسرةً مكشوفةَ الرأس ناشرةً شعرَها، ومعها بناتُ الخلفاءِ عليهنَّ المُسوح، يَلْطِمنَ في شوارع مدينةِ أبي جعفرٍ ويَحثين على رؤوسهنَّ الرَّماد، حتى بكى عليهنَّ كلُّ صديقٍ وكلُّ عدو، وإنما الخليعُ خاف من المأمون فاعتذر بما ذكر.

وبلغ المأمونَ أنَّ دِعْبِلاً هجاه فقال: [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر: الأغاني ٧/ ١٦٥، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٦.
(٢) في (خ): نوله فدخل. وفوقها: كذا، والمثبت من تاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٦.

أَيسومني المأمونُ خِطَّةَ عارفٍ[١] أَوَما رأى بالأمس رأسَ محمَّدِ
إنَّ التِّراتِ مسهَّدُ طُلَّابها فاكفُفْ لُعابَك عن[٢] لُعاب الأسود
إنِّي من القوم الذين سيوفُهمْ قتلتْ أخاك وشرَّفتْك بمَقْعد
شادوا بذِكرك بعد طول خُمودِه واستنقذوك من الحضيض الأَوْهَد

فقال المأمون: قاتله الله، ومتى كنتُ خاملاً وقد نشأتُ في حجر الخلفاء! ولكن هو يهجو أبا عبَّادٍ لا يهجوني، وكان في [أبي][٣] عَبَّاد حِدَّة.

قال يحيى بنُ أكثم: قال المأمون: وددتُ لو أنَّ لي رجلاً مثلَ الأصمعيِّ يعرف أيامَ العرب وأشعارَها حتى ينادمَني كما نادم الأصمعيُّ أبي، فقلت: ها هنا عَتَّاب بنُ ورقاءَ الشَّيباني، فهو مِثلُ الأصمعي، فقال: عليَّ به، فلما حضر قلت له: إنَّ أميرَ المؤمنين ـ أطال اللهُ بقاءه ـ يرغب في مؤانستك ومحادثتِك، فقال: إني شيخٌ كبير عاجزٌ عن ذلك، وقد ذهب مني الأَطْيَبان[٤]، فقال المأمون: لا بدَّ من ذلك، فقال عَتَّاب: [من المجتث]

أبعد سِتِّين أصبو والشَّيبُ للمرء حربُ
شيبٌ وعيبٌ وخمر[٥] هذا لَعَمرُكَ صعب
فابنَ الإمام فهلاً أيام عوديَ رَطْبُ
وإذ شِفاءُ الغَوَاني[٦] مني حديثٌ وقُرب
وإذ مَشيبي قليلٌ ومنهلُ العيش عذْب
[فالآن لمَّا رأى بي عواذلي ما أحبُّوا][٧]
آليتُ أشربُ راحاً ما حجَّ لله رَكب

(١) في (خ) و (ف): عارب. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٠، وفي الديوان ص ١٢٢: عاجز.
(٢) في (خ) و (ف): في.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (خ) و (ف).
(٤) هما: الأكل والنكاح. أساس البلاغة (طيب).
(٥) في (خ): وأمر، وفي تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٠: وإثم، والمثبت من (ف).
(٦) في (خ) و (ف): الأغاني.
(٧) ما بين حاصرتين من (ف).

فقال المأمون: ينبغي أن يُكتبَ هذا الشِّعر بماء الذَّهب، وأَجازه وأعفاه.

ولمَّا دخل المأمونُ دمشقَ غنَّاه عَلُّويه بأبيات، وهي: [من الطويل]

برئتُ من الإِسلام إن كان ذا الذي ... أتاك به الواشون عنِّي كما قالوا

ولكنَّهم لمَّا رأوكِ غَرِيَّةً ... بهجري تواصَوا بالنَّميمة واحتالوا

فقد صرتِ أُذْناً للوُشاة سميعةً ... ينالون من عِرضي ولو شئتِ ما نالوا

فقال المأمون: لمن هذا الشِّعر؟ فقال علُّويه: للقاضي الخَلَنْجي[1] - وكان على قضاء دمشق - فقال: عليَّ به، فقال: أَنشدني قولَك: برئتُ من الإِسلام، فخاف وقال: هذه قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيّ، وواللهِ ما قلتُ شعراً منذ عشرين سنةً إلَّا في زُهدٍ أو عتابِ صديق، فناوله كأساً من نبيذ، فأُرعد وقال: واللهِ ما شربته قطّ، فقال المأمون: لو شربتَه لَضربتُ عُنقَك، وواللهِ لا أولِّي القضاءَ على المسلمين رجلاً بدأ في هَزله[2] بالبراءة من الإسلام، وقال لعلُّويه: قل: حُرِمتُ مُنايَ منكِ إنْ كان ذا الذي. فغيَّره بأَرشقِ عبارة.

وقال حُميد بنُ عبدِ الحميد الطُّوسي: قال لي عليُّ بن جَبلة: امتدحتُ المأمونَ بأبيات، فأَحضرها، فدخلتُ بها على المأمون، فتأمَّلها وقال: خيِّره، إن شاءَ عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإنْ شاء جمعنا بين هذه وبين شِعره فيك وفي أبي دُلَف، فإنْ كان ما قال فيك وفيه أَجود، ضربناه ظهراً لبطنٍ وأَطلنا حبسَه، وإن كان ما قال فينا أَجود، أعطيناه عن كلِّ بيتٍ من مديحه ألفَ درهم، وإن شاء أَقلناه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ومَن أنا ومَن أبو دُلَفٍ حتى يمدحَنا بأجودَ من مدحك، فقال: ليس هذا الجواب، واعْرض عليه ما قلت، فأَعرضتُ[3] عليه، فقال: الإِقالةُ أسلمُ لي، فأخبرت المأمون، فقال: هو أعلم.

ثم قلت لعليّ: [إلى] أيِّ شيءٍ ذَهَبَ[4] في مدحك إياي ومدحِ أبي دُلَف؟ فقال: أمَّا

---

(١) هو عبد الله بن محمد، ابن أخت علويه المغني. انظر الأغاني ١١/ ٣٣٨-٣٤٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٤٣-٤٤٤. والبيتان الأولان في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٦ أيضاً.

(٢) في (خ): هواه.

(٣) كذا في (خ) و (ف). والصواب: فعرضت.

(٤) في (خ) و (ف): ذهبت، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٩، وما بين حاصرتين منه.

مدحي إياك فقَولي: [من مجزوء الكامل]

لـــولا حُـــمَــيــدٌ لـــم يــكـــن   حَــسَــبٌ يُــعَــدُّ ولا نَــسَــبْ
يـــا واحـــدَ الـــزَّمـــنِ[1] الـــذي   عـــزَّت بـــعِـــزَّتـــه الـــعَـــرَبْ

وأمَّا مدحي لأبي دُلَفٍ فقولي: [من المديد]

إنَّـــمـــا الـــدُّنـــيـــا أبـــو دُلَـــفٍ   بـيـن بـاديـهـا[2] ومُـحـتَـضَـرِهْ
فـــإذا ولَّـــى أبـــو دُلَـــفٍ   ولَّـــت الـــدُّنـــيـــا عـــلـــى أَثَـــرِه

فأعطاه حُميدٌ عشرةَ آلافِ درهم [وخِلْعة][3] وكذا أبو دُلَف، وقال: اكتم علينا.

وقال أبو نزار[4]: ظننتُ أنَّ المأمونَ انتقد عليه[5] قولَه في أبي دُلَف: [من الطويل]

تـحـدَّر مـاءُ الـجُـود مـن صُـلـب آدَمٍ   فـأثبته الرحمنُ في صُلب قاسمِ[6]

وقال عُمارةُ بن عَقيل: قال لي عبدُ الله بنُ أبي السِّمط[7]، وفي رواية[8]: مروانُ بن أبي حفصة: أَعلمتَ أنَّ المأمونَ لا ينتقد[9] الشِّعر؟! قلت: ومَن يكون أعلمَ به منه! واللهِ إنا لنُنشده أوَّلَ البيتِ فيسبقنا إلى آخره، قال: فإنِّي قد أنشدته بيتاً لم يتحرَّك له، قلت: وما هو؟ قال: [من البسيط]

أَضحى إمامُ الهدى المأمونُ مشتغلاً   بـالـدِّيـن والـنـاسُ بـالـدنـيـا مـشـاغـيـلُ

فقلت: ما يُلام، وهل زدتَ على أن جعلته عجوزاً في محرابٍ وبيده سُبحة! فمَن يقوم بأمر الدُّنيا! هلَّا قلتَ كما قال عمُّك جَريرٌ في عبد العزيزِ بن الوليد: [من الطويل]

---

(١) في الديوان ص ٣١، وتاريخ الطبري: العرب.
(٢) في الديوان ص ٦٨، وتاريخ الطبري: بين مغزاه.
(٣) ما بين حاصرتين من (ف). وفي تاريخ الطبري: وحُملان وخلعة وخادم.
(٤) يعني: الضرير الشاعر.
(٥) في تاريخ الطبري: تعقد عليه.
(٦) الديوان ص ١٠٣.
(٧) في (خ) و (ف): السمت. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٢، وابن الأثير ٦/ ٤٣٨.
(٨) رواها الخطيب في تاريخه ١١/ ٤٣٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٢٣٨. وانظر ديوانه ص ١١٧. وهذه الرواية بعيدة عن الصواب؛ لأن مروان توفي سنة ١٨٢هـ.
(٩) في المصادر: لايبصر.

فلا هو في(١) الدُّنيا مُضِيْعٌ نصيبَه ... ولا عَرَضُ الدنيا عن الدِّين شاغلُهْ

وكتب العباسُ الهَمْداني إلى المأمون في يوم نَيروزَ وقد أهدى الناسُ فنونَ الطُّرَفِ واللَّطائف: [من مجزوء الكامل]

أهدى لك الناسُ المرا ... كبَ والوصائفَ والذَّهبْ

وهديَّتي جَزْلُ القصا ... ئدِ والمدائحِ والخُطَب

فاسلَمْ سلمتَ على الزَّما ... نِ من الحوادث والعَطَب(٢)

فأمر المأمونُ بأن يُحملَ إليه جميعُ ما أُهدي إليه في ذلك اليوم، وقال: نِعْمَ ما أَهدى إلينا.

وخرج المأمونُ في يوم عيدٍ إلى الصلاة وإلى جانبه يحيى بنُ أكثم، فإذا بغلامٍ مستحسَن يَخطِر في ثوبٍ موشًّى، فقال له: يا يحيى ما تقول في هذه البِضاعة؟ فغضب يحيى وقال: يَقبحُ بإمام مثلِك يقول هذا لفقيهٍ مثلي، فقال المأمون: فمن الذي يقول: [من المنسرح]

قاضٍ يرى الحدَّ في الزِّناء ولا ... يرى على مَن يَلوط من باسِ

فقال يحيى: الفاجرُ أحمدُ بن أبي نُعيمٍ(٣) الذي يقول:

لا أَحسَبُ الجَورَ ينقضي وعلى الـ ... أُمَّةِ والٍ من آل عبَّاسِ

فأطرق المأمونُ خَجَلاً وقال: يُنْفى ابنُ أبي نُعيمٍ إلى السِّند.

قال المصنِّف رحمه الله: هذان البيتان من جُملة أبيات، أوَّلها:

أَنطقني الدهرُ بعد إخراسِ ... لنائباتٍ أَطَلْنَ وسواسي

يا بؤسَ للدَّهر لا يزال كما ... يرفع ناساً يحطُّ من ناسِ

لا أَفلحت أمَّةٌ وحُقَّ لها ... بطول نَكسٍ وعُظْمِ(٤) إتعاس

(١) في ديوان جرير ٢/ ٧٠٣: من.

(٢) العقد الفريد ٦/ ٢٨٩.

(٣) في العقد الفريد ٤/ ٣٥: أحمد بن نعيم، وما هنا يوافق ما في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٨، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٥ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ٦/ ١٥٣.

(٤) في المصادر: وطول.

ترضى بيحيى يكون سائسَها ... وليس يحيى لها بسوّاس
قاضٍ يرى الحدَّ في الزِّناء ولا ... يرى على مَن يلوطُ من باس
يحكم للأمرد الغَريرِ على ... مثل جَريرٍ ومثلِ عبَّاس
فالحمدُ لله كيف قد ذهب الـ ... ـعدلُ وقلَّ الوفاءُ في الناس
أَميرُنا يرتشي وحاكمُنا ... يَلوط والرأسُ شرُّ ما راسِ
لا أَحسبُ الجَورَ ينقضي وعلى الـ ... أُمَّةِ والٍ من آل عبَّاس

وقيل: إنَّها لأبي صخرةَ الرِّياشي[1]. وقال المأمونُ في ذلك الغلامِ الأمرد: [من مجزوء الرمل]

أيُّها الراكبُ ثوبا ... هُ حريرٌ وحديدُ[2]
جئتَ للعيد وفي وجـ ... ـهِكَ للأعيُنِ عيد
أنت جنديٌّ ولكنْ ... فيك للحُسْن جنودُ[3]

[حديثُ اليزيديِّ مع المأمون:]

وجاء اليزيديّ إلى باب المأمون، فقال الحاجب: إنَّه قد شرب دواء [وأمرني أن أَحجُبَ الناسَ عنه][4] فكتب إليه اليزيدي: [من الوافر]

هديَّتيَ التحيَّةُ للإمام ... إمامِ العدل والمَلكِ الهُمَامِ
أراك من الدَّواء اللهُ نفعاً ... وعافيةً تكون إلى تَمام
وأَعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يريك سلامةً في كلِّ عام
أَتأذن في الدُّخول بلا كلامِ ... سوى تقبيلِ كفِّك والسلامِ

[فلمَّا وقف على الرُّقعة خرج الخادم] فقال: أُدخل[5]، فدخلتُ فسلَّمت وخرجت، فبعث إليَّ بأربعة آلافِ دينار[6].

---

(١) قال الخطيب: ليست هذه الأبيات للرياشي، وإنما هي لأحمد بن أبي نعيم.
(٢) في (خ) و (ف): وجد. والمثبت من العقد الفريد ٦/ ٤١٩.
(٣) في (خ) و (ف): الحسن فيك جنود. والمثبت من العقد الفريد.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ) و (ف): يدخل، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.
(٦) في (ب): درهم. وفي الأغاني ٢٠/ ٢٤٤: ألفا درهم، وفي تاريخ بغداد ٤/ ٦٥٢: ألف درهم.

وقال محمدُ بن الجَهم: قال لي المأمون: أَنشِدني ثلاثةَ أبياتٍ في المدح والهجوِ والمراثي، فأنشدتُه في المدح: [من البسيط]

تجود بالنَّفْس إذ ضنَّ الجَوَادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ[١]

وأنشدتُه في الهَجو: [من الكامل]

قَبُحَت مناظرُهمْ فحين خَبَرْتُهمْ حَسُنَت مناظرهمْ لقُبح المخْبَرِ[٢]

وأنشدتُه في المراثي: [من الطويل]

أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه وطِيبُ ترابِ القبر دلَّ على القبرِ[٣]

فأمر لي بثلاثة آلافِ درهم.

وقال محمدُ بن زيادٍ الأعرابي: بعث إليَّ المأمونُ، فجئتُ إليه وهو في بستانٍ يتمشَّى ومعه يحيى بنُ أكثم، ورأيتهما مولِّيين، فوقفتُ حتى أَقبلا، فسلَّمت، فقال: يا محمد، أَخبِرني عن أحسنِ ما قيل في الشَّراب، فقلت: قولُ القائل: [من الطويل]

تُريك القَذى مِن دونها وهْي دونه إذا ذاقَها مَن ذاقها يتمطَّقُ[٤]

فقال: أَشعرُ منه أبو نُوَاسٍ حيث يقول: [من المديد]

وتمشَّت في مفاصلهمْ كتمشِّي البُرءِ في السَّقَمِ
واهتدى ساري الظَّلامِ بها كاهتداء السَّفْر بالعَلَمِ[٥]

ثم دحا إليَّ بعنبرةٍ[٦] فبعتُها بخمسة آلافِ درهم.

[حديثُ المأمونِ مع الحارس:

قال يحيى بنُ أكثم:] أشرف المأمونُ ليلةً على الحرس وقال: مَن يُنشدنا قولَ أبي نُواس، فأنشده غلامٌ منهم [هذه الأبيات][٧]: [من البسيط]

---

(١) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ديوانه ص ١٦٤، وروايته: إذ أنت الضنين بها.
(٢) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ذيل الديوان ص ٣٢١.
(٣) قائله مسلم بن الوليد، وهو في ذيل الديوان ص ٣٢٠.
(٤) في (خ) و (ف): يتمنطق. والمثبت من ديوان الأعشى ص ٢٦٩، والبيت له. ومعنى يتمطق: يتذوق ويصوِّت بلسانه.
(٥) الديوان ص ٥٣٧.
(٦) في (خ) و (ف): عبادة. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٤٦.
(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

لا تَبكِ ليلى ولا تَطربْ إلى هندِ   واشربْ على الورد من حمراءَ كالوردِ
كأساً إذا انحدرتْ في حَلْق شارِبها   أَجْدَته حُمْرتَها في العين والخدِّ
فالخمر ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ   في كفِّ جاريةٍ ممشوقةِ القَدِّ
تَسقيك من طَرْفها خمراً ومن يدها   خَمراً فما لك من سُكرَينِ من بُدِّ
لي سَكرتانِ[1] وللنَّدمان واحدةٌ   شيءٌ خُصصتُ به من بينهمْ وحدي

فصاح المأمون: هذا واللهِ هو السِّحرُ الحلال، لا قولُ عَمرِو بن كُلثوم: [من الوافر]

[أَلَا هُبِّي بصَحنك فاصبَحِينا][2]

وأعطى الغلامَ خمسةَ آلافِ درهم.

[حديث المأمون مع الأعرابي:

حكى أبو العيناء قال: وقف أعرابي بباب المأمون، وصاح: نصيحة. فأمر به، فدخل عليه، فقال: ما نصيحتك؟ فقال: [من الكامل]

إني رأيتكَ في منامي سيدي   يا ابنَ الإمام على الجوادِ اللاحقِ
فكسوتني حُلَلاً طرائف حسنها   تَزهو على حُسْنِ الكُمَيت السابقِ

فقال المأمون: أعطوه خلعة وفرساً كميتاً فقال:

وأَجَزْتَني بخَريطة مملوءةٍ   ذهباً وأخرى باللُّجين الفائق

فقال: أعطوه ألف دينار وألف درهم، فقبض الربطتين فقال:

وأجزتني بخريدة روميَّةٍ   حسناء تُشْفَعُ بالغلام الفائق

فقال المأمون: أعطوه ذلك، ثم قال: يا أعرابي، إياك أن ترى مثل هذا المنام فربما لم نجد من يفسِّره لك][3]

وخرج المأمونُ إلى ظاهر دمشق، فصعد جبلَ الثلج، وإذا ببِركة عظيمةٍ من بِرَك بني أُميَّة، وعليها أَربعُ سَرَوات، والماءُ يدخل فيها[4] ويخرج منها، فاستحسنها وقال لعَلُّويه: غنِّ، فقال -وكان عَلُّويه من موالي بني أُميَّة-: [من الطويل]

---

(١) في الديوان ص ١٨٠: نشوتان.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف). وعجزه: ولا تبقي خمور الأندرينا. وهو البيت الأول من معلقته الشهيرة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وأصابها تشويش وطمس فاستدركته من المنتظم ١٠/ ٥٧-٥٨ . .

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٧: يدخل سيحاً.

أولـئـك قـومـي بـعـد عـزٍّ وثـروةٍ تـفـانَـوا فـإلَّا أذرف الـدمـع[١] أَكْـمَـدِ

فقال له المأمون: يا ابنَ الفاعلة، لم تجدْ وقتاً تذكر فيه مواليك إلَّا هذا الوقت! وسخط عليه [أياماً][٢] ثم رضي عنه[٣]. فأَحضره ومعه مُخارق، فقال لمخارق: غَنِّ، فقال - والأبياتُ لجرير -: [من البسيط]

لـمَّـا تـذكَّـرتُ بـالـدَّيـريـنِ أَرَّقـنـي صـوتُ الـدَّجـاجِ وقَـرعٌ بـالـنَّـواقـيسِ
فقلـتُ للـرَّكـب إذ جدُّوا الـرحيـلَ بنـا يـا بُـعـدَ يَـبْـرِيـنَ مـن بـاب الـفَـراديـس[٤]

فقال لعلُّويه: غَنِّ، فقال: [من الكامل]

الـحَـيـنُ سـاق إلـى دمـشـقَ ومـا كـانـتْ دمـشـقُ لأهـلـنـا وطـنـا[٥]

فضرب [المأمونُ][٦] الأرضَ بالقَدَح فكسره، وقال: هذا واللهِ آخرُ عهدي بالعراق[٧]، لا عُدْتُ إليه أبداً، فكان كما قال.

وقال محمدُ بن حامد: حضرتُ مجلسَ المأمون، [فغنَّت عَرِيب:

كـحـاشـيـة الـبُـرد الـيـمـانـيْ الـمـسـهَّـمِ[٨]

فأنكر المأمونُ كونَها لم تذكر أوَّل البيت، وهو للنابغة:

رمـى ضَـرْعَ نـابٍ فـاسـتـمـرَّ بـطـعـنـةٍ كــحــاشــيــةِ الــبُــرد ....]

فقال المأمون: مَن أشار منكم إلى عَرِيبٍ بشيء؟ فسكتوا، فقال: برئتُ من هارونَ لئن لم أُصدَق عن هذا الأمر، لأُعاقبنَّ عليه بالضرب الوجيع، ولئن صَدَقني لأُبلغنَّه أملَه، فقلت: أنا أشرتُ إليها بقُبلة، فقال: الآن جاء الحقّ، أَتحبُّ أن أزوِّجَك إياها؟

---

(١) في (خ) و(ف): النفع، والمثبت من (ب)، وفي تاريخ الطبري والأغاني ٤/ ٣٥٣: العين. والبيت لأبي سعيد مولى فائد، المعروف بابن أبي سنة، كما في الأغاني.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) بعدها في (ب): وحكي عن العتبي أنه قال: كان المأمون يقول الشعر، وهو من أدنى فضائله.
(٤) الديوان ص ٢٤٩-٢٥٠ (دار صادر).
(٥) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٦، والأغاني ١١/ ٣٥٨، وديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٨: بلدا.
(٦) ما بين حاصرتين من (ف).
(٧) كذا في (خ) و(ف)، والصواب: بالشام.
(٨) هو النابغة الجعدي، والبيت في ديوانه ص ١٤٣، وما بين حاصرتين من (ف). وكلام المصنف هنا يخالف ما في الأغاني ٢١/ ٧٠-٧١ حيث ذكر أن المأمون أنكر عليها ابتداءها الغناء من تلقاء نفسها.

قلت: نعم، فخطب وزوَّجني إياها على أربع مئةِ درهم.

ودخل مروانُ بن أبي حفصةَ على المأمونِ فأنشده: [من البسيط]

قل للإمام الذي تُرجَى فواضلُه رأسِ الملوكِ وما الأذنابُ كالرَّاسِ
إنِّي أعوذُ بهارونَ وعِترتِه وقبرِ عمٍّ[1] رسولِ الله عبَّاس
من أن تُشَدَّ رِحالُ العِيسِ راجعةً إلى اليمامة من بغدادَ باليأس
لا تحرِمَنِّي عطاءً جئتُ آمُله مِن بينِ مَن جاء يَبغيه من الناس

فقال المأمون: لا والله، وأعطاه أربعةَ آلافِ دينار.

وقال إسحاقُ المَوصلي: جفاني المأمونُ مدَّة، فعملتُ بيتَين وقلتُ لعلّويه: غنِّ بهما في مجلسه وهما: [من البسيط]

يا سَرحةَ الماءِ قد سُدَّت موارِدُه أَمَا إليكِ سبيلٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ[2] حامَ حتى لا حياةَ[3] به مُحلَّأٍ عن طريق الماءِ مطرود

فقال المأمون: لمن هذا؟ فقال علُّويه: لعبدٍ من عبيدك جفوتَه واطَّرحته، فقال: ومَن هو؟ قال: إسحاقُ الموصلي، فأحضرني ورضي عني ووصلني.

وغنى علُّويه بين يديه: [من الطويل]

وإنِّي لَمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يَروق ويصفو إنْ كَدَرتُ عليهِ

فقال المأمون: أعطوني هذا الصاحبَ وخذوا مني نصفَ الخلافة.

وله بيتٌ ثانٍ:

عَذيري من الإنسان لا إنْ جفوتُه صفا لي ولا إنْ كنتُ طَوعَ يديهِ

وهو لا يوافق البيتَ الأوَّل، وهما لأبي العتاهِيَة[4].

قال المصنِّف رحمه الله: قلت أنا بعد الأوَّل:

---

(١) في العقد الفريد ٣/ ٤٣٦: وبابن عم. ونسب الأبيات لأعرابي، وهي ليست في ديوان مروان بن أبي حفصة.

(٢) في (خ) و(ف): بحائم، والمثبت من الأغاني ٥/ ٣٨٣، ولسان العرب (حلأ) وقد تقدم ص٧٢.

(٣) في الأغاني: صيام، وفي اللسان وبعض نسخ الأغاني: حوام.

(٤) انظر ديوانه ص ٤١٨.

يـوافـقـنـي فـي كـلِّ أمـرٍ أرومـه ... ويـغـفـر ذنـبـي إنْ أسـأتُ إلـيـه

ولمَّا خرج المأمونُ يريد الغزو، دخل عليه أحمدُ بن يحيى[1] النَّحْويُّ اليزيديُّ وكان من ندمائه، وقد نزل بقَارَا من أعمال حِمْص، فأَنشده: [من الكامل]

يـا قـصرَ ذي[2] الـنَّـخَـلات مـن بـارا ... إنِّـي حَـلَـلْـتُ[3] إلـيـك مـن قـارا

أَبـصـرتُ أشـجـاراً عـلـى نَـهَـرٍ ... فـذكـرتُ أنـهـاراً وأشـجـارا

لـلَّـه أيَّـامُ نـعـمـتُ بـهـا ... فـي الـقُـفْـص[4] أحـيـانـاً وأطـوراً

إذ لا أزال أَرومُ غـانـيـةً ... أَلـهـو بـهـا وأزور خـمَّـارا

أَعـصـي الـنَّـصـيحَ وكـلَّ عـاذلـةٍ ... وأُطـيـع أوتـاراً ومِـزْمـارا

فغضب المأمونُ وقال: أنا في وجه العدوِّ وأنت تذكِّرهم نُزَهَ بغداد! فقال له: يا أميرَ المؤمنين، الشيءُ بتمامه[5]، ثم قال:

فـصـحـوتُ بـالـمـأمـون مـن سُـكـري ... ورأيـتُ خـيـرَ الأمـرِ مـا اخـتـارا

ورأيـتُ طـاعـتَـه مـؤدِّيـةً ... لـلـفَـرْض إعـلانـاً وإسـرارا

فـخـلـعـتُ ثـوبَ الـلـهـوِ مـن عُـنـقـي ... ورضـيـتُ دارَ الـشـامِ[6] لـي دارا

وظَـلِـلْـتُ مـعـتـصـمـاً بـطـاعـتـه ... وجِـوارِه وكـفـى بـه جـارا

إنْ حـلَّ أرضـاً فـهْـي لـي وطـنٌ ... وأسـيـر عـنـهـا حـيـثـمـا سـارا

فرضي عنه وأجازه.

وللمأمون: [من الكامل]

قـل لـلـذيـن تـرفَّـهـوا وتـنـعَّـمـوا ... سَـفَـهـاً جـهـلـتـم مـوضـعَ الـلـذّاتِ

إنَّ الـنـعـيـمَ إذا أردتـمْ غـيـرُمـا ... أصـبـحـتـمُ فـيـه مـن الـشُّـبُـهـات

---

(١) هو أحمد بن محمد بن يحيى أبي محمد. انظر الأغاني ٢٠/ ٢٥٧، ٢٦٠.
(٢) في الأغاني: ذا.
(٣) لم تجود في (خ) و(ف)، والمثبت من الأغاني.
(٤) جبل بكرمان.
(٥) في (خ): اسمع تمامه.
(٦) في الأغاني: دار الجد.

وتركتم النَّفْسَ النَّفيسةَ ضَلَّةً حَيرى من الآثام والغَفَلات
ونعيمُها طلبُ الخلاصِ لها من الـ جسمِ المحيطِ بها عن الدَّرجات
سكنتْه مُكرَهةً [و][1] قُلِّد حُرْمةً مِن صِرْفها ما ساغ في اللَّهَوات

وله: [من الكامل]

العقلُ أنفعُ للفتى من مالِهِ في الفرق بين رشادِه وضلالِهِ
قلبُ الفتى ولسانُه أولى به في فخره من عمِّه أو خاله

وتمنَّعت عليه[2] جاريةٌ له، وكان كَلِفاً[3] بها، فبعث إليها رسولاً، فأبطأ عليه، فلمَّا عاد قال المأمون: [من الطويل]

بعثتُك [مشتاقاً] ففُزتَ بنظرةٍ وأخلفتَني[4] حتى أسأتُ بك الظَّنّا
وناجيتَ مَن أهوى وكنتُ مباعَداً فيا ليتَ شِعري عن دُنوِّك ما أغنى
ونزَّهتَ طَرْفاً في محاسن وجهها ومتَّعتَ باسْتِسْماعِ نغمتِها الأُذْنا
أرى أثَراً منها بعينك لم يكن لقد سرقتْ عيناك من حُسْنها حُسْنا
فيا ليتني كنتُ الرسولَ [وكنتَني][5] وكنتَ الذي يُقصَى وكنتُ الذي يُدْنَى

وله[6]: [من الوافر]

عَرِيتُ من الهوى وبرئتُ[7] منه لَئن أنا لم أُعاقِبْ[8] مُقلتَيكا
بعثتُك رائداً فسرقتَ منه[9] محاسنَه بلحظةِ ناظرَيكا
لَئن كنتَ الغداةَ كتمتَنيها لقد ظهرتْ محاسنُها عليكا

---

(١) ما بين حاصرتين ليستقيم الوزن، ولم نقف على الأبيات.
(٢) في (خ): وغنيت علي، وفي (ف): وغنت علي. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٨، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٢٧.
(٣) الكَلِف: الرجل العاشق. القاموس (كلف).
(٤) في المصادر: وأغفلتني. وما بين حاصرتين منها.
(٥) ما بين حاصرتين من الوافي بالوفيات ١٧/ ٦٦٠.
(٦) الأبيات في ديوان أبي تمام ٤/ ٢٥١.
(٧) في (خ) و (ف): وريب. والمثبت من الديوان.
(٨) في (خ) و (ف): أعاف.
(٩) في (خ) و (ف): منها.

وغُنِّي بين يدي المأمونِ بشعرِ بشَّار: [من البسيط]

يا عبدَ قُثْمَ وما حاولتُ صَرْمَكمُ ... يوماً من الدَّهر إقصائي وهجراني
هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً ... تدني إليكِ فإنَّ الحُبَّ أقصاني[1]

فزاد فيه:

قالت علمتُ وخيرُ القولِ أصدقُه ... بَذْلُ الدَّراهمِ يُدني كلَّ إنسانِ
مَن زاد في النَّقد زِدنا في مودَّته ... ما يطلب الناسُ إلَّا كلَّ رُجْحاني[2]

وأمر المأمونُ حِمْيَرَ[3] بن نعيمٍ بأمر، فقصَّر فيه، وكان عظيمَ اللحيةِ والجسم، فقال: [من الطويل]

خليلَيَّ ما الفتْيانُ أن تَكبُرَ اللِّحى ... وتعظُمَ أبدانُ الرِّجالِ من الأكلِ
ولكنَّما الفتْيانُ كلُّ سَمَيْدَعٍ ... صَبورٍ على الآفات في الخِصْب والأَزْل[4]
خَروج عن الغمَّا نَهوضٍ إلى العُلا ... ضَروبٍ بِنَصل السيفِ مجتَمِع العقل
رأيتُ رجالاً يمنعون نَوالهمْ ... وليس يُصان العِرضُ إلَّا مع البَذْل

وله[5]: [من السريع]

أُقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عمَّا قال مسؤولُ
أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ ... على التُّقى والبِرِّ مجبول
وأنَّه كان الإمامَ الذي ... له على الأُمَّة تفضيل
يقول بالحقِّ ويختاره ... ولا يعانيه الأباطيلُ
كان إذا الحربُ براها القَنا ... وقصَّرت عنها البَهاليل
يمشي إلى القِرْن وفي كفِّه ... أبيضُ ماضي الحدِّ مصقول

(١) البيت الأول لم أقف عليه، والبيت الثاني هو الأول من أربعة أبيات في ديوان بشار ٢/ ٥٤١، وانظر العقد الفريد ٦/ ٦٣.
(٢) في محاضرات الأدباء ٣/ ٤٨٠ أن البيتين لامرأة أجابت بهما بشاراً على قوله: هل تعلمين...، وانظر ديوان بشار.
(٣) في (ف): حمور. ولم أقف على مصدر الخبر.
(٤) الأزل: الضيق والشدة. القاموس المحيط (أزل).
(٥) الأبيات للسيد الحميري، انظر الأغاني ٧/ ٢٤٧.

مَشيَ العَفَرْنَى[١] بين أشبالِه أسلمه للقانص الغيلُ

وله: [من السريع]

لا تُقبلُ التوبةُ من تائب إلَّا بحبِّ ابنِ أبي طالبِ
حبُّ عليٍّ لازمٌ واجبٌ في عُنق الشاهدِ والغائب
أخي رسولِ اللهِ حِلف الهدى والأخُ فوق الخِلِّ والصاحبِ
وحُبُّ أولادِ نبيِّ الهدى فرضٌ على الطارق والسَّارب
فإنَّهمْ واللهِ أهلُ العَبَا فوق مقالِ المارقِ الناصِبيْ
إنْ مال ذو النَّصْب إلى جانبٍ مِلتُ مع الشِّيعيِّ في جانبِ

وقال ابنُ أكثم: عُرِضت على المأمون جاريةٌ فاستحسنها، فأراد أن يَختبرَها فقال: [من البسيط]

ماذا تقولين فيمن شفَّه سَقَمٌ من جَهد حبِّك حتى صار حيرانا

فقالت:

إذا وجدنا مُحِبّاً قد أضرَّ به داءُ الصَّبَابةِ أوليناه إحسانا[٢]

فاشتراها فحَظِيت عنده.

وممَّا يُنسب إلى المأمون: [من الخفيف]

إنَّما مجلسُ النّدامى بساطٌ للمودَّات[٣] بينهمْ وضعوهُ
فإذا ما انتهَوا إلى ما أرادوا من حديثٍ ولذَّة رفعوه

وقال العُتْبي: كان المأمونُ إذا جاء آخِرُ شعبانَ اشتغل بلهوه وقال: [من مجزوء المتدارك]

جاءكِ الصَّومُ فاجلسي وخذي في التنجُّسِ
بادري الصومَ بادريـ ـهِ براحٍ وأكؤُس

(١) العفرنى: الشديد، ولَبُؤة عفرناة. القاموس المحيط (عفر).
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣٩/ ٢٧٨-٢٧٩.
(٣) في (خ) و (ف): بساط المروآت. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ١٧٠.

وادفــنــي مُــغــرَمَ الــهــوى بــيــن آسٍ ونَــرْجِــسِ
كــلَّــمــا مــرَّ مــجــلــسٌ أتْــبِــعــيــه بــمــجــلــس
أطــلِــقــي ألــسُــنَ الــسُّــرو رِ فــإنْ جــاءَ فــاحــبِــسي

[حديثُ الشِّطرنج:]

وقال الصُّولي: كان المأمونُ قد اقترح في الشِّطرنج أشياء، وكان يحبُّ اللَّعِبَ بها، وينهى مَن يقول: تَعالَ [حتى] نلعب، ويقول: حتى نتناقل.

[قال الصُّولي:](١) ولم يكن حاذقاً بها، وكان يقول: أنا أدبِّر أمرَ الدنيا وأَتَّسع لها وأضيق عن تدبير شِبرَين! يعني رُقعةَ الشِّطرنج. وله فيها أشعار، منها: [من البسيط]

أرضٌ مربَّعةٌ حمراءُ من أَدَمٍ ما بين إلْفَينِ معروفَين بالكَرَمِ
تذاكرا الحربَ فاحتالا لها حِيَلاً من غير أنْ يأثما فيها بسَفك دمِ
هذا يُغير على هذا وذاك على هذا يُغير وعينُ الحَزْمِ لم تَنَمِ
فانظرْ إلى فِطَنٍ جالت بمعرفةٍ في عسكرَين بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ(٢)

وقيل: [إنَّ الأبيات](٣) لعليِّ بن الجَهم.

دخل أحمدُ بن أبي دؤادَ ويحيى بنُ أكثمَ على المأمون، فأُتي بقَدَح فيه مطبوخ، فعرضه عليهما، فأبياه، وكان ابنُ أكثمَ يُبيح شُربَه ولا يشربه، ودخل عَمرو بنُ مَسعدة، فدفعه المأمونُ إليه، فقال: واللهِ ما شربتُه قطّ، فأَطرق المأمونُ رأسَه طويلاً ثم رفعها وقال: [من الكامل]

رُدَّا عليَّ الكأسَ ويحكما لا تدريان الكأسَ ما تُجْدي
لو ذُقتما ما ذقتُ ما مُزِجت إلَّا بدمعكما من الوَجْدِ
خوَّفتماني اللهَ ربَّكما وكخيفتَيه رجاؤه عندي
إنْ كنتما لا تشربانِ(٤) معي خوفَ العقابِ شربتُها وحدي

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) مروج الذهب ٨/ ٣١٦، و تاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٧.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ) و (ف): تريان. والمثبت من ديوان أبي نواس ص ١٩٣، والأبيات له.

وقال: [من الوافر]

سأشربها وأزعمها حراماً وأرجو عفوَ ربٍّ ذي امتنانِ
ويَشربها ويزعُمها حلالاً وتلك على الشَّقِيِّ خطيئتان[١]

و[قال الصُّولي:][٢] دخل إبراهيمُ بن المهديِّ على المأمون، وكان جسيماً، فقال له المأمون: ما أظنُّك عشقت قطّ، قال: ولِمَ؟ قال: لتمام جسمِك، وصفاءِ لونك، وخلوِّ قلبك، وهذه غيرُ صفةِ العاشق، وأنشد المأمون: [من السريع]

وجهُ الذي يعشقُ معروفُ لأنَّه أصفرُ مَنحوفُ
ليس كمن يأتيك ذا جُثَّةٍ كأنَّه للذَّبح مَعلوف

فأنشد إبراهيم: [من المنسرح]

وقائلٍ لستَ بالمحبِّ ولو كنتَ محبّاً هزلْتَ من زَمَنِ[٣]
فقلتُ قلبي مكاتمٌ بدني حبَّه والحبُّ فيه مُختزَنُ

وعبث أبو عليٍّ بنُ الرشيد بأخيه أبي إسحاقَ في مجلس المأمون، فاحتمله، فأنشد المأمونُ بعدما قاما: [من الكامل]

يلقى الفتى بلسانه إخوانَهُ في بعض منطقِه بما لا يُغفَرُ
ويقول كنتُ مداعباً وممازحاً هيهاتَ نارُك في الحشا تتسعَّر
أَوَ ما علمتَ وما أظنُّك جاهلاً أنَّ المزاحَ هو السِّبابُ الأصغَر[٤]

[ذِكْرُ ما نُقل من كلام المأمونِ وجواباته ونحوِهِ]

حكى الصوليُّ قال: حضر عند المأمونِ ثَنَوِيّ، قال المأمون: أسألُك عن حرفَين لا أزيدك عليهما، قال: اِسأل، قال: هل ندم مسيءٌ على إساءته؟ قال: نعم، قال: فالندمُ على الإساءة إساءةٌ أم إحسان؟ قال الثَّنوي: إحسان، قال: فالذي ندم هو الذي أساءَ أم

(١) في (خ) و(ف): بلسان. والمثبت من مروج الذهب ٨/ ٣٤٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) (ف): منذ زمن، والمثبت من الموشى ص ٧٨.
(٤) الأبيات لمحمود الوراق، كما في الموشى ص ٢٢، وزهر الآداب ١/ ٤٧٦، وجمع الجواهر ص ٣٥. وانظر تكملة ديوان أبي العتاهية ص ٥٣٩.

غيرُه؟ قال: هو الذي أَساء، قال له المأمون: فندم على شيءٍ كان منه أو من غيره؟ فانقطع الثَّنوي؟

قلت: والعجبُ من المأمون حيث سمع دعوى الثَّنويِّ، ثم قال له المأمون: أَخبِرني عن قولك: اثنين، هل يستطيع أحدُهما أن يخلقَ خلقاً لا يستعين فيه بصاحبه؟ قال: نعم، قال: فلِمَ تعبد اثنين يخالف كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه، وواحدٌ يخلق كلَّ شيءٍ خيرٌ لك من اثنين مختلفين؟!.

وقال الصُّولي:][1] العقلُ أَنفسُ مِنحة، وأَربحُ صفقة، وأبهى حُلَّة، وأفضلُ خلَّة، وأكرمُ صاحب، يؤنسك إذا استوحشتَ من الجهَّال، ويوحشك إذا استأنستَ بالأغمار، ويريك ما غاب عن عينيك، ويكشف لك ما خَفِيَ عن نظرك، فلله دَرُّ العقلِ من جوهرٍ ما أنفسَه في قلوب الحكماء، وأجلَّه في صدور العلماء، لو تجسَّم حتى يُتوسَّم، لكان أحسنَ منظراً من المعشوق في عين العاشق، وأَحلى من المودَّة في قلب الوامقِ الصادق.

وقال: روِّحوا الأفهامَ كما تروِّحوا الأجسام، فإنَّ العقل المكدودَ ليس لرؤيته لَقاح، ولا لرأيه نَجاح. وقال: العقلُ غريزة، وكمالُه التَّجربة.

وقيل له: بِمَ نلتَ ما نلتَ؟ فقال: بطاعة العقلِ وعصيان الهوى.

وقيل له: ما بال الميت يثقل على حامليه؟! فقال: لأنَّه مركَّب من ثِقَل وخِفَّة، فالثقيلُ هو البدن، والخفيفُ هو الرُّوح، فإذا مات بقي الثقيلُ وذهب الخفيف. أخذ هذا المعنى أبو عليٍّ بن لاسد[2] فقال: [من الكامل]

ثَقُلَت زجاجاتٌ أَتتنا فُرَّغاً ... حتى إذا مُلِئت بصِرف الرَّاحِ
خفَّت فكادت أن تطيرَ صَبَابةً ... وكذا الجُسومُ تَخِفُّ بالأَرواح

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) كذا في (خ) و (ف)، والبيتان في جذوة المقتبس ص ١٧٠، والوافي ٨/ ٣٢٨ منسوبين لأبي علي إدريس بن اليمان العبدري الشبيني الأندلسي، وهما في معجم الأدباء ١٠/ ٣٧-٣٨ لأبي علي الحسين بن عبد الله البغدادي.

[وكان المأمونُ يقول: إياكم والشُّونيزَ في كتبكم. يعني النَّقطَ والشَّكل. قال المصنِّف رحمه الله: كان يعتمد على فِطنته، والأماكنُ التي فيها الإشكالُ لا بدَّ من ذلك فيها](١).

وقال [ابنُ أكثم: سمعتُ] المأمونَ [يقول:] لا نُزهةَ أَطيبُ من النظر في عقول الرِّجال.

وقال: غَلَبة الحجَّة أحبُّ إليَّ من غَلَبة القدرة؛ لأنَّ غلبةَ القدرةِ تزول بزوالها، وغَلَبةَ الحجَّةِ لا تزول أبداً.

وقال: إنَّ رجلاً ليس بينه وبين اللهِ أحدٌ أن يخشاه لَحقيقٌ أن يتَّقيَ الله.

و[قال الصُّولي:] كتب إليه رجلٌ يتظلَّم من عليِّ بن هشامٍ وأنَّه لا يدفع إليه مالَه، فوقَّع إلى علي: ليس من المروءة أن تكونَ آنيةُ بيتك ذهباً وفضَّةً ويكونَ غريمُك عارياً وجارُك طاوياً.

[وقال اليزيدي: جلس المأمونُ يوماً في مجلس الخلافةِ ومجلسهُ معمورٌ بالعلماء والخلفاء، فتقدَّمت إليه امرأةٌ فقالت: يا أمير المؤمنين، مات أخي وخلَّف ستَّ مئةِ دينار، فأعطَوني ديناراً واحداً وقالوا: هذا نصيبُك. فأَطرق المأمونُ ساعةً ورفع رأسَه فقال: صدقوا، فقيل له: يا أمير المؤمنين، من أين علمت؟! فقال: هذا رجلٌ مات وترك أربعَ بنات، لهنَّ الثُّلثان أربعُ مئة، وترك والدة، لها السُّدس مئةُ دينار، وزوجةً، لها الثُّمن خمسةٌ وسبعون، وخلَّف اثني عشرَ أخاً وأختاً واحدة، لكلِّ أخٍ ديناران والأختُ دينارٌ واحد. قالت المرأة: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين. فعجب الحاضرون من فِطنته](٢).

وخرج إلى الصَّيد، فاجتاز ببيوت بعضِ العرب، فرأى غلاماً وَضيئاً، فقال: يا غلام، ممَّن أنت؟ قال: من قُضاعة، قال: من أيِّها؟ قال: من كَلْب، قال: وإنَّك لَمن الكلاب؟! قال: لسنا منهم، وإنَّما نحن من قبيلةٍ تُدْعى كلباً. ثم قال للمأمون: يا عمّ، فممَّن أنت؟ قال: ممَّن تُبغضه العرب كلُّها، قال: فأنت من نِزار؟ قال: فأنا ممَّن

(١) ما بين حاصرتين من (ف)، وينظر الخبر في العقد الفريد ٤/ ١٧٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

تُبغضه النِّزار، قال: فأنت من مُضر؟ قال: فأنا ممَّن تُبغضه المُضَر، قال: فأنت من قُريش؟ قال: لا، قال: فأنت من بني هاشم؟ قال: فأنا ممَّن تَحسُده بنو هاشم. فقام الغلامُ قائماً وقال: فإذن أنت أميرُ المؤمنين، وسلَّم عليه، فوَصَله.

واعترضه ابنُ زُرعةَ الجُذَامي وقال له: يا أميرَ المؤمنين، انظر لعرب الشام كما تنظر لعَجَم خُراسان، وأكثر عليه، فقال: قد كثَّرت عليّ، واللهِ ما أنزلتُ قيساً عن ظهور الخيلِ إلَّا وأرى أنه لم يبقَ في بيت مالي درهمٌ ولا دينار، وأما اليمن، فواللهِ ما تحبُّني ولا أحبُّها قطّ، وأما قُضَاعة، فسادتُها ينتظرون خروجَ السُّفيانيِّ لتكونَ من أشياعه، وأمَّا رَبيعة، فساخطةٌ على الله تعالى منذ بُعث محمدٌ ﷺ من مُضَر؛ ولهذا لم يَخرجْ من الخوارج أحدٌ إلَّا وكانوا معه، فكيف لا أَنظر لعجم خُراسان!

وقال: الواجبُ على مَن خدم الملوكَ ألَّا يغترَّ بهم عند الرِّضا، ولا ينزعجَ عند السَّخَط، ولا يُلحفَ عليهم في السؤال؛ فإنَّ السلطانَ كالبحر تضطرب أمواجُه تارةً وتارة.

وقال: مَن صحب الملوكَ بالنصيحة لهم والأمانة، كان أكثرَ عدوّاً ممَّن صحبهم بالخيانة؛ لأنَّ الذي ينصحه يتَّفق عليه صديقُ السلطان وعدوُّه، فصديقُ السلطانِ يَغبِطه على منزلته، وعدوُّه يكاشره لمناصحته.

وقال لبعض حُجَّابه: لا أراك على بابي ولك خصمٌ أبداً.

و[قال أبو العَيناء:][1] تظلَّم إليه رجلٌ من عَمرو بنِ مَسعدةَ، فوقَّع إليه: يا عَمرو، أُعمر نعمتَك بالعدل، وإلَّا هدمها الجَور؛ فليس بين الحقِّ والباطلِ نَسَب.

ورَفع إليه متظلِّم رُقعةً يقول: يا أميرَ المؤمنين، ظلمني أخوك أبو عيسى، فكتب على رأسها: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ورفع إليه رجلٌ قصَّةً يتظلَّم من محمد بنِ الفضل الطُّوسي، فوقَّع على رأسها: قد احتملنا شراسةَ خُلقِك يا محمد، أما ظلمُك للرعيَّة فلا.

و[قال الصُّولي:][2] خرجتْ [يوماً] رقعةٌ من المأمون وفيها: يُعطى غسانُ بن عبَّادٍ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

ثلاثةَ آلافِ دينار؛ لتَركه ما لا يعنيه، واليزيديُّ خمسين ألفاً؛ لصمته، وثُمامةُ بن أشرسَ ثلاثَ مئةِ ألف؛ لحُسْنِ جَدَله، وأحمدُ بن أبي خالدٍ ألفَ ألفِ درهم، لإفراط شهوته.

وقال عليُّ بن صالح: قال لي المأمونُ لمَّا قدم الشام: أَبغِني رجلاً من أهل الشام له أدبٌ يجالسني ويُقِلُّ كلامَه، فدخلت على رجلٍ فقلت: إنَّي مدخلُك على المأمون، فلا تسألْه عن شيءٍ حتى يبتدئَك، فأَدخلتُه عليه، فاستدناه وقال: إنِّي أُريدك لمحادثتي، فقال الشامي: إنَّ الجليسَ إذا كانت ثيابُه دون ثيابِ جليسه دخلتْه غَضَاضة، فأمر له المأمونُ بدَستٍ من ثيابه، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، إذا كان قلبي متعلِّقاً بعيالي لم يُنتفعْ بمجالستي، فقال: خمسون ألفاً تُحمَل إلى منزله، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، وثالثة، قال: ما هي؟ قال: دعوتَني إلى شيءٍ يحول بين المرءِ وعقله، يعني الشَّراب، فإنْ كانت منِّي هَنَةٌ تغتفرها، قال: لك.

وقال عُمارةُ بن عَقيل: أَنشدتُ المأمونَ قصيدةً فيها مديح، وهي مئةُ بيت، فلمَّا بدأتُ بصدر البيتِ سبقني إلى قافيته، فقلت: واللهِ ما سمعها منِّي أحد، قال: هكذا ينبغي أن تكون، ثم أَقبل عليَّ وقال: أمَا بلغك أنَّ عُمرَ[1] بنَ أبي ربيعةَ أَنشد ابنَ عباسٍ عبدَ اللهِ قصيدتَه التي يقول فيها: [من المتقارب]

تَـشُـطُّ غـداً دارُ جـيـرانِـنـا

فقال ابنُ عباس:

ولَـلـدَّارُ بَـعـدَ غـدٍ أَبـعـدُ

فأَنشد ابنُ عباسٍ القصيدة، فأنا من ذاك.

وقال عُمارة: قال لي المأمونُ يوماً ونحن على الشَّراب: يا أَعرابيّ، حلفتُ ما أَخبثَك! قلت: وما ذاك؟! فقال: ألستَ القائل: [من البسيط]

قـالـت مُـفـدَّاةُ لـمَّـا أنْ رأتْ أَرَقـي ... والـهـمُّ يـعـتـادني مـن طَـيـفـه لَـمَـمُ
أَنـهـبـتَ مـالَـك فـي الأَدْنَـيـنَ أَوَّلَـه ... [و] في الأَباعـد حتى مسَّك الـعَـدَم
فـقـلـتُ عَـذْلَـكِ قـد أكـثرتِ لائـمـتي ... ولـم يـمـتْ[2] حـاتِـمٌ هُـزْلاً ولا هَـرِم

(١) في (خ) و(ف): عمرو، وهو خطأ، والبيت المذكور في ديوانه ص ٣٠٨.
(٢) في (خ): لا يمت، وفي (ف): ولا يمت. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٥، وما بين حاصرتين منه.

أين رميت نفسَك! إلى هَرِم بنِ سنانَ وحاتِم الطائيِّ وهما سيِّدا العربِ وقد فعلا وفعلا! وأخذ يعدِّد أفعالَهما، فقلت: أنا خيرٌ منهما، أنا رجلٌ من العرب مسلم، وهما كانا كافرين. فسكت.

ودخل المأمونُ يوماً بيتَ الدِّيوان، فرأى غلاماً جميلاً، فقال: مَن أنت يا غلام؟ فقال: أنا الناشئُ في دولتك، المتقلِّب في نعمتك، المؤمِّل لخدمتك، الحسنُ بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلامَ فوق مرتبته.

وقال سعيدُ بن سَلْم[1] بنِ قُتيبةَ له: يا أميرَ المؤمنين، لو لم أَشكر اللهَ إلَّا على حُسن ما أبلاني من قصدك إليَّ بحديثك وإشارتِك إليَّ بطَرْفك، لَكان ذلك من أعظمِ ما توجبه النِّعمة، فقال له: واللهِ إنِّي لَأجد عندك من حُسْن الإِفهام إذا حدَّثت وحسن الاستماعِ إذا حُدِّثت ما لا أَجده عند غيرِك.

[وقال ابنُ أَكثم: كان رجلٌ يسبق الحاجَّ ليرتادَ لهم منزلاً، فخرج مرَّةً فأبطأ، فسبقه غيرُه وجاء في الأخير] فلمَّا عاد إلى بغداد، كتب رُقعةً إلى المأمون يسأله شيئاً وكتب فيها: العبدُ سابقُ الحاجّ، فنقط المأمونُ [نقطةً] أخرى إلى جانب الباء، فصار سايقاً؛ لأنَّه جاء في الأخير.

وقال ثُمامةُ [بنُ أشرس:][2] لما وَلِي المأمونُ الخلافةَ قلتُ له: قد كان لي فيك أملان، فبلغت أَحَدهما، فقال: ونبلِّغك الآخَر. فأما الأوَّل فأشار [ثُمامة] إلى المال، و[أمَّا] الثاني [فأشار] إلى مُنادمة[3] [المأمون] فرفعه المأمونُ وجعله من خواصِّه وسُمّاره.

وقال العُتْبي: دخل أبو عليٍّ المِنْقَريُّ على المأمون، وكان أُمياً لُحَنة، فقال له: يا أبا عليّ، بلغني أنك لُحَنة، وأنَّك لا تقيم الشِّعر، وأنك أمِّيّ، فقال: أما اللَّحن فيسبقني لساني إليه، وأما الشِّعر والأمِّيَّةُ فقد كان سيِّدُ الأوَّلين والآخِرين كذلك، فقال له

(١) في (خ) و (ف): سلام، وهو خطأ، والمثبت من العقد الفريد ٢/ ١٣٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) و (ف): المنادمة، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.

المأمون: سألتك عن عيوبٍ ثلاثةٍ فزدتَني عيباً رابعاً، وهو الجهل؛ فإنَّ ذلك كان في رسول اللهِ ﷺ فضيلة، وهو فيك وفي أمثالك نقيصةٌ ورذيلة، وإنَّما مُنع من ذلك لنفي الظِّنَّةِ عنه، لا لعيبٍ في الشِّعر والكتابة.

وقال ثُمامة: كنتُ جالساً عند المأمونِ إذ دخل النَّوشَجان، وكان على بيت المال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد كَثُرت أسماءُ الغارمين، وليس في بيت مالِ الصَّدقات درهمٌ واحد، فقال له المأمون: وكيف لا تكثُر وموسِرُ الناس لا يفتقد مُعْسِرَهم، وقويُّهم لا يراعي ضعيفَهم، وغنيُّهم لا يَحنو على فقيرهم! واللهِ لقد أدركتُ أيامَ أبي والمالُ فيها أقلُّ من هذه الأيَّام، وإنَّ فيها لمئةَ ألفِ يدٍ طويلةٍ في الخيرات، باذلةٍ للمعروف، مُراعيةِ الإخوان، واللهِ إني لأَحسب أنَّه خرج من يد أخي محمدٍ وأمِّه أمِّ جعفرٍ لمن قصدهما ما يزيد على ثلاث مئةِ ألفِ ألفِ دينار، ومنهم البرامكة، وأين مِثْلُهم! كان معروفُهم يُشرق [تارةً] ويُغرِب أخرى، لا يَقصدون إلا تثميرَه وتوفيرَه، وكان لمن ذكرتُ بِطانة [ولكل بطانة][1] بطانة، يقصد كلُّ واحدٍ منهم ما يفعله المتبوعُ من الصِّلات والعطايا، أَليس من انقلاب هذا الدَّهرِ وبوارِ هذا العالَمِ أنْ ليس في سلطاني مَن يجود بدرهمٍ إلا مالكُ بن شاهي وعبدُ الله بنُ بشير! كيف بنا إذا جمع اللهُ الأوَّلين والآخِرين وحضر كلُّ إمامٍ وزُمرتُه في الموقف وتفاخر الأئمَّة بعضُهم على بعضٍ في الأفعال التي فعلوها! فبمنْ أُباهي! بابن شاهي أم بابن بشير!

ثم قال: أَحضِروا أساميَ الغارمين، فأَحضروها، فوقَّع عليها بثلاث مئةِ ألف دينار، وقال: لا يتجاوز الضعفاءُ البصرةَ والموصل، وقال: أرجو أن أكونَ قد أدَّيتُ بعضَ ما أَوجبه اللهُ عليّ. قال ثُمامة: هذا وقد أحصيت عطايا مالِك بن شاهي وعبدِ الله ابن بشيرٍ فكانت ستَّ مئةِ [ألفِ][2] دينار.

وقال المأمون: مَن أراد أن يكتبَ إلى رجلٍ كتاباً ولا يقفَ عليه سوى ذلك الرَّجل، فلْيكتبْه بلبن حليبٍ من ساعته ويبعثه إليه، فيحرق المكتوبُ إليه قِرطاساً ويَذُرُّ عليه من رَماده، فيقرأ ما كتب به إليه، وهذه من الخواصّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

وقال [ابنُ أكثم: قال لي] المأمون: الملوكُ تحتمل كلَّ شيءٍ إلّا القدحَ في المُلك، وإفشاء السِّرِّ، والتعرُّض للحَريم.

[وقد ذكرنا طرفاً من كلام المأمون للعتابي سنة ثمانٍ ومئتين.

حديثُ المأمونِ مع الحسن بنِ زيادٍ اللؤلؤي:]

وقال رشيدٌ الخادم: كان الحسنُ بن زيادٍ اللؤلؤيُّ يساهر المأمونَ ويسامره، فَنَعَس المأمونُ ليلة، فقال الحسن: أنَعَستَ يا أميرَ المؤمنين، ففتح المأمونُ عينَه وقال: لستَ تصلح أن تكونَ من سُمَّار الملوك، وإنما تصلحُ أن تُفتيَ في مُحْرِمٍ صاد ظبياً، ونحن ظلمناك إذ كلَّفناك ما ليس لك بخُلُق، ثم أنشد: [من الطويل]

ظلمتُ امرأً كلَّفتُه فوق خُلْقه وهل كانت الأخلاقُ إلّا غرائزا

يا غلام، خذ بيده فأَقمه. ولم يسامرْه بعد ذلك.

[حديثُ الخارجيّ:

حكى العَتَّابيُّ قال:] أُتي المأمونُ بخارجي، فقال له: ما حَمَلك على الخروج علينا؟ قال: قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فقال له المأمون: وتشهد أنَّ اللهَ أنزل هذه الآية؟ قال: نعم، قال: من أين علمتَ ذلك؟ قال: من إجماع الأمَّة، قال: كيف رضيتَ بإجماعهم في التنزيل ولم ترضَ بإجماعهم في التأويل؟! ففهم الرجلُ، فقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. ومعنى كلامِ المأمون أنَّها نزلت في المستحلِّين [فهذا معنى التأويل[(١)].

حديثُ المأمون مع الذين ادَّعَوا النُّبوَّة:

حكى العتَّابي] أنَّ رجلاً في زمن المأمون ادَّعى النبوَّة[(٢)]، فقال [المأمون] ليحيى بنِ أكثم: قُمْ بنا إليه، فخرجا متنكِّرَين، فدخلا عليه، فجلس المأمونُ عن يمينه ويحيى عن يساره، فقال له المأمون: مَن يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل، قال: ومتى كان عندك؟ قال: الساعةَ، قال: وما الذي قال لك؟ قال: يدخل عليك رجلان يقعد أحدُهما عن يمينك والآخَرُ عن يسارك، والذي عن يسارك أَلْوطُ خَلقِ الله، فقال

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): وادعى رجل في زمن المأمون النبوة. وما بين حاصرتين من (ب).

المأمون: أَشهد أنَّك رسولُ الله. ثم قاما وهما يتضاحكان.

[قال:] وأُتي بآخَر [يدَّعي النبوَّة] فقال: [له المأمون:] ما علامةُ نبوَّتك؟ قال: أَعلمُ ما في نفسك، قال: وما في نفسي؟ قال: تقول إِنَّني كاذب. فحبسه [المأمون] أياماً، ثم أَحضره فقال: أُوحي إليك بشيء؟ قال: لا، قال: ولِم؟ قال: لأنَّ الملائكةَ لا يدخلون الحبس، فضحك وأَطلقه.

[وادّعى آخَرُ النبوَّة، فأَحضر ثُمامةَ وقال له: ناظِرْه، فقال له ثُمامة بنُ أَشرس: يا أميرَ المؤمنين، ما أكثرَ الأنبياءَ في زمانك! ثم قال له ثمامة: ما علامةُ نبوَّتك؟ قال: أَنكِحُ امرأتَك في حضرتك فتلد غلاماً يَنطِق في المهد أنَّني نبيّ، فقال ثُمامة: أَشهد أنَّك نبيٌّ مُرسَل، فقال المأمون: ما أَسرعَ ما آمنتَ به! فقال: ما أَهون عليك! يفعلُ بامرأتي وأنا أُبصر! فضحك المأمونُ وأَطلقه].

وقال ابنُ أكثم: بِتُّ ليلةً عند المأمون، فانتبه نصفَ الليل وقد طفئ المصباح، فصاح: يا غلام، شَمعة، فجاء الفرَّاشُ بها، فقال: اكشفوا فراشي، فكشفوه، فإذا حيَّة بطوله، فقتلها، [قال يحيى:][1] يا أميرَ المؤمنين، قد انضاف إلى كمالك عِلمُ الغيب، فقال: معاذَ الله، وإنَّما هتف بي هاتفٌ الساعةَ يقول: [من مجزوء الكامل]

يا راقدَ الليلِ انتبهْ ... إنَّ الخُطوبَ لها سُرَى
ثِقةُ الفتى مِن دهره[2] ... ثقةٌ محلَّلةُ العُرى

فعلمتُ أنَّه حدث أمر.

[حديثُ المأمونِ مع القُضاة ومدحُ إسماعيلَ بن حمادِ بن أبي حنيفة:

حكى بشرُ بن الوليدِ القاضي قال: قال المأمون: صِفْ لي أبا يوسُفَ القاضي؛ فإنِّي لم أرَه، فذكرتُ له بعضَ محاسنه، فقال: وددتُ واللهِ كان زين مجلسنا به، ثم قال لي: يا بِشر، ما من شيءٍ من أمر الخلافةِ إلَّا وأنا قادرٌ على تدبيره، إلَّا ما كان من أمر القُضاة؛ فإنَّه قد أَعياني، هذا فلانٌ ولَّيناه قضاءَ الأُبُلَّة وأَجرينا عليه في كلِّ يومٍ[3] ألفَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣٨: بزمانه.

(٣) في المحاسن والمساوئ ص١٥١: في الشهر، وانظر المنتظم ١٠/ ٦٠-٦١، وفي المصدرين بعض خلاف عما هنا.

درهمٍ وليس له صَنعةٌ ولا مال، فرفع إليَّ صاحبُ الخبرِ أنَّ نفقتَه في كلِّ شهرٍ أربعةُ آلافِ درهم، من أين الثلاثةُ آلاف! وهذا محمدُ بن سماعةَ ولَّيناه قضاءَ دمشق ورزقناه في كلِّ شهرٍ ألفَ درهم، وقد رُفع إلينا أنَّه يملك من العقار والعبيدِ والإماء والدوابِّ ما قيمتُه مئةُ ألفِ دينار، وأشار عليَّ عليُّ بن هشامٍ في فلان، فولَّيته القضاء، فمضى إلى ابن هشامٍ وقبَّل رأسَه وشكره حيث أشار بولايته، فعلمتُ أنه لا خيرَ عنده، إذ لو كان عنده خيرٌ لعَدَّ الذي صار إليه مصيبة، ولكن إذا أردتَ العفيفَ النظيف الطاهرَ التَّقي، فعليك بإسماعيلَ بن حمادِ بن أبي حنيفة؛ فإنَّه على الحالة التي عرفناه عليها، ما بدَّل ولا غيَّر.

قال: فقلت: جزاك اللهُ خيراً عن أَمانتك، مالك من الخلفاء نظيرٌ إلا عمرُ بن الخطاب؛ فإنَّه كان يفحص عن عمَّاله وقُضاته، فقال: يا بِشر، إنَّ أهمَّ الأمور أمرُ القضاة؛ إذ حكَّمناهم في الأموال والفُروجِ والدِّماء، واللهِ لَوددتُ أن يتأتَّى رجلٌ مَرضيٌّ[1] وأني أجوع يوماً وأَشبع يوماً].

وقال إبراهيمُ بن عيسى بنِ بُريهةَ بن المنصور: لمَّا أراد المأمونُ المسيرَ إلى الشام، أَقمتُ يومَين وبعضَ الثالث أُهيِّئُ له كلاماً، فدخلتُ عليه فقلت: أطال اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنين في أدوم العزِّ وأَسبغِ الكرامة، وجعلني من كلِّ سوءٍ فداه، إنَّ مَن أمسى وأصبح يتعرَّف من نعمة اللهِ عزَّ وجلَّ - وله الحمدُ كثيراً عليه - برأي[2] أميرِ المؤمنين - أيَّده الله - وحُسْنِ[3] تأييده له، حَسُنَ أن يستديمَ هذه النِّعمة، ويلتمسَ الزيادةَ فيها بشكر اللهِ وشكرِ أمير المؤمنين [وقد أحبَّ أن يَعلمَ أميرُ المؤمنين][4] أنِّي لا أرغب بنفسي عن خدمته بشيءٍ من الخَفض والدَّعة، إذ كان هو يتجشَّم خُشونةَ السَّفرِ ونَصَبَ الطريق، وأنا أَوْلى الناسِ بمواساته، وبذلِ نفسي في خدمته، فإنْ رأى - أكرمه الله - أن يُكرمَني بلزوم خدمتِه والكينونةِ معه، فعل.

(١) في (ب): رجلاً مرضيًا. والكلام ليس في (خ) و (ف).
(٢) في (خ) و (ف): أن يتعرف برأي ....، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٥١.
(٣) في (خ) و (ف): وأحسن.
(٤) ما بين حاصرتين من (ف).

فقال لي مبتدئاً من غير تَروية: لم يَعزمْ أميرُ المؤمنين في ذلك على شيء، وإن استصحب أحداً من أهل بيتك بدأ بك، وكنتَ المقدَّمَ عنده، ولا سيَّما إذا أنزلتَ نفسَك بحيث أَنزلك أميرُ المؤمنين من نفسه، [فإنْ][1] ترك ذلك فمن غير قِلىً لمكانك، ولكن بالحاجة إليك. فكان ابتداؤه أحسنَ من رَويَّتي.

وقال سعيدُ بن زياد: لمَّا قدم المأمونُ دمشقَ دخلتُ عليه، وكان عندي خاتَمُ رسولِ الله ﷺ وعليه عِقدٌ [معقودٌ][2] على كتابٍ كتبه لنا، فأخذه المأمونُ فوضعه على عينه، وبكى وقال: أَشتهي أدْرِي ما تحت هذا الغشاءِ على هذا الخاتَم [فقال له أخوه أبو إسحاق: حُلَّ العَقد] فقال: ما كنت لِأَحُلَّ عِقداً عَقَده رسولُ اللهِ ﷺ. ثم قال: خذه فضعْه على عينك، لعلَّ اللهَ أنْ يشفيَك.

ذِكْرُ وفاةِ المأمون[3]:

قال سعيدٌ العلَّاف القارئ: كنت في صَحَابة المأمونِ في بلاد الرُّوم، فدعاني يوماً، فوجدتُه جالساً على شاطئ نهرِ البَذَنْدون، وأخوه المعتصمُ جالسٌ عن يمينه وقد دلَّيا أرجلَهما في النَّهر، فقال: يا سعيد، دلِّ رِجلَيك معنا، وانظر هل رأيت ماءً قطُّ أشدَّ برداً ولا أعذبَ ولا أَصفى منه، قلت: نعم[4]، قال: فأيُّ شيءٍ يطيب أن يؤكَلَ ويُشربَ على هذا الماء؟ فقلت: أميرُ المؤمنين أعلم، قال: رُطَب الأَزَاد. فبينا هو يقول هذا إذ سمعنا وَقْعَ لِجامِ البريد، وإذا البغالُ عليها حقائبُ فيها الظرف فيها رُطَب أَزاد، كأنه قد جُني في تلك الساعة، فقال: ادنُ فكل. فأَكلنا جميعاً وشربنا من ذلك الماء، فو اللهِ ما قام منا أحدٌ إلَّا وهو محموم، وكانت منيَّةُ المأمون في تلك العِلَّة، ولم يزل المعتصمُ مريضاً حتى دخل العراق.

[وقال العُتْبي:][5] إنَّما جلسوا على عينٍ يقال لها القشيرة[6]. وقال قوم: أقام مريضاً

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).
(٣) في (خ) و(ف): ذكر وفاته.
(٤) أي: نعم ما رأيت مثل هذا قط. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٤٧.
(٥) في (خ) و (ف): وقيل.
(٦) في (ب): العصرة بالعربية، وبالرومية الرقة. وانظر مروج الذهب ٧/ ١-٢.

أيّاماً، وحدثت له مادَّةٌ في حَلْقه، فبطَّت[١] قبل أن تبلغَ وقتَ تمامها، فمات.

[ذِكْرُ وصيَّته:

قال علماءُ السِّيَر:][٢] ولما اشتدَّ به المرض، بعث إلى ابنه العباسِ وهو يظنُّ أنَّه لا يأتيه، فأتاه وقد تغيَّر عقله، فأَقام عند أبيه، وكان قد أَوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاقَ المعتصم، ونفذت الكتبُ إلى البلاد بأنَّه الخليفةُ من بعده، ثم أَحضر القضاةَ والعلماءَ والقوَّاد، وكتب كتابَ الوصيَّة بمحضرٍ من المعتصم والعباس، ومضمونُه[٣]:

هذا ما أَشهد عليه عبدُ الله بن هارونَ أميرُ المؤمنين أنَّه يشهد أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّه واحدٌ لا شريكَ له في ملكه، ولا مدبِّرَ غيرُه، وأنَّه خالقٌ، وما سواه مخلوق، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ الموتَ حقّ، والبعثَ حقّ، والحسابَ حقّ، والجنَّةَ والنار حقّ، وأنَّ محمداً ﷺ قد بلَّغ عن ربِّه شرائعَ دينه، وأدَّى النصيحةَ إلى أمَّته حتى قبضه اللهُ إليه، فصلَّى اللهُ عليه أفضلَ صلاةٍ صلَّاها على أحدٍ من ملائكته المقرَّبين وأنبيائه المرسَلين، وأنِّي مُقِرٌّ مذنب، أَرجو وأخاف، إلَّا أني إذا ذكرتُ عفوَ الله رجوت، فإذا أنا متُّ فوجِّهوني وغمِّضوني، وأَسبغوا وُضوئي، [وذكر الكفن والصلاة، فقال:] وأَجيدوا كفني، ولْيصلِّ عليَّ أقربُكم منّي نَسَباً، وأكبرُكم سِنّاً، ولْيكبِّر خمساً، ثم لينزلْ في حفرتي أَقربُكم قرابة، وضعوني في لَحدي، وسدُّوا عليَّ باللَّبِن، ثم احثُوا الترابَ عليّ، وخلُّوني وعملي، فكلكم لايُغني عني شيئاً، ولا يدفعُ عني مكروهاً، ثم قِفوا بأَجمعكم، فقولوا خيراً إنْ علمتم، وأَمسكوا عن ذِكر سيِّئ إنْ عرفتم.

ونهى عن البكاءِ عليه والنَّوح، وقال: يا ليت عبدَ الله بنَ هارونَ لم يكن شيئاً، يا ليته لم يُخلَق.

ثم قال لأخيه المعتصم: يا أبا إسحاق، ادنُ منِّي واتَّعظْ بما ترى، وخُذْ بسيرة أخيك في القرآن وغيره، واعمل في الخلافة إذ طوَّقكها اللهُ [بعنقك] عملَ المريدِ لله، الخائفِ من عقابه، ولا تغترَّ بالله وإمهاله، فكأنْ وقد نزل بك الموت، ولا تغفل عن أمر الرعيَّة،

---

(١) بطَّ القرحة: شقَّها. مختار الصحاح (بطط).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): وكانت وصيته.

اللهَ اللهَ فيهم، وانظرْ في أمر العامَّة، فإنَّ المُلْكَ إنما يقوم بهم، ولا ينتهينَّ إليك أمرٌ فيه صلاحُ المسلمين إلَّا وقدَّمتَه على غيره وإنْ خالف هواك، وخذ من قويِّهم لضعيفهم، وعجِّل الرِّحلةَ إلى العراق، إلى مَقرِّ ملكِك وسلطانك، وانظرْ هؤلاء القومَ الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عن أمرهم، وقوِّهم على الغزو بالعُدَّة والسِّلاح والرِّجال، واتقِ اللهَ في أمرك كلِّه، والسلام.

ولما اشتدَّ به الموت، أَوصاه وصيةً بالغةً ثم قال: وعليك بأبي عبدِ الله أحمدَ بن أبي دُؤاد، لا تفارقْه وأَشركه في المشورة في أمورك؛ فإنَّه موضعٌ لذلك، ولا تتَّخذنَّ بعدي وزيراً تُلقي إليه شيئاً، فقد علمتَ ما نكبني به يحيى بنُ أكثمَ في معاملة الناسِ وخُبْثِ سيرته، حتى أبان اللهُ لي ذلك منه في صحَّة منِّي، فصرتُ إلى مفارقته، فأنا له غير راضٍ بما صنع في أموال اللهِ عزَّ وجلَّ وصدقاتِه، فلا جزاه اللهُ عن الإسلام خيراً، وهؤلاء بنو عمِّك من ولد أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب، فأَحسِن صُحبتَهم، وتجاوزْ عن مسيئهم، واقْبَل من محسنهم، ولا تغفُل عن صِلاتهم؛ فإنها واجبةٌ عليك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الآيات [آل عمران: ١٠٢ وما بعدها].

وكان قريباً من مدينة طَرَسُوس [قال الصُّولي:] عهد [المأمونُ] إلى أخيه[1]: وعبدُ الله ابن طاهرٍ فأَقرَّه على عمله، وكذا إسحاقُ بن إبراهيمَ بنِ مصعب، وكان على بغداد.

[وحكى العُتْبيُّ عن] أحمدَ بن مرزوقٍ قال[2]: لما دخل المأمونُ بلادَ الرُّوم آخرَ مرَّة، وقف قريباً من طَرَسوسَ على تلٍّ عالٍ وأنشأ يقول: [من البسيط]

حتى متى أنا في شَدٍّ[3] وتَرْحال ... وطولِ سَعْيي وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحُ الدارِ لا أنفكُّ مغترباً ... عن الأحبَّة لا يدرون ما حالي
بمَشرِق الأرضِ طَوراً أو بمغربها ... لا يخطرُ الموت من حرصٍ على بالي
ولو قعدتُ أتاني الرزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كثرةُ المال

---

(١) في (خ) و (ف): وكان فيما عهد إلى أخيه...

(٢) في (خ) و (ف): وقال أحمد بن مرزوق.

(٣) في تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨٣: حط.

وكان يقول: لا أَرجع من هذه السَّفرة، وتوفِّي على نهر البَذَنْدُون يومَ الخميس وقتَ الظُّهر لاثنتي عشرةَ ليلةً بقيت من رجب، وصلَّى عليه المعتصم، وحمله ابنُه العباسُ إلى طَرَسوسَ فدفنه بها، ووكَّل بقبره مئةً من الحرس، وأَجرى على كلِّ رجلٍ منهم في كلِّ شهرٍ تسعين درهماً، ودُفن بدار الإمارة، وتُعرف بدار خاقانَ مولى الرشيد، وهي اليومَ كنيسة، وقبرُه بها، والروم تعظِّمه وتوقد عليه القناديل. [وقال المسعودي:][1] دُفن عن يسار المسجد.

و[اختلفوا في سِنِّه على قولَين: أحدهما: أنَّه] عاش ثمانيةً وأربعين سنة. والثاني[2]: خمسين سَنَة، والأوَّل أصحّ؛ لأنه وُلد سنةَ سبعين ومئة [على ما ذكرنا].

و[اختلفوا في خلافته على قولَين: أحدهما: أَنَّها] كانت[3] عشرين سنةً وخمسةَ أشهرٍ وثلاثةَ عشَرَ يوماً سوى سَنتَين وخمسةِ أَشهر [كان دُعي له فيها بمكَّةَ وأخوه الأمينُ ببغداد[4]. والثاني: أنَّها كانت إحدى وعشرين سنة[5].

وقد رثاه جماعةٌ منهم أبو سعيدٍ المخزومي، وهي من أحسن الشِّعر وأجودِه، فقال:][6] [من الخفيف]

أيُّها الجاهلُ المفكِّرُ في الشَّمـ ... ـسِ المعنَّى بها اعتناءَ المجوسِ
تاركاً حظَه[7] المسيرَ من السَّبـ ... ـتِ يروم المسيرَ يومَ الخميس
ما رأينا النُّجوم أَغنت عن المأ ... مونِ في عزِّ مُلكِه المأسوس
خلَّفوه بعَرْصَتَي طَرَسوسٍ ... مِثلَما خلَّفوا أباه بطُوس[8]

(١) في مروج الذهب ٧/ ٢. وفي (خ) و (ف): وقيل.
(٢) في (خ) و (ف): وقيل. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) و (ف): وكانت خلافته.
(٤) في (خ) و (ف): في محاربة أخيه.
(٥) وقع في (ب) تكرار حيث قال: واختلفوا في خلافته على قولين: أحدهما: أنها كانت إحدى وعشرين سنة. فأثبته كما ترى. وفي (خ) و (ف): وقيل: عشرين سنة وشهوراً. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٠، ومروج الذهب ٧/ ٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٤٢، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٨٨-٢٩٣، والكامل ٦/ ٤٣٢، وغير ذلك.
(٦) في (خ) و (ف): وقال أبو سعيد المخزومي.
(٧) في (ب): خطة.
(٨) ذكرت المصادر البيتين الأخيرين. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥، ومروج الذهب ٧/ ١٠١ - ١٠٢، وتاريخ =

وقال الرَّيحاني[١]: [من الخفيف]

مـا أقـلَّ الـدُّمـوعَ لـلـمـأمـون ... لـسـتُ أرضـى إلَّا دماً من جُفوني

من أبيات.

وقالت حَظِيَّة [كانت للمأمون اسمُها][٢] تزيف: [من السريع]

يـا مَـلِـكـاً لـسـتُ بـنـاسـيـهِ ... نـعـى إلـيَّ الـمـوتَ نـاعـيـهِ

واللهِ لـو كـنـتُ[٣] أرى أنـنـي ... أقـوم فـي الـبـاكـيـن أبـكـيـه

واللهِ لـو يُـقـبـل فـيـه الـفـدا ... لَـكـنـتُ بـالـمُـهـجـة أفـديـه

عـاذلـتـي مـن جَـزَعٍ أَقْـصِـري ... قـد غَـلِـقَ الـرَّهـنُ بـمـا فـيـه

ذِكْرُ أَولادِه:

[قال الصُّولي وغيره:] كان له تسعةَ عشَرَ ذَكَراً وتسعُ بنات، فالذُّكور: العبَّاس، وعبدُ الله الأكبر، وعبد اللهِ الأَصغر، ومحمدٌ الأكبر، ومحمدٌ الأصغر، والحسن، وسليمان، وجعفر، وإسحاق، وعيسى، وهارون، وأحمد، والحُسين، والفضل، وإسماعيل، وموسى، وإبراهيم، ويعقوب، وعليّ.

ولم يشتهر [بالذِّكْر] سوى [اثنين:][٤] العباسِ، وعليٍّ وكنيته أبو الحسن.

فأمَّا العباس، فكان مُغْرًى بشراء الضِّياع والعقار، وكان المعتصم مغرًى بجمع المالِ واقتناءِ الغِلمان والعُدَّة والرِّجال، فكان المأمونُ إذا رآهما تمثَّل: [من الكامل]

= بغداد ١١/ ٤٤٢، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٩٢، وغير ذلك، والأبيات الأربعة جميعاً ذكرها ابنُ النجار في ذيل تاريخ بغداد ٣/ ٦٣ مع بيت خامس، وجاءت عنده الأبيات الأولى هكذا:

أيـهـا الـجـالـس الـمـفـكـر في الـ ... أمر الـمـعـنـى بـه اعـتـنـاء الـمـجـوس

بـارِكْ يـوم الاربـعـاء عـن الـسَّـ ... ـير يروم الـمـسـيـر يـوم الـخـمـيـس

لا تـعـادِ الأيـام وامـضِ إذا ... شئـت فـإن الـسـعـود مـثـل الـنـحـوس

ثم أورد البيتين الأخيرين كما هنا.

(١) هو علي بن عبيدة الريحاني، كما في تاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم ١١/ ٣٦.

(٣) في المنتظم: ما كنت.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

قَـلِـقٌ بـكـثـرة مـالِـه وجـيـادِه[(١)] حـتـى يـفـرِّقـهـا عـلـى الأبـطـالِ
يـبـني الـرِّجـالَ وغـيـرُه يـبـني الـقُـرى شـتَّـانَ بـيـن قـرًى وبـيـن رِجـال

وجرت للعباس مع المعتصم قِصصٌ نذكرها [في مواضعها][(٢)] إن شاء اللهُ تعالى.

وأمّا عليّ [بن المأمون]، فإنَّه تزهَّد وترك الدنيا[(٣)]، وسنذكره آنفاً إن شاءَ الله تعالى.

ولم يشتهرْ من بنات المأمون سوى اثنتين: أمِّ حَبيبٍ زوجةِ عليِّ بن موسى الرِّضا، مات عنها، وأعادها المأمونُ إلى قصره. وأختِها أمِّ الفضل زوجةِ محمد بنِ عليٍّ الرضا، حملها إلى المدينة ثم قدم بها بغدادَ فمات عنها [وسنذكرها][(٤)].

قِصَّةُ عليِّ بنِ المأمون:

[قرأتُ على شيخنا الموفَّق المقدسيِّ رحمه الله من كتاب «التَّوابين» قال: ذكر إبراهيمُ بن الجنيدِ في كتاب «الرَّوضة في زهَّاد الملوك»[(٥)] بإسناده عن] عبد الحميدِ بن محمدٍ أنَّ المأمونَ كان[(٦)] يَجِدُ بابنه عليٍّ وَجْداً شديداً، ويقدِّمه على أولاده، وكان عليٌّ من أحسن الناسِ وأجملهم، مع حياءٍ وبَشَاشة وتواضع، يلاطف جلساءه، ولا يشرب شيئاً من الأنبذة، وكان أسخى الناسِ وأحسنَهم خُلقاً.

وكان سببُ تزهّده ما أخبرني به شاكرٌ مولاه قال: جلس يوماً في مستشرَفٍ له على دِجلة، وإذا بحمَّال قد أقبل عند الزَّوال وعليه دُرَّاعة صوفٍ بيضاءُ بالية، بغير قميصٍ تحتها ولا سراويل، وقد شدَّ على رِجلَيه خِرَقاً من الحرّ، وفي رِجلَيه نعلان متخرِّقان، وعلى رأسه خِرقة، وفي عُنُقه كَرْزَنُه[(٧)] وطَبَقُه، فأَتى دجلةَ فوضع الطبقَ والكَرْزَنَ على الأرض، وحلَّ الخِرَقَ عن رجليه، وتوضَّأ وغسل أَعضاءه، وصلَّى ركعتين، وفتح

(١) في المحاسن والمساوئ ص ١٧٤: وضياعه.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) بعدها في (ب): وفعل البستي بن هارون.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) سماه موفق الدين المقدسي في التوابين ص١٩٠: زهد الملوك. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ) و (ف): قال عبد الحميد بن محمد: كان المأمون ...
(٧) الكرزن: الفأس. القاموس المحيط (كرزن).

جِراباً وأخرج منه كِسَراً يابسةً مختلفةَ الألوان، فتركها في قصعةٍ وذرَّ عليها ملحاً، وصبَّ عليها من الماء، وأكل أكلَ جائعٍ وهو يشكر اللهَ ويَحمده، ثم قام فشرب من الماء بكفَّيه وقال: لك الحمدُ يا سيِّدي على هذه النِّعمةِ التي تفضَّلتَ بها عليّ، ثم نام ساعة، وقعد فتوضَّأ، ثم صلَّى الظُّهر، وعليٌّ يشاهد ذلك، فقال لبعض الغِلمان: أُخرج إلى ذلك الإنسانِ فأَحضره، فجاء إليه فقال: أَجِب الأمير، فقال: مالي وللأمير! فأغلظ له [فقام][1] وهو يقرأ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] ثم دخل فسلَّم، فردَّ عليه وأَمره بالقعود، فقال له جلساؤه: ومَن هذا حتى تأمرَه بالقعود! فزجرهم، ثم أَقبل عليه الأميرُ وقال: أَمِن أهلها أنت؟ قال: نعم، قال: ما صناعتُك؟ قال: الحملُ كما ترى، قال: وكم عيالُك؟ قال: نحن عيالُ الله، لي والدةٌ عجوزٌ مُقعدة وأختٌ عمياء، قال: فإلى متى تَحمل من النهار؟ قال: إلى الظُّهر، وأُجِمُّ نفسي[2] باقيَ النهارِ إلى الليل، قال: أولستَ تكون جمَّاماً بالليل؟! قال: إنْ أَجممتُ نفسي [بالليل][3] تركني فقيراً يومَ القيامة، قال: فإنِّي رأيتك تأكل وحدك! قال: إنَّ أمِّي وأختي تصومان، فأَجعلُ عَشائي معهما إذا أفطرتا، فقال: يا شاكر، ادفع إليه خمسةَ آلافِ درهمٍ ليُصلحَ بها حالَه، فقال: أنا في غِنًى عنها، فاجتهدَ به فلم يقبلْها، فقام عليٌّ وأخذ بيده وخلا به وقال: لي إليك حاجة، قال: وما حاجةُ مثلِك إلى مِثلي وأنت ابنُ الخليفة! فقال: بلى، قد ترى حالي وما أنا فيه من المُلك والنعيمِ وأمرِ الدنيا، فادعُ اللهَ تعالى أن يزهِّدَني في الدنيا ويرغِّبني في الآخرة، فقال الحمَّال: يا حبيبي، مالي عند اللهِ من القَدْر أن أدعوَه، فقال: لا بدّ، فرفع الحمَّالُ يديه وطأطأ رأسَه ودمعت عيناه وقال: اللهم أَخرِج حبَّ الدنيا من قلب عبدِك عليّ، وحبِّب إليه طاعتَك وجنِّبه معصيتَك.

ثم قام وخرج، وعاد عليٌّ إلى موضعه وقد ذهب نشاطُه، ثم قال لجلسائه: انصرفوا فاشهدوا طعامَ أميرِ المؤمنين، وجعل يصف طعامَ أبيه، ثم قال لمُنيبٍ خازنِ الكتب: أَخرِج إليَّ سيرةَ عمرَ بن الخطابِ ﷺ، فأَخْرَجها، فجعل يقرؤها ويبكي، ثم قال:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) أي: أُريحها.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

اسمعوا ماكان طعامُ أمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ ﷺ، عُراقُ[١] لحمِ الإبلِ مطبوخٌ بماءٍ وملح، وأقراصٌ من شعيرٍ غيرِ منخول، فقيل له: لو أكلتَ غيرَ هذا الطعام، فقد وسَّع اللهُ عليك، فقال: إنَّ اللهَ عيَّر أقواماً بأكلهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠].

ثم قال: عليَّ بسيرة عمرَ بن عبدِ العزيز رحمةُ الله عليه، فجعل يقرؤها ويصف عيشَه ويبكي، ثم أخرجَ ساعداً مثلَ الفضَّة فقال: هذا الساعدُ يَبلى غداً في التُّراب كما يبلَى ساعدُ الحمَّال، ثم صرف النُّدماءَ والغلمانَ وبقي وحده مفكِّراً، فلما ذهب بعضُ الليل ناداني: يا شاكر، دونك والخزائنَ فاحفظها، فإني ذاهبٌ إلى سيِّدي، وأنا أظنُّ أنَّه يعني بسيِّده المأمون.

ثم خرج وعلى رأسه إِزار، وفي رِجله نعلان طاقان، وخلفه خادمٌ صغير، فلما ارتفع النهارُ عاد الخادمُ وحده، فقلت: أين الأمير؟ فقال: نزل في سفينةٍ مع ملَّاح وقال: احملني إلى واسط فلي حاجةٌ مهمَّة، وأعطاه دنانير.

قال: ولمَّا علم به المأمونُ ضاقت عليه الدنيا، وكتب إلى جميع الآفاقِ والعمَّال أن يطلبَ وتوضعَ عليه العيون، فما وقف أحدٌ له على خَبَر.

قال: وأما عليّ، فإنَّه لما وصل إلى واسط، نزل البصرةَ وتنكَّر واشترى ثياباً وطبقاً كهيئة الحمَّال، وجعل يحمل على عُنقه بالأُجرة بمقدار قُوته، ويظلُّ النهارَ صائماً والليلَ قائماً، يمشي حافياً حتى تقطَّعت رِجلاه، يبيت في المساجد يتخلَّلها لئلَّا يُفطنَ به، فمرض، فاكترى غرفةً في بعض الخانات، وألقى نفسَه على بارِيَّة[٢]، فلما أَيِسَ من نفسه، دعا صاحبَ الخانِ وناوله رقعةً مختومةً وخاتَماً وقال: إذا قضيتُ فادفع هذه الرُّقعة والخاتَمَ إلى والي البلد، ثم مات.

فجاء الرجلُ إلى دار الوالي وصاح: نصيحة، فأُدخل على الوالي فقال: ما نصيحتُك؟ فأراه الخاتَم، فعرفه، فقال: وأين صاحبُه؟ فقال: في الخان، في غرفةٍ

---

(١) العراق: العظم أُكل لحمه. القاموس المحيط (عرق).

(٢) البارية: الحصير المنسوج. القاموس المحيط (بور).

ميِّت. فقام الوالي فجاءَ إلى الخان، فرآه على تلك الحال، فبكى بكاءً شديداً، وحوَّله إلى القصر، فغسَّله وطلاه بالكافور والمِسك والصَّبِر، ولفَّه في قَبَاطي مِصْر، وحمله في تابوتٍ إلى بغداد، وبعث بالخاتم والرُّقعة وعليها مكتوب: لا يفتحها إلَّا المأمون، وكتب إلى المأمون يُخبره بحاله ويقول: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي وجدته في بعض الخاناتِ في غرفةٍ على بارِيَّة، ليس تحته فراشٌ ولا عنده نائحةٌ ولا باكية، مُغمضَ العينين، طيِّبَ الرائحة، مستنيرَ الوجه.

فلمَّا وصل تابوتُه إلى بغداد، خرج إليه المأمونُ والحاشيةُ والأشرافُ والخَدَم، فلما رأى التابوتَ قام قائماً وكشف عن وجهه، وجعل يقبِّله ويبكي، وارتفعت الضَّجَّة، ثم فكَّ الرُّقعة، فإذا فيها بخطِّه: يا أميرَ المؤمنين، اقرأ سورةَ الفجرِ إلى أربعَ عشْرةَ آيةً منها واعتبرْ بها؛ فإنَّ اللهَ مع الذين اتَّقوا والذين هم مُحْسِنون.

وصلَّى عليه المأمونُ ومشى إلى قبره، فلمَّا وُضع فيه اطَّلع المأمونُ فيه فقال: رحمك اللهُ يا بُنَيّ، وأعطاك أُمنيتَك ورجاءك، إنِّي لأرجو أن يكونَ اللهُ قد أسعدك ونفعني بك، فنعمَ الولدُ كنت، جمع اللهُ بيني وبينك، ورزقني الصَّبرَ عليك، وأنالَكَ شفاعةَ ابنِ عمِّك سيِّدنا محمدٍ ﷺ. قال: والغبارُ قد علاه، والخدمُ حوله بالمناديل ينحُّون الغبارَ عنه، فقال: إليكم، تنحُّون الغبار عنِّي وعليٌّ يَبلَى في التراب! ثم دعا بمن قرأ سورةَ الفجرِ حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الآية: ١٤] وهو يبكي ويقول: رحمك اللهُ يا بُنَيّ، فلقد نصحتَ أباك.

وتصدَّقَ عنه بألف ألفِ درهم، وأَطلق المحبوسين، وكتب إلى العمَّال بردِّ المظالم وإنصافِ الرَّعية، وما زال منغَّصَ العيش، والعلماءُ يتتابونه ويعزُّونه، وهو لا يقبل عزاءً، ويُصبِّرونه وهو لا يستطيع الصَّبر، وهو منكسرُ النفس، حزينُ القلب، قليلُ النشاط. فلم يزل على حاله تلك حتى توفِّي رحمه اللهُ تعالى.

ذِكرُ وزراءِ المأمون وحُجَّابِه وقُضاته:

أوَّل ما وَزَرَ له بخُراسانَ الفضلُ بن سهل، ثم أخوه الحسنُ بن سهل، ثم أحمدُ بن أبي خالد، وعَمرو بن مَسعدة.

وقضى له الواقديّ، ويحيى بنُ أكثم، وإسماعيلُ بن حمَّادِ بن[١] أبي حنيفة، والحسنُ بن زيادٍ اللؤلؤي، ومحمدُ بن سَمَاعة.

وحَجَبه عبدُ الحميد بن شَبَث، ومحمدٌ وعليٌّ ابنا صالحٍ مولى[٢] المنصور، وغيرُهم.

أَسند المأمونُ الحديثَ عن أبيه هارون، ومالكِ بن أنس، وهُشَيم بنِ بشير، وحمَّاد ابنِ زيد، وأبي معاوية الضَّرير، وعبَّادِ بن العوَّام، وإسماعيلَ بن عُلَيَّة، وغيرِهم.

[وقال الحافظُ ابن عساكر[٣]:] وروى عنه أبو حذيفةَ إسحاقُ بن بِشْر، وهو أسنُّ منه، والقاضي يحيى بنُ أكثم، واليزيدي، وعَمرو بن مَسعدة، وعبدُ الله بن طاهر، ودِعْبِلٌ الشاعر، في آخَرين.

و[قال ابنُ أكثم:] كان [المأمونُ] يقول: إنَّما الحلاوةُ لأصحاب الخُلْقان [والمحابر] يقال لأحدهم: حدِّثني رحمك الله. انتهت ترجمةُ المأمونِ رحمه الله.

عبدُ الملك بنُ هشام بنِ أَيُّوب

أبو محمدٍ الذُّهْلي البصريُّ النَّحوي. سمع مغازيَ ابنِ إسحاقَ من[٤] زياد بنِ عبد اللهِ البكَّاء، وكان ثقة، وتوفِّي بمصرَ في ربيعِ الأوَّل.

عبدُ الأعلى بنُ مُسْهِرٍ

ابن عبد الأعلى، أبو[٥] مُسْهِرٍ الغسَّاني الدمشقي، ويُعرف بابن أبي دُرَامة.

كان سيِّداً عالماً فاضلاً زاهداً عابداً [وأثنى عليه الأئمّة، قال الحافظُ ابن عساكر: كان] شيخَ الشامِ في وقته[٦]، وفقيهَهم ومفتيهم وزاهدَهم، لم يكن في زمانه في الشام

(١) في (خ) و (ف): وابن. وهو خطأ.

(٢) في النسخ: ابن. والمثبت من نهاية الأرب، ترجمة المأمون.

(٣) في تاريخه ٣٩/ ٢٢٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و (ف): ابن، وهو خطأ، والمثبت من المصادر. انظر إنباه الرواة ٢/ ٢١١، والسير ١٠/ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٥-٢٣٦، وغير ذلك، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٥) في (ب): ابن. وهو صواب أيضاً، كما ورد في تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٠.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٠. وما بين حاصرتين من (ب).

مِثلُه، ومولدُه في صفرٍ سنةَ أربعين ومئة.

[ذكره ابنُ سعد][(١)] في الطبقة السابعةِ[(٢)] من أهل دمشقَ [وقال: كان راويةً لسعيد ابنِ عبد العزيز التَّنوخي وغيرِه من الشاميين] وكان أُشخص من دمشقَ إلى عبد اللهِ بن هارونَ وهو بالرقَّة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلامُ الله، وأبى أن يقول: هو مخلوق، فدعا له بالسَّيف والنِّطع ليضربَ عُنقَه، فلما رأى ذلك أجاب، فتركه وقال: أَمَا إنَّك لو قلتَ ذاك قبل السَّيف قبلتُ منك، ورددتُك إلى أهلكَ وبلادِك، ولكنك الآنَ تخرج فتقول: قلتُ ذلك فَرَقاً من القتل، فأشخِصوه إلى بغدادَ فاحبسوه بها حتى يموت، فحملوه إلى بغدادَ في شهر ربيعٍ الآخِر سنةَ ثمان عشرةَ ومئتين، فحُبس عند إسحاقَ بن إبراهيم، فلم يلبث في الحبس إلَّا يسيراً حتى مات فيه غُرَّةَ رجب [هذه السنة]، فأُخرج ليُدفنَ فشهده قومٌ كثيرٌ من أهل بغداد.

وقال أبو الحسينِ الرازي: لمَّا دخل على المأمون بالرَّقة قال له - والسيفُ مشهور - ما تقول في القرآن؟ قال: أقول كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٦] فقال المأمون: هو مخلوق، فقال: عمَّن تنقل هذا؟ عن رسول اللهِ ﷺ أم عن الخلفاءِ الراشدين أم عن الصَّحابة والتابعين؟ قال: بالنَّظر، فقال: نحن مع الكتابِ والسُّنَّة والإجماعِ أو مع النظر؟ فقال: أنت عملتَ للسُّفياني، فقال: كلامُ الله قديمٌ غيرُ مخلوق.

فأَشخصه إلى بغدادَ وكتب إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ أن يمتحنَه على رؤوس الناس، فأَقامه كذلك وقال: إن لم تُجِب وإلَّا فقد أمرني أميرُ المؤمنين بقتلك، فقال: أيها الناس، أَلَا إنَّ أميرَ المؤمنين قال لي: قل: القرآنُ مخلوق، وإلا ضربتُ عنقَك، أَلَا فهو مخلوق. فعجب الناسُ من توريته، وازداد عندهم فضلاً.

قال الرازيّ: ومرض في حبسه، فتوفِّي لليلتَين مضتا من رجب [في هذه السَّنة][(٣)] وهو ابنُ تسعٍ وسبعين سنة، وأُخرج فلم يبقَ ببغدادَ إلا مَن شهد جنازتَه، ودُفن بمقبرة

(١) في طبقاته ٩/ ٤٧٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): وهو من الطبقة السادسة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

بابِ التِّبْن [ومات المأمونُ بعده بعشرة أيَّام.

وقال ابنُ عساكر[١]: قرأ أبو مُسْهرٍ القرآنَ على أيوبَ بنِ تميم ويحيى بنِ الحارث، وقرأ يحيى على عبد اللهِ بن عامر. قال: و] أَسند عن مالك بنِ أنس [وسعيدِ بن عبد العزيز التَّنوخي، وعبدِ الله بن العلاءِ بن زَبْر، وإسماعيلَ بن عيَّاش، وسفيانَ بن عُيينة، وسلمةَ بن العيَّار]وخلق كثير.

وروى عنه [مروانُ بن محمد، ويحيى بنُ مَعين، و] أبو زُرعة الدِّمشقي [وأبو حاتِم الرازي، وأحمدُ بن أبي الحَوَاري، والأئمّة][٢].

واتَّفقوا على صدقه وأمانتِه وورعه، قال أبو داودَ رحمه الله: لقد كان من الإسلام بمكانٍ جميل، حُملَ على السيف، فمدَّ رأسَه وأبى أن يُجيب، [وكان أحمدُ بن حنبلٍ يقول: رحم اللهُ أبا مسهرٍ ما كان أثبتَه! وكان أحمدُ يوادُّه ويكاتبه.

وحكى ابنُ عساكرٍ عن يزيدَ بنِ عبد الصمدِ قال:][٣] كنا عند أبي مُسهرٍ وهو يُملي علينا من كتاب، فمرَّ بحرفٍ قد اندرس، فلم يعرفْه، فنظر إليه يحيى بنُ مَعينٍ وقال: [يا أبا مسهر،] هو كذا وكذا، فقال: اضربوا على هذا الحديثِ فإني لا أَروي بتلقينٍ ولا آخذ به. قال ابن مَعين: فأردتُ أن أقومَ فأقبِّل رأسَه.

وقال يحيى: لا أحدِّث في بلدٍ فيه أبو مُسْهر. وقال ابنُ أبي حاتم: ما رأينا مَن كتبنا عنه أفصحَ منه، وما رأيتُ أهلَ كُورةٍ يعظِّمون عالَمهم مثلَ [أهل] كُورته، وإنَّه عندهم لَجليلُ القَدْر.

قال المصنِّف رحمه الله: ولم يحبسْه المأمونُ لأجل القرآنِ لا غير، وإنَّما كان قد أَنكر عليه أشياء، منها أنَّ أبا العَمَيْطَرِ عليَّ بنَ عبدِ الله بن خالِد بن يزيد بن معاوية [بنِ أبي سفيان][٤] لمَّا استولى على دمشقَ أكره أبا مُسْهِرٍ على القضاء، فلمَّا زالت أيامُ أبي العَميطَر

---

(١) في تاريخه ٣٩/ ٣٨٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و (ف): غيره.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٩. وما بين حاصرتين من (ب). ووقع في (خ) و (ف): وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

عزل أبو مُسهرٍ نفسَه، فلما دخل المأمونُ دمشقَ لم يلتفت إليه أبو مُسْهر، فحقد عليه.

ومنها ما حكاه[١] [الحافظُ ابن عساكرٍ في تاريخه][٢] عن عليٍّ بن عثمانَ الحَرَّانيِّ قال: مرض أبو مُسهرٍ بدمشق، فدخلنا عليه نعوده، وكنا جماعةً من أهل الحديث، فقلنا: كيف تجدك؟ قال: راضياً عن الله ساخطاً عن الإسكندر[٣]، قيل له: ولم؟ فقال: حيث لم يجعلْ بيننا وبين العراقِ سدّاً كما جعل بين أهل خُراسانَ ويأجوجَ ومأجوج.

[قال:][٤] فما كان بعد هذا بيسيرٍ حتى قدم المأمونُ دمشقَ ونزل بسفح جبلِ دَيْر مُرَّان، وبنى القُبيبةَ التي على الجبل، فكان في الليالي المظلمةِ يأمر [المأمون] بجمرٍ عظيم، فيوقد في الليل ويُجعل في طُسُوت كبارٍ وتُدلَّى بسلاسلَ من فوق الجبلِ عند القُبيبة، حتى تضيءَ الغوطةُ فيُبصرَها في الليل، وكان لأبي مُسهر حلقةٌ بجامع دمشقَ بين العشاءين عند الحائطِ الشَّرقي، فبينا هو جالسٌ في حلقته ليلة، إذ دخل ضوءٌ عظيم، فقال: ما هذا؟! فقالوا: النارُ تدلَّى لأمير المؤمنين من الجبل حتى تضيءَ له الغوطة، فقال أبو مُسهر: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ . . .﴾الآيات [الشعراء: ١٢٨-١٢٩] وكان في حلقته صاحبُ خبرٍ للمأمون، فرفع إليه ذلك، فلما صار [المأمونُ] إلى الرقَّة استقدمه وفَعَل به ما ذكرنا.

وكان على خاتَم أبي مُسهرٍ مكتوب: أَبرمتَ فقُم، فإذا جاءه ثقيلٌ يقول له: اقرأْ ما على هذا. وقيل: إنَّما كان ذلك على خاتم جدِّه[٥].

[وذكر ابنُ عساكرٍ شيئاً من شِعره فقال: حدَّثنا أبو القاسمِ الشحَّامي بإسناده إلى محمد بنِ يحيى قال: سمعتُ أبا مُسهرٍ يُنشد لنفسه:][٦]

---

(١) في (خ) و (ف) حكي.

(٢) ٣٩/ ٣٩٥-٣٩٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ دمشق: على ذي القرنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) وهو الذي ذكره ابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٣٧٩، وأَبْرَمَهُ فَبَرِم وتبرَّم: أملَّه فملّ.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/٣٩٩. وفي (خ) و (ف): ومن شعر أبي مسهر.

ولا خيرَ في الدُّنيا لمن لم يكن له ... من اللهِ في دار البقاءِ نصيبُ
فإنْ تُعجب الدنيا رجالاً فإنَّها ... متاعٌ قليلٌ والزَّوالُ قريب

وله: [من الطويل]

أَلَا قِفْ بدار المُترَفين فقل لها ... إذا جئتَها أين المساكنُ والقُرى
وأين الملوكُ الناعمون بغِبطةٍ ... ومَن عانقَ البيضَ الرَّعابيبَ كالدُّمى
فلو نطقتْ دارٌ لقالت لأهلها ... لكَ العِلْمُ[1] صاروا في التُّراب وفي البِلى

عليٌّ الجَرْجَرائيُّ[2] الزاهد

كان ينزل بجبل لبنانَ يتعبَّد فيه [ورُوي عن عبد الواحدِ بن عليٍّ بإسناده إلى] بِشْرٍ الحافي قال[3]: لقيتُ عليًّا الجَرْجَرائيَّ بجبل لبنانَ على عين ماء، فلمَّا أَبصرني هرب وقال: بذنبٍ منِّي رأيت اليومَ إِنسيّاً، فعدوتُ خلفه وقلت: أَوصني، فالتفت إليَّ وقال: عانقِ الفقر، وعاشِرِ الصَّبر، وعادِ الهوى، وعَفِ الشَّهوات، واجعل بيتَك أَخلى من لَحْدك، فعلى هذا طاب المسيرُ إلى الله عزَّ وجلّ. [والله أعلم بالصواب].

محمدُ بن مصعبٍ[4] بن صَدَقةَ القَرْقَساني

كان من أهل الخيرِ والصَّلاح، وإنما كان كثيرَ الغلط؛ لأنَّه كان يحدِّث من حفظه.

أَسند عن الأوزاعيِّ وغيرِه، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ اللهِ عليه وغيرُه.

وقال البخاري: كان ابنُ مَعينٍ سيِّئَ الرأيِ فيه[5]، جاء إليه فقال له: يا أبا الحسن،

---

(١) في تاريخ دمشق: لك الويل.

(٢) في النسخ: الجرجاني. والمثبت من المنتظم ١١/ ٣٨، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٤٧، وصفة الصفوة ٤/ ٣٤٦، والجرجرائي: نسبة إلى جَرْجرايا، وهي بلدة قريبة من الدجلة بين بغداد وواسط. الأنساب ٣/ ٢٣٣.

(٣) في (خ) و (ف): قال بشر الحافي. والحكاية رواها ابن الجوزي في المنتظم وصفة الصفوة.

(٤) في (خ): صدقة، وفي (ف): منصور، وكلاهما خطأ، والمثبت من المصادر. ولم ترد هذه الترجمة في (ب)، وهو الصواب، فإن المترجَم من وفيات سنة (٢٠٨هـ)، وقد وهم فيه صاحب الوافي بالوفيات حيث ترجمه في (محمد بن مصعب ٥/ ٣٢ وقال: توفي سنة ثمانٍ ومئتين) ثم تابع المصنف فترجمه في محمد بن منصور مرة أخرى ٥/ ٦٨ وقال: توفي سنة ثماني عشرة ومئتين. وانظر التاريخ الكبير ١/ ٢٣٩، و تاريخ بغداد ٤/ ٤٤٧، وتهذيب الكمال، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٧٠-٢٧١، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨٩.

(٥) التاريخ الكبير ١/ ٢٣٩.

أَخرِج إلينا كتاباً من كتبك، فقال: عليك بأَفلحَ الصَّيدلاني. لأنَّه كان احتقر ابنَ مَعين، فقام ابن مَعينٍ مُغْضَباً وهو يقول: لا ارتفعتْ لك معي رايةٌ أبداً، فقال له ابنُ مصعب: إذا لم ترتفع إلَّا بكَ فلا رفعها اللهُ تعالى أبداً.

محمد بن نوح

ابن ميمون بن عبد الحميد[١] بن أبي الرِّجال العِجْلي. صاحب الإمام أحمد رحمة الله عليه، ويعرف والده بالمضروب.

كان محمد عالماً زاهداً ورعاً، مشهوراً بالسنة والدين والثقة، امتحن بالقول بخلق القرآن فثبت على السنة.

وقال الخطيب[٢]: كتب المأمونُ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ ـ والمأمونُ بالرَّقَّة ـ أن يَحملَ إليه الإمامَ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه اللهُ وصاحبَه محمدَ بن نوح، وكان جارَه، فحُملا إلى الرقَّة على بعيرٍ متزاملَين، فمرض محمدُ بن نوحٍ في الطريق، وقال للإمام أحمد: أبا عبدِ الله، اللهَ الله؛ فإنَّك لستَ مثلي، أنت رجلٌ يُقتدى بك، وقد مدَّ هذا الخَلْقُ أعناقَهم إليك، ولِمَا يكون منك، فاتَّقِ اللهَ فاثبتْ لأمره.

قال الإمامُ رحمه الله: فمات بعانة، فدفنتُه بها، وإني لأرجو أن يكونَ اللهُ قد رحمه وختم له بالخير، فما رأيتُ أحداً على حَدَاثة سِنِّه وقِلَّة علمِه أقومَ بأمر اللهِ منه رحمه الله.



(١) في (خ) و (ف): عبد المجيد. والمثبت من تاريخ بغداد ٤/٥١٧، والأنساب ١١/٣٥٦، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٢) في تاريخه ٤/٥١٨.

السَّنةُ التاسعةَ عشْرةَ بعد المئتين

فيها ظهر محمدُ بن القاسمِ بن عُمرَ بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالبٍ بالطَّالَقَانِ يدعو إلى الرِّضا من آل سيِّدنا رسولِ الله ﷺ، واجتمع إليه خلقٌ كثير، فبعث إليه عبدُ الله بن طاهرٍ من خُراسانَ جيوشاً، فكانت بينهم وقعات، ثم هزمه قوَّادُ ابنِ طاهر، فمضى يريد بعضَ كُوَر خُراسان، وكان قد كاتبه أهلُها، فلما كان بنَيْسابورَ[(١)] دخلها رجلٌ ممن كان معه، وكان من أهل نَسَا [فأخبرهم بأمره][(٢)] وأنَّه قاصدٌ إلى كُورة كذا وكذا، فمضى أبو الرِّجال[(٣)] إلى والي نَسَا فأخبره، فخرج والي نسا وأخذ ابنَ القاسم وأوثقه وبعث به إلى ابن طاهر، فبعث به ابنُ طاهرٍ إلى المعتصم، فقدم بغدادَ في ربيعِ الآخر، فحُبس مضيَّقاً عليه، ثم وسِّع عليه، فلمَّا كانت ليلةُ عيد الفطرِ اشتغل الموكَّلون به عنه، فدُلِّي إليه حبلٌ من كوة الحبس، فهرب، فلمَّا افتقدوه لم يجدوه، فنادَى منادي المعتصم: مَن جاء به فله مئةُ ألفِ درهم، فلم يُعرَف له خَبَر.

وقال الطبري[(٤)]: حُبس عند مسرورٍ الكبيرِ في مكانٍ مقدارَ ثلاثةِ أَذْرُعٍ في ذراعَين، فمكث فيه ثلاثةَ أيام، ثم حوِّل إلى مكانٍ أوسع [منه]، وأُجري عليه طعام، ووكِّل به مَن يحفظه.

وفيها قدم إسحاقُ بن إبراهيمَ إلى بغدادَ من الجبل يومَ الأحد لإحدى عشْرةَ ليلةً خلت من جُمادى الأُولى، ومعه الأَسرى من الخُرَّميَّة وغيرِهم ممَّن استأمن، بعد أن قتل منهم مئةَ ألفٍ سوى النساءِ والصبيان.

وفيها غلب الزُّطُّ بأرض البصرة، واحتملوا الغلَّاتِ من كَسْكَرَ وما يليها من ناحية البصرة، وأَخافوا السبيل، وقتلوا وأَخذوا المال، فبعث إليهم المعتصمُ عُجيفَ بن عَنْبسةَ في جيشٍ كثيف، فخرج من بغدادَ في جمادى الآخرة، ورتَّب بريداً على

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٧، وابن الأثير ٦/ ٤٤٣: بنسا. ولعلَّه الصواب. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من النسخ، وانظر تاريخ الطبري.
(٣) في تاريخ الطبري: فمضى أبو ذلك الرجل. وفي تاريخ ابن الأثير: فمضى الأب.
(٤) في تاريخه ٩/ ٧.

الطُّرقات بحيث يصل الخبرُ من البصرة إلى بغدادَ في يومٍ واحد، وسار عُجيفٌ حتى نزل الصافية، وهي قريةٌ أسفلَ واسط، وكان في خمسة آلاف، فسدَّ عليهم الأنهارَ وأخذ عليهم الطُّرق، وقاتلهم، وأسر منهم خمسَ مئةٍ وقتل ثلاثَ مئة، وضرب أعناقَ الأسرى، وبعث برؤوسهم ورؤوسِ القتلَى إلى المعتصم، وأقام عُجيفٌ يقاتلهم سبعةَ أشهر، وكان رئيسَ الزُّطّ رجلٌ يقال له: محمدُ بن عثمان، وكان صاحبَ أمرِه والقائمَ بالحرب رجلٌ يقال له: سملق، وخرجت هذه السَّنة [وعُجيفٌ][1] محاربٌ لهم، وخرج إليه خلقٌ كثيرٌ بالأمان، وكان الزُّطُّ خمسةَ عشَرَ ألفاً، وبعث بالمستأمنة إلى بغداد، وقيل: أقام يحاربهم خمسةَ عشَرَ شهراً، وقيل: تسعةَ أشهُر[2].

وفيها كانت ظُلمة شديدةٌ بين الظُّهر والعصرِ وزلازلُ هائلة.

وفيها امتحن المعتصمُ الإمامَ أبا عبد اللهِ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله [وهل ضربه بين يديه أم لا؟ ففيه قولان: أحدُهما: أنَّه ضربه بين يديه، فحكى] الصُّولي أنَّ المعتصمَ أحضره[3] وعنده ابنُ أبي دؤاد، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: يسعني فيه ما وسع أصحابَ رسولِ الله ﷺ، إنَّه كلامُ اللهِ قديمٌ منزَّل غيرُ مخلوق، فقال له: ما تقول في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]؟ فقال: خصَّ القرآنَ عن هذا بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرَّق بينهما، أَلَا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى جلَّت عظمتُه وتقدَّست أسماؤه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥] وما دمَّرت السَّماواتِ والأرض، فقال المعتصمُ لابن أبي دُؤاد: زعمتَ أنَّه حَدَث، وما أُراه إلَّا كهلاً، وزعمتَ أنه عاميٌّ وما أُراه إلا مُعْرِباً.

[واختلفوا في السِّياط التي ضُربها على أقوال: أحدها: أنَّها كانت][4] ثمانيةَ عشرَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في المنتظم ١١/ ٤٢: وأقام بإزاء الزط خمسة عشر شهراً فقاتلهم منها تسعة أشهر. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٩: أقام عجيف بإزاء الزط خمسة عشر يوماً ... ومكث عجيف يقاتلهم فيما قيل تسعة أشهر. وانظر الكامل ٦/ ٤٤٤، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٨.

(٣) في (خ) و (ف): قال الصولي: أحضره المعتصم.

(٤) في (خ) و (ف): وضرب.

سَوطاً. [والثاني:][1] ثمانين سَوطاً. [والثالث:] تسعةً وعشرين. ثم ندم المعتصمُ على ضربه وعفا عنه.

[قال الصُّولي: والذي حمله على ضربه أحمدُ بن أبي دؤاد بعد أن حبسه. قال الصُّولي: وكان ذلك في سنة عشرين ومئتين. والثاني: أنَّ المعتصمَ أمر بضربه ولم يَحضره، حدَّثنا عبدُ الوهاب بإسناده إلى] ميمونِ بن الأصبغ قال[2]: كنت ببغداد، فسمعتُ صيحة، فقلت: ما هذا؟! قالوا: أحمدُ بن حنبلٍ يُمتحن.

فدخلتُ عليهم وقد مُدَّ أحمدُ بين العُقَابين، فلما ضُرب سَوطاً قال: بسم الله، فلمَّا ضُرب الثاني قال: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، فلما ضُرب الثالثَ قال: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، فلما ضُرب الرابعَ قال: لن يُصيبَنا إلَّا ما كتب اللهُ لنا. وكان تِكَّتُه حاشيةَ ثَوب، فانقطعت، فنزل السَّراويل [إلى عانته، فرمى أحمدُ طَرْفَه إلى السماء وحرَّك شفتَيه، فبقي السراويل] ولم ينزل.

وقال ميمون [بنُ الأصبغ:] فدخلتُ عليه بعد سبعة أيامٍ فقلت له: رأيتك تحرِّك شفتيك، فأيَّ شيءٍ قلت؟ قال: قلت: اللهمَّ إنِّي أسألك باسمك الذي ملأتَ به عرشَك، إنْ كنتَ تعلم أنِّي على الصواب فلا تَهتِكْ لي سِتراً.

ولمَّا بالغوا في ضربه ولم يُجِب أَظهروا أنه قد عُفي عنه وتُرك.

وقال إبراهيمُ الحَرْبي: أحلَّ الإمام أحمدُ رحمه اللهُ مَن حضر ضربَه وكلَّ مَن شايع فيه والمعتصمَ، وقال: لولا أنَّ ابنَ أبي دؤاد داعيةٌ لأَحللته.

وقال الصُّولي: الذي ضربه اسمُه شاباص، كان يقول: لقد ضربتُه ثمانين سَوطاً، لو ضربتُ بها فيلاً لهدَّتْه.

وقال عبدُ الله بن الإمامِ أحمدَ: كان أبي قد وطَّن نفسَه على القتل، قيل له: لو عُرضتَ على القتل تُجيب؟ قال: لا.

[قال:][3] وكان يقول: رحم اللهُ خالداً الحدادَ وأبا الهيثم، فأما خالدٌ فكان

---

(١) في (خ) و(ف): وقيل.

(٢) في (خ) و (ف): قال ميمون بن الأصبغ. والخبر رواه ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

شاطراً، لما أُخذ الإمامُ أحمدُ اعترضه وقال له: إني ضُربت في [غير][١] اللهِ عشرة آلاف سَوط، فاصبرْ أنت في الله.

وكان يُضرب المثلُ بصبر خالد، قيل له: ما بلغ من صبرك؟ قال: ملؤوا جِراباً عقاربَ وأَدخلوا رأسي فيه، قال: ولو جُعلت في فمي خِرقةٌ وقتَ الضرب لاحترقتْ من حرارة جوفي، فقيل له: مع هذا الصبرِ والعقلِ وأنت في الباطل[٢]! فقال: نعمْ أُحبُّ الرِّئاسة. وكانت أَليتاه ولحمُ أفخاذِه قد انمحق من الضَّرب.

وأما أبو الهيثمِ العيَّار، فقال الإمام أحمدُ رحمة اللهِ عليه: لما مدُّوني للضَّرب جذب بثوبي من ورائي، فالتفتُّ وإذا بشابّ، فقال: أتعرفني؟ فقلت: لا، قال: أنا أبو الهيثمِ الشاطر، اسمي مكتوبٌ عندهم في الدِّيوان أني ضُربت ثمانيةَ عشرَ ألفَ سَوطٍ فما أَقررت، وصبرتُ لأجل الدُّنيا في طاعة الشيطان، فاصبرْ أنت لأجل الدِّين في طاعة الرَّحمن.

وقال عبدُ الله بن أحمدَ رحمةُ اللهِ عليه: كتب أهلُ المطاميرِ والسُّجون إلى أبي يقولون: إنْ رجعتَ عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام. وقال أبو بكرٍ النَّجاحي: في الوقت الذي ضُرب فيه الإمامُ أحمد رحمه اللهُ أَظلمت الدنيا وزُلزلت.

وفيها امتحن ابنُ أبي دؤاد الحارثَ بن مسكين، فقال: قل: القرآنُ مخلوق. فبسط أصابعَه [وقال: أشهد أنَّ هذه مخلوقة، أشار إلى أصابعه] ثم قال: القرآنُ والتَّوراة والإنجيل والزَّبور.

وحجَّ بالناس صالحُ بن العباسِ بن محمد بن عليّ.

وفيها توفِّي

عليُّ بن عبيدة

أبو[٣] الحسنِ الكاتب، ويُعرف بالرَّيْحاني. كان أديباً فصيحاً بليغاً، صنَّف الكتبَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و (ف).

(٢) في (خ) و (ف): الباطن.

(٣) في (خ) و (ف): بن أبو. والمثبت من المصادر، انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٤، والمنتظم ١١/ ٤٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٠٥، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

في الحِكَم والأمثال، واختصَّ به المأمون.

وقال عليّ: التقى أَخوان متوادَّان، فقال أحدُهما لصاحبه: كيف وُدُّك لي؟ فقال: متوشِّح [بفؤادي] وذِكرُك سميرُ سُهادي(١)، فقال الآخَر: وأمَّا أنا فأُوجز في وصفي، ما أُحبُّ أن يقعَ على سواك طَرْفي.

[وفيها توفِّي]

محمدُ بن عبدِ الله

ابن محمدِ بن عبدِ الملك [البصري] أبو عبدِ الله الرَّقاشي، الزاهدُ العابد.

كان يصلِّي في كلِّ يومٍ وليلة أربعَ مئةِ ركعة، وهو من شيوخ [محمدِ بن إسماعيلَ](٢) البخاري، سمع مالك بن أنس [وحمادَ بن زيدٍ وابنَ سلمة](٣) وغيرَهم(٤)، وروى عنه ابنُه أبو قِلابة [وأبو حاتِمٍ الرازي].

وكان [مُتقناً] ثقةً رحمةُ الله عليه [وهو والدُ أبي قِلابةَ الزاهد. وحكى الخطيبُ عن أبي حاتمٍ الرازيِّ(٥) أنَّه كان يقول: الرَّقَاشي ثقة].

محمَد بن عليٍّ

ابنِ موسى بن جعفرِ بن محمد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب، أبو جعفر، وقيل: أبو محمَّد، وقيل: أبو عبدِ الله. ويلقَّب بالجَوَاد، والمرتضَى، والقانع [وأشهرُ ألقابِه الجواد](٦).

وُلد سنةَ خمسٍ وتسعين ومئة، وكان على منهاج أبيه في العلم [والجود] والتُّقى والسُّؤدَد والكرم، وهو الذي ذُكر أن المأمون زوَّجه ابنتَه أمَّ الفضل، وكان يعطيه في كلِّ

---

(١) في (خ) و(ف): فؤداي. والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم، وما بين حاصرتين منهما.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) هو رافع بن سلمة الأشجعي، كما في تهذيب الكمال. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ) و(ف): وغيره.

(٥) في (ب): أحمد بن أحمد الرازي. والتصويب من تاريخ بغداد ٣/ ٤١٣.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

سنةٍ[١] ألفَ ألفِ درهمٍ وزيادة، وقدم من المدينة وافداً على المعتصم ومعه امرأتُه أمُّ الفضل بنتُ المأمون، فأكرمه المعتصمُ ووصله، ولما زوَّجه المأمون ابنتَه كان عُمُرُه سبعَ سنين.

وقال العُتْبي: إنما سُمِّي الجَوَادَ لما حكى بعضُ العَلَويين قال: كنتُ أهوى جاريةً بالمدينة ويدي تَقْصُر عن ثمنها، فشكوتُ ذلك إلى محمد بنِ عليٍّ [بن موسى الرِّضا][٢] فقال: ولمن هي؟ فأخبرتُه، فلمَّا كان بعد أيامٍ سألتُ عن الجارية، فقيل لي: بيعت، قلت: ومَن اشتراها؟ قالوا: لا ندري - وكان محمدٌ قد اشتراها سِرّاً - قال: فزاد قلقي، فأتيتُ إليه فقلت له: بيعت فلانة، فقال: ومَن اشتراها؟ قلت: لا أدري، قال: هل لك في الفَرْجة؟ قلت: نعم.

فخرجنا إلى ظاهر المدينةِ إلى قصرٍ له عند ضَيعةٍ فيها نخلٌ وشجر، وقد قدم من الطَّعام ما شاء، فلمَّا صرنا إلى القصر، دخل وأَخذ بيدي وأخذ يقول: بيعت فلانةُ وما تدري مَن اشتراها؟ وأنا أبكي وأَقول: نعم، حتى انتهى بي إلى بيتٍ على بابه سِترٌ وفيه جاريةٌ جالسة على فُرُشٍ لها قيمة، فرجعتُ، فقال: واللهِ لَتدخلَنّ، فدخلت، وإذا بالجارية التي كنت أُحبُّها، فبُهِتُّ وتحيَّرت، فقال: أتعرفها؟ قلت: نعم، هي فلانة، فقال: هي لك والقصرُ والضَّيعة والغَلَّة وجميعُ ما في القصر، فأَقِم معها بحياتي اليوم، وكلْ هذا الطعامَ واقضِ من الجارية وَطَرَك، ثم خرج فقال لأصحابه: أما طعامُنا فقد صار إلى غيرنا، فجدِّدوا لنا طعاماً، ثم دعا الأَكَّارَ[٣] فعوَّضه عن حقِّه من الغَلَّة حتى صارت لي تامَّة، وتركني ومضى إلى المدينة، فقبضتُ الجاريةَ والجميع.

ذِكْرُ وفاتِه:

[قال الخطيب:] توفِّي يومَ الثُّلاثاء لخمسٍ[٤] ليالٍ بقين من ذي الحِجَّة سنةَ تسعَ

---

(١) بعدها في (ب): ما كان يعطيه لأبيه الرضا. وفي المنتظم ١١/ ٦٢ أن الرشيد كان يجري على علي بن موسى بن جعفر في كل سنة ثلاث مئة ألف درهم، ولنزله عشرين ألف درهم في كل شهر، فقال المأمون لمحمد بن علي بن موسى: لأزيدنك على مرتبة أبيك وجدك، فأجرى له ذلك ووصله بألف ألف درهم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر المنتظم.

(٣) الأكار: الحرَّاث.

(٤) وفي رواية ثانية عنده ٤/ ٩٠: لستّ. وما بين حاصرتين من (ب).

عشْرةَ ومئتين[١]. وقيل: سنةَ عشرين ومئتين. وصلَّى عليه هارونُ بن المعتصم، ودُفن في مقابر قريشٍ عند جدِّه موسى بنِ جعفرٍ وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنةً وثلاثةِ أشهرٍ واثني عشَرَ يوماً. وحُملت امرأتُه [أمُّ الفضلِ بنتُ المأمون][٢] إلى قصر عمِّها المعتصمِ فكانت مع الحُرُم.

[وقال الخطيب[٣]: صلَّى عليه هارونُ عند منزلِه في رحبة سوارِ بن ميمونٍ ناحيةَ قنطرةِ البَرَدان]. وكان له أولاد، منهم عليٌّ أبو الحسنِ العسكري. [وسنذكره في أيام المتوكِّل].

أَسند محمدٌ الحديثَ عن آبائه الطَّاهرين عليهم السلام.



---

(١) في تاريخ الخطيب: عشرين ومئتين. وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٤٤٧ حيث قال: وقيل: توفي في آخر سنة تسع عشرة رحمه الله ورضي عنه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخه ٤/ ٩٠. وما بين حاصرتين من (ب).

السنة العشرون بعد المئتين

فيها بنى المعتصم سُرَّ من رأى، و[سببه ما حكى الصوليُّ قال:][١] سبب بنائها أنَّ غلمانه الأتراك كَثُروا ببغداد وتولَّعوا بحُرَم الناس وأولادهم، فاجتمع أهل بغداد إلى المعتصم، وتقدَّم أشرافهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، والله ما أحدٌ أحبَّ إلينا من مُجاورتك، وقد آذانا غلمانُك، فانظر في حالنا، فقال: نعم، وازداد فسادُ الأتراك، فعاودوه مرَّةً ثانيةً وثالثةً، فقالوا: أنصفنا وتحوَّل[٢] عنا وإلَّا قاتلناك، فقال: كيف تقاتلوني وفي عسكري ثمانون ألف دارع[٣]، قالوا: نقاتلُك بسهام الليل، فقال: والله مالي بها طاقة، فخرج عنهم فاختار مكان سُرَّ من رأى، فبناها، واتَّخذها داراً.

[وفي روايةٍ أنَّهم لمَّا قالوا له: تحوَّل عنَّا، قال: سمعاً وطاعةً، ورأى الفتن واقعةً، فتحوَّل. قالوا: وكان قد ولد بالقاطول، فكانت نفسه تتوق إلى تلك الأماكن.][٤]

وقال اليزيديُّ[٥]: وكان المعتصم قد بنى قصراً ببغداد [بالميدان][٦]، فجلس فيه جلوساً عامّاً لم يجلسه خليفة؛ جلس على سريرٍ من ذهبٍ مرصَّعٍ بالجواهر، وعلى رأسه التاجُ الذي فيه الدُّرَّة اليتيمة، وعن يمينه وشماله أسرَّة الأبَنوس بالذهب، ومماليكُه قيامٌ على رأسه، وهم عن يمينه وشماله، وعليهم أقبيةُ الدِّيباج، وفي أوساطهم مناطقُ الذهب والفضَّة، فأنشده إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ شعراً في صفة المجلس، إلَّا أنَّه افتتحه بقوله: [من الكامل]

يـا دارُ غـيَّـركِ الـبِـلـى ومـحـاكـي ... يا لـيـتَ شِـعْـرِي مـا الـذي أبـلاكـي[٧]

(١) مابين حاصرتين من (ب).
(٢) في (ب): وإلا تحول.
(٣) في (ب) و(خ) و(ف): دراع. وهو تصحيف.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (ب): الترمذي. وهو خطأ.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب).
(٧) انظر كتاب الصناعتين للعسكري ص٤٥٢.

فتطيَّر[١] المعتصم، وتغامزَ الناس وعجبوا، كيف خفي هذا عن إسحاق، مع ذكائه وفطنته وفضله ومعرفته بمجالس الخلفاء وأغراضهم!

قال اليزيديُّ: وانصرفنا، فوالله ما عاد أحدٌ منَّا إلى ذلك القصر [والمجلس][٢]، وانتقل المعتصم إلى سُرَّ من رأى، وخَرِب القصر.

[واختلفوا في سَامرًّا، فذكرها الجوهريُّ فقال: وسَامَرًّا: المدينةُ التي بناها المعتصم، وفيها لغات؛ سامَرّا، وسُرَّ من رأى بضمِّ السين.[٣]

قلت: وقولهم: ساء من رأى[٤] - من السُّوء - غلطٌ ظاهرٌ منهم، بعكس اللفظ والمعنى، فإنَّ هشامَ بن الكلبيّ رَوى عن أبيه قال: لمَّا خرج نوح من السفينة وتفرَّق أولادُه، جاء سام إلى هذه البقعة فأعجبته، فبنى بها مدينة، وقال: هذه وسط الدنيا. فقيل: سام رأى، أي: رآها فاختارَها، فلمَّا بناها المعتصم شقَّ على عسكره النقلةُ من بغداد، فلمَّا انتقلوا إليها أعجبتهم، فقالوا: سُرَّ من رأى. وقد اضطُرَّ البحتريُّ فقال في صَلْبِ بابك: [من الكامل]

ونصبتَهُ علماً بسامرَّاء[٥]

فهذه.][٦]

وفيها قدم عُجيف بالزُّطِّ إلى بغداد في ذي الحجَّة، وكانوا قد طلبوا منه الأمان على أموالهم وأهاليهم فأعطاهم، وكانت عدَّتهم سبعةً وعشرين ألفاً؛ المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً، وجعلهم عُجيف في السفن، ثمَّ دخل بهم بغداد، وعليهم آلة الحرب والزينة والدبادب[٧] والبوقات، فكان أولهم في القُفْص وآخرهم في الشَّمَّاسيَّة، فأقاموا في سفنهم ثلاثة أيَّام، ثم أرسلَهم المعتصمُ إلى خانقين، ثم نقلَهم إلى [الثغور إلى][٨] عين

(١) في (ب) و(ف): فنظر.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) الصحاح (رأى). وفيها لغاتٌ أخرى.
(٤) قوله: ساء من رأى. إحدى اللغات التي ذكرها الجوهري، وحذفها المختصر.
(٥) ديوان البحتري ١/ ٩.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب).
(٧) الدبادب جمع دبدبة، وهو شبه الطبل. المصباح المنير (دبب).
(٨) مابين حاصرتين من (ب).

زَرْبَة، [فأقاموا بها]، فأغارت عليهم الروم، فاجتاحتهم، فلم يفلت منهم أحد.

وقال الطبريُّ: دخل بهم عُجيف بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومئتين، وكانت الزُّطُّ قد استولوا على طريق واسط وبغداد والبصرة، ومَنعوا التمر عن بغداد، حتى قال شاعرهم: [من البسيط]

يا أهلَ بغدادَ موتوا دام غَيظكُمُ ... شوقاً إلى تمرِ بَرْنيٍّ وشُهريزِ
نحن الذين ضربناكم مجاهرةً ... قَسراً وسُقناكم سَوق المعاجيزِ
لم تشكروا اللهَ نُعماهُ التي سلفت[1] ... ولم تحوطوا أياديه بتعزيزِ
فاستنصروا الغيد[2] من أبناء دولتكم ... مِنَ العراق ومن بلخٍ وتوزيزِ[3]
ومن شناسَ وأقسيمٍ ومن فرحٍ[4] ... المُعْلِمين بديباجٍ وإبريزِ
يفري ببِيضٍ من الهنديِّ هامتَهم ... بنو بهيلةَ[5] من أبناء فيروزِ
فوارسٌ خيلُها دُهْمٌ مودَّعةٌ[6] ... على الخراطيمِ منها والقراقيزِ[7]
نحن الذين سقينا الحربَ دِرَّتَها ... وثقفتنا[8] مقاساة الكواكيزِ[9]

---

(١) في (خ) و(ف): سلبت. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٠.

(٢) في (ف) وتاريخ الطبري: العبد، والمثبت من (خ).

(٣) في تاريخ الطبري: من يا زمان ومن بلجٍ ومن توز.
وبلج حمّام بالبصرة، وتوز: بين مكة والكوفة. انظر معجم ما استعجم ١/ ٣٢٤، ومعجم البلدان ٥/ ٤٧٩.

(٤) في تاريخ الطبري:
ومن شناس وأفشين ومن فرج
وشناس: بليدة من بلاد لكزان على طرف جبل شاهق جدًّا. لا طريق إليها إلا من أعلى الجبل. آثار البلاد وأخبار العباد ص٦٠٢.

(٥) في تاريخ الطبري: بهلة.

(٦) يقال ودّع زيد كلبه؛ إذا قلده الوَدَع، وفرسَهُ إذا رفّهَه، فكأنه أراد أن الخيل رُفِّهت بوضع الودع على خراطيمها. وانظر لسان العرب (ودع).

(٧) في تاريخ الطبري: والفراريز.

(٨) في (خ) و(ف): وتقفتنا. وفي تاريخ الطبري: ونقنقنا. ولعل المثبت هو الصواب.

(٩) كذا في (خ) و(ف): وفي تاريخ الطبري: الكواليز.
والكواليز ـ كما في القاموس (كلز) ـ قومٌ يخرجون بالسلاح للماء، إذا تشاحوا عليه.

لَـنَـسـفـعـنَّـكـمُ سـفـعـاً يَـذِلُّ لـه ... ربُّ السرير ويشجا[١] صاحب الشيزِ[٢]
فابكوا على التمر أبكَى اللهُ عينكُم ... في كل أضحى وفي فطرٍ ونيروزِ

من أبيات

وفيها وجَّه المعتصمُ الأفشين ـ واسمه حيدر[٣] بن كاوس ـ إلى البذِّ، وعقد له على الجبال وحربِ بابك الخُرَّمي، ووصله بألف درهم[٤]، ويوم لا يركب خمسة آلاف درهم، وكان بابك من مدينة البذّ، فسار الأفشين إلى قتاله، فنزل بَرْزَند وبنى الحصون التي خرَّبها بابك فيما بين أردبيل وبَرْزَند، وخندق على نفسه، وبثَّ العساكرَ بينه وبين بابك.

ذكر واقعةٍ كانت بينهما

وسببه أنَّ المعتصم بعثَ بمالٍ مع بغا الكبير إلى الأفشين ليفرِّقه في الجند، فوصل إلى أَرْدَبيل، وبلغ بابك، فخرج ليقطعَ عليه الطريق، وبلغ الأفشين، فكتب إلى بغا بأنْ يُقيم بأردبيل حتى يأتيه أمره، وقال: أظهر أنَّك خارجٌ إلى بَرْزَند، وهيِّئ المالَ على الإبل، وسِرْ عن أردبيل عن فرسخين، ثمَّ ارجع في الليل إلى أردبيل. وكان مقصود الأفشين أنْ يَعلمَ بابك بخروج بغا فيقصدَه، وبلغ بابك خروجُ بغا من أردَبيل فقصدَه، وسار الأفشين في ذلك اليوم يريدُ أردبيل، ولم يعلم بابك بمسيره، وقد فاتَه المال، فنازل حصناً للمسلمين، ووضِعَ له كرسيٌّ، وقعدَ يشرب الخمَر على عادته، وكان الهيثم ـ من أصحاب الأفشين ـ قد التجأ إلى هذا الحصن في أربع مئة فارس وست مئة راجل، وخندقَ عليه، فأرسل إليه بابك: خلِّ الحصن واخرج حتى أهدمَه، فلم يفعل، وكان الأفشين على أقل من فرسخٍ من الحصن، ولم يعلم به بابك، وبلغ الأفشين الخبرُ، فسار من ساعته، فرأى بابك على الحصن جالساً على الكرسيِّ يشربُ الخمر،

(١) في (خ) و(ف): ويسخا.
(٢) في تاريخ الطبري: التيز والشيز: هو خشب الأبَنُوس.
(٣) كذا ذكره المصنف، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١١: خيذر. قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥/ ١٢٣: الأفشين بكسر الهمزة وفتحها، واسمه: خَيْذَر، بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة، وبعدها راء؛ وإنما قيدته لأنه يتصحف على كثير من الناس بـ: حيدر، بالحاء المهملة. انتهى.
(٤) كذا في (خ) و(ف) والصواب: بعشرة آلاف درهم في كلِّ يومٍ يركبُ فيه. انظر المنتظم ١١/ ٥٣.

وبين يديه الطبولُ والزمور والبغايا، فلم يتحرك بابك، واقتتلوا، وحمل الأفشين بنفسه، فقتل رجالَ بابك، وأفلت بابك وحده في نفرٍ يسير إلى مُوقان ثم عاد إلى البذّ[١]، وبعث الأفشين بالرؤوس والأسارى إلى المعتصم[٢].

وفيها خرج المعتصم إلى القاطول ـ على ما قيل ـ وانتقل إلى سُرَّ من رأى [في سنة إحدى وعشرين ومئتين. وقيل: سنة اثنتين وعشرين ومئتين، ويقال: إنه اشترى مكان سُرَّ من رأى] بخمس مئة[٣] درهم، وكان ديراً فبناها.

وسبب خروجه ما ذكرنا أنَّ مماليكه الأتراك آذَوا أهل بغداد وشوارعَها بإفساد حريمهم وتطرُّقهم إلى الدور والأموال، وكانوا جفاةً عجماً يركبونَ الخيل ويركضون الدوابَّ في طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجال والنساء، فكان شطار بغداد يقتلونَهم غيلةً وينكسُونهم عن الدوابّ، وثارت بهم العامَّة، فصلى المعتصمُ يوم الفطر بالمصلَّى ورجع، فالتقاه شيخٌ فناداه: [يا أبا] إسحاق، فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم؛ كفُّوا، ثمَّ قال للشيخ: مالك؟ فقال: لا جزاك الله عن جوارنا خيراً، أتيتنا بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمتَ لهم صبياننا، وقتلتَ رجالنا، وأرملتَ نساءنا، فوجمَ المعتصمُ ودخلَ داره، فلم يُرَ خارجاً[٤] إلى مثل ذلك اليوم بعد سنة، فصلَّى بالناس العيد، وخرجَ من بغداد إلى القاطول ولم يعد إليها.

وفيها غضبَ المعتصمُ على وزيره الفضل بن مروان، وأخذ منه عشرة آلاف ألف دينار، وأصل الفضل من البَرَدان، كان متَّصلاً برجلٍ من العمَّال، يكتب[٥] له، ثم

---

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ١٦ والمنتظم ١١/ ٥٤ والكامل ٦/ ٤٥١: أنَّ بابك بعث إلى البذّ فجاءه في الليل عسكرٌ فيه رجَّالة.

(٢) خبر بعث الأفشين الرؤوس والأسارى لم أقف عليه، وفي هذا الخبر اختصارٌ مخِلٌّ، فانظره بتمامه في تاريخ الطبري ٩/ ١٤-١٦ . ومن قوله: والبصرة ومنعوا التمر عن بغداد... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) في (خ) و(ف): بخمس مئة ألف. وهو خطأ. والمثبت من (ب) وما بين معكوفين منها، وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٧، والمنتظم ١١/ ٥٤.

(٤) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٨، والكامل ٦/ ٤٥٢ ـ وما سلف بين حاصرتين منهما ـ: راكباً. وهي الجادة.

(٥) في (خ) و(ف): فكتب. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٨، والمنتظم ١١/ ٥٥.

اتصل بيحيى الجُرْمقاني كاتب المعتصم، فكان يكتب بين يديه، فلما مات الجُرْمقاني صار الفضل موضعَه، فاستولى على المعتصم، وصار يكتبُ على لسانه ما أراد، والدواوينُ كلُّها إليه، وكان المعتصم يطلق للمغنِّي والملهي عطاءً، فلا ينفذُه الفضل، فأطلق يوماً لرجل يقال له إبراهيم الهَفْتِيُّ عطاءً، فمطلَه شهرين، فداعب المعتصمُ الهَفْتِيَّ يوماً وقال: كيف ترى ملكي وخلافتي، فقال: ما أنتَ خليفة، الخليفةُ الفضل ابن مروان، أطلقتَ لي شيئاً فما أعطاني، وكذا يفعل بإطلاقاتك! فغضب المعتصم على الفضل واستأصله وأهلَ بيته، ثُمّ نفاه إلى السنّ - قريةٍ في طريق الموصل - وولّى مكانه محمد بن عبد الملك الزيَّات، وكان بينهما عداوةٌ، وكان المعتصم يقول: الفضلُ عصى الله وأطاعني، فسلَّطني الله عليه.

وفيها ظهر إبراهيم بن سيّار[(١)] النظَّام، فقرَّر مذهبَ الفلاسفة، وتكلَّم في القدر، وتبعه النَّظَّام وجماعةٌ منهم أحمد بن حائط الأسواريّ وغيرهما، وكان قد طالعَ الفلاسفة[(٢)]، فخلطها بكلام المعتزلة، وانفردَ عنهم بمسائل.

وحجَّ بالناس صالح بن العبَّاس بن محمَّد بن عليّ.

[فصل] وفيها توفي

آدمُ بن أبي إياس

[واسم أبي إياس] ناهية، [وقال البخاريُّ: هو آدم بن][(٣)] عبد الرحمن بن محمد، أبو الحسن العسقلانيّ، مولى أصله من خراسان[(٤)]، ونشأ ببغداد، وطلبَ العلم، ورحل إلى البلاد؛ [الكوفة، والبصرة، والحجاز، والشام]، واستوطن عسقلان [فسمي العسقلاني]، وكان صالحاً، متمسِّكاً بالسنَّة، فاضلاً، من الأبدال الثقات.

---

(١) في (خ) و(ف): يسار. والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٦٢٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٣٦ وغيرها، وسيُذكر قريباً على الصواب في وفيات السنة الحادية والعشرين بعد المئتين.

(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي العبارة خلط وتحريف، ولعلَّ صوابها: ... وتكلم في القدر، وتبعه جماعة منهم أحمد بن حائط والأسواري وغيرهما، وكان قد طالع كلام الفلاسفة. اهـ. وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٧٣٥-٧٣٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٣٩، والتاريخ الصغير ٢/ ٣٤٢.

[ذكر الخطيب عن أبي علي المقدمي[(١)] قال:] لما احتضر [آدم بن أبي إياس] ختم القرآن وهو مسجًّى، ثمَّ قال: بحبِّي لك إلَّا رَفقتَ بي في هذا المصرَع، فلهذا اليوم كنتُ أؤمِّلُك، ثم قال: لا إله إلَّا الله، ثمَّ قضى [رحمه الله].

أسند الحديث عن خلقٍ كثير[(٢)]، [منهم شعبة، والليثُ بن سعد، وحمَّاد بن سَلَمة، وإسماعيل بن عيَّاش،] وروى عنه البخاريُّ، [وأبو حاتم الرازيّ، ويعقوب بن سفيان الفسويّ، وأبو زرعة الدمشقيّ، وغيرهم]، وكان [يقرأ القرآنَ ويُقرِئه][(٣)]، ويستملي في مجلس شعبة ببغداد وهو قائم.

[وروى الخطيب عن أبي بكر الأعْيَن قال[(٤)]:] أتيتُ آدمَ بعسقلان فقلت له: عبدُ الله ابن صالح كاتبُ الليث يُقرِئك السلام، فقال: لا سلَّم الله عليه، قلت: ولم؟ قال: لأنَّه قال: القرآن مخلوق، فقلت [له: أشهد عليه أنا وجماعةٌ] أنَّه قد ندم ورجع وأخبر الناس برجوعه، فقال: [إن كان الأمر كما تقول] فأقرئه مني السلام، فقلت: إنِّي استخرتُ الله أن أقصد بغداد[(٥)]، فهل [لك] من حاجة؟ فقال: نعم، اقرأ على أحمد بن حنبل السلام وقل له: يقول لك آدم بن أبي إياس: اتَّقِ الله، ولا يستفزَّنك أحدٌ عن أمرك، فإنَّك مشرفٌ على الجنَّة، وقد عرفتَ حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «من أرادكم على معصيةٍ فلا تطيعوه» الحديث. [قال:] فأتيتُ الإمامَ أحمد بن حنبل، فأعدتُ عليه ما قال، فقال: رحمه الله حيًّا وميتاً، فلقد أحسن النصيحة[(٦)].

[قلت:] واتَّفقوا على صدق آدمَ وثقته وزهده وورعه، [وإنَّما رُكْن الذي حدَّث عنه آدم ضعيف، ضعَّفهُ النسائيُّ[(٧)]]، وكانت وفاته بعسقلان في جمادى الآخرة، [تمت

---

(١) كذا في (ب) والمنتظم ١١/ ٥٧، وفي تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٩، وصفة الصفوة ٤/ ٣٠٨، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٠٥ : المقدسي.

(٢) في (خ) و(ف) : عن شعبة وخلق كثير. والمثبت من (ب) .

(٣) في (خ) و(ف) : وكان يقرئ القرآن. والمثبت من (ب) .

(٤) في (خ) و(ف) : وقال أبو بكر بن الأعين. والمثبت من (ب) .

(٥) في (خ) و(ف) : إني أريد بغداد. وما بين حاصرتين من (ب) .

(٦) تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٨، والحديث المذكور أخرج نحوه أحمد (١١٦٣٩)، وابن ماجه (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٥٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: « من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه».

(٧) الضعفاء والمتروكين ص٤٢ . واسمه رُكْن بن عبد الله، وانظر ترجمته في «لسان الميزان» ٣/ ٤٧٥ .

ترجمة آدم بن أبي إياس، والحمد لله وحده][١].

خلف بن أيوب

أبو سعيد العامريُّ البلخيُّ[٢]. الفقيه الحنفي، مفتي أهل بلخ وخُراسان وزاهدهم.

أخذ الفقهَ عن أبي يوسف وابن أبي ليلى، والزهدَ عن إبراهيم بن الأدهم، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وكان إماماً فاضلاً ورعاً عابداً.

قال أبو عمرو محمد بن علي البيكندي[٣]: سمعتُ مشايخنا يذكرون أنَّ السبب[٤] لثبات ملك آل سامان أنَّ[٥] أسدَ بن نوح خرج إلى المعتصم، وكان حسنَ المنظر شجاعاً عاقلاً فصيحاً، فعجبَ المعتصمُ من حسنه وجماله وشجاعته، فقال له: هل في أهل بيتك أشجعُ منك؟ قال: لا، قال: ولا أعقل؟ قال: لا، قال: فلم يعجب المعتصم ذلك منه، فأعاد عليه الكلام وهو يجيبه بهذا الجواب، فغضب المعتصم وقال: ولم؟ قال أسد: لأنَّه لم يطأ أحدٌ من أهل بيتي بساطَ أمير المؤمنين ولا شاهد طلعتَه، فاستحسنَ المعتصمُ ذلك منه، وخيَّره الأعمال بكور خراسان، فاختار ولايةَ بلخ، فكتب له عهده عليها، فلمَّا قدمها سألَ عن أعلم أهلها وأزهدِهم، فدُلَّ على خلف بن أيوب، قالوا: وإنَّه يتجنَّبُ السلطان، ولا يخرج إلَّا يوم الجمعة، فرصدَه أسد، وإذا به قد خرج إلى الجامع، فلمَّا رآه أسد ترجَّل عن دابَّته ومشى إليه، فلمَّا رآه خلف قعدَ مكانه، وغطَّى وجهَه بردائه، فسلَّم عليه أسد، فردَّ ردًّا ضعيفاً ولم يرفع رأسه، فرفع أسد رأسَه إلى السماء وقال: اللهمَّ إنَّ هذا العبد الصالح يُبغِضنا فيك، ونحن نحبُّه فيك. ثم ركب

---

(١) ما سلف بين حاصرتين في ترجمة آدم من (ب). وانظر ترجمته أيضاً في «المنتظم» ١١/ ٥٧، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٦٩.

(٢) تابع المصنف جده في إيراده في هذه السنة، وذكر الذهبي في السير ٩/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٠ أنَّ وفاته كانت سنة خمس ومئتين، وروى الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/ ٥٤٥ أنه توفي سنة ٢١٥، ثم نقل قول القرّاب: مات سنة ٢٠٥ هـ. ولم ترد ترجمته في (ب).

(٣) كذا في (خ) ومطبوع المنتظم ١١/ ٥٨ وفي (ف): الكندري. وفي سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٩: البيكندي. ولعله الصواب.

(٤) في (خ) و(ف): الثبت وهو تحريف.

(٥) في (خ) و(ف): بن. والتصويب من المصادر.

ومضى، ومرض بعد ذلك خلف، فاستأذنَ عليه أسد، فلمَّا دخل جلس عند رأسه، وقال: هل من حاجة؟ قال: نعم، لا تعودني، وإذا متُّ لا تصلي عليَّ [وعليك السَّواد][١]، فلمَّا توفي خلف جاء أسد يمشي راجلاً في جنازته، ونزع السَّواد عنه، وصلى عليه، فلمَّا كان في الليل سمع صوتاً ـ وفي رواية أنَّه رأى النبيَّ ﷺ ـ فقال له: يا أسد، ثبَّت الله ملكَكَ وملكَ بنيك بإجلالك وتواضعك لخلف بن أيوب[٢].

سليمان بن داود

ابن علي بن عبد الله بن العباس، أبو أيوب الهاشميُّ. مات أبوه وأمُّه حاملٌ به[٣].

وكان جواداً صالحاً عاقلاً زاهداً عفيفاً ورعاً.

قال الشافعيُّ: ما رأيتُ أعقل من رجلين؛ أحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشميّ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: لو قيل: اختر للأمَّة رجلاً فيستخلف عليهم، لاخترتُ سليمان بن داود.

وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل: في سنة تسع عشرة ومئتين.

سمع سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، واتَّفقوا على صدقه وثقته.

[وفيها توفي]

فتح بن سعيد المَوْصلي

أبو نصر الكاري، [وكان من قريةٍ شرقي دجلة من أعمال الموصل، وكان] من أقران

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم» ١١/ ٥٨، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٥٤٣، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ٧٠.

(٢) قال الذهبي في السير ٩/ ٥٤٣: هذه حكاية غريبة، فإن صحَّت فلعل وفادة أسدٍ على المأمون، حتى يستقيم ذلك؛ فإن خلفاً مات في أول شهر رمضان، سنة خمس ومئتين. اهـ. وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٧٠.
وانظر ترجمته في المصادر المذكورة، وفي تهذيب الكمال ٨/ ٢٧٣.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفيه اختصار مخلّ. فاسم المترجم: سليمان بن داود بن داود بن علي... فسقط من نسبه جده داود، وهو الذي توفي وابنه حمل. انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤١، والمنتظم ١١/ ٥٩. ولم ترد ترجمته في (ب).

بشر [بن الحارث] الحافي وسريّ السقطي، كبير الشأن في علم المعاملات والورع، [ويُحكى عنه من الحكايات من جنس ما حكينا عن فتح الموصلي الذي ذكرناه في سنة سبعين ومئة.

وأنبأنا جدِّي رحمه الله عن محمَّد بن أبي منصور بإسناده إلى] إبراهيم[1] بن موسى يقول: سمعت فتحاً في يوم عيد، [وقد] رأى على الناس الطيالسَ والعمائم، فقال: يا إبراهيم إنَّما ترى ثوباً يبلى، وجسداً يأكله الدود غداً، هؤلاء قومٌ أنفقوا خزائنهم على بطونهم، ويَقْدُمون[2] غداً على ربهم مفاليس[3].

[وروى أبو نعيم الأصفهاني عن] عمران بن موسى الطَّرَسُوسيّ قال: مرَّ فتحٌ بصبيين، مع أحدهما كِسرةٌ عليها كامَخٌ، ومع الآخر كِسرةٌ عليها عسل، فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل: أطعمني من عسلك، فقال: إن صرتَ لي كلباً أطعمتكُ، فقال: نعم، فجعل في عنقه حبلاً وجعل يقوده [ويضربه] ويقول [له]: انبح انبح.

فقال له فتح [الموصلي]: لو قنعتَ بكامَخك ما صرتَ كلباً له، ثم قال: هكذا الدنيا[4].

[وذكر ابنُ أبي الدنيا أنَّ فتحاً جاء][5] إلى بيت صديقٍ له يقال له: عيسى التمَّار، فقال لجاريته: أخرجي لي كيس أخي، فأخرجَتْهُ، فأخذ منه درهمين ومضى، وجاء عيسى، قال: فأخبرته، فقال: إنْ كنتِ صادقةً فأنت حرَّةٌ لوجه الله، فعَتَقت[6].

[وأنبأنا مشايخنا عن شَهدة بنت أحمد الكاتبة بإسنادها إلى عبد الله بن الفرج العابد قال:][7] كان بالمَوْصل رجلٌ نصرانيٌّ يقال له: أبو إسماعيل، مرَّ ليلةً برجلٍ يقرأ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال إبراهيم...

(٢) في (ب): وقد يقدمون.

(٣) المنتظم ٢/ ١١٦.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٣. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وجاء فتح.

(٦) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٦٢).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال عبد الله بن الفرج العابد.

فأسلم [النصرانيُّ] بعد أن صرخ وغُشِيَ عليه، وصحبَ فتحاً الموصليَّ، وبكى حتى ذهبت إحدى عينيه وعَشِيَ من الأخرى، فقيل له ذات يوم: حدِّثنا عن فتح، فبكى وقال: كان والله كهيئة الروحانيين، قلبه معلَّقٌ بما هنالك، لقد خرجَ ذات يومٍ في عيد ثم رجع، فرأى الدخان يخرج من نواحي المدينة، وشمَّ روائح القُتَار[١]، فبكى وقال: تقرَّب إليك المتقرِّبون بقرابينهم، وأنا أتقرَّبُ إليك بحزني[٢] أيهُّا المحبوب، فليت شعري ما أنت فاعلٌ بي، ثمَّ غشي عليه فأفاق، فأقام أيَّاماً ومات[٣].

[وروى الخطيب بإسناده إلى بشر الحافي قال:][٤] بلغني أنَّ بنتاً لفتح الموصليِّ عريت، فقيل له: ألا تطلبُ من يكسوها؟! فقال: أدعها[٥] لعلَّ الله [أن] يَرى عُريها وصبري عليها، قال: وكان الشتاء إذا جاء جمع عيالَه، ومدَّ عليهم كساءه ثم قال: اللهمَّ إنَّك أفقرتني وأفقرتَ عيالي، وجوَّعْتَني وجوَّعتَ عيالي، وأعريتَني وأعريتَ عيالي، فبأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُ إليك؟ وإنَّما تفعلُ هذا بأوليائك وأحبائك، فهل أنا منهم فأفرح[٦]؟

[وروى ابن جهضم بإسناده إلى إبراهيم بن نوح قال:][٧] رجع فتحٌ إلى أهله بعد العتمة، وكان صائماً، فقال: عشُّوني، قالوا: ما عندنا شيء، قال: فما بالكم جلوسٌ في الظلمة، قالوا: ما عندنا زيتٌ، فجلس يبكي من الفرح ويقول: إلهي مثلي يُترَك بغير عَشاء ولا سراج، بأيِّ يدٍ كانت مني؟ فما زال يبكي إلى الصباح[٨].

وقال بشر الحافي: كان فتحٌ يتجزَّأ بفَلْسٍ في اليوم، يشتري به نخالةً فيتقوَّتُ بها[٩].

وروى أبو نعيم عنه أنَّه صُدِعَ، فقال: يا ربِّ، ابتليتَني ببلاء الأنبياء، فشُكْرُ هذا أن

(١) القتار: ريحُ الشواء. انظر اللسان (قتر).
(٢) في (ب): بحرقي.
(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٨٧، وكتاب التوابين (١٥٠).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بشر الحافي.
(٥) في (خ) و(ف): دعها. والمثبت من (ب).
(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٦١.
(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال إبراهيم بن نوح.
(٨) شعب الإيمان للبيهقي (٩٦٤٦)، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٤.
(٩) صفة الصفوة ٤/ ١٨٤، وقوله: يتجزأ، يعني: يكتفي. مختار الصحاح (جزأ).

أصلِّيَ الليلةَ أربع مئة ركعة[١].

وكان فتحٌ يزور بشراً من الموصل، [وروى الخطيب عن أبي جعفر[٢] ابن أخت بشر قال:][٣] كنت يوماً واقفاً بباب خالي بشر، وإذا بشيخٍ ثائر الرأس ملتفٍّ بعَباء، فقال لي: بشرٌ هاهنا؟ قلت: نعم، قال: ادخل فاستأذن لي عليه، فدخلت فقلت: يا خالي، بالباب شيخ [من] صفته كذا وكذا، فخرج بشرٌ مسرعاً، فصافحه واعتنقَه، فقال له الشيخ: يا أبا نصر، ذكرتُك البارحة فاشتقتُ إلى لقائك. قال: فدفع إليَّ خالي درهماً وقال: خذ بأربعة دوانيق خبزاً وبدانقين تمراً، [فقال الشيخ: يكون سهريزاً[٤]، فجئته به]، فقال الشيخ: قل له يأكل معنا، فقال: كل [معنا]، فأكلتُ معهم، فلمَّا أكل أخذ ما فضل في طرف العباء وقام، فخرج معه خالي يودِّعه [أو يشيِّعه] إلى باب حَرْب، فلمَّا رجع قال: يا بنيَّ، تدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا فتح المَوْصليّ، جاءني من الموصل الساعة.

[وفي روايةٍ قال بشر:][٥] أتدري لم حمل باقي الطعام؟ قلت: لا، قال: فإذا صحَّ التوكلُ لم يضرَّ الحملُ.

وذكر ابن خميس [في «المناقب»][٦] أن فتحاً بكى الدم، [وكذا روى أبو الحسن عليُّ بن جهضم، عن بعض أصحاب فتح قال:][٧] دخلت عليه يوماً [وهو يبكي]، وقد خالط دموعَه صفرةٌ، فقلت له: بالله عليك، بكيت الدم؟ فقال: لولا أنَّك حلفتني بالله العظيم ما أخبرتك، نعم بكيتُ الدم، قلت: فعلى ماذا [بكيت الدموع؟ وعلى ماذا] بكيت الدم؟ فقال: بكيتُ الدموع على تخلُّفي عن واجب حقِّ الله تعالى، وبكيت الدَّم خوفاً أن تكون الدموع ما صحَّت لي. قال الرجل: فرأيت فتحاً في المنام بعد موته،

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢.

(٢) كذا وقعت كنيته في (خ) و(ف) و(ب)، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٤، ووقع في «حلية الأولياء» ٨/ ٢٩٤: أبو حفص. والصواب ـ كما في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٦٠، ١٦/ ٦٠٣ (الكنى)، والمنتظم ١١/ ٦١ ـ: أبو نصر.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال أبو جعفر ابن أخت بشر.

(٤) تمر سهريز، بالضم والكسر، نوع من التمر. القاموس. (سهرز).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ثم قال.

(٦) اسمه مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، وهو على طرز الرسالة القشيرية. انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٣٥، والأعلام ٢/ ٢٦١.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بعض أصحاب فتح.

فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: فما صنع ربُّك في دموعك؟ فقال: قال لي: يا فتح، ماذا أردت ببكائك الدمع والدم؟ فوعزتي لقد صعد إليَّ حافظاك أربعينَ سنة بصحيفتك[١] ما فيها خطيئة[٢].

[ذكر طرف من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» وغيرها أنَّه قال:][٣] صحبتُ ثلاثينَ شيخاً كانوا يُعدُّون من الأبدال، وكلُّهم أوصاني عند فراقي له: إيَّاك ومعاشرةَ الأحداث.

وقال: من اشتاق إلى المحبوب زهدَ فيما سواه.

وقال: أليس الإنسان إذا امتنع من الطعام والشراب يموت؟ قالوا: بلى، قال: وكذلك القلب إذا امتنعَ من الذِّكر مات. وقال: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]؟ فأيُّ قلبٍ يطمئن إليها بعد هذا؟!

[وحكى في «المناقب» عن سالم الحداد ـ وكان من الأبدال ـ قال:][٤] جاءني فتحٌ يوماً ومعه مِسْحَاةٌ، فقال لي: يا سالم بعها[٥] فليس عند الصبيان شيءٌ، فنظرت إليه نظرةً منكرةً وقلت: يا فتح، أتدري من شكوت[٦]؟ فمرَّ باكياً ولم يَعد إليَّ ولا ذكر المسحاة.

أسند فتحٌ عن عيسى بن يونس وأقرانه، واشتغلَ بالعبادة عن الرواية. [انتهت ترجمة فتح].

أبو نُعَيم الفضل بن دُكَين

ودُكَين اسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم، مولى آل[٧] طلحة بن عبد الله التيميّ

(١) في (خ) و(ف): وصحيفتك. والمثبت من (ب) وما سلف بين حاصرتين منها.
(٢) مناقب الأبرار ١/ ٢٣٤، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٩.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وجاء مكانها في (خ) و(ف): وقال فتح. وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٣٤.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال سالم الحداد وكان من الأبدال.
(٥) في (خ) و(ف): دعها، والمثبت من (ب)، ومناقب الأبرار ١/ ٢٣٦.
(٦) في (ف): شكرت، وفي (ب): سكون.
(٧) في (خ) و(ف): أبي. والتصويب من المصادر. ولم ترد ترجمة الفضل بن دكين في (ب).

رضي الله عنه، الكوفيُّ الإمام الحافظ، من الطبقة السابعة.

ولد سنة ثلاثين ومئة، وقيل: سنة تسع وعشرين. وبرع في العلم، وسمع الأئمَّة، وهو أحد العلماء المشهورين بعلم الحديث والمتقدِّمين فيه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: قام أبو نعيم لله بأمرٍ لم يقم به أحد.

وكان قد امتحن بالكوفة على أنْ يقولَ: القرآنُ مخلوق، فقال: أدركتُ بالكوفة سبع مئة شيخ منهم الأعمشُ فمن[١] دونه يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، والله إنَّ عنقي عليَّ أهونُ من زرِّي هذا، ثم قطع زرَّه فألقاه.

وقال عبد الصَّمد بن المهتدي[٢]: لمَّا دخل المأمون بغداد، نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأنَّ الشيوخَ كانوا يَضْرِبون ويَحْبِسون ببغداد، فنظر إلى جنديٍّ قد أدخل يديه بين فَخِذي امرأة، فزجره أبو نعيم، فحمله إلى صاحب الشرطة، فأخبر المأمونَ، فأحضره عنده، قال أبو نُعيم: فدخلتُ عليه وقد صلَّى الغداة، وهو جالسٌ يسبِّح، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ردًّا خفيًّا شبه الواجد، ودعا بَطَسْتٍ وإبريقٍ، وقال: توضَّأ، فتوضأت على ما روى عبدُ خير عن عليٍّ عليه السلام - يعني ثلاثاً ثلاثاً - ثمَّ دعا بحصير، فصلَّيت ركعتين، فقال: اقعد، فقعدت، فقال: ما تقول في رجلٍ مات وخلَّف أبوين؟ قلت: لأمِّه الثلث، وما بقي لأبيه، قال: فإن خلَّف [أبويه وأخاه؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الأخُ. قال: فإن خلَّف][٣] أبوين وأخوين؟ قلت: المسألة بحالها ويسقط الأخوان، قال: في قول الناس كلِّهم؟ قلت: لا؛ فإنَّ جدَّك ابن عباس ما حَجب الأمَّ عن الثلث إلَّا بثلاثة إخوة، فقال: يا هذا من نهى مثلك أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إنَّما نهينا أقواماً يجعلونَ المعروفَ منكراً. ثم خرجت.

---

(١) في (خ) و(ف): فما. والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٠، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٤٨١، والمنتظم ١١/ ٤٧.

(٢) في (خ) و(ف): المهدي. والتصويب من تاريخ بغداد ١٤/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٢٣.

(٣) ما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٢٤. ونقل الذهبي فيهما عن «مرآة الزمان». وأخرج القصة الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣١١.

قال عبد الله بن الصلت: كنت عند أبي نُعيم فجاءه ابنه يبكي، فقال له: مالك؟ فقال: الناس يقولون: إنَّك متشيِّع فأنشدَه: [من الطويل]

وما زال بي حبَّيْكِ[1] حتى كأنَّني ... بِرَجْعِ جواب السَّائلي عنه[2] أعجمُ
لأسلَمَ من قولِ الوشاة وتسلمي ... سلمتِ وهل حيٌّ من[3] الناس يسلمُ[4]

وقال: سمعتُ الحسنَ بن صالح يقول: سمعتُ جعفرَ بن محمد يقول: حُبُّ عليٍّ عبادة، وأفضلُ العبادة ما كُتِم.

وقال أبو نعيم: كثر تعجُّبي من استشهاد عائشة ﵂ بقول لبيد: [من الكامل]

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافهم[5]

ولكنَّ أبا نعيم يقول: [من الخفيف]

ذهبَ النَّاسُ فاستقلُّوا وصرنَا ... خلفاً في أراذلِ النسناسِ
في أُناسٍ نعدُّهم من عَديدٍ ... فإذا فُتِّشُوا فليسوا بناسِ
كلَّما جئتُ أبتغي النيلَ منهم ... بَادروني قبل السؤال بياسِ
وبَكَوا لي حتى تمنَّيت أنِّي ... مفلتاً منهم فرأساً براسِ

وتوفي في هذه السنة. وقيل: سنةَ ثمانية عشرة[6]، وقيل: سنة تسع عشرة، ليلة الثلاثاء لانسلاخ شعبان بالكوفة، طُعِن في عنقه ويده وظهر به وَرْشكين[7]، وقيل: سنة

---

(١) في (خ) و(ف): حبك. بدل: حبيك. ووقع في تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٢، والمنتظم ١١/ ٤٧: وما زال كتمانيك.
وذكره الخطيب بلفظ: بي حبيك. في سياق قصة أخرى، وفيها أنه تمثل بقول مطيع بن أبي إياس. والكلام الذي سيذكره المصنف عقب الأبيات في سياق تلك القصة أيضاً.
(٢) في المصادر: عنك.
(٣) في المصادر: على.
(٤) البيتان في الأغاني ١٥/ ١٧٢، ١٧٧ منسوبان لنصيب بن رباح.
(٥) صدر بيت للبيد، وهو في ديوانه ص١٥٣ وعجزه:
وبقيت في خلف كجلد الأجرب
(٦) هو قول محمد بن المثنى. وغلَّطه الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/ ٤٢٤. وقال: إنه مخالفٌ للجمهور.
(٧) هو حمو وورم في الجلد. تكملة المعاجم العربية لدوزي ١١/ ١٢٥ (ورشكين).

سبع عشرة ومئتين.

وحكى الخطيب عنه أنَّه خرجَ على أصحابه فقال لابن المحاضر بن المُوَرِّع: رأيتُ أباك في النوم، فأعطاني درهمين ونصفاً، فأوِّلوها، فقال: خيراً إن شاء الله ما رأيت، فقال: أمَّا أنا فقد أولتُهما أنِّي أعيشُ يومين ونصفاً، أو سنتين ونصفاً، ثم ألحقُ به، فعاش سنتين ونصفاً(١).

أسند عن خلقٍ كثير منهم الأعمش والثوريُّ، وعنده من حديثه أربعةُ آلاف حديث.

وروى عنه الأئمَّة، والإمام أحمد بن حنبل، وابنُ المبارك، وابنُ معين، وإسحاقُ ابن راهويه، والبخاريُّ، وخلقٌ كثير، واتَّفقوا على صدقه وثقته وورعه، فكان الإمامُ أحمد رحمه الله يقول: أبو نعيمٍ يُزاحمُ به ابن عيينة، وهو عندنا أثبتُ من وكيع، ويعرفُ الصدق في حديثه(٢).

وكان وكيعٌ يقول: إذا وافقني ذاك الأحولُ في الحديث - يعني أبا نعيم - ما أبالي من خالفني(٣).



(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٩.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٩، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٥٥.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٣، ٣١٤.

السنة الحادية والعشرون بعد المئتين

فيها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين بابك وبغا الكبير، وذلك لأنَّ بغا لمَّا قدم بالمال على الأفشين خرجَ بغير أمره يقصد البذَّ قرية بابك، والأفشين على حاله ببرزند[١]، وبابك غائب عن البذ فدخله بغا وأقام به يوماً، فرجعَ عليه عسكرُ بابك فقتلوا معظمَ أصحابه وهزموه واستباحوا عسكره، فأقام ببعض الأماكن، وأرسل إلى الأفشين يستمدُّه، فقال: خالفَ أمري، ولم يخبرك بخروجه[٢]، فجهَّز إليه جيشاً مع أخيه الفضل بن كاوس وواعدَه وقتاً بعينه يلتقيه فيه، وسار الفضل إلى بغا، وخرج الأفشين بعده، والتقَوا في الوقت الذي عيَّنه، وجاءهم بابك فالتقوا، فظهر عليه الأفشين، فهزمه وغنمَ عسكره وخيامه، وانهزم بابك. وقيل: إنَّ بغا لم يحضر هذه الوقعة، اختلفَ مع الأفشين في الوقت والمكان[٣].

[قال الطبريُّ: وفي هذه السنة انتقل المعتصم إلى سُرَّ من رأى[٤]. وقد حكينا عن الصُّوليّ أنَّه قال: كان ذلك في سنة عشرين ومئتين[٥].][٦]

وحجَّ بالناس محمَّدُ بن داود بن عيسى بن موسى بن محمَّد بن علي، وهو أميرُ مكَّة.

[فصل] وفيها توفي

إبراهيمُ بن شمَّاس

أبو إسحاق السمرقنديّ، كان عالماً زاهداً ورعاً ثبتاً ثقةً شجاعاً بطلاً مبارزاً عظيم الهامة.

[حكى الخطيب عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه أنه قال:][٧] كتب إليَّ

---

(١) في (خ): برزند، وفي (ف): بوريد. ولعلَّ المثبت هو الصواب. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٢٣-٢٤ . وبَرْزَنْد بلد من نواحي إرمينية، أول من عمرها الأفشين وجعلها معسكراً له، وكانت من قبله خرابة. معجم البلدان ١/ ٣٨٢ .

(٢) كذا في (خ) و (ف)! .

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٢٣ ، والمنتظم ١١/ ٦٤ ، والكامل لابن الأثير ٦/ ٤٥٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ١٧ لكن في أحداث سنة عشرين ومئتين .

(٥) ص٢٤٣ من هذا الجزء.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) ، ولم تذكر فيها تفاصيل وقعة بابك وبغا الكبير.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف) : قال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه.

[بعض] أصحابنا أنَّه أوصى بمئة ألف يُشتَرى بها أُسارى من الكفار، فاشتُري مئتي أسيرٍ من المسلمين، ثمَّ قتله الترك، فانظر[1] بماذا خُتِم له.

وكان يغزو التركَ من وراء النهر، و[اختلفوا في مقتلِه، فقيل: إنَّه] خرج من سمرقند غازياً، فالتقاه الترك فقتلوه في المحرَّم من هذه السنة. وقيل: قتلوه وهو خارجٌ من ضيعةٍ له، ولم يشعر بهم، ولم يعرفوه، وذلك [خارج سمرقند. وقال الدارمي: كان ذلك] في سنة عشرين ومئتين.

[وقال الخطيب: ورد بغداد و] حدَّث [بها] عن [إسماعيل بن عيَّاش، ومسلم بن خالد الزَّنجيّ، و] أبي إسحاق الفزاري، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، [وسفيان بن عيينة،] وغيرهم، ورَوى عنه الإمامُ أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، [وأبو خيثمة، وعباس الدوريُّ، وداود بن رُشَيد، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأحمد بن علي البَرْبَهاريّ، في آخرين.][2]

إبراهيم بن سيَّار

أبو إسحاق البصري، المعروف بالنَّظَّام، قال: العلمُ شيءٌ لا يعطيكَ بعضَه حتى تعطيه كلَّك، فأنت من إعطائِه لك البعضَ على خطر. ومن شعره: [من السريع]

وشادنٌ ينطق بالطَّرفِ ... يقصر عنه مُنتهى الوصفِ
رقَّ فلو بزَّت سرابيلُه ... علقه الجوُّ من اللُّطفِ
يجرحه اللحْظُ بتكراره ... ويشتكي الإيماء بالطَّرفِ
أفديه من مُغرىً بما سَاءني ... كأنَّه يَعلمُ ما أخفي[3]

أحمد بن داود

أبو سعيد الواسطي الحداد.

---

(١) في (خ) و(ف): فانظروا. والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٧/ ٧.

(٢) في (خ) و(ف): وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه وغيره. والمثبت من (ب) وما سلف بين حاصرتين منها.
وانظر ترجمته في المنتظم ١١/ ٦٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥١٨.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٦٢٣، والمنتظم ١١/ ٦٦ وهذه الترجمة لم ترد في (ب).

[نزل بغداد، و] حدَّث [بها] عن حماد بن زيد وغيره.

وأسندَ الخطيبُ إليه إلى أنس بن مالك أنَّ غلاماً من اليهود كان يخدمُ[١] النبيَّ ﷺ فمرض، فأتاه رسولُ الله ﷺ يعودُه وهو في الموت، فدعاه إلى الإسلام، وأبوه عند رأسه، فنظر الغلامُ إلى أبيه، فقال له أبوه: أطعْ أبا القاسم، فأسلمَ ومات، فخرجَ رسول الله ﷺ وهو يقول: «الحمدُ لله الذي أنقذه بي من النار»[٢].

وكان أحمدُ صدوقاً ثقةً.

عيسى بن أبان

ابن صَدَقة، أبو موسى القاضي الحنفي، كان سخيًا جدًا، وكان يقول: والله لو أُتيتُ برجلٍ يفعل في ماله كفعلي لحجرتُ عليه.

وعن محمد بن الخليل عن أبيه صاحب سفيان الثوري قال: كنتُ بالبصرة، فاختصم رجلٌ مسلمٌ ويهوديٌّ عند القاضي عيسى بن أبان، وكان يرى رأي القوم، فوجبت اليمينُ على المسلم، فقال له القاضي: قل: والله الذي لا إله إلا هو، فقال اليهودي: حلِّفه بالخالق، لا تحلِّفه بالمخلوق؛ لأنَّ «الله الذي لا إله إلا هو» في القرآن، وأنتم تَزعمون أنَّه مخلوق. فتحيَّر عيسى عند ذلك، وقال: قومَا حتى أنظرَ في أمركما.

أسند عن هُشَيم وغيره، وروى عنه الحسنُ بن سلَّام وغيره، وكان صدوقاً ثقةً[٣].

عاصم بن عليّ

ابن عاصم بن صهيب، مولى قَريبة بنت محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أبو الحسن الواسطيّ.

---

(١) نص العبارة في (ب): وهو الذي روى حديث اليهودي الذي كان يخدم...

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٨ من طريق أحمد بن داود (صاحب الترجمة) عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه. والحديث أخرجه أيضاً البخاري (١٣٥٦) عن سليمان بن حرب عن حماد به، وأحمد (١٢٧٩٦) عن مؤمَّل عن حماد به.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧٩، والمنتظم ١١/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٥١. ولم ترد ترجمته في (ب).

قدم بغداد وحدَّث بها، وكان يحضرُ مجلسَه خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَون.

وقال محمد بن سويد الطحَّان: كنَّا عند عاصم، ومعنا القاسمُ بن سَلّام وإبراهيم بن أبي الليث، والإمامُ أحمد بن حنبل يُضرَبُ في ذلك اليوم، فجعل عاصمٌ يقول: [ألا رجلٌ يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلِّمه؟ قال: فما يجيبه أحدٌ، قال: فقال إبراهيم بن أبي الليث:](1) يا أبا الحسين، أنا أقومُ معك، فصاح عاصم: يا غلام خُفِّي، فقال إبراهيم: امهل حتى أبلُغَ إلى بناتي فأوصيهنَّ، فظننَّا أنَّه ذهبَ يتحنَّط ويتكفَّن، ثم جاء فقال عاصم: يا غلام خُفِّي، فقال له إبراهيم: يا أبا الحسين إنِّي ذهبت إلى بناتي فبكين. قال الخطيب: وجاء كتابُ ابنتَي عاصم من واسط إليه يقولان: يا أبانا بَلَغنا أنَّ هذا الرجل أخذ أحمدَ بن حنبل وضربَه بالسياط على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتَّقِ الله في نفسك، ولا تجبه إن سألك، فو الله لأن يأتينا نعيُك أحبُّ إلينا من أن يأتينا أنَّك أجبتَه إلى ذلك.

توفي عاصم بواسط يوم الاثنين منتصف رجب، وصلَّى عليه المُطَّلبُ بن فَهْم.

روى عاصم عن شعبة وغيره، وروى عنه الإمام أحمد رحمة الله عليه والبخاريُّ في «صحيحه» وغيرهما، وكان ثقةً صدوقاً، وقال ابنُ معين: عاصمٌ سيِّد المسلمين(2)، ورُويَ أنَّه ضعَّفه؛ لأنَّه كان يحدِّثُ من حفظه، فوقعَ الخطأ في حديثه(3).

[وفيها توفي]

محمود بن الحسن الورَّاق

كان نخَّاساً يبيع الجواري والغلمان، وكان شاعراً فصيحاً، [وأكثر شعره في الزهد والأدب والمعاني اللطيفة، وروى ابن أبي الدنيا مقطَّعاتٍ من شعره، فقال الخطيب بإسناده إلى أحمد بن جعفر الجَوْزيّ(4) قال: قال: أبو بكر بن أبي الدنيا(5): أنشد

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٢.

(٢) في (خ) و(ف): سيد المرسلين، وهو تحريف قبيح.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٣١٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٧٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٩٠. ولم ترد ترجمته في (ب).

(٤) كذا في (ب) وتمام اسمه: أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٧، وانظر توضيح المشتبه ٢/ ٥٢١.

(٥) في الحلم (٢٧).

محمود الورّاق لنفسه:][1] [من الوافر]

رجعتُ إلى السفيه بفضل حلمي[2] فكان الحِلمُ لي عنه لجَاما
فظنَّ بي السفاهَ[3] فلم يجدني أسافِهُه وقلتُ له سلامَا
فقام يجرُّ رجليه ذليلاً وقد كَسب المذلَّة والملامَا
وفضلُ الحِلم أبلغُ في سفيهٍ وأحرى أن تَنَالَ به انتقامَا

وكانت له جاريةٌ يقال لها: نشو، أعطي فيها ألوفاً من الدنانير، فماتت، [وروى الخطيب][4] عن أبي بكر الطالقاني عن أبيه قال: كنت عنده والناس يعزُّونه [في جاريته]، فشرع بعض النَّاس يكرِّرُ فضائلَها ليحزنه، ففطن محمود فقال: [من الوافر]

ومنتصحٍ يكرر ذكرَ نشو ليحدثَ لي بذكراها اكتئابَا
أقول - وَعَدَّ ما كانت تساوي - سيُخلفها الذي خلقَ السحابَا
عطيَّتُه إذا أعطى سُروراً وإن أخذَ الذي أعطى أثابَا
فأيُّ النعمتين أعمُّ فضلاً وأكرمُ من عواقبها الإيابَا[5]
أنِعْمَتُه التي أهدت سُروراً أم الأخرى التي أهدَتْ ثوابَا
بل الأخرى وإن نزَلت بكُرهٍ أحقُّ بصبر من صَبرَ احتسابَا[6]

وله: [من المتقارب]

يمثِّلُ ذو اللبِّ في نفسه مصائبَه قبل أنْ تنزلَا
فإن نَزلت بغتةً لم تَرُعْهُ لما كان في نفسه مَثَّلَا
رأى الهمَّ يفضي إلى آخر فصيَّرَ آخرَه أوَّلَا
وذو الجهل يأمنُ أيَّامه وينسى مصارعَ من قد خَلَا

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): فمن شعره.
(٢) في (خ) و(ف): علمي. والمثبت من (ب).
(٣) في (خ) و(ف) و(ب): السفيه. والمثبت من ديوان محمود الوراق ص١٧٨ وتاريخ بغداد ١٥/ ١٠٢.
(٤) في (خ) و(ف): فروي. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٥) كذا في (ب) و(خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ١٥/ ١٠٣ والمنتظم ١١/ ٧٠ وديوان محمود الوراق ص٧١:
وأكرم في عواقبها إيابا
(٦) ديوان محمود الوراق ص٧١، وفيه اختلاف يسير.

فـإن بَـدَهَـتْـهُ صـروفُ الـزمـان ... بـبـعـض مـصَـائـبـه أعـولَا
ولـو[١] قَـدَّم الـحـزمَ فـي نـفـسـه ... لـعـلَّـمـه الـصـبـرُ حـسـنَ الـبـلَا[٢]

وله: [من البسيط]

بـقَّـيـتَ مـالـكَ مـيـراثـاً لـوارثـه ... فـلـيـتَ شـعـري مـا بقَّـى لـك الـمـالُ
الـقـومُ بـعـدك فـي حـالٍ يـسـرُّهـم ... فـكـيـف بـعـدهـمُ دارتْ بـك الـحـالُ
مـالـت إذا عـنـك دُنـيـا أقـبـلـتْ بـهـم ... وأدبـرتْ عـنـك والأيَّـام أحـوالُ
ملُّوا الـبـكـاءَ فـمـا يَبـكـيـك من أحدٍ ... واستحكَم القيلُ في الميراث والقالُ[٣]

[وقال العتبي:] استعرض المعتصمُ جاريةً لمحمود الورَّاق[٤]، وكانت رقَّاصة، فقال لها: ما صنعتك؟ فقالت: صنعتي في رجلي، فقال: وكم ثمنك؟ قالت: خمس مئة دينار، فقال: كثير، ولكن نصبرُ حتى يموتَ محمود الوراق، ونأخذكِ بغيرِ شيء، فقالت: ما سمعنا خليفةً ينتظرُ بشهواته المواريثَ إلَّا أنت، [قال:] فخجل المعتصم.

[وقد روى هذه الحكاية الخطيب بإسناده إلى الجاحظ وقال: ثمنُ الجارية سبعة آلاف دينار، فلمَّا مات محمود اشتُرِيت للمعتصم بسبع مئة دينار، فلمَّا دخلت عليه قال: كيف رأيت من بركتك من سبعة آلاف[٥] إلى سبع مئة، فقالت: أجل، إذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث، فإن سبعين ديناراً كثيرةٌ في ثمني، فضلاً عن سبع مئة. فأخجلته.

وكانت وفاة محمود في هذه السنة ببغداد، وقد رَوى عنه من شعره جماعةٌ من الأعيان، منهم ابنُ أبي الدنيا وابنُ مسروق وغيرهما.][٦]

---

(١) في (خ) و(ف). وقد. وهذه الأبيات ليست في (ب).
(٢) المنتظم ١١/ ٧١، وديوان محمود الوراق ص٢٢٨ (في ما ينسب إليه).
(٣) ديوان محمود الوراق ص٢٣٠ (في ما ينسب إليه) وفيه اختلاف يسير، والمنتظم ص٧٢.
(٤) في (خ) و(ف): له. والمثبت من (ب).
(٥) في تاريخ بغداد ١٥/ ١٠٣: كيف رأيت، تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف...
(٦) انظر ترجمته ـ بالإضافة إلى المصادر السابقة ـ في سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٦١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٩٩.

أبو جعفر المُحَوَّلي(١)

الزاهدُ العابد، كان يسكن بباب محوَّل [ـ محلة غربي(٢) بغداد ـ فنُسبَ إليها، وقد ذكره الخطيب، وأثنى عليه، قال:] وكان [أبو جعفر المحوليُّ] يقول: حرامٌ على قلبٍ مأسورٍ بحبِّ الدنيا أن يسكنَه الورع، وحرامٌ على نفسٍ مَغْرَمةٍ برياء الناس(٣) أن تذوقَ حلاوة الآخرة، وحرامٌ على كلِّ عالمٍ لم يعمل بعلمه أن يتَّخذه المتقون إماماً.

وأقام أبو جعفر ستين سنةً يصومُ النهارَ ويقومُ الليل ويتقوَّتُ كلَّ ليلةٍ برغيفٍ من الشعير وملحٍ جريش، وكان لا يقبلُ برَّ أحدٍ، وتوفي بباب محوَّل رحمة الله عليه [في هذه السنة، والحمد لله وحده.](٤)



(١) في (خ) و(ف): المخول. والمثبت من (ب). والمُحوَّلي، بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الواو المفتوحة، هذه النسبة إلى المحوَّل، وهي قرية على فرسخين من بغداد، وهي إحدى متنزهاتها، وباب المحول باب يخرج القاصد منه إلى المحوَّل. انظر الأنساب ١١/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) رسمها في (ب): عر من. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) في النسخ: مضرمة، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٥٩٢: وحرام على نفس عليها ربانية الناس. وفي المنتظم ١١/ ٧٢: عليها زبانية الناس، وفي صفة الصفوة ٢/ ٣٩٠: عليها رئاسة الناس. والمثبت من النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٦.

(٤) ما سلف بين حاصرتين من (ب).

السنة الثانية والعشرون بعد المئتين

فيها أمدَّ المعتصمُ الأفشين بالأموال؛ سيَّر إليه مع إيتاخ وجعفر بن دينار بثلاثين ألف ألف درهم نفقات الجند، وبلغَ بابك، فأرسل قائداً من قوَّاده إلى أصحاب الأفشين، فواقعهم، واسم القائد آذين، وكان شجاعاً، لمَّا عزم على المسير إلى لقاء أصحاب الأفشين ترك عياله وأهله وأمواله على رأس جبلٍ حصين، فقال له بابك: أَدْخِلْهُم الحصنَ، فقال: لا أكونُ مثل هؤلاء اليهود ـ يعني المسلمين ـ يقاتلونَ من وراء الحصون والخنادق.

وسار أصحاب الأفشين إلى كَلان رُوذ[1] ومقدَّمهم أبو سعيد، وأردفه الأفشين بجماعة، فبعث أبو سعيد جماعةً من وراء الجبل الذي عليه عيال آذين من مضيقٍ هناك، فأخذ بعض العيال وعطف عليهم آذين، فقاتلَهم فظهرُوا عليه، فأخذوا بعضَ العيال، ورجعوا إلى الأفشين[2].

وفيها فتحت البذُّ مدينة بابك في يوم الجمعة لعشرٍ بقين من شهر رمضان، وسياق الحديث أنَّ الأفشين كان يدنو منها قليلاً قليلاً، فضجَّ الناس من التعب وقالوا: كم نقعد هاهنا، وبيننا وبين العدوِّ مسافةٌ يسيرةٌ؟ وكان بينهم أربعة فراسخ، وقالوا للأفشين: قد استحينا من الناس، فأقدم بنا، فإمَّا لنا وإمَّا علينا. فسار إلى الجبال التي فيها البذّ، فأحدقَ بها، ورتَّب العساكر والرجَّالة، وأنفق الأموال، وفرَّق العُدد، وصيَّر العساكر كراديس كراديس، وأتاه رسولُ بابك ومعه قثاء وبطيخ وخيار، يخبره أنَّه في خفض عيش، وأنَّ الأفشين وأصحابه في أضيق[3] عيش، فقال للرسول: قد عرفتُ قصدَه، ولكن[4] الأفشين قد حفر ثلاثَ خنادق، وأقامَ عليها الرجال بالعُدَد خوفاً من البيات، فدارَ الرسول على العساكر فشاهدَ شيئاً لم ير مثلَه قط، فعاد فأخبر بابك.

(١) معناه: النهر الكبير، وهو بأذربيجان قريب من البذّ. معجم البلدان ٤/ ٤٧٥.
(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٢٩-٣٠.
(٣) في (ف): ضيق.
(٤) كذا، ولعلها: وكان.

ثمَّ إنَّ الأفشين سار بجنوده والرَّجَّالة فأحدقوا بمدينة بابك، فأرسلَ يطلبُ الأمان من المعتصم على نفسه وعياله، فأرسلَ الأفشين إلى المعتصم بخبره، والقتال يعملُ بينهم إلى عاشر رمضان، فهجمَ المسلمون مدينةَ بابك، فأحرقوا وقتلوا وسبوا، وأفلت بابك في نفرٍ يسيرٍ إلى غيضةٍ هناك، فاختفى بها، وجاء كتاب المعتصم بأمانه، وكان قد أسر الأفشين ولدَ بابك وأصحابه، فقال لهم: هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين لبابك، فليذهب بالأمان منكم رجلان، وكتب معهما ولد بابك يقول له: صِرْ إلى الأمان فهو خيرٌ لك، فلمَّا وصلا إلى بابك قتل أحدهما، وقال للآخر: اذهب إلى ابن الفاعلة ـ يعني ابنه ـ وقل له: لو كنت ابني للحقتَ بي.

ثمَّ خرق الأمان، وخرج من ذلك المكان، وطلع إلى الجبل يطلب طريقاً يعرفها ليهرب، وقد أقام له الأفشين الكمناء، فأفلتَ إلى جبال إرمينية، فالتقاه رجلٌ أرمنيٌّ، يقال له: سهل البطريق[1]، فقال له: الطلبُ وراءك، فانزل حتى يسكنَ الطلب، فنزل عنده، وبعثَ الأرمنيُّ إلى الأفشين فأعلمه، وقال: أبكروا علينا، وقال لبابك: هذا مكانٌ معمورٌ، فاركب بنا غداة غدٍ نتنزَّهُ في هذا الوادي، فركب وجاء أصحاب الأفشين فأخذوه ـ وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيًّا ألفي ألف درهم، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم ـ وأُخِذ بابك وأخوه أسيرين، فأتي بهما إلى الأفشين، فطيفا في البذّ حتى رأيا القتلى والحريق والهدم، وقد مثلوا بقصورهم.

وفي روايةٍ أنَّ بابك لمَّا رأى عسكر الأفشين قد ظهر على البذّ، خرج في جماعةٍ من أصحابه يسأل عن الأفشين، وأُخبر الأفشين، فركب ودنا منه، فقال له بابك: أريدُ الأمان من أمير المؤمنين، فقال له الأفشين: قد عرضتُ هذا عليك غيرَ مرَّة، وهو لك منِّي متى شئت، فقال: قد شئت الآن، على أن تُأَجِّلني أجلاً أحمل فيه عيالي وأتجهز، فقال له الأفشين: قد نصحتُك غير مرَّة، وخروجك اليوم خيرٌ من خروجك في غد، فقال: قد قبلت ذلك أيُّها الأمير، وأنا على ذلك، فقال له الأفشين: فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك، قال: نعم، أمَّا فلانٌ وفلانٌ فإنَّهم على ذلك الجبل، فمرْ أصحابَك بأن يوقفوا.

(١) في (خ) و(ف): فقال له: سهل الطريق، وهو تحريف. والتصويب من المنتظم ١١/ ٧٤.

فجاء رسول الأفشين ليردَّ الناس، فوجد أعلام المسلمين[١] قد دخلت البلد وصعدتْ على قصورِ البلد، وكانت أربعة قصورٍ فيها ستُّ مئة رجل، فخرجُوا فقاتلوا أصحابَ الأفشين، واشتغل أصحاب الأفشين بالحرب، ومرَّ بابك حتى دخل وادياً في مضيق، وقاتل أصحاب الأفشين، ونصب السلالم على القصور وأحرقوها، وقتلوا ستَّ مئةٍ عن آخرهم، وأخذ الأفشين إلى خندقه، وصعد أصحابُ بابك من الوادي في الليل، وأخذوا من الزاد ما أمكنهم حملُه ومن الأموال، وعادَ الأفشين من الغد إلى البذّ، تمّم خرابَه وحريقَه ونهبَه، وأفلت بابك إلى إرمينية، فكتبَ الأفشين إلى ملوكها يأمرُهم بحفظ الطرقات والحوطة على بابك، فإنَّه اختفى في وادٍ كثير الشجر، وأطاف العسكر به ووقفوا على المضائق، وورد في تلك الحال كتابُ المعتصم، مكتوب بالذهب، وفيه أمان بابك، وبعث به الأفشين إليه، فقتل أحد الرجلين، وشتم ابنه على ما ذكرنا، وقال للرسول الآخر[٢]: يا ابن الفاعلة، ما أنت بابني، لو كنت ابني لعشتَ يوماً واحداً رئيساً خير من أن تعيش أربعين سنةً عبداً ذليلاً.

ثم ارتحل عن طريقٍ لا تعرف، فصار إلى جبال إرمينية ومعه نفرٌ يسيرٌ، فجاع وكان ملوك إرمينية قد أنذروا به، فبينما هو يسير إذا بحرَّاث يحرث في بعض الأودية، فقال لغلامه: خذ دراهم ودنانير وانزل إلى هذا المكان، فإن كان عنده خبزٌ فاشترِ منه، فنزل الغلام إليه، وأعطاه الدنانير، وطلب منه خبزاً، وكان للحرَّاث شريكٌ واقفٌ من بعيد ينظر ما يجري بينهما، وكان على المسلحة في تلك الطريق رجلٌ أرمنيٌّ يقال له: سهل ابن سنباط، فجاء شريكُ الحرَّاث فأخبره بالخبر، فجاء سهلٌ إلى الغلام فقال: ما أنت، فأخبره، فقال: وأين مولاك؟ فأشار إليه فصعد سهلٌ إلى الجبل، فرأى بابك فعرفه، فنزل وقبَّل يده، وقال: يا مولاي إلى أين تريد؟ فسمَّى مكاناً، فقال: انزل عندي في صحبي حتى ترى رأيك، فأنا عبدُك ولا بأس عليك، وكلُّ من هاهنا من البطارقة عبيدُك، وقد صار لك منهم أولاد.

وكان بابك إذا عَلِم أنَّ عند بعض البطارقة ابنةً جميلةً أو أختاً بعثَ إليه وطلبها منه،

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٤: أعلام الفراغنة.

(٢) يعني أمره بابك أن يقول لابنه.

فإن بعث بها إليه وإلَّا قتله وأخذَها.[١]

وكان قد أضرَّ ببابك الجهد والجوع، فأقام، وأرسل سهل إلى الأفشين، فأرسلَ جماعةً، فأخذوا بابك من الوادي كما ذكرنا، فحبسه وأخاه، وكتب إلى المعتصم بخبره، فأمره أن يقدم به إلى بغداد.

وحجَّ بالناس محمد بن داود.

ووَصل المعتصمُ سهلَ بن سنباط النصرانيّ بألفي ألف درهمٍ، ووهب له جوهراً كثيراً، وأطلق له خراجَ عشرين سنة.[٢]

وفيها توفي

أحمد بن الحجاج

الشيبانيّ، ثم الذهليّ، كان عالماً فاضلاً، قدم بغداد وحدَّث بها عن عبد الله بن المبارك وغيره، ورَوى عنه البخاريُّ، وكان الإمامُ أحمد رحمه الله يثني عليه[٣].



(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٨: بيته وأخذها.

(٢) أحداث هذه السنة في (ب) مختصرةٌ جداً، وهذا نصها
السنة الثانية والعشرون بعد المئتين
وفيها فتحت البذُّ مدينة بابك يوم الجمعة لعشر مضين (كذا) من شهر رمضان. وحج بالناس محمَّد بن داود.
فصل: وقال الصوليُّ: وصلَ المعتصمُ لسهل بن سنباط النصراني بألفي ألف درهم، ووهب له جوهراً كثيراً وطلق (كذا) له خراج عشرين سنة.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٨٧، وتهذيب الكمال ١/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٠٦. ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

السنة الثالثة والعشرون بعد المئتين

وفيها قدم الأفشين ببابك وأخيه سرَّ من رأى على المعتصم في ليلة الخميس لثلاثٍ خلون من صفر، وكان المعتصمُ يبعث إلى الأفشين منذ فصلَ عن برزند إلى سامراء كلَّ يومٍ بفرسٍ وخلعةٍ، ولعناية المعتصم بأمرِ بابك رتَّب البريد من سُرَّ من رأى إلى الأفشين، فكان الخبرُ يصلُ إليه في كلِّ[(١)] أربعة أيامٍ وأقلّ، وكانت خيلُ البريد تركض ركضاً، ولما وصل الأفشين إلى سُرَّ من رأى ببابك أنزله في قصره بالمَطِيرة، فلمَّا كان في جوف الليل جاء ابن أبي دؤاد متنكِّراً فأبصره، ثمَّ رجع إلى المعتصم فأخبره، فلم يصبر المعتصم حتى ركب في الليل ودخل عليه متنكِّراً، فرآه وتأمَّله، وبابك لا يعرفه، وسنذكر مقتله في موضعه.[(٢)]

وفيها غزا المعتصمُ بلاد الروم وفَتَحَ عَمُّورِية، وسببه[(٣)] أن الأفشين لمَّا ضيَّق على بابك كتب إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل بن جورجس يقول له: ما يقعدكَ عن ملك العرب وعن البلاد؟ وقد وجَّه إلى جميع عساكره ومقاتلته ومواليه وخواصِّه، حتى قد بعث إليَّ بخيَّاطه جعفر بن دينار، وطبَّاخِه يعني إيتاخ، ولم يُبْقِ على بابه أحداً، فاخرجْ، فليس في وجهك من يمنعك.

وكان مقصود بابك أن يتحرَّك ملكُ الروم فينكشف عنه بعضُ ما هو فيه برجوع بعضِ العساكر عنه.

فخرج توفيل في مئة ألف من المقاتلة وغيرهم، فأناخ على زِبَطْرة، فأوقع على أهلها فأسرهم وخرَّبها، ومضَى إلى مَلَطْية، فأغار على أهلها وعلى الحصون، وسبَى من المسلمات أكثرَ من ألف امرأة، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم وقطَّع آذانهم وآنافهم، وبلغ النفيرُ إلى سامرَّاء، ونفرَ أهلُ الجزيرة والشام، وَبلغ الخبرُ

---

(١) بعدها في (خ) و(ف): يوم. وهي مقحمة، انظر تاريخ الطبري ٩/ ٥٢، والمنتظم ١١/ ٧٦.

(٢) من قوله: وفيها قدم الأفشين... إلى هنا. ليس في (ب).

(٣) من هنا إلى قوله: جاء المعتصم فدار حولها. ليس في (ب).

إلى المعتصم وهو في قصره بسامرَّاء، فقام من وقته، فركبَ فرسه، وسمَّط خلفه خُرْجه وسكَّة حديد، ولم يستقم له أن يخرج إلَّا بعد التعبئة[١]، فجلسَ في قصره واستدعى القضاةَ والعدول من أهل بغداد، فجاؤوا، وكان القاضي عبد الرَّحمن إسحاق وشعيب ابني سهل[٢]، ومعهما ثلاث مئة وثلاثة وعشرون[٣] رجلاً من أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من الضِّياع، فجعل ثلثاً لولده، وثلثاً لمواليه، وثلثاً في سبيل الله.

ثمَّ عسكر بغربي دجلة، وبعث في مقدمته عُجيف بن عنبسة، وعمراً الفرغاني، ومحمَّد كوتة، وجماعةً من القواد، فساروا إلى زِبَطْرة، فوجدوا توفيل قد رجع إلى القسطنطينية، فقال المعتصم: أيُّ بلاد الروم أمنع وأحصن؟ قالوا: عَمُّورية، ولم يعرض لها أحدٌ من المسلمين من أول الإسلام، وهي عينُ النصرانيَّة، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية، فسار المعتصم في العساكر إليها في هذه السنة بعدما قتل بابك، وقيل: في سنة أربع وعشرين ومئتين، فيقال: إنَّه تجهَّز جهازاً لم يتجهزهُ خليفةٌ قبلَه من السلاح والعدَّة والآلة والخيل والدوابّ والقِرَب والحديد والنِّفط وغيره، وجعل على مقدمته أشناس، ويتلوه محمَّد بن إبراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله، وعلى القلب عُجيف، وقدَّم الأفشينَ بين يديه بالدخول من درب الحَدَث، وسمَّى له يوماً بعينه أن يكون دخوله فيه، وكذا أشار إلى أشناس، وأمر المعتصمُ أشناس أن يدخل من درب طرسوس، ويوافيه بالصفصاف.

وكان شخوصُ أشناس يوم الأربعاء لثمانٍ بقينَ من رجب، وبعث المعتصم وصيفاً في إثر أشناس على مقدماته، ورحل[٤] المعتصم يوم الجمعة لستٍّ بقين من رجب، ثمَّ كتب إلى أشناس بمرج الأُسْقُف على[٥] الأثقال والزاد والمجانيق، وأخبره أن توفيل

---

(١) في (خ) و(ف) : البيعة. وهو تصحيف. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٥٦ والكامل لابن الأثير ٦/ ٤٨٠.

(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٥٦ : عبد الرَّحمن بن إسحاق وشعيب بن سهل.
وفي الكامل ٦/ ٤٨٠ وشعبة بن سهل.

(٣) في تاريخ الطبري والكامل: وثمانية وعشرون.

(٤) في (خ) و(ف) : ودخل. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ٥٨ ، والمنتظم ١١/ ٨٠ .

(٥) كذا وقعت العبارة في (خ) و(ف) ، ووضع فوقها في (خ) : كذا.
وتمامها: ثم كتب إلى أشناس بمرج الأسقف أن ينتظر موافاة الساقة لأن فيها الأثقال...
انظر تاريخ الطبري ٩/ ٥٨ .

يريدُه، فأقام أشناس بمرج الأُسقُف، وبعثَ عمرو الفرغانيّ بين يديه يكشفُ له خبر ملك الروم، فكشفه، فأخبروه[١] أنَّ الملك مقيمٌ ينتظر عبورَ المعتصم أو مواقعةَ الأفشين، يعرِّفه أنَّ ملك الروم يريده، ودفع للرسول عشرةَ آلاف درهم، وبعث رسلاً عدَّة، فلم يلحق الأفشينَ أحدٌ منهم[٢]، وكان قد أوغلَ في بلاد الروم، وسار المعتصمُ إلى أشناس، فلحق الأثقال، وأمر أشناس أن يتقدَّمه بمرحلةٍ، ولم يقف المعتصمُ للأفشين على خبرٍ حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل، فضاقَ عسكرُ المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعلف.

وكان أشناس قد أَسَرَ في طريقه عدَّة، فأمر بهم فضُرِبَت أعناقهم، وفيهم شيخٌ كبيرٌ، فأمر بقتله، فقال: ما تنتفع بقتلي وأنتم في هذا الضيق من قلَّة الماء والزاد؟! وهاهنا قومٌ من أنقرة بالقرب منَّا قد هربوا خوفاً منكم، ومعهم من الزاد والميرة شيءٌ كثيرٌ، فوجِّه معي قوماً لأدفعهم إليهم، وخلِّ سبيلي[٣]، وجهَّز معه خمس مئة فارس، وقال للقائد: متى أوقعَكُم على القوم فأطلِق سبيلَه، فسار بهم الشيخ إلى أوَّل الليل، فأوردَهم وادياً كثيرَ الماء والحشيش، فنزلُوا، ورعوا دوابّهم، وسقوا وشربوا، وسار بهم حتى أوقعهم على أهل أنقرة، فقاتلوهم وأسروا منهم عدَّةً بهم جراحات، فقالوا: ما هذه؟ قالوا: كنا في وقعة الملك مع الأفشين، فقالوا: حدِّثونا بالقصة، فقالوا: كان الملك معسكراً على أربعة فراسخ من مكانٍ يقال له: اللامِس، وأُخبِر أنَّ عسكراً قد دخل من ناحية الأرمنياق، فاستخلفَ الملك على عسكره رجلاً من أهل بيته، وأمره بالمقام في موضعه، فإن وَردت عليه مقدمةُ ملك العرب واقعَهم إلى أنْ يذهب الملك فيواقع العسكرُ العسكرَ الذي دخل من ناحية الأرمنياق ـ يعني عسكر الأفشين ـ فقال أميرهم: نعم، وكنت ممَّن سارَ مع الملك، فواقعناهم صلاةَ الغداة، فهزمناهم وقتلنا رجَّالهم، وتقطَّعت عساكرنا في طلبهم، فلمَّا كان الظهر رجعَ فرسانُهم فقاتلُوا قتالاً عظيماً حتى خرقوا عسكرنا واختلطنا بهم، فلم ندرِ في أيِّ كردوسٍ الملك، فلم نزل كذلك إلى وقت

---

(١) أي: أخبره الأسرى الذين قبض عليهم.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٥٨-٥٩ فسياق الخبر فيه أتمُّ وأوضح.

(٣) في (خ): فخلى سبيله. وفي (ف): فخلي سبيلي. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٦٠، والكامل ٦/ ٤٨٢.

العصر، ثمَّ رجعنا إلى موضع العسكر الذي كان على اللامِس مع الذي خلَّفه الملكُ على عسكره، فوجدنا العسكرَ قد انتقض عنه وانصرفوا وتركوه، فأقمنا ليلتنا، فلمَّا كان من الغد وافانا الملكُ في جماعةٍ يسيرةٍ، فوجَد عسكره قد اختلَّ، فضربَ عُنق الذي استخلفه، وقال: أسأتَ التدبير، وكتبَ إلى المدن والحصون يأمرهم أن يردُّوا الناسَ إلى عسكره، ووجَّه خصيًّا[1] إلى أنقرة يقيمُ بها، ويحفظُ أهلها إن نزلَ بهم ملكُ العرب.

قال: فأطلقوا الشيخَ الأسير، ورجعوا بالغنائم والعلوفات والأسارى إلى أشناس، فأخبروه الخبر، ولحقَه المعتصمُ من الغد، فأخبرَه خبرَ الأفشين، فسُرَّ بذلك، وجاءت البشائرُ من الأفشين بعد ثلاثة أيام يخبره بذلك، وأنَّه يوافي المعتصم في أنقرة[2]، وساروا يقتلُون ويأسرون حتى توافت العساكرُ بعموريَّة، فكان أول من وردها أشناس يوم الخميس ضحًى، فدارَ حولها، ثم نزل على ميلينِ منها.

ثم جاء[3] المعتصم فدارَ حولها، وكذا الأفشين، ثمَّ قسَّم المعتصمُ أبراجها على القواد على مقدار رجالهم، وتحصَّن أهل عَمُّورية[4]، ونزل إلى المعتصم رجلٌ أسيرٌ كان قد تنصَّر، وأقام عندهم أياماً، فدلَّه[5] على عورة البلد، وأنَّ المكان الفلانيَّ مبنيٌّ بالحجارة من خارج ومن داخل حشو، فنقل المعتصم مضربه إلى قبالته، ونصب عليه المجانيق، وألقى عليه أهلُ عمورية البراذع والخشب، وألحَّت عليه المجانيق فانصدع السور، وطمَّ الخنادقَ، وزحف بالدبابات والسلالم، وقاتلها أيَّاماً، ففتحها عَنْوة، وأقبلَ الناس بالأسرى والغنائم من كل وجهٍ حتى امتلأ العسكر، [وبيعت الغنائم في خمسة أيام، وأحرق الباقي][6].

---

(١) في (خ) و(ف): جيشاً. وهو تصحيف. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٦٢. والعبارة فيه: ووجَّه خادماً له خصيًّا. وانظر الكامل ٦/ ٤٨٣.

(٢) في (خ) و(ف): القلب. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٦٢، والكامل ٦/ ٤٨٤.

(٣) من قوله: وسببه أن الأفشين لما ضيَّق ... إلى هنا ليس في (ب).

(٤) في (خ) و(ف): وتحصين أهلها، والمثبت من (ب).

(٥) في (ب): فدلهم.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

وانصرفَ المعتصم يريد الثغور؛ لأنَّه بلغه أنَّ ملك الروم يريده، وأنه[١] جمع جمعاً عظيماً، فخرج المعتصمُ على الجادَّة، وعطش القوم، فقتل ستة آلاف أسير[٢] بمكان يقال له وادي الحور[٣].

ووصل [المعتصم] إلى طرسوس، وكان [المعتصم] قد أناخ على عَمُّورية يوم الخميس لستٍ خلون من رمضان، وقفل عنها بعد خمسة وخمسين يوماً.

[وكان من القواد قد اتفقوا على الوثوب بالمعتصم في هذه السفرة، ويولون العباس ابن المأمون، وسنذكره.]

وقال الصوليُّ: قتل المعتصم ثلاثين ألفاً من الروم، وسبَى مثلهم، وكان في سبيه ستون بطريقاً، وطرَحَ النار في جوانب عَمُّورية فأحرقها، وجاء ببابين إلى العراق في الفرات، فغرقَ واحدٌ، ووصلَ الآخرُ إلى بغداد، وهو الباب الذي على دار الخليفة بالرحبة المجاور للجامع، ويسمى باب العامَّة، [وقد أشار إلى هذا الخطيب أيضاً[٤]، وذكر البابين.

وقال الصوليُّ: حدثنا الغلابي، حدثني] يعقوب بن جعفر بن سليمان قال[٥]: غزوتُ مع المعتصم عموريَّة، فاحتاج الناس إلى الماء، فمدَّ لهم[٦] المعتصم حياضاً من أدَمٍ عشرة أميال، وساق الماء فيها إلى سور عموريَّة، وكان رجلٌ من الروم يقوم كلَّ يومٍ على السور ويشتمُ النبيَّ ﷺ بالعربيَّة باسمه ونسبه، فاشتدَّ ذلك على المسلمين، ولم يكن يصل إليه النشاب، [قال يعقوب:][٧] وكنت أرمي رمياً جيداً، فاعتمدته بنشابة، فأصابت نحره، فهوى[٨]، وكبَّر المسلمون، وسُرَّ المعتصم وقال: عليَّ بالذي رماه،

(١) في (خ) و(ف): وقد. والمثبت من (ب).
(٢) انظر خبر الأسرى وأسباب قتلهم في تاريخ الطبري ٩/ ٦٩-٧٠.
(٣) في (ب): الحرور. وفي تاريخ الطبري ٩/ ٦٩: الجور.
(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٥٥٠.
(٥) في (خ) و(ف): وقال يعقوب بن جعفر بن سليمان. وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ) و(ف): فمدهم. والمثبت من (ب).
(٧) ما بين حاصرتين من (ب).
(٨) بعدها في (خ) فلا شلت يَدَيْ المذكور في الكلب الملعون.

فأُدخلت عليه، [فقال: من أنت؟ فانتسبت][١] له، فقال: الحمد لله الذي جعلَ ثوابَ هذا السهم لرجلٍ من أهلي، ثم قال: بعني هذا الثواب، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس الثَّوابُ ممَّا يُباع، قال: فإنِّي أرغِّبُك، فأعطاني مئة ألف درهم، فقلت: لا أبيعُ ثوابي، فبلغها إلى خمس مئة ألف درهم، فقلت: [ما أبيعه][٢] بالدنيا وما فيها، ولكن قد جعلتُ لك نصفَ ثوابه، والله يشهد عليَّ بذلك، فقال: جزاك الله خيراً، قد رضيت [بهذا]، ثمَّ قال: فأين تعلَّمتَ الرمي؟ قلت: بالبصرة في داري، فقال: بِعْنِيهَا، فقلت: [هي] وقف على من يتعلَّم الرمي، فوصلني بمئة ألف درهم[٣].

وقال الصوليّ: لمَّا فعل توفيل بالمسلمين ما فعل شقَّ [ذلك] على المعتصم، فوقف أمواله وعقاره على ولده والفقراء والمساكين، وأقسم أنَّه لا يرجع عن الروم حتى يفعلَ ما لم يفعله خليفةٌ، وسار في جيوشٍ لم يقدر أحدٌ على جمعها، ويقال: إنَّه كان في خيله ثمانونَ ألف أبلق وثمانونَ ألف أدهم، فلمَّا فتح عَمُّورية قتل من أهلها ستين ألفاً.

[قال: وسببُ فتوحها أنَّ برجاً كان قد انهدمَ منها، فبنوه على غير أساس، ونزلَ إليه أسيرٌ فتدلَّى بحبل، فأخبره خبره، فهدمَه بالمجانيق.

وقال الخطيب: عن يحيى بن أكثم قال:][٤] كنتُ مع المعتصم[٥] في بلاد الروم، فمررنا براهبٍ في صومعته، فقلت: يا راهب، أترى هذا الملك يدخلُ عمورية، قال: لا، إنَّما يدخلها ملكٌ أكثر أصحابه أولاد زنا، فلمَّا دخل المعتصمُ الروم أخبرتُه، فقال: أنا والله صاحبها؛ لأنَّ أكثر جندي أتراك وأعاجم، ففتحَها.

حديث العلويَّة:

[روى لنا أشياخنا أنَّه] كان في السبايا التي سباها توفيل من زِبَطْرة امرأةٌ شريفةٌ، فأخذها بطريقٌ [من] أهل عَمُّورية فعذَّبها[٦] حتى تتنصر، فصاحت: وامعتصماه، فقال

(١) في (خ) و(ف): وانتسبت. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ) و(ف): لا أبيع ثوابي. والمثبت من (ب).
(٣) المنتظم ١١/ ٨٣. وما سلف بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال يحيى بن أكثم.
(٥) في (خ) و(ف) و(ب): المأمون. وهو خطأ. والتصويب من تاريخ بغداد ٤/ ٥٥٠.
(٦) في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منه ـ: يعذبها.

لها البطريق: إيش يعمل بي، يقفز عليَّ بالأبلق. وبلغ المعتصم، فلمَّا فتح عَمُّورية لم يكن له همٌّ سواها، وطلبها فحضرت، وأحضرَ البطريق، وقال لها: نادي كما ناديت، فقالت: وامعتصماه، فقال: لبيكاه، ومدَّ البطريق وقفزَ عليه بسبعين ألف أبلق.

[وقال الخطيب: لمَّا تجهَّز المعتصمُ][(١)] لفتح عَمُّورية حكم المنجِّمون أنَّه لا يعود من غَزاته، وإن عاد كان معلولاً[(٢)] خائباً، فكان من ذلك الفتح العظيم ما لم يكن في الحساب، فقال أبو تمام: [من البسيط]

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الصدق والكذبِ[(٣)]

[ومعناه: السيف أصدق أخباراً من كتب المنجمين وكذبهم.][(٤)]

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائفِ في ... مُتونهنَّ جلاءُ الشكِّ والريبِ
والعلمُ في شُهُبِ الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة[(٥)] الشهب
أين الروايةُ أم أين النجوم وما ... صاغُوه من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ
تخرُّصاً وأحاديثاً مُلفَّقةً ... ليستْ بنبعٍ إذا عُدَّت ولا غربِ
عجائباً زعموا الأيام مجفلةً[(٦)] ... عنهنَّ في صفرِ الأصفارِ أو رجبِ
وخاوفوا[(٧)] الناس من دَهياء مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذنبِ
وصيَّروا الأبرجَ العليا مُرتَّبةً ... ما كان منقلِباً أو غيرَ منقلِبِ
يَقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ[(٨)] ... ما كان في فلكٍ منها وفي قُطُبِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وكان المعتصم لما تجهّز.
(٢) في (ف): مغلوباً.
(٣) في ديوان أبي تمام: بين الجدِّ واللعب.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وليس فيها من القصيدة إلا بيتها الأول.
(٥) في (خ) و(ف): جامعة. بدل: لامعة، و: الحبيسين بدل: الخميسين. و: التسعة. بدل: السبعة. وكله تصحيف، والتصويب من الديوان.
(٦) في (خ) و(ف): تجعله. وهو تصحيف. قال التبريزي في شرحه على الديوان ١/ ٤٣: ويروى: مجفلة ومجلية، والأصلان مختلفان ولكن المعنيين يتقاربان، تقول: أجفلت الحمر والنعام إذا أحسَّت بأمرٍ يَذعرها، فهربت منه بعجلة ورعب، ويقال: أجلى القومُ عن القتيل إذا انكشفوا عنه...
(٧) في الديوان: وخوفوا.
(٨) في (خ) و(ف): فاعلة. وهو خطأ، والصواب من الديوان.

لو بَيَّنت قطُّ أمراً قبل موقعِهِ — لم تخفِ ما حلَّ بالأوثانِ والصُّلُبِ
يا يومَ وقعةِ عَمُّوريةَ انصرفَتْ — عنك المُنَى حُفَّلاً معسولة الحَلَبِ
فَتحَ الفتوحِ تعالى أنْ يحيطَ به — نَظْمٌ من الشِّعرِ أو نَثْرٌ من الخُطَبِ

من أبيات، وهي نيفٌ وسبعون بيتاً[١]

وقال محمد بن عبد الملك الزيات: [من المتقارب]

أقام الإمامُ منارَ الهُدى — وأخرسَ ناقوسَ عَمُّوريهْ
فقد أصبحَ الدينُ مستوثقاً — وأضحت[٢] زنادُ الهدى موريهْ

وقال يحيى بن أكثم: لمَّا التقى الأفشين وقتل بطارقته فقال له ابن عم توفيل: يا أفشين، بالأمس قتلت بابك واليوم تأخذُ ملكَ الروم، أما تعرف نفاسةَ بني هاشم، والله لا تركوك بعدها، فأطلقه[٣].

وقيل: لم يأخذه، وإنَّما كان قادراً على أخذه، فلمَّا قال له ابن عمه ما قال: أعرض عنه.

وفي وقعة الأفشين مع توفيل يقول الحسين بن الضحاك[٤] أبيات: [من الرمل]

إنَّما الأفشينُ سيفٌ قاطعٌ — سلَّه الله بكفِّ المعتصمْ
كلُّ مجدٍ دون ما أثَّله — لبني كاوسَ أملاكِ العجمْ
لم يدع بالبذِّ من ساكنةٍ — غير أمثالٍ لعادٍ وإرمْ[٥]
وقَرَا تَوفيل طعناً صادقاً — فضَّ جمعته[٦] جميعاً وهَزَمْ
قَتَلَ الأكثرَ منهم ونجا — من نجا منهم على ظهر وخمْ[٧]

(١) انظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١/ ٤٠-٤٦، وقوله: فتحُ الفتوح يصح الفتح والضم.
(٢) في (خ) و(ف): وأصبح. والمثبت من المنتظم ١١/ ٨٤، والبدء والتاريخ ٦/ ١١٩، والبيتان في الأخير دون نسبة.
(٣) كذا، ولم أقف على هذا الخبر.
(٤) في (خ) و(ف): النحال. وهو تصحيف.
(٥) في تاريخ الطبري ـ والأبيات فيه ٩/ ٧٠-٧١: غير أمثال كأمثال إرم.
(٦) في تاريخ الطبري: جمعه.
(٧) في تاريخ الطبري: وضم.

وفي هذه الغزاة اتَّفقَ العباسُ بن المأمون مع جماعةٍ على الفتك بالمعتصم، وكان السبب في ذلك أنَّ المعتصمَ لمَّا بعث عُجيف بن عنبسة ومحمد بن كوتة وعمرو الفرغاني إلى زِبَطْرة ليدفعوا ملك الروم عنها، لم يطلق يدَ عُجيف في النفقات كما أطلقَ يد الأفشين، واستقصرَ المعتصمُ أمر عُجيف، وعرف عُجيف ذلك، فخَلا بالعباس بن المأمون ولامَه على ما فعل عند موت أبيه من ردِّ الخلافة إلى المعتصم، وقال له: استدرك ما كان منك، فقبل العباس ذلك منه، وطمع في الخلافة، ودسَّ رجلاً يُقال له الحارث السَّمرقنديّ، وكان عالماً، فمَشى في القُوَّاد حتى يتابعه جماعةٌ منهم على الفتك بالمعتصم، ووكَّلوا جماعةً من خواصِّ الأفشين بالأفشين، ومن خواصِّ أشناس بأشناس، ومن خاصَّة المعتصم بالمعتصم؛ أنَّهم يبيتونهم فيقتلونهم.

فلمَّا دخل المعتصم الدرب يريد أنقرة وعَمُّورية، ودخل الأفشينُ من ناحية عَمُّورية[1]، أشار عُجيف على العباس أن يثبَ بالمعتصم في الدرب، وهو في قلَّةٍ من الناس، وقد تفرَّقت عنه العساكر، ويرجع إلى بغداد، وأنَّ الناس يفرحون بالانصراف، فأبى العباس عليه، وقال: لا أفسدُ هذه الغزاة.

فلمَّا فتحت عَمُّورية، قال عُجيف للعباس: يا نائم، كم تنام، انتبه، فقد فُتِحت، والناس قد اشتغلوا بها، والرجل وحده، فمُرْ بنهب المتاع، فإذا نُهِبَ خرج، فتأمر بقتله، فأبى العباسُ عليه وقال: حتى نصيرَ إلى الدرب.

وكان عجيف قد أمر من ينهب بعض المتاع، فركب المعتصم وجاء يركض، فسكن الناس، ولم يطلق العباس أحداً من أولئك الرجال الذي كان واعدهم، فلم يُحدِثوا شيئاً بغير أمره.

وكان الخبر قد بلغ عمراً الفرغاني في ذلك اليوم، وله قرابةٌ غلامٌ أمردٌ في خاصَّة المعتصم، فقال الغلام[2] لعمرو: إنَّ أمير المؤمنين اليوم ركب مستعجلاً، وأمرني أن أسلَّ سيفي، ومن استقبلني ضربتُه، فقال له عمرو: أنت غِرٌّ، فإن سمعتَ صيحةً أو

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٧٢: ودخل الأفشين من ناحية ملطية.

(٢) في (ف) و(خ): المعتصم. وفوقها في (خ): كذا، وفي هامشها: لعله: الغلام. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٧١.

سعياً لا تخرج من خيمتك[١]، فعرف الغلام مقالة عمرو.

وارتحل المعتصمُ من عَمُّورية يريد الثغر، وجاء إلى المضيق، فوقف حتى يدخل الناس، ومرض أشناس، فعاده المعتصم، وجاء الأفشين، والتقى بالمعتصم يعود أشناس[٢]، ثمَّ خرج، وجاء عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل إلى عسكر الأفشين، وبلغ أشناس، فأرسل إليهما وقال: ما الذي أتى بكما إلى عسكر غيركما، قالا: نشتري من السبي، فقال: الزما عسكركما ولا تخرجا منه، فاغتمَّا وصارا إلى صاحب الخبر، وقالا: إنَّ أشناس في كل وقتٍ يشتمنا ويتوعدنا، ولا طاقة لنا به، ونحن نسأل أن يضمَّنا أمير المؤمنين إلى من أحبَّ.

وكتب صاحبُ الخبر إلى المعتصم بذلك، فأمر بحبسهما، وبلغه الحديث من أشناس.

ووشى بهم أحمد بن الخليل، فلمَّا جاوزَ المعتصمُ الدربَ دعا بالعباس، فسقاه النبيذ، فسكر، وسأله عن القصَّة واستحلفه أن لا يكتمَه شيئاً، فحكى له القصَّة على وجهها، وسمَّاهم واحداً واحداً، وأنَّ الحارثَ السمرقنديَّ كان يَختلفُ إلى القواد، فطيَّب قلب العباس ومنَّاه، وأوهمَه أنَّه قد صفحَ عنه، وتغدَّى معه، وصرفَه إلى مضربه، ثمَّ دعا الحارثَ السمرقنديَّ فسأله عن الأسباب، فقصَّ عليه القصَّة كما أخبر العباس، فقال له المعتصم: قد رُضْتُكَ على أن تكذب، فأجد السبيلَ إلى سفك دمك، فلم تفعل، فقال: يا أمير المؤمنين، لست بصاحب كذبٍ، فأَطْلَقَهُ وقال: نجَّاك صدقُك.

ثمَّ قيَّد العباس ودفعه إلى الأفشين، وتتبع أولئك القواد، فأُخذوا جميعاً، وكان فيهم الشاه بن سهل[٣] السجستانيّ، فأحضره المعتصم ـ وكان محسناً إليه ـ والعباس حاضر، فقال له المعتصم: يا ابن الزانية، قد أحسنتُ إليك، فلم تشكر إحساني! فقال له: ابن الزانية هذا الذي بين يديك ـ يعني العباس بن المأمون ـ لو مكَّنني منك ما كنت قاعداً في هذا المجلس، فأَمر به المعتصمُ، فضُرِبت عنقه.

(١) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: همتك.
(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ٧٣ أن الأفشين التقى بالمعتصم بعد انصرافه من عيادة أشناس.
(٣) في (خ) و(ف): المشاة بين السهل!

ودفع عُجيف بن عنبسة إلى إيتاخ، فثقَّله بالحديد، وحمله على بغلٍ في محملٍ بغير وطاء.

فأمَّا العباس فكان في يد الأفشين، فلمَّا نزل المعتصم منبج، وكان العباس جائعاً، فقُدِّم إليه طعامٌ كثير، فلمَّا طلب الماء مُنع منه، وأُدرِج في مِسْحٍ، فمات بمنبج.

ولمَّا نزل المعتصم نصيبين نزل ببستانٍ، ودعا صاحبه فقال: احفر لي بئراً قدرَ قامة، ودعا بالفرغانيّ، والمعتصمُ قد شرب أقداحاً، فقال: جَرِّدوه، فجَرَّدوه، وضربه بالسياط حتى مات، وألقاه في البئر، وطمَّ عليه التراب.

وأمَّا عُجيف فإنَّ المعتصم سأل محمَّد بن إبراهيم بن مصعب، وكان في يده، فقال: ما فعل عُجيف؟ فقال: اليوم يموت، فدعاه محمد وقال له: ما تشتهي يا أبا صالح، فقال: أسفيداج وحلواء، فأطعمَه ذلك، وطلبَ الماءَ، فلم يسقه، فمات ودفن بباعَيْناثا.

وقيل: إنه لمَّا مات بباعَيْناثا مات[١] في محملٍ، فطُرِح عند صاحب المسلحة، وأمروه بدفنه، فجاء به إلى جانب حائطٍ خربٍ، فطرحه عليه، فقبره هناك[٢].

[ومن العجائب ما حكاه القاضي التنوخيُّ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة» عن كاتب كان لعُجيف يتولّى ضياعَه، قال: فرفع][٣] إليه أنَّني قد ختنته، فبعثَ إليَّ مَن قيَّدني، وحُمِلتُ إليه، فأمر بالسياط فأُحضِرَت، وقال: أخربتَ ضياعي وأخذتَ مالي، والله لأقتلنَّك، فبلتُ في ثيابي وعلى ساقي، وقال له بعضُ كتَّابه: أيُّها الأمير، أنتَ مشغولٌ في هذا الوقت بالغزاة[٤]، وضَربُ هذا ما يفوت، والمصلحةُ حبسه حتى تتيقن ما قيل عنه، فحبسني ومضَى مع المعتصم إلى عَمُّورية، وبلغَه أنَّه يريد الفتك به[٥]، فقتلَه بالجزيرة، ثمَّ قدم المعتصمُ بغداد، فأطلقني، وولَّاني ديارَ ربيعة والجزيرة، فخَرجتُ

---

(١) في (خ) و(ف): كان. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٧٧.

(٢) من قوله: وقال محمد بن عبد الملك الزيات... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وقال محمد بن الفضل الجرجاني كاتب عجيف: رفع ... والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٧، والمنتظم ١١/ ٨٥: أنت مشغول القلب بهذا البناء.

(٥) لفظة: به. ليست في (ف). وفي (خ): بي. والمثبت من (ب).

إليها، فنزلتُ بقريةٍ يقال لها باعيناثا أو كراثا، فأخلي لي بها بيتٌ، فخرجتُ وقت السحر أطلب الكنيف، فرأيته ضيِّقاً، فخرجتُ إلى ظاهر القرية، وإذا بتلٍّ فبُلتُ عليه، فقال لي صاحب البيت: هل تدري على أيِّ شيء بُلْتَ؟ قلت: بُلْتُ على تلِّ تراب، فضحك وقال: هذا قبرُ قائدٍ من قوّاد المعتصم يقال له عُجيف، سخط عليه وحمله مقيَّداً، فلمَّا صار هاهنا قتلَه، وطرحه تحت الحائط، فلمَّا انصرف العسكرُ ألقينا عليه الحائطَ خوفاً أن يأكله الكلاب، قال محمد الكاتب: فعجبتُ من بولي خوفاً منه ومن بولي فوق قبره.

[واسم هذا الكاتب محمَّد بن الفضل الجرجاني، ووزر بعد ذلك للمعتصم][(١)].

ثم تتبَّعَ المعتصمُ باقي القواد والفراغنة من الأتراك فقتلَهم، ورُدَّ سالماً غانماً، وسمِّي العباسُ يومئذٍ اللعين.

[وقال الصوليُّ: كان العباسُ فاجراً، حدَّه أبوه المأمون][(٢)] في الخمر مراراً، وفيه يقولُ جعفر بن القاسم: [من الكامل]

أبتِ الخلافةُ أن ينالَ بها ... من حُدَّ في خمارة البردانِ

وقال يحيى بن مروان في العباس وعُجيف: [من الوافر]

ألا يا دولةَ المعصوم[(٣)] دومي ... فإنَّك قلتِ للدنيا استقيمي
هو العباسُ حين أراد غَدْراً ... فوافى إذْ هَوى قَعرَ الجحيمِ
كذاك هَوى كمهواه عُجيفٌ ... فأصبحَ في سواء لظى[(٤)] السمومِ[(٥)]

وفيها دفعَ المعتصمُ خاتمه إلى ابنه هارون، وأقامه مُقام نفسه، واستكتب له سليمان

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ) و(ف): وكان المأمون حدَّ ابنه العباس... والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ) و(ف): المعتصم. والمثبت من الأغاني.
(٤) في (خ) و(ف): لظى سواء. والمثبت من الأغاني.
(٥) من قوله: وقال يحيى. إلى آخر الأبيات ليس في (ب). والخبر ذكره الأصبهاني في الأغاني ١٢/ ٨٤ عن محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحيى قال: حدثني إبراهيم بن الحسن قال: لما كان من أمر العباس ابن المأمون وعُجَيف ما كان، أنشد مروان بن أبي الجنوب المعتصمَ قصيدة... فذكر الأبيات.

ابن محمَّد بن عبد الملك الزيَّات.

وفي شوال زُلزِلَتْ فرغانة، فمات تحت الهدم خمسة عشر ألف[١].

وحجَّ بالناس محمَّد بن داود.

[فصل] وفيها قتل

بابك الخُرَّمي

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء السير:] كان [بابك] من الثنويَّة[٢] على مذهب ماني ومزدك وروسا الباطنيَّة، ويقول بالتناسخ، ويرى تحليل البنات والأمَّهات والأخوات، وليس له أصلٌ يرجع إليه.

[وحكى الطبريُّ] أنَّه[٣] كان ولد زنا، وكانت أمُّه عوراء تعرف برومية العلجة، [ذكر علي بن مرّ عن رجلٍ من الصعاليك أنه كان يقول:][٤] بابك ابني، فقلت له: وكيف، قال: نزلت على أمِّه يوماً وقد طالت غربتي[٥] فواقعتُها، ثمَّ غبتُ عنها، وعدتُ إليها فقالت: حين ملأتَ بطني تركتني، وأذاعت[٦] أنَّه منِّي، فقلت: والله لئن ذكرتيني لأقتلنَّك، [فسكنت][٧].

[وفي روايةٍ عن بعض المؤرخين أنَّ أمَّ بابك][٨] كانت علجةً[٩] فقيرةً من قرى

---

(١) كذا ذكرها في أحداث هذه السنة (٢٢٣هـ) صاحب النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٨، وذكرها ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ٨٨-٨٩ في أحداث سنة ٢٢٤هـ وانظر المدهش ص٧١، وتلقيح فهوم الأثر ص٨٩.

(٢) في (خ) و(ف): وكان من الثنوية. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وقيل إنه...

(٤) في (خ) و(ف): ... العلجة، قال: كان رجلٌ من الصعاليك يقول.
والمثبت بين حاصرتين من (ب). وفيها تقديم وتأخير في سياق القصة، والزيادات الآتية منها.

(٥) في (ب): عزبتي.

(٦) في (ف): وادَّعت، ولم تظهر في مصورة (خ).

(٧) تاريخ الطبري ٩/ ٥٤.

(٨) في (خ) و(ف): وقيل إن أمه ... والمثبت من (ب).

(٩) في مطبوع المنتظم ١١/ ٥١: عجوزاً، وهو تحريف. وفي نسخة كما بهامشه: عوزا.

أذربيجان، فشغفَ بها رجلٌ من النبط من أهل السواد[١]، فواقعها، فحملت به، [وكان اسمُ الرجل عبد الله، فقتلَ وبابك حملٌ، فوضعته، وجعلت][٢] تكتسب له إلى أن بلغ، فاستأجره أهلُ قريته بطعامه وكسوته على رعي أغنامهم، وكان بتلك الجبال قومٌ من الخرَّمية، وعليهم رئيسان، يقال لأحدهما: جاوندان، والآخر: عمران، [وكانا] يتكافحان، فمرَّ جاوندان بقرية بابك، فتفرَّس فيه الجلادة، فاستأجره من أمِّه، وحملَه إلى ناحيته، فعشقته امرأةُ جاوندان، فأفشت إليه أسرارَ زوجها، وأطلعته على دفائنه، فلم يلبث إلَّا قليلاً حتى وقع بين جاوندان و[بين] عمران حربٌ، فأصابت جاوندان جراحةٌ فمات، فزعمتِ امرأتُه أنَّه قد استخلف بابك [على أمره، فصدَّقوها، فجمع] أصحابه، وأمرَهم أن يقتلوا بالليل من لقوا من رجلٍ أو صبيٍّ[٣]، فأصبح الناس قتلى لا يُدرى من قتلهم، ثمَّ انضوى إليه الذُّعَّار[٤] وقطاع الطريق، حتى صار عنده عشرون ألف فارس، وأظهر مذهبَ الباطنيَّة، واحتوى على مدنٍ وحصونٍ، فأخرب الحصون.

ولمَّا ولي المعتصم بعثَ أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل، وأمره أن يبني الحصونَ التي أخربها بابك، فبناها، ثم بعثَ إليه الأفشين، فحصره وقاتله وأسره على ما ذكرنا [وقدم به إلى سُرَّ من رأى، فأتى المعتصم وابن أبي دؤاد إليه ليلاً، فأبصره،] فلمَّا كان [يوم الإثنين أو الخميس] في صفر قعد المعتصم، [واصطف النَّاس من قصر الأفشين في المطيرة إلى باب المطيرة،][٥] وأراد [المعتصم] أن يشهرَه لتراه الناس، فأركبه فيلاً، وألبسه قَباءً من ديباجٍ وقلنسوة سمّور، وهو وحده، وقد خضب الفيل بالحناء، فقال محمَّد بن عبد الملك الزيَّات: [من السريع]

(١) بعدها في (خ) و(ف): اسمه عبد الله.
(٢) في (خ) و(ف): فلما وضعته جعلت...
(٣) في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منه ـ: من امرأة أو صبي. وفي البدء والتاريخ ٦/ ١١٦: فلا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبيًّا ولا طفلاً.
(٤) في (خ) و(ف): الزراع. وفي (ب): الذراع. والمثبت من البدء والتاريخ ٦/ ١١٦.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٥٢، والكامل ٦/ ٤٧٧: واصطف الناس من باب العامَّة إلى المطيرة.

قد خُضِبَ الفيلُ لعاداته[1] يحملُ شيطانَ خراسانِ
والفيلُ لا تخضبُ أعضاؤه إلَّا لذي شأنٍ من الشانِ

وقال المعتصم: [من مجزوء الرمل]

لم يزل بابكُ حتى صارَ للعالم عبرَهْ
ركبَ الفيلَ ومن ير كبُ فيلاً فهو شهرَهْ[2]

وأمر المعتصم جزاراً أن يقطع يديه ورجليه، فقطعت، [ثم قال المعتصم: أحضروا السيَّاف]، وأمر بذبحه وشقِّ بطنه، وبعثَ برأسه إلى خراسان، وصُلِبَ بدنه بسُرَّ من رأى عند العقبة، وموضع خشبته مشهور، وأمر بحمل أخيه عبد الله إلى بغداد مع ابن شروين الطبري[3] إلى إسحاق بن إبراهيم [خليفة المعتصم على بغداد، وأمره أن يفعل به كما فعل بأخيه]، فلما صار به الطبري إلى البردان، نزل به في قصر البردان، فقال عبد الله للطبري[4]: من أنت؟ فقال: ابن شروين ملك طبرستان، فقال: الحمدُ لله الذي وفَّق لي رجلاً من الدهاقين يتولَّى[5] قتلي، فأشار الطبري إلى عبد يقال له: نود نود[6]، وهو الذي قتل بابك، فقال: إنَّما يتولَّى قتلك هذا، فقال له: أنت صاحبي، وهذا عِلْجٌ.

ثمَّ وافى به مدينةَ السلام، ففعلَ به إسحاق كما فعلَ بأخيه، وصُلِب بالجانب الشرقيِّ بين الجسرَين من[7] بغداد.

وكان عبدُ الله أخو بابك أشجعَ منه، فرَوى القاضي عليُّ بن المحسَّن التنوخيُّ عن أبيه أنَّ أخا بابك قال له لما أُدخلا على المعتصم: يا بابك، إنَّك قد عملتَ ما لم يعمله

(١) في (ب)، وتاريخ الطبري ٩/ ٥٣، والكامل ٦/ ٤٧٧: كعاداته، والمثبت من (خ) و(ف)، والوافي بالوفيات ١٠/ ٦٣.
(٢) معجم الشعراء ص٣٦٥، والوافي بالوفيات ١٠/ ٦٣.
(٣) في (خ) و(ف): البطري. وفي الوافي بالوفيات ١٠/ ٦٣: ابن سروين البطريق. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٥٣.
(٤) في (خ) و(ف) و(ب): الطبري ـ وما سلف بين حاصرتين من (ب) ـ وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٥٣.
(٥) في (خ) و(ف): متولى. والمثبت من (ب).
(٦) في (خ) و(ف): بود، وفي (ب): بود يود. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٥٣.
(٧) في (خ) و(ف) و(ب): وبين. والتصويب من تاريخ بغداد ٩/ ٥٤.

أحدٌ، فاصبر صبراً لم يصبره أحدٌ، قال: سترى صبري، فبُدِئ ببابك قبل أخيه، فلمَّا قُطِعت يد بابك مسحَ بها وجهه، فقال المعتصم: سلُوه لم فعل هذا؟ فسألوه، فقال: قولوا للخليفة: إنَّك أمرتَ بقطع يديَّ ورجليَّ، وفي نفسك أنَّك لا تكويها، وتدع دمي ينزف إلى أن أموت أو تضرب عنقي، فخشيتُ إذا خرجَ الدم من جسدي أن يصفرَّ وجهي، فيرى من حضرني أنِّي قد جزعتُ[1] من الموت، فغطَّيتُ وجهي بالدم لهذا، فقال المعتصم: لولا أنَّ أفعاله لا توجب الصنيعة[2] له والعفو عنه، [لكان] حقيقاً بالاستبقاء[3]، ثم ضرب عنقه، وجمع الجميع[4] على بطنه، وصبَّ عليه النفط، وضرب بالنار، وفعل بأخيه مثل ذلك، فما منهما[5] من صاح [ولا تألَّم].

وقال المصنف رحمه الله[6]: قد وهم القاضي التنوخيُّ في ثلاثة مواضع:

أحدها في قوله: إنَّ أخا بابك فعل به المعتصمُ كذلك بحضرته؛ لأنَّ أخا بابك قُتِلَ ببغداد على ما ذكرنا.

والثاني أنَّه قال: أحرِقَا بالنفط، وليس كما قال؛ لأنَّ بابك صُلِب زماناً، وصُلِب الأفشين إلى جانبه، [وغيره لما نذكر].

والثالث أنَّه ذكر هذه الحكاية في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»، وليس فيها ما يدلُّ على ذلك[7].

وكان ظهورُ بابك في سنة إحدى ومئتين بناحية أذربيجان، وتبعه خلقٌ عظيمٌ ممَّن هو على رأيه، فأقام عشرين سنةً يهزم جيوشَ المأمون والمعتصم، فيقال: إنه قتل مئة

(١) في (ب): حزنت. وفي نشوار المحاضرة ١/ ١٤٨، والمنتظم ١١/ ٧٧: فزعت.

(٢) في (خ) و(ف) و(ب): الضيعة. والتصويب من تاريخ الإسلام ٦/ ٤٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٧، والوافي بالوفيات ١٠/ ٦٤.

(٣) في (خ) و(ف): بالاستيفاء. والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منها.

(٤) أي: جميع أعضاءه. ووقع في مطبوع المنتظم ١١/ ٧٨: الحطب!

(٥) في (ب): فيهما.

(٦) في (ب): قلت.

(٧) لم أقف عليها في كتاب الفرج بعد الشدة، وإنما ذكرها التنوخيُّ رحمه الله في نشوار المحاضرة ١/ ١٤٧-١٤٨. وذكرها بإسنادها إلى التنوخيِّ ابنُ الجوزي في المنتظم ١١/ ٧٧-٧٨.

ألف[١] وخمسة وخمسين ألفاً وخمس مئة إنسان[٢]، ولمَّا أسره الأفشين وفتح مدينته، وجد فيها سبعة آلاف وست مئة امرأة مسلمات.

ثمَّ إنَّ المعتصم توَّج الأفشين بتاجٍ من ذهب، وألبسَه وشاحين بالجوهر، ووصلَه بعشرين ألف ألف درهم، وعقد له على السند، ومدحه الشعراء[٣]، فقال أبو تمام: [من الكامل]

بـذَّ الـجِـلادُ الـبـذَّ فـهـو دفـيـنُ ... مـا إنْ بـهـا إلا الـوحـوشَ قـطـيـنُ

لـم يُقْرَ هـذا الـسيفُ هـذا الـصبرَ في ... هـيـجـاء إلَّا عـزَّ هـذا الـديـنُ

قـد كـان عُـذْرَة سـؤددٍ فـافـتـضَّـهـا ... بـالـسـيـفِ فـحلُ الـمشرقِ الأفـشـيـنُ

من أبيات[٤]

[قلت]: ثم إنَّ المعتصمَ سخط على الأفشين، وصلبه إلى جانب بابك؛ لما نذكر إن شاء الله.

[وفيها توفيت]

فاطمة النيسابوريَّةُ

الزاهدة، جاورت بمكَّة مدَّةً، وكانت تتكلَّم في معاني القرآن، [حكى أبو عبد الرَّحمن السلمي عن ذي النون المصري قال:][٥] فاطمةُ وليَّةٌ لله تعالى، وهي أستاذتي، سمعتُها تقول: من لم يكن الله تعالى منه على بال، فإنَّه يتخطَّى[٦] في كل ميدان، وينطلقُ بكلِّ لسان، ومن كان الله منه على بال، أخرسه إلَّا عن الصدق، وألزمَه الحياء منه والإخلاص.

---

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٥٤، والكامل ٦/ ٤٧٨: مئتي ألف.

(٢) قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ٤٩٦: وليس ببعيد. ثم قال: ووجدت بخط رفيقنا ابن جماعة الكناني أنه وجد بخطِّ ابن الصلاح رحمه الله قال: اجتمع قوم من الأدباء... وأحصوا أن قتلى بابك بلغوا ألف ألف وخمس مئة ألف.

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٥٥.

(٤) ديوان أبي تمام ٣/ ٣١٦ (بشرح التبريزي)، والأبيات ليست في (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، و في (خ) و(ف): وقال ذو النون المصري.

(٦) في طبقات الشعراني ص٥٦، والدر المنثور في طبقات ربَّات الخدور ص٣٦٧: ينحدر.

وقال السلميُّ: كانت فاطمة النيسابوريَّة من قدماء نساء خراسان، أتى إليها ذو النون المصري وأبو يزيد البسطاميّ وسألها[١] عن مسائل[٢]، وكانت ترحلُ من مكَّة، فتزورُ البيت المقدس، ثمَّ ترجعُ إلى مكة.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما رأيت في عمري إلَّا رجلاً وامرأةً، والمرأةُ فاطمة النيسابوريَّة، ما سألتها عن مقامٍ من المقامات إلَّا وكان عندها منه علمٌ، كأنَّها تشاهدهُ عياناً.

وكانت وفاتُها في مكَّة في طريق العمرة.



(١) في (ب): وسألاها.

(٢) كذا جاءت العبارة في النسخ، ووقع في ذكر النسوة المتعبدات للسلمي ص٦١: أثنى عليها أبو يزيد البسطامي، وسألها ذو النون عن مسائل. وفي صفة الصفوة٤/ ١٢٤: أتى إليها أبو يزيد البسطامي، وسألها ذو النون عن مسائل.

السنة الرابعة والعشرون بعد المئتين

[وفيها أظهرَ][١] مازيار بن قارن الخلافَ بطبرستان، وخلعَ المعتصم، وحاربَ أهل تلك البلاد، وسببه أنَّ المازيار كان مبايناً لآل طاهر، وكان المعتصمُ يكتب إليه: احمل الخراجَ إلى عبد الله بن طاهر، فيقول: لا أحملُه إلَّا إلى أمير المؤمنين، فكان إذا حمل [المازيار إليه الخراج]، وبلغ همذان ردَّه المعتصمُ إلى عبد الله بن طاهر، وأقام على هذا مدَّةً.

وكان الأفشين يَسمعُ من المعتصم أحياناً كلاماً يدلُّ على أنَّه يريد عزلَ عبد الله بن طاهر عن خراسان، فلمَّا ظفر الأفشينُ ببابك، ونزل من المعتصم المنزلةَ التي لم يبلغها منه أحدٌ، [طمع][٢] في ولاية خراسان، وبلغه منافرةُ المازيار لابن طاهر، فرجَا أن يكون ذلك سبباً لعزل ابن طاهر عن خراسان.

وواتر ابنُ طاهر الكتبَ إلى المعتصم في المازيار حتى أغضبه، وتفاقم الأمر فخالف المازيار، وضبطَ جبال طبرستان. فكان ذلك مما يسرُّ الأفشين ويطمعُه في الولاية، وكتبَ المعتصم إلى ابن طاهر بمحاربة المازيار، وكتبَ الأفشين إلى المازيار يقوِّي قلبه ويشدُّ منه في محاربة ابن طاهر؛ طمعاً في أنَّ المازيار يقوى، فيبعثُ المعتصم الأفشينَ وغيره إليه.

ولمَّا خالف المازيار دعا الناس إلى البيعة، فبايعوه كرهاً، فأخذ منهم ما أراد حتى خراجَ سنةٍ في شهرين، واستولى على البلاد، وأخذ رهائن أهل آمُل وغيرها، وأخربَ

---

(١) في (خ) و(ف): فيها خرج. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
وأحداث السنة فيها مختصرة جداً، وهذا نصها:
السنة الرابعة والعشرون ومئتين
وفيها أظهر المازيار بن قارن الخلاف بطبرستان، وخلع المعتصم، وحارب أهل تلك البلاد.
وفيها تزوج الحسن بن الأفشين أترجة بنت أشناس، ودخل بها في قصر المعتصم في جمادى الأولى، وحضر المعتصم عرسها، وكانوا يغلفون الناس بالغالية من تغار من فضة.
وحجَّ بالناس محمد بن داود. انتهى مصححاً ما فيه من تحريف.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٨٠، وانظر الكامل ٦/ ٤٩٥.

أسوار آمُل والريّ وسارية وبلاد جرجان.

وهرب الناس إلى نيسابور، فبعث عبد الله بن طاهر عمَّه الحسنَ بن الحسين بن مصعب في جيشٍ كثيفٍ إلى جُرجان، وبعثَ حيَّان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قُومِس، وجهَّز المعتصم الجيوش إلى المازيار، فبعث محمد بن إسحاق بن مصعب[1] في جمعٍ كثيفٍ، وضمَّ إليه الحسن بن قارن الطبريّ ومن كان بالباب من الطبريّة، ووجَّه منصورَ بنَ الحسن هار صاحب دُنْباوند إلى الريّ ليدخل إلى طبرستان من ناحية الريّ، ووجَّه أبا الساج إلى اللارز، وأحدق الجيوشُ بالمازيار من كلِّ مكانٍ، فبعث إلى المدن والرهائن الذين أخذهم يقول: أدُّوا إليَّ خراج سنتين وأطلقكم، فأجابَ بعضهم، وامتنع البعض وقالوا: ما حبسنا المازيار وعندنا درهمٌ واحد، وقتل بعضهم واستبقى البعض.

وكاتب حيَّان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر قارناً[2] من قواد المازيار، وسلَّم قارن إلى حيَّان مدينة سارية بجرجان فدخلها، وكان بها قوهيار أخو المازيار فهرب[3]، وبعث إلى حيَّان ليأخذ له الأمان فأمَّنه، وجرت بين المازيار وابن طاهر حروبٌ كثيرةٌ، إلى أن قُتِل المازيار في سنة خمس وعشرين، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها تزوَّج الحسن بن الأفشين أترجَّة ابنة أشناس، ودخل بها في قصر المعتصم في جمادى الأولى، وحضر المعتصمُ عرسَها، وكانوا يغلِّفون الناس بالغالية[4] من تغارٍ[5] من فضة[6].

(١) كذا في (خ) و(ف). والصواب كما في تاريخ الطبري ٩/ ٨٥، والكامل ٦/ ٤٩٦: محمد بن إبراهيم بن مصعب، وهو أخو إسحاق بن إبراهيم.

(٢) في (خ) و(ف): وكان خيار.... قائداً. وهو تحريف.

(٣) كذا في (خ) و(ف) والذي في المصادر أن الذي هرب هو عامل المازيار على سارية ويقال له: مهريستاني بن شهريز، ولمَّا بلغ قوهيار موافاة حيان سارية أرسل إليه يطلب الأمان. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٩٠، والكامل ٦/ ٤٩٩.

(٤) التغليف بالغالية وسائر الطيب: التلطيخ. انظر اللسان (غلف).

(٥) في الكامل ٦/ ٥٠٨: تيغار.

والتيغار: الإجّانة. والعامة تقول: تغار، بحذف الياء. تاج العروس (تغر). والإجَّانة: إناء يغسل فيه الثياب. المصباح المنير (أجن).

(٦) تاريخ الطبري ٩/ ١٠١.

وفيها خالفَ منكجور الأشروسنيّ قرابةُ الأفشين بأذْرَبيجان، وسببه أنَّ الأفشين لمَّا فرغ من أمر بابك ولَّى منكجور أَذْرَبيجان والجبال، فأصاب في قرية بابك في بعض المنازل أموالاً عظيمةً، واحتجزها لنفسه، ولم يعلم بها الأفشين ولا المعتصم، وكان على البريد بأذْرَبيجان رجلٌ من الشيعة يقال له: عبد الله بن عبد الرحمن، فكتب إلى المعتصم بخبره، فكتب المعتصم إلى منكجور بحمل المال، فأنكر، وقابله عبد الله، فأراد منكجور قتله، فاستغاثَ بأهل أردبيل[١]، فمنعوه منه، فقاتلهم، فأمر المعتصمُ الأفشينَ بعزله، فبعثَ إليه قائداً من قوَّاده في جيشٍ ضخمٍ، فلمَّا بلغ منكجور خلعَ الطاعة، وجمع إليه الناس، وخرجَ للقاء القائد، والتقوا، فهزمَه القائد، فصار إلى حصنٍ من حصون أذْرَبيجان، فأقامَ بها، فوثبَ به أصحابُه الذين كانوا معه، فقيَّدوه ودفعوه إلى القائد، فبعث به القائدُ إلى المعتصم فحبسه، واتُّهم الأفشين في أمره[٢].

وحجَّ بالناس محمدُ بن داود.

[فصل] وفيها توفي

إبراهيمُ بن المهدي

ابن أبي جعفر المنصور، [وكنيته] أبو إسحاق، [واختلفوا في مولده، فقال ابن ماكولا:] ولد [في] سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة ستٍّ وستين ومئة، وأمُّه أمُّ ولدٍ يقال لها: شَكْلَة[٣]، كانت سوداء جدًّا فنزع إليها، وكان أسودَ حالكاً شديد السواد عظيم الجثة، [قال ابن ماكولا:] يلقب بالتنين لغلظه[٤].

و[قال الخطيب:] لم يكن في أولاد الخلفاء أفصح ولا أشعر منه[٥].

وكان جواداً حاذقاً بصنعة الغناء، وفيه يقول دعبل: [من الكامل]

---

(١) في (خ) و(ف): أكردويل. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ١٠٢، والكامل ٦/ ٥٠٥.

(٢) من قوله: وفيها خالف منكجور...إلى هنا. ليس في (ب).

(٣) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٣٩: شكلة، بفتح الشين المعجمة وكسرها، وسكون الكاف، وبعد اللام هاء.

(٤) الإكمال ١/ ٥١٨. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٦٨.

إن كـان إبـراهـيـم مُـضْـطَـلِـعاً بـهـا فـلـتـصـلُـحَـنْ مـن بـعـده لـمُـخَـارِقِ[١]

وبويعَ بالخلافة سنة اثنتين ومئتين، فلمَّا قدم المأمون من خراسان استتر، فأقام في استتاره ستَّ سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام، وكان ينتقلُ في المواضع حتى ظفر به المأمون وعفا عنه، [وقد ذكرنا تفاصيل ذلك،] ولم يزل على الإكرام عند المأمون والمعتصم حتى توفي [في هذه السنة، والله أعلم.

ذكر طرف من أخباره:]

ولي [إبراهيم] إمرةَ الحجِّ [في] سنة أربعٍ وثمانين ومئة، و[قال الحافظ ابن عساكر:] ولَّاه أخوه هارون دمشق، وكان قد تنكَّر له، فرأى إبراهيم أباه المهديَّ في المنام، فشكا أخاه هارون إليه، فقال له أبوه: إنَّه قاضٍ عنك دَيْنَكَ ومُوليك دمشق، ورأى هارونُ أباه في تلك الليلة وهو يعاتبه فيه، فأصبح فقضَى دَينَه وولَّاه دمشق، فساس اليمانية والمضرية، وأحسنَ إلى الفريقين، فأحبُّوه[٢]، وأقام والياً على دمشق سنتين، ثمَّ بلغه عنه أنَّه قد احتجبَ وأنَّه اصطبح، فعزله وهجره سنةً، ثمَّ رضي عنه[٣].

وقال محمَّد بن القاسم بن مهرويه: قلَّ ما عند إبراهيم وهو خليفة، فاجتمع الغوغاء الأعرابُ على بابه، فخرج الحاجب [وصرَّح لهم أنَّه لا مال عنده][٤]، فقال بعضهم: إذا لم يكن عنده شيءٌ، فقل له: فليخرج فليغنِّ [لأهل هذا الجانب][٥] ثلاثةَ أصوات، ولأهل ذلك الجانب ثلاثةَ أصوات، وقد رضينا، فقال دعبل: [من السريع]

يـا مـعـشـرَ الأعـرابِ لا تـسـخـطُـوا خُـذُوا عـطـايـاكـم ولا تـقـنـطُـوا
فـسـوف يـعـطـيـكـم حـنـيـنـيـةً لا تـدخـل الـكـيـسَ ولا تُـرْبَـطُ
والـمـعـبـديَّـات لـقُـوَّادكـم ومـا بـهـذا أحـدٌ يُـغْـبَـطُ
فـهـكـذا يَـرزقُ أجـنـادَه خـلـيـفـةٌ مـصـحـفـه الـبَـرْبَـطُ[٦]

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٧٠-٧١، والبيت في ديوان دعبل ص١٩٨. والبيت ليس في (ب).
(٢) من قوله: وكان قد تنكر له ... إلى هنا ليس في (ب).
(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٥١٤، ٥١٥-٥١٩ (مخطوط).
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٧/ ٧١، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٢٢.
(٥) في (خ) و(ف): فيلعن له؟! والمثبت وما بين حاصرتين من المصدرين السابقين.
(٦) تاريخ بغداد ٧/ ٧١، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٢٢، والأغاني ٢٠/ ١٤٩-١٥٠، وديوان دعبل ص١٧٥،

وقال منصور بن المهدي: كان أخي إبراهيم إذا تنحنحَ طرِبَ من يسمعُه، فإذا غنَّى أصغت الوحوشُ ومدَّت أعناقَها إليه حتى تضعَ رؤوسها في حِجْره، فإذا سكتَ نفرت وهربت في البريَّة، وكان إذا غنَّى لم يبقَ أحدٌ إلَّا ذَهَل، ويتركُ ما في يده حتى يفرغ، [من الخدم والحاشية والخاصِّ والعام].

و[حكى محمد بن مهرويه عن إبراهيم]، قال إبراهيم: حججت مع هارون وهو خليفة، فدخلنا المدينة، فخرجت أدور في عَرَصاتها[١]، فعطشت، وإذا بجارية تستقي من بئرٍ، فقلت: اسقيني، فقالت: أنا مشغولةٌ عنك بضريبةٍ عليَّ لمولاي، [قال:] فنقرت بسوطي على قربوس سرجي وغنيت بشعر الأحوص[٢]: [من الخفيف]

كـفـنـانـي إن مـتُّ فـي دِرْعِ أَرْوَى … وامْـتَـحـا لـي مـن بـئـرِ عـروةَ مـائـي
إنَّـنـي والـذي تـحـجُّ قـريـشٌ … بـيـتَـه سـالـكـيـنَ نَـقْـبَ كـداءِ
لَـمُـلِـمٌّ بـهـا وإن أُبْـتُ مـنـهـا … صـادراً كـالـذي وردت بـداءِ
ولـهـا مَـرْبَـعٌ بـبُـرقَـة خـاخٍ … ومَـصِـيـفٌ بـالـقـصـرِ قـصـرِ قُـبَـاءِ
قَـلَـبَـتْ لـي ظـهـرَ الـمـجـنِّ فـأضـحـت … قـد أطـالـتْ مـقـالـةَ الأعـداءِ

فرفعت الجاريةُ طرفها إليَّ وقالت: أتعرفُ بئر عروة؟ قلت: لا، قالت: هي والله هذه، ثم سقتني حتى رَوِيتُ وقالت: هل لك أن تعيدَه، قلت: نعم، فأعدتُه، فطرِبَتْ وقالت: والله لأحملنَّ لك قربَة ماءٍ إلى رحلِك، فحملَتْهَا معي، فلمَّا رأتِ الخدمَ والجيشَ فزعت[٣]، فقلت: لا بأسَ عليك، فكسوتُها وأعطيتُها دنانير، وأمسكتُها في الرحل، ثم صرتُ إلى هارون فحدَّثته حديثها، فأمر بابتياعِها، وأعتقَها ووصلَها.

[وحدثنا غير واحدٍ عن شَهْدَة الكاتبة بنت أحمد بإسنادها إلى أحمد بن علي بن

= وفيها اختلاف في الأبيات. قال جامع الديوان: حنينية، نسبة إلى حنين الحيري المغني، والمعبديات نسبة إلى معبد اليقطني المغني.
وقوله: البَرْبَط: أي العود. القاموس (بربط).
والخبر مع الشعر ليس في (ب).

(١) في (خ) و(ف): أعراضها. وفي (ب): عراضها. والمثبت من الأغاني ١٠/ ١٢٢.
(٢) في ديوانه ص٧١-٧٢.
(٣) في (ب) فرقت.

حرب قال:][1] اختفى إبراهيمُ [بن المهدي] عند أخته عُليَّة بنت المهدي خوفاً من المأمون، فكانت تكرمُه غايةَ الكرامة، ووكَّلت به جاريةً قد أدَّبتها وأنفقت عليها الأموال، وكانت حاذقةً راويةً للشعر، [وكانت] قد طُلِبت منها بمئةٍ وخمسين ألف درهم فأبت، وكانت الجاريةُ تتولَّى خدمةَ إبراهيم وتقوم على رأسه، فهويَها، وكرِهَ أن يطلبَها من أخته، فلمَّا اشتدَّ وجدُه بها أخذ عوداً وغنَّى بشعرٍ له فيها، وهي واقفةٌ على رأسه: [من مجزوء الرمل]

يـا غـزالاً لـي إليـه ... شـافـعٌ مـن مـقـلـتـيـهِ
والـذي أجـلـلـتُ خـدَّيـ ... ـه فـقـبَّـلـتُ يـديـهِ
بـأبـي وجـهُـك مـا أكـ ... ـثـر حُـسَّـادي عـلـيـهِ
أنـا ضـيـفٌ وجـزاءُ الـ ... ـضَـيـف إحـسـانٌ إلـيـهِ

فَفَطِنَت الجارية لشعره، وكانت مولاتُها تسائلها كلَّ يومٍ عن حاله، فأخبرتهَا بالشعر فقالت: اذهبي فقد وهبتُك له، فعادت إليه، فلما رآها أعاد الصوت[2]، فقبَّلت رأسه، فقال لها: كفِّي، فقالت: [قد] وهبتني مولاتي لك، وأنا الرسول، فقال: أمَّا الآن فنعم[3].

[والبيت الأخير، وهو: أنا ضيفٌ... مكتوبٌ على قبر جدِّي رحمه الله مع بيتين آخرين ضمْنهُما هذا البيت، وسنذكره في ترجمة جدِّي رحمه الله.

قال الخطيب: حدَّثنا الجوهريُّ، حدثنا محمد بن العباس قال: أنشدني عبيد الله بن أحمد المروروذي قال: أنشدني إبراهيم بن المهدي لنفسه هذه الأبيات:][4] [من البسيط]

قد شابَ رأسي ورأسُ الحرص لم يشبِ ... إنَّ الحريصَ على الدُّنيا لفي تعبِ
قد ينبغي ليَ مع ما حُزْتُ من أدبٍ ... أنْ لا أُخوِّضَ في أمرٍ يُنقِّصُ بي

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال أحمد بن علي بن حرب.
(٢) في (ب) ـ وما بين حاصرتين منها ـ: فلما عادت إليه أعاد الصوت.
(٣) المنتظم ١١/٨٩-٩٠.
(٤) في (خ): ومن شعره. وفي (ف): ومن شعر ابن المهدي. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

لو كان يَصْدُقني دهري[١] بفكرته ... ما اشتدَّ غَمِّي على الدُّنيا ولا نَصَبي
أسعى وأجهدُ فيما لست أدركه ... والموتُ يقدحُ في زندي وفي عصبي
بالله ربِّك كم بيتٍ مررتَ به ... قد كان يَعْمر باللذاتِ والطربِ
طارت عُقابُ المنايا في جوانبه ... فصارَ من بعدها للويل والخَربِ
فامسك عِنانكَ لا يجمح به طُلَعٌ ... فلا وعيشك ما الأرزاقُ بالطلبِ
قد يُرزقُ العبد لم تتعب رواحلُهُ ... ويحرمُ الرزقَ من لم يؤتَ من طلبِ
مع أنني واجدٌ في الناس واحدةً ... الرزقُ والنُّوكُ مقرونان في سببِ
وخَصْلَةٍ ليس فيها مَن ينازعُني ... الرزق أروغُ شيءٍ عن ذوي الأدبِ
يا ثاقبَ الفهمِ كم أبصرت ذا حُمُقٍ ... الرزقُ أغرى به من لازم الجَرَبِ[٢]

[وقال الصوليّ:] وكان لإبراهيم ولدٌ اسمه [أحمد بن] إبراهيم[٣] فمات، فقال يرثيه: [من الطويل]

نأى آخرَ الأيَّامِ عنكَ حبيبُ ... فللعين سَحٌّ دائمٌ وغُروبُ
دعته نَوًى لا يُرتجَى ثوبةٌ[٤] لها ... فقلبُك مسلوبٌ وأنت كَئيبُ
يؤوبُ إلى أوطانِهِ كلُّ غائبٍ ... وأحمدُ في الغُيَّابِ ليس يَؤوبُ
تبدَّل داراً غيرَ داري وجِيرةً ... سوايَ وأحداثُ الزمان تَنوبُ
أقام بها مُستوطِناً غيرَ أنَّه ... على طُولِ أيَّام المُقَامِ غريبُ
تولَّى وأبقى بيننا طيبَ ذكره ... كباقي ضياء الشَّمس حين تَغيبُ
وكان نصيبَ العينِ في كلِّ لحظةٍ[٥] ... فأضحى وما للعينِ منه نَصيبُ
وكان وقد زان الرجال بفعله ... فإن قال قولاً قال وهو مصيبُ
وكانت يدي ملأى به ثمّ أصبحت ... بعدلِ إلهي وَهْيَ منه سليبُ

(١) في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق ونسخة كما في هامش المنتظم: ذهني.
(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٧٤، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٣١-٥٣٢ (مخطوط).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وأشار فيها إلى الأبيات ولم يذكرها.
(٤) في المصادر: أوبة.
(٥) في المصادر: من كل لذة.

جَمعتُ أطبّاءَ البلادِ فلم يُصِبْ شفاءَكَ منهم يا حبيبُ طبيبُ
ولم يملك الآسونَ دفعاً لمهجةٍ عليها لأشراك المَنونِ رقيبُ
فما ليَ إلّا الموتُ[1] بعدك راحةٌ وليس لنا في العيشِ بعدك طِيْبُ
وإنّي وإن قُدِّمتَ قبلي لَعالِمٌ بأنّي وإن أبطأتُ عنك قريبُ
وإنَّ صباحاً نلتقي في مسائه صباحٌ إلى قلبي الغداةَ حبيبُ[2]

[وكان موتُ ابنه في البصرة.

وحكى الخطيب عن خالد بن يزيد الكاتب قال: أضقتُ إضاقةً شديدةً حتى عَدِمتُ القوتَ، فلمَّا كان بعض الليالي إذا الباب يدقُّ، فخرجت فإذا رجلٌ راكبٌ على حمار، وعليه طيلسانٌ أسود، ومعه خادمٌ، فقال: أنت القائل[من المنسرح]:

أقولُ للسُّقم عُدْ إلى بدني[3] حبًّا لشيءٍ يكون من سببك

قلت: نعم، فقال: أحبُّ أن تنزل عنه، فقال: وهل ينزل الإنسان عن ولده؟! فتبسَّم وقال: يا غلام، أعطِهِ ما معك، فدفعَ إليه صرَّةً مختومةً، فقلت: لا أقبل عطاءَ مَن لا أعرفه، قال: خذها، فأنا إبراهيمُ بن المهدي، فقبَّلتُ ركابه وأخذتُها[4]، وإذا فيها ثلاث مئة دينار. وسنذكر خالد بن يزيد في سنة اثنتين وستين ومئتين.]

وقال إبراهيم العتبيّ: تنازع إبراهيم بن المهديّ وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد في عقارٍ بالسَّواد، فاستطال عليه إبراهيمُ بالكلام، فقال له أحمد: يا إبراهيم إذا نازعتَ أحداً في مجلس الحكم فلا ترفعنَّ عليه صوتاً، ولا تشيرنَّ إليه بيدٍ، وليكن قَصدُكَ أَممًا، وطريقُك نهجاً، ووفِّ بمجلس الحكم حقَّه من التوقير والتعظيم؛ فإنَّه أشبه بمذهب الحق، [ولا تعجل،][5] فربَّ عجلةٍ أورثت رَيْثاً، والله يعصمُك من

---

(١) في (خ) و(ف): الحزن. والمثبت من المصادر.

(٢) أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص٤٤-٤٥، والتعازي والمراثي ص١٥٣-١٥٦، والكامل للمبرد ٣/ ١٣٨٣-١٣٨٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٣٢-٥٣٣ (مخطوط). وفيها زيادة ونقص واختلاف يسير.

(٣) لفظة: بدني. ليست في (ب) وأضفتها من المصادر.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥-٢٥٦، وتاريخ دمشق ٦/ ٥٢٥ (مخطوط)، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من العقد الفريد ١/ ٨٥، وزهر الآداب ١/ ٢٠٥.

الزلل، ويوفقُك في القول والعمل، ويتمُّ نعمتَه عليكَ كما أتمَّها على أبويك من قبل.

فقال له إبراهيم: أيُّها القاضي، أصلحَك الله، أمرتَ بسَداد، وحَرَضْتَ على رشاد، ولستُ بعائدٍ إلى ما يَثْلِمُ مروءتي عندك، ويسقطني من عينك، ويحوجُني إلى الاعتذار إليك، وقد وهبتُ لابن بختيشوع حقِّي من العقار، وليس ذلك يقومُ بأمر الجناية[1]، ولن يتلفَ مالٌ أفاد موعظةً، وأيقظ من سِنَةٍ، وحسبي الله ونعم الوكيل.

قال أحمد بن يوسف الكاتب: كنت أنادمُ المأمون قبل وزارتي، وكان يحضر معنا إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي واليزيديّ، فلما رضيَ المأمونُ عن إبراهيم بن المهدي نادمَه، ولم يكن ينادمُ غيره، فغنَّى إبراهيم ذات يوم عنده وهو يقول: [من البسيط]

صونوا جيادكُمْ واجلُوا سلاحكُمُ وشمِّروا إنَّها أيَّامُ من غَلَبا

فغضب المأمون وقام، ولم يفطن إبراهيم، فلمَّا كان ساعة جلس المأمون في مجلس الخلافة وأحضر القوَّاد، فوقفوا على رأسه، واستدعى إبراهيمَ في ثياب المنادمة؛ ليفضحه بذلك، فلمَّا وقف بين يديه قال له: يا إبراهيم، ما حملك على الخروج عليَّ، والخطبة لنفسك بالخلافة. فقال له إبراهيم بقلبٍ ثابتٍ وجَنانٍ قويٍّ: لستُ أخلو من أن أكونَ عندك إمَّا عاقلاً وإمَّا جاهلاً، فإن كنتُ جاهلاً، فقد سقط اللوم عنِّي، وإن كنت عاقلاً، فيجب[2] أن تعلمَ أنَّ أخاكَ محمداً مع أمواله، وأموال أبيه وأمِّه، وجواهره وذخائره، وعبيده وعسكره، وخيله ورَجِله، ومحبَّة بني هاشمٍ له، لم يثبت لك، وهو خليفةٌ وأنت أميرٌ من أمرائه، فكيف كنت أثبتُ لك وأنا في قومٍ أكثرُهم له في الشهر ثلاثون درهماً؟! وقد غلبني على بغداد ابن أبي خالد العيار، وأصحابه يحبسون ويقطعون الطريق ويطلقون، وليس معي دينارٌ ولا درهمٌ، وليس لي حكمٌ ينفذ في بغداد، ومعظمُ أهلها ما كانوا معك[3]، ووالله ـ وإلَّا بريتُ من نسبي من العباس ـ إن كنتُ دخلتُ في هذا الأمر إلَّا لأُبقي الخلافة عليك وعلى أهل بيتك؛ لمَّا رأيتُ الفضلَ بن سهل قد حملهُ الرفض والبطرُ على أنْ أَخْرَجَ الخلافَةَ إلى غيرك من أعدائك،

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: وليتَ ذلك يقومُ بأرش الجناية. والخبر بطوله ليس في (ب).

(٢) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٤٩: فيحسن.

(٣) كذا في (خ) و(ف).

وكان يعمِّي عليك الأخبارَ، وشغبَ ببغداد أهلُ بيتك، فأردتُ ضبطَ هذا الأمر إلى أن تقدم، فأسلمها لك.

فأسفر وجهُ المأمون، وقال: عليَّ بنافذ الخادم، فحضرَه، فقال: ورقةٌ دفعتها إليك بمروٍ قبل رحيلي عنها، وأمرتُك بحفظها وقت أريدها، فمضى وعاد وهي معه بخطِّ المأمون يقول: لئن أظفرني الله بإبراهيم بن المهدي لأسألنَّه بحضرة الأولياء والخاصَّة من أهل بيتي وقوَّادي عن السبب الذي دَعاه إلى الخروج عليّ، فإنْ ذكر أنَّ هذا الأمر عليَّ وعلى أهل بيتي لما جرى في أمر علي بن موسى الرضا، لأخلينَّ سبيلَه ولأحسننَّ إليه، وإن ذكر غير ذلك ضربتُ عنقه.

ثمَّ ناولَ إبراهيمَ الرقعةَ فقرأها، فقال له: يا عم، عد إلى المجلس الذي خلفتك فيه، وقام المأمون، وعُدنا إلى مجلسنا، وإذا بالمأمون قد عَادَ بثياب المنادمة، فقال: ارجعوا إلى ما كنّا فيه[(١)].

ذكر وفاته:

قال الصوليّ: بويع بالخلافة ببغداد يوم الجمعة لخمسٍ خلون من المحرَّم سنة إحدى أو اثنتين ومئتين في داره المنسوبة [إليه] بسوق العطش، وسموه المبارك، وقيل: المرتضى[(٢)]، فكانت خلافته إلى أن استتر سنةً وأحد عشر شهراً، [وأقام مستتراً ستَّ سنين وأربعة أشهر وأيَّاماً،] وظفر به المأمون في سنة عشرين ومئتين، وبقيَ حيًّا إلى هذه السنة، فتوفي يوم الجمعة لسبعٍ خلونَ من رمضان بعلَّة العطش.

[قال الصولي:] وكانَ يشربُ الماء ولا يَروى، فماتَ وهو عطشان، وله ثمانٌ وخمسون سنة، وصلَّى عليه المعتصم، ثم قال لولده الواثق [هارون]: قف عند قبره حتى تواريه، فوقفَ ودلَّاه في قبره، فلمَّا فرغ منه سأل أهله وابنه هبة الله: هل أوصى بشيء؟ قالوا: نعم، أوصى أن يفرَّق مالٌ عظيمٌ في أولاد الصحابة إلَّا أولاد عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، [فإنَّه أوصى أن لا يفرَّق فيهم شيء،] قال: ولم؟ فقال بعض

---

(١) الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٤٧-٣٥٠. والخبر بطوله ليس في (ب).

(٢) كذا، وفي تاريخ بغداد ٧/ ٦٩، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٢١ (مخطوط)، والمنتظم ١٠/ ١٠٧: المرضي.

الحاضرين: كان يبغضُ عليًّا، فغضبَ الواثق فقال: [لعنه الله، والله لقد دلَّيتُه في قبره كافراً، فلا رحمه الله] ويحه! ينحرف عن شرفه وخير أهله، [والله لولا أميرُ المؤمنين ما وقفت على قبره]، ثمَّ أمر ففرَّقَ من المال في أولاد عليٍّ رضوان الله عليه أضعاف [أضعاف] ما فُرِّق [في غيرهم][1]، وقد استوفى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني» أخبار إبراهيم بن المهدي وما كان يغني به من الأصوات].

قلت: يحتمل أنَّ إبراهيم أوصى بذلك من زكاةٍ وجبت عليه، واستثنى بأولاد عليٍّ رضوان الله عليه، فإنَّه يحرم عليهم ذلك[2].

[وفيها توفي]

سليمانُ بن حَرْب

[ابن بجيل]، أبو أيوب الأزديّ الواشحيّ البصريّ، ولد في صفر سنة أربعين ومئة، وكان إماماً فاضلاً.

[ذكر الخطيب عن يحيى بن أكثم قال:][3] لمَّا عدتُ من البصرة إلى بغداد، قال لي المأمون: مَنْ تركتَ بالبصرة من مشايخهم، قلت: سليمان بن حرب، حافظ الحديث، ثقةٌ عاقلٌ في نهاية السِّتر والصيانة. [قال:] فأمر بحمله إليه، فكتبتُ إليه، فقدم فاتفق أنَّه كانَ في مجلس المأمون أحمدُ ابن أبي دؤاد وثُمامةُ وأشباههما، فكرهتُ أن يدخُل مثلُه في حضرتهم[4]، فلمَّا دخل سلَّم على المأمون فردَّ عليه [السَّلام] ورفع مجلسه.

قال ابن أبي دؤاد: يا أميرَ المؤمنين، نسألُ الشيخ عن مسألةٍ، فنظر المأمون إلى

---

(١) ذَكَرَ خبر وصية إبراهيم بن المهدي الصوليُّ في أشعار أولاد الخلفاء من كتاب «الأوراق» للصولي ص٤٨ـ٤٩ لكن بغير هذا السياق، وفيه أن إبراهيم أشهد جماعة من بني العباس على وصيته، فقرأها الواثق قبل موت إبراهيم، ثم إنه تولَّى تدليته في قبره كارهاً بسبب تلك الوصية.

(٢) من قوله: قلت إلى هنا ليس في (ب)، وما سلف بين حاصرتين منها.

وانظر ترجمته في أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب «الأوراق» للصولي ص١٧-٤٩، والأغاني ١٠/ ٩٥-١٤٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٨-٧٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٥١٤-٥٣٤ (مخطوط)، والمنتظم ١١/ ٨٩-٩١.

(٣) في (خ) و(ف): قال يحيى بن أكثم. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ب): عندهم ويحضرهم. بدل: في حضرتهم.

سليمان نَظَرَ تخييرٍ[١] له، فقال سليمان: حدَّثنا حمادُ بن زيد، قال: قال رجلٌ لابن شُبْرُمة: إنِّي أريدُ أن أسألك مسألةً، فقال له: إن كانت مسألتك لا تُضحِك الجليس ولا تُزري بالمسؤول فسل، وإلَّا فلا. قال يحيى: فهابَه القوم، فما نطق أحدٌ منهم بكلمة.

[وحكى الخطيب عن أبي حاتم الرازي قال:][٢] حضرتُ مجلسَ سليمان بن حرب ببغداد، فَحُزِرَ الجمعُ، فكانوا أربعين ألفاً، وكان مجلسه عند قصر المأمون، والمأمون جالسٌ فوق القصر، وبينه وبين الناس سترٌ رقيق، وهو خلفه يكتب ما يملي سليمان، وسليمانُ على منبر، وبابُ القصر مفتوح[٣].

وجاءه[٤] رجلٌ فقال: قد ماتَ مولاك فلان، وخَلَّفَ عشرين ألف درهم، فقال: فلانٌ ـ لقريبٍ له ـ أقربُ إليه منِّي. ولم يأخذ منه درهماً، وهو محتاجٌ إلى درهم.

وقال [الخطيب: قال أبو حاتم:] كان سليمان يُحدِّث بالمعنى[٥] ولا يدلِّس، وظهرَ من حديثه نحو من عشرة آلاف حديث، وما رأيت في يده كتاباً قطّ، وكان فقيهاً[٦].

وولي قضاء مكَّة فخرج إليها في سنة أربع عشرة ومئتين، فأقام إلى سنة تسع عشرة [ومئتين]، ثمَّ عُزِلَ عنها، فرجع إلى البصرة، فمات بها في ربيع الآخر [سنة أربعٍ وعشرين ومئتين].

سمع خلقاً كثيراً منهم شعبة، [وجرير بن حازم، والحمادان،][٧] وروى عنه الإمام

---

(١) في (خ) و(ف) و(ب): مختبر، والتصويب من تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٢.

(٢) في (خ) و(ف): وقال أبو حاتم الرازي. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥، وكلام أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/ ١٠٨.

(٤) قبلها في (ب): قال: وقال أبو حاتم.

ولم أر الخبر في الجرح والتعديل في ترجمة سليمان بن حرب. وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٧ بإسناده إلى المسعريّ.

(٥) قوله: كان سليمان يحدث بالمعنى. ليس من كلام أبي حاتم، بل هو قول الخطيب البغدادي انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤، والجرح والتعديل ٤/ ١٠٨.

(٧) في (خ) و(ف): وغيره. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

أحمد، والبخاريُّ، [ويحيى بن سعيد القطّان، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن الزبير شيخ البخاري، وهو الحميديّ،] وأبو زرعة، [وأبو حاتم الرازي، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وإبراهيم الحربيّ] وغيرهم.

واتَّفقوا على صدقه وورعه [وثقته][1].

[وفيها توفي]

أبو عبيد القاسم بن سلَّام

كان أبوه عبداً روميًّا لرجلٍ من أهل هَرَاة من الأزد.

ولد أبو عبيد بهراة، [وذكره الخطيب فقال:][2] القاسم بن سلَّام التركيّ، صاحب الكتب المصنَّفة، منها: «غريب الحديث»، و«الغريب المصنف»، و«كتاب الأموال»، و«الأمثال»، و«المجاز»[3]، و«القراءات»، و«الناسخ والمنسوخ»، وكان مؤدِّباً لآل هَرْثمة، صاحب فقهٍ وعربيَّة، وليَ القضاء بطَرَسوس أيَّام ثابت بن نصر بن مالك، ولم يزل معه ومع ولده، وقدمَ بغداد يصنِّف الكتب، وصحب عبدَ الله بن طاهر، وكان [عبد الله] يحبُّه ويثني عليه[4].

وقال عبد الله بن جعفر، ابنُ دُرُسْتُويه النحوي: كان أبو عبيد ذا فضلٍ ودينٍ ومذهبٍ حسن، وكان إذا ألَّف كتاباً بعثَ به إلى عبد الله بن طاهر، فيحمل إليه مالاً جليلاً استحساناً لذلك[5].

وقال أحمد بن يوسف: سمعت كتاب «غريب الحديث» من أبي عبيد وروِيتُه عنه،

---

(١) انظر بالإضافة إلى المصادر المذكورة طبقات ابن سعد ٩/ ٣٠١، والمنتظم ١١/ ٩١-٩٢، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٨٤-٣٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٠-٣٣٤.
وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و(ف): وقال الخطيب. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) نسبة كتاب المجاز لأبي عبيد القاسم بن سلام خطأ، فلم يذكره أحدٌ ممن ترجم له، والصواب أن «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى، كما هو معلوم.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٢-٣٩٣، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٣.

ولمَّا عمله عرضه على[1] عبد الله بن طاهر، فاستحسنَهُ وقال: إنَّ عقلاً بعث[2] صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيقٌ أن لا يُحوَجَ[3] إلى طلب المعاش، فأجرى له عشرةَ آلاف درهم في كلِّ شهر[4].

وأوَّل من سمع هذا الكتاب منه يحيى بنُ معين وابنُ المديني.

وكان الأصمعيّ يقول: لن يضيعَ الناس ما بقي أبو عبيد[5].

وكان إبراهيم الحربيّ يقول: ما شبَّهت أبا عبيدٍ إلَّا بجبلٍ نُفِخَ فيه روح[6].

وقال الفسطاطيّ: وجَّه أبو دلف العجليُّ يستهدي أبا عبيد مدَّة شهرين من ابن طاهر، فبعثَ إليه به، فأقامَ عنده شهرين، فلمَّا أراد الانصرافَ وصلَه بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها وقال: أنا في ظلِّ رجلٍ ما يحوجني إلى صلة أحد، وبلغ ابنَ طاهر، فلمَّا عاد إليه وصلَه بثلاثين ألف دينار، فقال: أيُّها الأمير قد قبلتُها، ولكن قد أغنيتني بمعروفِك وبرِّك عنها، فقال: لا بدَّ من قبولها، فقال: قد قبلتُها وجعلتُها في سبيل الله، فاشترِ بها سلاحاً وخيلاً وابعث بها إلى الثغور؛ ليكونَ الثواب متوفِّراً للأمير، فاستحسنَ ابنُ طاهر فعلَهُ، واشترى بها ما قال[7].

وكان عبد الله بن طاهر ببغداد يطمعُ أن يأتيَه القاسم، يجيءُ إلى منزله فيسمع منه، فلم يفعل، [حتى كان هذا يأتيه][8]، فقدمَ ابن المديني وعبَّاس[9] العنبريّ، فأرادا أن

---

(١) كذا في (خ) و(ف). والذي في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٥، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٢٦٦ (طبعة مجمع اللغة)، والمنتظم ١١/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٥: قال عبيد الله بن عبد الرحمن السكري قال أحمد بن يوسف ـ إما سمعته منه، أو حُدِّثت به عنه ـ قال: لما عمل أبو عبيد كتاب «غريب الحديث» عرض على...

(٢) في (خ) و(ف): تعب. والمثبت من المصادر.

(٣) في (خ) و(ف): يخرج. والمثبت من المصادر.

(٤) انظر طبقات الحنابلة ١/ ٢٦١.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٥.

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٤.

(٧) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٥.

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٧، وفي إنباه الرواة ٣/ ١٧: فلم يفعل إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ، فكان هو يأتيه.

(٩) في (خ) و(ف): وعياش. تصحيف.

يسمعَا منه الغريب، وكان أبو عبيد يحملُ «غريب الحديث» كلَّ يومٍ إليهما في منزلهما فيحدِّثهما به[(١)].

[وكان أبو عبيد قد صحبَ طاهرَ بن الحسين. قال: وقال أبو عبيد: أقمتُ في تصنيف «غريب الحديث» أربعين سنة. قال الخطيب:] ولما وقفَ الإمامُ أحمد بن حنبل رحمة الله عليه قال: جزاه الله خيراً.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: أولُ من كتب «غريب الحديث» أبي وسمعه[(٢)] منه.

[قال: وقال أبو عبيد: كنت أسمعُ الفائدةَ من أفواه الرجال، فأضعُها مواضعَها منه، وأَبيتُ الليلَ ساهراً؛ فرحاً منِّي بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئني فيقيمُ عندي أربعةَ أشهرٍ أو خمسة، فيقول: قد أقمتُ الكثير[(٣)].

وقال الخطيب:] قال أبو عبيد: الألفاظ الشريفة والمعاني اللطيفة مثلُ القلائد اللائحة في الترائب الواضحة[(٤)].

[قال: وكان عبدُ الله بن طاهر يقول: الناسُ أربعة؛ ابن عباس في زمانه، والشعبيُّ في زمانه، والقاسمُ بن معن، وأبو عبيد في زمانه[(٥)].

قال]: وقال هلال بن العلاء الرقيّ: منَّ الله على هذه الأمَّة بأربعة؛ بالشافعيِّ؛ فَقِهَ أخبار رسول الله ﷺ، وبابن معين؛ نَفَى الكذبَ عن رسول الله ﷺ، وبأحمدَ بن حنبل؛ ثبتَ في دين الله، وبأبي عبيد؛ فَسَّر أحاديثَ رسول الله ﷺ[(٦)].

[قال: وقال إبراهيم الحربيّ: وَلِي أبو عبيد القضاءَ بطَرَسوس في سنة ثمان عشرة

---

(١) بعدها في إنباه الرواة ٣/ ١٧ : إجلالاً لعلمهما. وهذه شيمة شريفة، رحم الله أبا عبيد.
ومن قوله: وقال عبد الله بن جعفر ابن درستويه... إلى هنا ليس في (ب).

(٢) في (ف): وسمعته منه. وقول عبد الله ليس في (ب).
وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٢.

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٠.

ومئتين في ولاية ثابت بن نصر الخُزاعي، كان يؤدِّبُ ولده.][(١)]

وقال الخطيب: كان أبو عبيد يَقسِم الليل ثلاث أثلاث؛ يصلِّي ثُلثَه، وينام ثُلثَه ويصنِّف الكتبَ في ثلثه[(٢)].

وقال: ما أتيتُ عالماً قطُّ فاستأذنت عليه، إنَّما كنت أقعدُ على بابه حتى يخرج، كنت أتأوَّل قولَه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[الحجرات: ٥].

[قال: وقال أبو عبيد: وقد رأيتُ القَلوطَ وهو نهرٌ قذرٌ إلَّا أنَّه جاري[(٣)].

قلت: قَلوط هو النهرُ الخارج من دمشق من ناحية القبلة بالأوساخ والأقذار، فلا يجوزُ الوضوءُ به، وإن كان جارياً، ونجاستُه لتغيُّر أوصافه، فأمَّا إذا بَعُد وامتدَّ فقد أفتى بعضُ الفقهاء بجواز الوضوء منه، والاعتماد على الظنِّ بطهارته، مع زوال الأوصاف المانعة، وكون الطباع السليمة لا تستقذره ولا تستحسنه، وغيرُه خيرٌ منه.

وقال ابن المنادي: كان أبو عبيد يَنزلُ بغداد في درب الريحان، وخرج إلى مكَّة في سنة أربعٍ وعشرين ومئتين[(٤)].

وكتاب «الأموال» من أحسن ما صُنِّفَ في الفقه.]

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فقال الخطيب:] خرجَ إلى مكَّة سنةَ تسع عشرة ومئتين[(٥)]، [وكذا قال البخاري][(٦)] وقيل: سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين [ومئتين][(٧)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٢٢ (مخطوط) وعنه نقل. لكن وقع في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٣، ومطبوع تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ (طبعة مجمع اللغة)، وإنباه الرواة ٣/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٠١: ولي ثابت طرسوس ثماني عشرة سنة، فولي أبو عبيد القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٨.

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٥١ (طبعة مجمع اللغة)، وليس في تاريخ بغداد، ولا هو عند ابن عساكر من طريقه...

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٣.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٦.

(٦) لم يذكر البخاري في التاريخ الكبير ٧/ ١٧٢ خروجه إلى مكة بل ذكر أنه مات سنة أربع وعشرين ومئتين.

(٧) أي: توفي بمكة سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين ومئتين. انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٦.

أسند عن خلقٍ كثيرٍ؛ منهم هشام بن عمار، [وهشيم بن بشير]، وحفص بن غياث، وابن عيينة، [وأبو معاوية الضرير، وابنُ مهدي، ويحيى بنُ سعيد القطَّان، ووَكيع، وابن عُلَيَّة، وأبو بكر وإسماعيل ابنا عيَّاش، ويزيد بن هارون، وشريك القاضي] وغيرهم.

[وكان قد رحل إلى الآفاق، ولقي الأئمّة البصريين والكوفيين، فروى عن أبي زيد، وأبي عبيدة معمر، والأصمعيّ، واليزيديّ، وأبي عمرو الشيبانيّ، والكسائيّ، والفرَّاء، وابن الأعرابيّ، وأبي زياد الكلابيّ، والأمويّ، وغيرهم.

ورَوى عنه الأئمة: سعيدُ بن الحكم بن أبي مريم، وهو من شيوخه، وأحمدُ بن حنبل، ومن سمَّينا وغيرهم[١].

وليس في الرجال من اسمُه القاسم بن سلَّام غير اثنين، أحدهما هذا، والثاني القاسمُ بن سلَّام بن مسكين البصريّ، وكنيته أبو محمد، حدَّث عن أبيه[٢].][٣]

واتفقوا على صدقِه وورعه وثقته.

وسئل ابنُ معين عنه فقال: مثلي يُسأل عن أبي عبيد؟! [أبو عبيد][٤] يُسأل عن الناس.

وقال الإمام أحمدُ رحمه الله: أبو عبيد عندنا أستاذٌ، ويزداد كلَّ يومٍ خيراً[٥].

[وفيها توفي

محمد بن عثمان

ابن أبي الجُمَاهِر[٦]، أبو عبد الرحمن التنوخي الدمشقي من أهل كفرسوسة[٧] قرية

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٢-٣٩٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ص٦٢٢، وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). ومكانها في (خ) و(ف): وروى عنه الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيره.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (خ) و(ف)، واستدركته من تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٥، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٥٨.

(٥) من قوله: واتفقوا على صدقه وورعه... إلى هنا ليس في (ب).

(٦) كذا في (ب). وفي تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٢٢ (طبعة مجمع اللغة العربية)، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤٨ أنه عُرِف بأبي الجماهر.

(٧) كذا في (ب). واسمها كما في معجم البلدان ٤/ ٤٦٩: كفر سوسيَّة.

غربي دمشق.

ولد سنة إحدى وأربعين ومئة.

قال الحافظ ابن عساكر: توفي في هذه السنة[١].

أسندَ عن إسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، والدراورديّ، وغيرهم.

وروى عنه أحمد بن أبي الحَواري، وأبو زُرعة وأبو حاتم الرازيّان، وأبو زُرعة الدمشقي، وأبو داود في «سننه»، وخلقٌ كثير.

واتَّفقوا على صدقة وثقته وصلاحه.][٢]



(١) تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٢٧.

(٢) لم ترد الترجمة في (خ) و(ف). وما بين حاصرتين من (ب).

السنة الخامسة والعشرون بعد المئتين

فيها استوزرَ المعتصمُ محمد بن عبد الملك الزيَّات، وخَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارة، ورفعَ منزلته[١].

وفيها أُسِرَ المازيار وقتل بسامرّاء.

وفيها حَبَسَ المعتصمُ الأفشين، ونقم عليه، وسببُه عداوةُ ابن طاهر وابن أبي دؤاد للأفشين، فأوقعَا في قلب المعتصم أنَّه يريدُ قتلَه وزوالَ الخلافة عنه. [فحكى الصوليُّ أن أحمدَ بن أبي دؤاد نقل] إلى[٢] المعتصم أنَّ الأفشين كان يكاتب المازيار، فقال له [المعتصم:] ومن أين أعلمُ حقيقةَ ذلك؟ قال: تبعث إلى كاتِبه فتهدّده وتواعده بالقتل، فأرسلَ إلى كاتبه ليلاً، فسألَه، فأنكر، فتوعَّده فأقرَّ، وقال: كتبتُ كتاباً إليه بخطِّي؛ إنَّه لم يبق في العصر غير بابك وأنت وأنا، وقد مَضى بابك، وجيوشُ المعتصم عند ابن طاهر، فلم يبقَ عنده غيري، فإنْ هزمتَ ابنَ طاهر كفيتُك أنا المعتصم، ويخلصُ لنا الدين الأبيض - يعني المجوسيَّة لأنَّه كان يُتَّهمُ بها - فقال المعتصم للكاتب: إنْ ظهر أنَّكَ اجتمعتَ بي قتلتُك. ووهبَ له مالاً.

قال أحمد بن أبي دؤاد: فدخلتُ على المعتصم وهو يبكي ويقلق، فقلتُ: لا أبكى الله عينيك، ما الذي بك؟ فقال: يا أبا عبد الله، رجلٌ أنفقتُ عليه ألفَ ألف دينار، ووهبت له مثلها، يريدُ قتلي، قد تصدَّقتُ لله تعالى بعشرة آلاف درهم، فخذها ففرِّقها. وكانت الكرخُ قد احترقت، فقلت: أرى أن يُفرَّقَ نصفُ هذا المال في أهل الكرخ، ونصفُها في أهل الحرمين[٣]، فقال: افعل[٤].

ولمَّا كان الأفشينُ يحارب بابك كان لا يأتيه هديَّةٌ ولا مالٌ من أهل إرمينية إلَّا بعث بها إلى مدينته أشروسنة، ويجتازُ بعبد الله بن طاهر، فيخبرُ المعتصمَ بها، فكتب إليه

---

(١) المنتظم ١١/٩٨.

(٢) في (خ): فنقل ابن أبي دؤاد إلى. وفي (ف): فنقل إلى. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): الحرتين. ومن هنا إلى قوله: وفي هذه السنة رجفت الأهواز. ليس في (ب).

(٤) انظر المنتظم ١١/ ٩٩.

المعتصم أن يكاتبه بذلك، وبلغَ الأفشين، وكان يشدُّ الهمايين فيها الدنانير في أوساطِ أصحابه بقدر ما يحملُ الرجل، ويبعثُ بهم إلى أشروسنة، وعلم ابن طاهر فاجتاز يوماً جماعةٌ من أصحاب الأفشين، ففتَّشهم ابنُ طاهر، فوجدَ معهم الأموال، فقال: من أين لكم هذه الأموال؟ فقالوا: هذه للأفشين، فقال: كذبتم، لو أرادَ أخي الأفشين أن يُرسِل بهذه الأموال لكتب إليَّ يخبرُني بها؛ لآمر ببذْرَقتها[١] إلى أشروسنة، وإنَّما أنتم لصوص، وأخذَ منهم المال، ففرَّقه في جنده، وكتبَ إلى الأفشين يذكرُ له ما قال القوم، ويقول: إنْ كان هذا المال ليس لك فقد أعطيتُه لجند أمير المؤمنين، وإن كان لك فأمير المؤمنين يعوِّضُك، فكتب إليه الأفشين: الأموال كلُّها لأمير المؤمنين، أطلق القومَ يمضوا في سبيلهم.

واستوحش كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه، وبلغ ابنَ طاهر أنَّ الأفشين يطمعُ في ولاية خراسان، فازدادت الوحشة، ووقع ابن طاهر بكتبِ الأفشين إلى المازيار، فبعثَ بها إلى المعتصم، وكان من عصيان منكجور بأذربيجان ما كان، فحقَّق المعتصم الأمر، وتيقَّن الأفشين ذلك، فعزم على الهرب إلى الزاب على أطواف[٢]، ويمضي من هناك إلى إرمينية وإلى الخزر، ثم إلى أشروسنة، فتعسَّر عليه، فهيَّأ طعاماً كثيراً، وجعل فيه سمًّا، وعزم على أن يدعو المعتصمَ وقوَّاده، ويسمَّهم، فإن لم يجبه المعتصمُ دعا الأتراك مثل إيتاخ وأشناس وغيرهما فسمَّهم، وخرجَ أوَّل الليل بالأطواف على الدوابِّ إلى الزاب، فيعبر عليها إلى إرمينية، وكانت ولايتها إليه، فإذا وصل إليها صارَ إلى بلاد الخزر، ثمَّ يدور منها إلى بلاد الترك، ويرجع من بلاد الترك إلى أشروسنة، ويحمل الخزر والتركَ على أهل الإسلام يشغلهم عنه.

وطالَ به الأمرُ، ولم يتهيَّأ له ذلك، وكان بعضُ خواصِّه قد اطَّلع على أمره، فجاء

---

(١) في (خ) و(ف): لامر يبدر فيها. ولعل المثبت هو الصواب. وعبارة الطبري في تاريخه ٩/ ١٠٤ : لآمر بحراسته وبذرقته...
والبذرقة: الخفارة. القاموس المحيط (بذرق).

(٢) الطَّوف: قِرَبٌ يُنفخ فيها، ويُشدُّ بعضها إلى بعض، كهيئة السطح، يُركب عليها في الماء، ويحمل عليها، وتجمع على أطواف. انظر القاموس والمعجم الوسيط (طوف).

الجوسق[١]، وبنى له حبساً مرتفعاً[٢] وسماه لؤلؤة، وكتبَ المعتصمُ إلى عبد الله بن طاهر بأنْ يحتال[٣] على الحسن بن الأفشين وزوجته أُتْرُجَّة بنت أشناس في يومٍ عيَّنه له، وكان الحسنُ قد كثرت شكاويه من نوح بن أسد وأنَّه يتحاملُ على ناحيته وضياعِه، فكتبَ إليه ابنُ طاهر بولاية نوح، وكتبَ إلى نوح يأمُره إذا وصل إليه الحسن بقبضه وشدِّه وإيثاقه، فسارَ الحسنُ، ولا يشكُّ أنَّه والي الناحية، فخرج إليه نوح، فأخذه وشدَّه وثاقاً، وبعث به إلى ابنِ طاهر، فبعثَ به ابنُ طاهر إلى المعتصم.

ذكرُ مناظرة أحمد بن أبي دؤاد
وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات

وابن أبي دؤاد هو القاضي، وإسحاق صاحبُ الشرطة، وابنُ الزيَّات الوزير، فأُتي بالأفشين وبالمازيار صاحب طبرستان، وموبذ موبذان، وهو أحد ملوك السُّغد، والمرزبان، وأحضروا رجلين، فكشفوا الثياب عن ظهورهما، فإذا هي عاريةٌ من اللحم، فقال له ابن الزيات: يا حيدر[٤]، هل تعرف هذين؟ قال: نعم، هذا مؤذنٌ، وهذا إمامٌ، بنيا مسجداً بأشروسنة، فضربتُ كلَّ واحدٍ منهما ألفَ سوط، قال: ولم؟ قال: بيني وبين ملوك السُّغد عهدٌ أن أترك كلَّ قومٍ على دينهم، فوثبَ هذان على بيتٍ كانت فيه أصنامهم - يعني أهل أشروسنة - فأخرجَا الأصنام واتَّخذاه مسجداً، فضربتُهما على تعدِّيهما.

فقال له ابن الزيَّات: فما عندك كتابٌ قد زينته بالجواهر والذهب وجعلته في الديباج، فيه الكفر بالله تعالى؟ فقال: كتابٌ ورثتُه عن أبي، فيه آدابٌ وحكمٌ من آداب الأكاسرة، فأنا آخذُ منه الأدب، وأدفعُ ما سواه؛ ما ذكرت أنَّه كفر، مثلُ كتاب «كليلة

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وهذا اختصار مخلٌّ جدًّا.
ومضمون الخبر أنَّ من اطَّلع على أمر الأفشين جرى بينه وبين أحد القواد حديث فأطلعه على أمر الأفشين، فأخبره القائد أن هذا الأمر لا يمكن ولا يتم، فذكر ذلك للأفشين، وخاف القائد على نفسه، فركب من ساعته إلى أمير المؤمنين حتى أعلمه، فوجَّه المعتصم يدعو الأفشين، فجاء الأفشين، وحبسه المعتصم في الجوسق.
وانظر الخبر بتمامه في تاريخ الطبري ٩/ ١٠٦.

(٢) في (خ) و(ف): مربعاً. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في (خ) و(ف): يحتاط.

(٤) كذا، وهو تحريف. وصوابه: خيذر. انظر ما سلف ص٢٤٦ من هذا الجزء.

ودمنة»، وما ظننتُ أنَّ هذا يخرجني من الإسلام.

فقال ابن الزيَّات للموبذ: ما تقول؟ فقال: إنَّ هذا كان يأكلُ المخنوقة ويحملني على أكلها، ويزعمُ أنَّ لحمها [أرطب][1] لحماً من المذبوحة، وقال لي: إنِّي قد دخلتُ لهؤلاء القوم في كلِّ ما أكره، حتى أكلتُ الزيت، وركبتُ الجمل، ولبستُ النعل، غير أنِّي إلى هذه الغاية لم يسقط عنِّي شعرة، يعني: لَمَ يَطَّلِ بالكلس ولم يختتن.

وكان الموبذ إذ ذاك مجوسيًّا، وإنَّما أسلمَ بعد ذلك على يد المتوكل.

فقال الأفشين: خبِّروني عن هذا الذي تكلَّم بهذا الكلام أثقةٌ هو في دينه؟ قالوا: لا، قال: فما معنى قَبولكم شهادةَ من لا تثقون به ولا تعدِّلونه!؟

ثم أقبلَ على الموبذ وقال له: هل كان بيني وبينك بابٌ أو كوَّةٌ تَطَّلعُ عليَّ منها وتعرف أخباري؟ قال: لا، قال: أفليس كنتُ أدخلكَ منزلي، فأبثُّك سرِّي وميلي إلى الأعجميَّة وأهلها، قال: نعم، قال: لستَ بالثِّقة في دينك، ولا الكريمِ في عهدك، إذ أفشيتَ عليَّ سرّاً أسررتُه إليك.

ثمَّ تقدَّم المرزبان فقال: يا أفشين، كيف يكتبُ إليكَ أهلُ ملَّتك[2]؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدِّي، فقال ابن الزيَّات: وما كانوا يكتبون إليه؟ قال: يكتبون بالفارسية: إلى الإله من عبده، فقال ابن الزيَّات: أكذا هو؟ قال: نعم، قال: فما أبقيتَ لفرعون حين قال لقومه: «أنا ربكم الأعلى»، فقال: خفتُ أن يَفسُدوا عليَّ بتغيير ما يعهدونه، فقال له إسحاق: ويحَكَ يا حيدر، كيف تحلفُ لنا بالله فنصدِّقك وأنت تدَّعي ما ادَّعى فرعون! فقال له الأفشين: يا إسحاق، هذه سورةٌ قرأها عُجيف على عليِّ بن هشام، وأنت تقرؤها عليَّ، فانظر غداً من يقرؤها عليك.

ثم تقدَّم المازيار، فقالوا له[3]: أتعرف هذا؟ قال: نعم، قالوا: هل كاتبته؟ قال: لا، فقالوا للمازيار: هل كتب إليك؟ قال: كتبَ إليَّ أخوه على لسانه أنَّه لم يكن ينصر

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٠٨.

(٢) في تاريخ الطبري: مملكتك.

(٣) أي: للأفشين.

هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك ، فأمَّا بابك فإنّه بحمقه قتلَ نفسَه، ولقد اجتهدتُ في صرف الموت عنه، فأبى حمقُه إلى[1] أن دلَّاه فيما وقع فيه، فإن خالفتَ لم يكن للقوم منَ يؤمَرُ بقتالك غيري، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجِّهتُ إليكَ لم يبقَ أحدٌ يحاربنا إلَّا ثلاثة؛ العربُ والمغاربةُ والأتراك، وأمَّا العربيُّ بمنزلة الكلب، اطرح له كسرةً، ثمَّ اضرب رأسه بالدّبوس، وهؤلاء الذئاب - يعني المغاربة - فإنّما هم أَكَلَةُ رأس، وأما أولادُ الشياطين - يعني الأتراك - فإنَّما هي ساعةٌ حتى تنفد سهامُهم، ثم تجولُ عليهم الخيلُ جولةً[2] فتأتي على آخرهم، ويعود الدينُ إلى ما لم يزل عليه أيَّام العجم.

فقال الأفشين: هذا يدَّعى على أخي دعوى لا تسمع عليه، ولو كنتُ كتبت إليه بهذا الكتاب لأستميله[3] إليَّ حتى يثق بي كان غيرَ مستنكرٍ؛ لأنِّي إذا نصرتُ الخليفةَ بيدي، كنتُ أنْ أنصرَه بالحيلة أحرى؛ لآخذه بقفاه، وآتي به الخليفةَ فأحظى عنده كما حظي عنده عبدُ الله بن طاهر.

فزجر أحمدُ بن أبي دؤاد الأفشينَ لمَّا قالوا له ما قالوا، فقال له الأفشين: أنت يا [أبا][4] عبد الله ترفعُ طيلسانك بيدك، فلا تضعُه على عاتقك حتى تقتلَ به جماعة، فقال له ابن أبي دؤاد: أمطهَّرٌ أنت؟ قال: لا، قال: فما منعَك من ذلك، وبه تمامُ الإسلام والطهور من النجاسة؟ قال: أوليس في الإسلام استعمال التقيَّة؟ قال: بلى، قال: خفت أن أقطع ذلك العضو مني فأموت، فقال أحمد: أنت تطعن بالرمح وتضربُ بالسيف، فما يمنعُك ذلك من أن تكونَ في الحرب، وتخافُ من قطع[5] قلفة؟! قال: تلك ضرورةٌ أصبرُ عليها، وأمَّا القلفة فلا وأبي أخرج بها من الإسلام![6]

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٠٩ : إلا.

(٢) في (خ) و(ف) : جولي.

(٣) في (خ) و(ف): لاستمليته. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٠٩ وغيره.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١١٠ ، والكامل ٦/ ٥١٥ .

(٥) في (خ) و(ف) : قطعة.

(٦) كذا، ونص العبارة في تاريخ الطبري ٩/ ١١٠: ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام.

فقال ابن أبي دؤاد: وقد بانَ لكم أمره، ثم التفتَ ابن أبي دؤاد إلى بغا الكبير فقال: عليك به، فضربَ بغا على منطقته بيده، فجذبَها، فقال: قد كنتُ أتوقَّع منكم هذا قبلَ اليوم، فقلب بغا ذَيل القباء على رأسه، ثم أخذ بمجامعه، ورَدَّه إلى حبسه(١).

[وفي هذه السنة](٢) رجفتِ الأهوازُ وتصدَّعت الجبالُ، وخصوصاً الجبل المطلُّ على الأهواز، وسقط معظمُ البلد ونصف الجامع، وهرب أهلها إلى البرِّ والسفن، ودَامت أيَّاماً.

وحجَّ بالناس محمد بن داود(٣).

[فصل] وفيها توفي

سَعْدُويَه

واسمه سعيدُ بن سليمان، وكنيته أبو عثمان، الواسطيّ الواعظ البزَّاز. سكن بغداد.

[قال الخطيب:] امتُحنَ في القرآن فأجاب، فقيل له بعد ذلك: ما فعلت؟ فقال: كفرنا ورجعنا(٤).

وكانت وفاته في ذي الحجَّة ببغداد، وله مئة سنة.

حدَّث عن [الليث بن سعد، وزهير بن معاوية، وحمَّاد بن سَلَمة، وغيرهم،](٥) وروى عنه يحيى بن معين، [وأبو زُرعة، وأبو حاتم في آخرين.

قال الخطيب:] وكان ثقةً مأموناً(٦).

حجَّ ستينَ حجَّةً(٧).

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ١٠٧-١١٠، والكامل ٦/ ٥١٣-٥١٦.

(٢) في (خ) و(ف): وفيها. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) المنتظم ١١/ ٩٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢١.

(٥) في (خ) و(ف): حدث عنه المسيب وغيره؟! والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠ نقلاً عن أبي حاتم.

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ١١٩-١٢٣، والمنتظم ١١/ ١٠١، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨١.

أبو عمر[١] صالح بن إسحاق

النحويّ الجَرْميّ؛ وإنَّما سُمِّي الجَرْميّ؛ لأنَّه نزل في قبيلةٍ من جَرْم، فنُسِبَ إليها. وقيل: كان مولاهم. وقيل: مولى بَجيلة[٢].

وكان إماماً عالماً فاضلاً، يعرف العربيَّة والنحو وأيَّام الناس وأشعار العرب، وله اختياراتٌ وأقوالٌ وتصانيف ومقدِّمةٌ في النحو مشهورة، وكان ممَّن اجتمع له مع العلم صحَّةُ الاعتقاد وحسنُ المذهب، وقَدِم بغداد، وناظرَ يحيى بن زياد الفرَّاء، وظهر عليه.

وحَكى ثعلب عن ابن قادم قال: قدم الجرميُّ بغداد، فقال الفراء: إنِّي أحبُّ لقاءه، فجمعتُ بينهما، فغلبه الجرميُّ وأفحمه، فندمتُ على جمعي بينهما، قال ثعلب: فقلت لابن قادم: لم ندمتَ؟ قال: لأنَّ علمي علمُ الفراء، فلمَّا رأيتُه مقهوراً قلَّ في عيني، ونقص علمُه عندي.

أسندَ الحديث عن يزيد بن زُريع وغيره، ورَوى عنه أحمد بن مُلاعب المُخَرِّمي[٣] وغيره، وكان ذا ورعٍ ودين[٤].

عبدُ الله بن عَمرو

ابن أبي الحجاج، أبو مَعْمَر المِنْقَرِيُّ البصريُّ، كان فاضلاً.

قال: روى لنا شعبةُ يوماً قول كعبِ بن مالك الأنصاريّ من أبيات: [من الوافر]

قَضينَا من تهامةَ كُلَّ ريبٍ ... وخيبرَ ثمَّ أجمعنا[٥] السيوفَا
نسائِلُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطِعُهنّ دَوْساً أو ثقيفَا
فلستُ لمالكٍ[٦] إن لم نزركُمْ ... بساحةِ دارِكم منّا الضيوفَا[٧]

---

(١) في (خ) و(ف): أبو عمرو. والمثبت من المصادر. ومن هذه الترجمة إلى بداية ترجمة علي بن رزين ليس في (ب)
(٢) هو بجيلة بن أنمار بن أراش بن الغوث بن خثعم، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٦.
(٣) في (خ) و(ف): المخزومي. وهو تحريف.
(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٦، والمنتظم ١١/ ١٠١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦١.
(٥) كذا في (خ) و(ف) وتاريخ بغداد ١١/ ٢٠٢، وفي ديوان كعب ص١٨٨: أجمنا.
(٦) في (خ) و(ف): بمالك، والمثبت من تاريخ بغداد. ووقع في ديوان كعب: لحاضن.
(٧) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ بغداد، وديوان كعب: ألوفا. بدل: الضيوفا.

ونـــنـــتـــزعُ الـــعـــروسَ عـــروسَ وجٍّ وتـــصـــبـــح داركـــم مـــنـــا[1] خُـــلُـــوفـــا

فصحَّفَ شعبةُ، ورواها عروس بسين مهملة، فقلت له: وأيُّ عروسٍ كانت؟ قال: فما هي؟ قلت: عروش، بشين معجمة، فكان بعد ذلك يكرمني ويرفع منزلتي.

سمع شعبةَ وعبد الوارث بن سعيد ـ وبه يعرف، يقال: صاحب عبد الوارث ـ وغيرهما.

ورَوى عنه البخاريُّ وغيره، وكان تقيًّا ثقةً، وأُقعِدَ في آخر زمانه[2].

[وفيها توفي]

علي بن رَزِيْن

أبو الحسن الخراسانيّ الترمذيّ، ويقال: الهرويّ، أستاذ أبي عبد الله المغربي.

كان صاحبَ آياتٍ وكرامات، [روى أبو جهضم أنَّه] شاعَ في الناس أنَّه يشربُ في كلِّ أربعة أيَّام[3] شربةً من ماء، فسأله رجلٌ من أهل قَرْميسين عن ذلك، فقال: وأيُّ شيء في ذلك، سألتُ الله أن يكفيني مؤنةَ بطني، ففعل.

وله سياحاتٌ مشهورةٌ، وقال السلميّ: ماتَ ابن رَزين في هذه السنة، ودُفن على جبل الطُّور، وعمره عشرونَ ومئة سنة.

[وقال إبراهيم بن شيبان: كان يقال إن ابن رَزين صَحِب الحسن البصري.][4]

أبو دُلَف العِجْليّ

واسمه القاسمُ بن عيسى بن إدريس بن مَعْقِل بن سيّار[5] بن شمخ، وقيل: [بن] شيخ الخزاعيّ[6]، من ولد عِجْل بن لُجَيْم، [وذكره الخطيب فقال: أبو دُلَف العجليّ] أمير الكَرَج.

---

(١) كذا في (خ) و(ف): وفي تاريخ بغداد، وديوان كعب: منكم.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٠١-٢٠٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٥٣-٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٠٦-٦٠٧.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وليست في (ب). وفي صفة الصفوة ٤/ ١٦٧، والمنتظم ١١/ ١٠٢: أربعة أشهر.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ) و(ف): سنان، وفي (ب): هلال. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ٣١٩ (طبعة مجمع اللغة العربية).

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٧. وما بين حاصرتين من (ب).

كان شجاعاً جواداً شاعراً أديباً فصيحاً سخيًّا، ورد بغداد عدَّة دُفعات، و[قال أبو نُعيم]: كان من الأجواد الممدَّحين، تولى محاربة الخرَّمية، فأفناهم[١].

[ذكرُ طرفٍ من أخباره:

قد ذكره أربابُ السير، كالقاضي التنوخيّ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»، وكالخطيبِ وابن عساكر وغيرهم، فروي عن إبراهيم بن الحسن بن سَهْل قال:][٢] كنَّا في موكب المأمون، فجاء أبو دُلَفٍ فترجَّل، فقال له المأمون: ما أخَّرك عنِّي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، [مرضٌ عرضَ لي، فقالَ له المأمون:] شفاك الله وعافاك، اركب، فوثبَ من الأرض إلى الفرس من غير أنْ يمسَّ بيده قَرَبُوس سرجه، فقال له المأمون: ما هذه وثبةُ مريض! فقال: بدعاءِ أمير المؤمنين شُفيت[٣].

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان أبو دُلَف في جملة من كان مع الأفشين يحاربُ بابك، ثم تنكَّر له، وأخذه لمَّا قدمَ إلى سرَّ من رأى ليقتلَه، فقال المعتصم لابن أبي دؤاد: أدركه، ما أراك تلحقُه، وتلطَّف في خلاصه كيف شئت.

قال ابن أبي دؤاد: فركضتُ إلى داره ركضاً، فدخلت وإذا بأبي دُلَف قائمٌ بين يديه، وقد أخذ بيده غلامان تركيَّان، وهو يريد قتلَه، فرميتُ بنفسي على البساط، وكان من عادته أن يفرش لي مُصَلى، فقال: سبحان الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت حملتني عليه، وكلَّمته في القاسم وخضعت له، وهو لا يزدادُ إلَّا غِلْظةً، فقلت في نفسي: هذا عبد، وقد خضعتُ له ولم ينفع، وليس يؤخذُ إلَّا بالرهبة، فقمت قائماً وقلتُ له: كم تقتلُ أولياءَ أميرالمؤمنين واحداً بعد واحد، وتخالفُ أمرَه في قائدٍ بعد قائد؟! إنَّ أمير المؤمنين يقولُ لك: إن قتلته قتلَك، فذلَّ ولَصِقَ بالأرض واضطرب، فأخذتُ بيد أبي دُلَفٍ وخرجت، وهو يقول: لا تفعل، فقلت: قد فعلتُ بأمر أمير المؤمنين[٤].

وفي رواية القاضي التنوخيّ أنَّ أبا دُلَف كان مع الأفشين في حرب بابك، فحسدَه

(١) انظر أخبار أصبهان ٢/ ١٦٠ .

(٢) في (خ) و(ف) : وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٣ .

(٤) الأغاني ٨/ ٢٥٠-٢٥١ .

الأفشين لشجاعته وكرمه، فلمَّا عاد من حرب بابك سألَ المعتصمَ أنْ يطلق [يدَه على][(١)] أبي دُلَف، وما كان يخالفُه في شيء، وكان يَدخلُ على المعتصم بغير إذن، فأطلقَه، فأخذه فقيَّده، وبلغ ابنَ أبي دؤاد، فدخلَ على الأفشين وقال: أبو دُلَفٍ فارسُ العرب وشريفُها وملكها، وقد علمتَ ما كان من كسرى إلى النعمان حيث ملَّكَه على العرب، وأنتَ اليوم بقيَّةُ كسرى، فكن شريفَ العجم، كما أنَّ القاسم شريفُ العرب، فلم يجب، فقلت: أميرُ المؤمنين قد أطلقَه، وأخذت بيده وخرجت[(٢)]، ودخلتُ على المعتصم فأخبرتُه، فقال: قتلني الله إن لم أقتله، وإذا بالأفشين قد جاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أطلقتَ يدي في رجلٍ سعى في دمي، وفعل ما فعل، ثم بعثت إليَّ مع أحمد تلك الرسالة، فقال: نعم، لا تعترضْ للقاسم، فقام الأفشينُ متذمِّماً، واتبعتُه لأتلافاه، فصاح بي المعتصم: ارجعْ أبا عبد الله، وأطلق أبا دُلَف من القتل.

وبعث الأفشين إلى ابن أبي دؤاد يقول له: لا تقربني، فقال لرسوله: قل له: إنما أنت رجلٌ رفعتكَ دولة، فإن جئتكَ فلها، وإن قعدتُ فعنك، وما أتيتك من قلَّة، ولا اعتززت بك من ذلَّة[(٣)].

وقال أبو عبد الرَّحمن التَّوَّزي: استهدى المعتصم من أبي دُلَف كلباً للصيد، فجعل في عنقه قلادةً وكتب عليها: [من المنسرح]

أوصيكَ خيراً به فإنَّ له ... خلائقاً لا أزالُ أحمدُها
يدلُّ ضيفي عليَّ في ظُلَم الليـ ... ـل إذا النارُ نامَ موقدُها[(٤)]

[وروى الخطيب عن العتَّابي قال:][(٥)] اجتمعنا على باب أبي دُلَف جماعة، وكان يعدنا بأموالٍ تأتيه من الكَرَج وغيره، فجاءته الأموال، فبسَط [الأنطاع]، وجلسنا حوله، فقام قائماً، واتكأ على قائم سيفه وقال: [من الطويل]

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر الفرج بعد الشدة ٢/ ٧٠ وما بعدها.

(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٧٣: ونفضت في وجهه يدي ونهضت.

(٣) انظر الفرج بعد الشدة ٢/ ٦٧-٧٥.

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٣٤. ومن قوله: وقال أبو الفرج الأصبهاني... إلى هنا ليس في (ب).

(٥) في (خ) و(ف): وقال العتابي. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

ألا أيُّهـا الـزوَّارُ لا يـدَ عـنـدكـم ... أيـاديـكـم عـنـدي أجـلُّ وأكـبـرُ
فـإن كـنـتـمُ أفـردتُـمـونـيَ لـلـرَّجـا ... فشُكـري لـكـم من شكـركـم لـيَ أكثـرُ
كـفـانـي مـن مـالـي دِلاصٌ وسـابـحٌ ... وأبيضُ من صافي الحديد ومِغْفَرُ[١]

ثم أمر بنهب تلك الأموال، فأخذَ كلٌّ واحدٍ على قدر قوّته.

وقال الفضلُ بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ: كان لرجلٍ حجازيٍّ جاريةٌ حسناء، وكانت شاعرةً حاذقةً بالغناء، فأملقَ، فقدم بغداد، فلم يَحْظَ بطائل، وكان شاعراً، فقيل له: عليك بأبي دُلَف، فخرج إليه إلى الكَرَج فامتدحه، وباعَه الجارية بثلاثة آلاف دينار، ووصلَه، ورجعَ إلى بغداد حزيناً باكياً على فقد الجارية، فسلماها إليه، فسألها عن حالها[٢]، فقالت: لمَّا فارقتُك استوحشتُ وامتنعتُ من الطعام والشراب والنوم، فدعاني أبو دُلَف وقال: غنِّي، فخنقتني العبرةُ، ولم أستطع الكلام، فجفاني واطَّرحني، وجعلني في حجرةٍ، وأقام عندي امرأة تخدمني، فقلتُ أبياتاً وكتبتها في ورقة، وكنت أتسلَّى بها وهي: [من البسيط]

لـو يَعلـمُ القـاسـمُ العِجْليُّ ما فعلا ... لـعـاد مـعـتـذراً ومـطـرقـاً خـجـلَا
مـاذا دعـاه إلـى هـجـرِ الـمـروءة فـي ... تـفـريقِ إلفـينِ كـانـا في الـهوى مَثَلَا
فـإنَّ مـولاي أصـمـتـهُ الـخـطـوبُ بـمـا ... لـو مرَّ بـالطفلِ عـاد الطفلُ مكتـهـلَا
فـبـاعـنـي بـيـع مـضـطـرٍّ وصـيَّـرهُ ... فـرطُ الـنـدامـةِ بـعـد الـبـيـن مـخـتـبِلَا
وبـتُّ عـادمـةً لـلـصـبـر بـاكـيـةً ... كـأنَّـنـي مُـدْنَـفٌ قـد شـارفَ الأجـلَا
بـيـن الـضـرائـرِ أُدعـى بـالـغـريـبـةِ إن ... هفوتُ لم ألقَ[٣] لي في الناس محتمِلَا
فـمـا تـبـدَّلـتُ إلـفـاً بـعـد فُـرقَـتـه ... ولا تَـعـوَّضَ مـنـي عـابـرٌ[٤] بـدلَا

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ب) .
والدِّلاص من الدروع اللينة، والفرس السابح الذي يسبح بيديه في سيره أي يجري. انظر اللسان (دلص) ، (سبح) .
(٢) كذا في (خ) و(ف) . وفيه اختصار مخل أو سقط، وخلاصة الخبر أنَّ الحجازي عاد إلى منزله فوجد الجارية، وقد أهداها له أبو دلف. انظر المنتظم ١١/ ١٠٦ .
(٣) في (ف) : ألف.
(٤) في المنتظم ١١/ ١٠٧ : غادر.

قالت: واتَّفق أنَّ أبا دُلَف اجتازَ بباب الحجرة، فدخل لينظرَ هل خفَّ ما أجد، فجلس يعاتبني ويرفقُ بي، فوجدني على حالي والرقعةُ بين يدي، فأخذَها ونظر فيها وقال: الآن يئستُ منك، وإن رددتُك على مولاك، فمن يردُّ علي المال؟ فقلت: الذي قبضَه منك، أو ما بقيَ منه وهو الأكثر، والله تعالى يخلفُ عليك ما ذهبَ منه، فأطرقَ ساعةً، ثم قال: بل يخلفُ الله الأصلَ، وقد رددتُكِ على مولاك، ووهبتُ لك ما أعطيتُك من الحلي والجواهر والمتاع؛ لحسن عهدك ورعايتك حقَّ الصحبة، فاستتري منِّي، فقد خرجتِ من ملكي، ثمَّ جهَّزني مع خادمٍ وامرأة وأعطاني كسوةً وكراعاً وثياباً، فقلت له: يا مولاي، قد حضرَ بيتان، فقال: قُولي، فقلت: [من البسيط]

لم يخلق الله خلقاً صيغَ من كرمٍ ... إلَّا أمير الندى المكنى أبا دُلَفِ
رَثى لمحزونةٍ بالبين مُدْنفَةٍ ... فردَّها طالباً أجراً على دنفِ

فدمعت عيناه، وأمر لي بخلعة ومئةِ دينار، وردَّني إلى مولاي.

قال اليزيديُّ: فسمرتُ ليلةً عند المأمون، وحدَّثتهُ الحديثَ، فاستحسنه وقال: ما قصَّرتِ الجاريةُ في حفظِ عهد مَن ربَّاها، وما قصَّر القاسمُ في فعله، ونحتاجُ إلى أن نقوِّيَ نيَّته[1] في مثل هذا الفعل الجميل الذي هو معدودٌ من مفاخرِ أيَّامِنا، فقل لأحمد ابن أبي خالد[2] يبعث إلينا مالاً، ونكتب إليه نعرفه انتهاءَ الحالِ إلينا، واستحسنا ما فعلَه[3]؛ ليزدادَ حرصاً على انتهازِ الفرص في مثل هذه المكارم.

وقال الصوليُّ: تذاكرنَا يوماً عندَ المُبرِّد في الحظوظ والأرزاق، وأنَّ الإنسان يأتيه رزقه من حيث لا يحتسب، قال: [هذا يقع كثيراً، فمنه قول][4] ابن أبي فنن قال أبياتاً اتِّفاقيةً لمعنى أراده وهي: [من البسيط]

مالي ومالكِ قد كلَّفتِني شططاً ... حَمْلَ السلاح وقولَ الدَّارعين قفِ
أمِنْ رجالِ المنايا خِلْتِني رجلاً ... أُمسي وأُصبِح مشتاقاً إلى التَّلَفِ

(١) في المنتظم ١١/١٠٨ : نقوي عزمه.
(٢) في المنتظم ١١/١٠٨: لأحمد بن أبي طاهر.
(٣) كذا، وفي المنتظم ١١/١٠٨: وإحمادنا لما اعتمد.
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٤/ ٤١١ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٦ ، والمنتظم ١١/ ١٠٥ .

تمشي المنونُ إلى غيري فأكرهها فكيف أسعَى إليها بارزَ الكتفِ
أم هل حسبتِ سوادَ الليل شجَّعني أو أنَّ قلبيَ في جَنْبَي أبي دُلَفِ

فبلغ أبا دُلَفٍ هذا الشعرُ فبعثَ إليه بأربعة آلاف دينار، جاءته على بغتة.

وقال الأصمعيُّ: دخلَ أبو دُلَفٍ يوماً على المأمون وقد نَصَلَ خضابُه، وعنده جاريةٌ، فغمزَها عليه، فقالت له: شبتَ يا أبا دُلَف، واسترجَعَتْ، فأعرض عنها، فقال له المأمون: ألا تجيبُها، فأطرقَ ساعةً ثمَّ رفعَ رأسه وقال: [من البسيط]

تَهزَّأَتْ أن رأتْ شيبي فقلتُ لها لا تهزئي من يَطُل عمرٌ به يَشبِ
شيبُ الرجال لهم زينٌ ومكرُمةٌ وشيبكُنَّ لكنَّ العارُ فاكتئبِي
فينا لَكُنَّ وإن شيبٌ بدا أَربٌ[(١)] وليس فيكنَّ بعد الشيبِ من أربِ[(٢)]

واجتمعَ الشعراءُ بباب أبي دُلَف، ولم يكن عنده مالٌ، فحجبَهم حياءً منهم، واعتذر إليهم، فكتبوا: [من الخفيف]

أيُّهذا العزيزُ قد مسَّنا الدَّهْـ ـرُ بضُرٌّ وأهلُنا أشتاتُ[(٣)]
وأبونا شيخٌ كبيرٌ فقيرٌ ولدينا بضاعةٌ مُزْجَاةُ
قلَّ طُلَّابها فبارَتْ علينا وبضاعتُنا بها التُّرَّهاتُ
فاغتنم شكرنَا وأوفِ لنا الكَيْـ ـلَ صدِّق[(٤)] فإنَّنا أمواتُ

فقال: أبوا أنْ يضربوا وجهي إلا بسورة يوسف، فدعا بهم وقال: والله ما معي درهم، وأنا معكم كما قيل: [من الوافر]

لقد أُخبرتُ أنَّ عليك ديناً فزد في رقم دينك واقضِ ديني

يا غلام، اقترض لهم عشرين ألفاً بأربعين ألفاً، فأخذوها وانصرفوا[(٥)].

---

(١) في (خ) و(ف): وإن شبنا بذا الكرب. وهو تحريف.

(٢) العقد الفريد ٣/ ٥٢.

(٣) وقع في هذا البيت تصحيف في (خ) و(ف) ونصُّه:

أيها العزيز قد مسنا الضـ ـر نحن جمع وأهلنا أشتات.

(٤) في (خ) و(ف): وتصدق. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٩.

وصدَّق عليه كتصدَّق. لسان العرب (صدق).

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٩.

ودخل أبو دُلَف على المأمون، وكان قد تنكّر له، فنظر إليه شَزراً، وقال له: أنت الذي يقول فيك عليٌّ بن جبلة: [من الطويل]

لـه راحـةٌ لـو أنَّ مـعـشـارَ عـشـرهـا على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البحرِ
لـه هِـمَـمٌ لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا وهـمَّـتُـه الـصـغرى أجلُّ مـن الـدَّهـرِ
أبـا دُلَـفٍ بُـوركـت فـي كـلِّ وجـهـةٍ كما بوركَتْ في شهرِها ليلةُ القدرِ

فقال: ما أعرفُ من هذا حرفاً، فقال: بلى، وفيك يقول أيضاً: [من البسيط]

مـا قـالَ لا قـطُّ مـن جـودٍ أبـو دُلَـفٍ إلَّا الـتـشـهـد لـكـن قـولُـه نـعـمُ

فقال: ما أعرفه، قال: بلى، وفيك يقول أيضاً: [من البسيط]

اللهُ أجـرَى مـن الأرزاقِ أكـثـرهـا على العبادِ على أيدي أبي دُلَفِ[1]
مـا خـطَّ لا كـاتـبـاهُ فـي صـحـيـفـتِـه كما تُخطَّطُ لا في سائرِ الصحفِ
أعـطـى أبـو دُلَـفٍ والـريـحُ جـاريـةٌ حتى إذا وقـفـتْ أعطى ولـم يـقـفِ

قال: ما أعرفه، قال: بلى، وهو القائلُ فيك أيضاً: [من المديد]

إنَّـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ بـيـن بـاديـهِ[2] ومـحـتـضـرهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـفٍ ولَّـتِ الـدنـيـا عـلـى أثَـرِهْ[3][4]

فقال: ما أعرفه، قال: بلى، وأعطيتَه عليهما ثلاثينَ ألفاً، فقال: مكذوباً علي، وأصدقُ منه قول القائل: [من الطويل]

دَعيني أجوبُ الأرضَ ألتمسُ الغنى فلا الكَرَجُ الدُّنيا ولا الناسُ قاسمُ
إذا كـانـت الأرزاقُ فـي كـفِّ قـاسـمٍ فـلا كـانـت الـدُّنيـا ولا كـانَ قـاسـمُ

فضحكَ المأمون وسكنَ غضبُه[5].

(١) هذا البيت لم يذكره ابن عساكر. تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢-٣٢٣.
(٢) في تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق: عند مغزاه... وذكره بمثل رواية المصنف ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٠٤.
(٣) من قوله: وقال: الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي... إلى هنا ليس في (ب).
(٤) البيتان لم يذكرهما ابن عساكر في تاريخه في سياق هذه القصة، وإنما أوردهما من طريق الخطيب البغدادي في رواية أخرى للخبر مختصرة. انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣ وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢-٣٢٣. وانظر التعليق التالي.
(٥) وقع في (ب) ذكر الخبر المختصر الذي أشرت إليه في التعليق السابق، وهاك نصه:
وحكى الخطيب عن الرَّبَعي قال: قال المأمون وهو مقطِّبٌ: أنتَ الذي يقول فيك الشاعر:

وقال الأصمعيُّ: كتبَ إليه رجلٌ يقول: إنِّي مديون، فكتب أبو دُلَف: وأنا والله مديون، فكتب إليه الرجل: [من الوافر]

وقد خُبِّرتُ أنَّ عليك ديناً ... فزِدْ في رقمِ دينِك واقْضِ ديني

فقال: نعم، فاستدان، وقضى دينه[1].

[وذكر][2] العتبيّ أنَّ جاراً لأبي دُلَف ركبه دينٌ، فأرادَ بيع داره فساومَهم فيها ألف دينار، فقالوا: قيمتُها خمسُ مئة، فقال: نعم، أبيعُكم إيَّاها بخمس مئة [دينار]، وجوارُ أبي دُلَف بخمس مئة دينارٍ أخرى، وبلغَ أبا دُلَفٍ فأرسلَ إليه بألف دينار، وقال: لا تبعْ دارك، ولا تنتقل من جوارنا، وقضَى دينه[3].

و[قال العتبيُّ:] وقف ببابه شاعرٌ مدَّةً، فلم يصل إليه، فكتب إليه: [من الوافر]

إذا كان الكريمُ له حجابٌ[4] ... فما فضلُ الكريم على اللئيمِ

[فكتب عليها: جواب ذلك[5]]: [من الوافر]

إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ ... ولم يُعذَر تعلَّلَ بالحجابِ[6]

ووقف ببابه رجلٌ فلم يصل إليه، فكتب إليه: والله إنِّي لأعرفُ أقواماً لو علموا أنَّ

= إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديها (كذا) ومحتضره

فإذا ولَّى أبو دُلَف ... ولَّت الدنيا على أثره

فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول غرور، وأصدق منه قول القائل: [من الطويل]

دعوني أجوب الأرض ألتمسُ الغنى ... فلا الكَرَجُ الدنيا ولا الناسُ قاسمُ

إذا كانت الأرزاقُ في كفِّ قاسمٍ ... فلا كانت الدنيا ولا كان قاسمُ

فضحك المأمون وسكن غضبه

انتهى مصححاً ما فيه من تحريف. وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢.

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٧٥-٧٦.

(٢) في (خ) و(ف): وقال والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) انظر العقد الفريد ١/ ٢٥٦، وفيه أنه ساومهم على داره بألفي درهم، وجعل لجوار أبي دلف ألفاً وخمس مئة دينار. وفيه أن أبا دلف قضى دينه.

(٤) في (خ) و(ف). عجاف. والمثبت من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): فكتب إليه.

(٦) انظر العقد الفريد ١/ ٧٤.

سفَّ الترابِ يقيمُ أصلابَهم لجعلوه مُسْكَةً لأرماقهم؛ إيثاراً للتنزُّه عن عيشٍ رقيق الحواشي، فتحبَّب إلى الناس بتسهيلِ الحجاب، فإنَّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحبِّ الله تعالى، وكذا بغضهم؛ لأنَّهم شهداء الله في أرضه، ورقباؤه على من اعوجَّ عن سبيله، فاعتذرَ عليه ووصله(١).

وقال محمَّد بن حامد: كان العمريُّ الشاعرُ عند المأمون، فأنشدَ بعضُ الحاضرين: [من الطويل]

إذا لم تَصُنْ عِرْضاً ولم تخشَ خالقاً ... وتستحي مخلوقاً فما أنتَ صانعُ

فقال العمريُّ: لمن هذا؟ قال المأمون: لأبي دُلَف، فقال العمريُّ: والله لئن لقيتُه لأبولنَّ عليه.

فما استتمَّ كلامَه حتى دخل الحاجبُ فقال: القاسمُ على الباب، جاء من عند ابن طاهر، فأذِنَ له، فدخلَ فسلَّم عليه بالخلافة، فأحسنَ الردَّ، وقرَّبه، ورحَّبَ به، وقال: كيف خلَّفتَ أبا العباس - يعني عبد الله بن طاهر - فقال: خلَّفتُه أمينَ غيبة، نقي الجيب، يتَّقي الرِّماح بصدره، والسهام بنحره في طاعة أمير المؤمنين، قامَ(٢)في الأمور على ساق التسهير(٣)، يردعُها بكيده، ويفلُّها بحدِّه، فهو في شجاعته كما قال العباس بن مرداس: [من الوافر]

أَشُدُّ على الكتيبة لا أُبالي ... أفيهَا كان حتفي أم سِوَاهَا

وفي سخائه كما قال زهير: [من الطويل]

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً ... كأنَّك تعطيه الذي أنت سائلُه(٤)

وفي عفَّته كما قال الأسود: [من الكامل]

وأغضُّ طرفيَ ما بدت لي جارتي ... حتَّى يواري جارتي مأواهَا(٥)

---

(١) هذا الخبر أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢/ ٢٠١، وابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ٧٢، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ٨٩، وفيها أن الموعوظ هو سعيد بن سلم والي إرمينية.

(٢) في (ف): فأقام.

(٣) في (ف): ساقي التشهير.

(٤) ديوان زهير ص١٤٢.

(٥) ديوان عنترة ص٣٠٨ (طبعة المكتب الإسلامي).

فقال العمريّ: من هذا؟ قال: الذي آليتَ أن تبولَ عليه، فقال: أنت أبو دُلَف؟ قال: أنا القاسم. ولم يتكنَّ بحضرة أمير المؤمنين، فقال: قلْ بيتاً على هذه القافية والوزن: [من الرمل]

خـذ يـا قـاسـم كـأسـاً مـرَّةً   مـرَّةً كـأسـاً يـا[1] قـاسـمُ خـذْ

فأطرقَ أبو دُلَف ساعةً، فقال العمري: إنَّ أهل الجبال بأكلهم الحشرات أحذقُ منهم بقول الشِّعر، فرفع أبو دُلَفٍ رأسَه وقال: والله ما عجزتُ عنه، ولقد أجزتُه من حين سمعتُه، وإنما أُطرقُ تعجباً منك، كيف هجوتَني من غير معرفةٍ ولا سبب، وقد سمعت بذكري على لسان الركبان؟! بل الحسد، ثمَّ قال: [من الرمل]

لـذَّ شـربُ الـكـاسِ يـا صـاحِ لـنـا   ولـنـا يـا صـاحِ شـربُ الـكـاس لـذ
مـن يـغـنِّـيـنـي بـبـيـتٍ بـعـده   شـذَّ عـنـه مـسـلـكٌ لـلـخـيـر شـذ
وأيـور الـزنـج مـن حِـر امِّـهِ   مـذ بـرا الله أيـورَ الـزنـج مـذْ

فقال له المأمون: مه، فإنَّه العمريّ، فقال العمريّ: ما ظننتُ أنَّ الجبال تُخْرِجُ مثله، فقال المأمون: إنَّ بالجبال قوماً يعطون السيف حدَّه، والشعر حظَّه، والمال حقَّه، وإنَّ القاسم وأهله منهم[2].

وقال العتبي: كان أبو دُلَف مع جلالة قدره وعلوِّ منزلته وفضله مولعاً بالغناء، حسنَ الضرب بالعود.

قال المعتصم يوماً لأحمد بن أبي دؤاد: تريدُ أن أسمعكَ غناء صديقك، فقال أحمد: القاسم في شجاعته وبراعته وكرمه أعظمُ من هذا، فضرب بستارة، وجعل أبو دُلَفٍ خلف[3] منها، وقال: غنِّي، فغنَّى، فقال المعتصم لابن أبي دؤاد: ما تقول في هذا؟ ولم يعلم أنَّه القاسم، فقال: أسمعُ غناءً حسناً، وأميرُ المؤمنين أعلمُ منِّي بهذا، فأشار المعتصم إلى من هتكَ الستارة، وإذا بأبي دُلَف، فتحيَّر أحمد، وقال: ويحكَ يا ماجن،

(١) كذا في (خ) و(ف). ولعلها: أيا. في الموضعين.
(٢) من قوله: ووقف ببابه رجلٌ فلم يصل إليه . . . إلى هنا، ليس في (ب).
(٣) كذا في (خ) و(ف).

ما هذا؟ فقال: أُجبرت، قال: فهب أنَّك أُجبرت، من أجبرك على أن تحسن الغناء[(١)]؟

[ذكر وفاته:

قال الصوليُّ: مات أبو دُلف ببغداد في هذه السنة.

وقال الخطيب:][(٢)] حدَّث عن هُشيم بن بشير، وروى عنه الهيثمُ بن زياد.

[وروى الخطيب بإسناده إلى] دُلَف ابن أبي دُلَف [العجليِّ قال:] لمَّا مات أبي رأيتُ في المنام [كأنَّ] آتياً أتاني فقال: أجب الأمير، فقمتُ معه، فأدخلني داراً وَحْشَةً وعرةً، حيطانها سود، فصعد بي إلى غرفةٍ، فأدخلني إيَّاها، وإذا في حيطانها أثرُ النيران، وفي أرضها رماد، وإذا بأبي عريان، واضع رأسَه بين ركبتيه، فقال [لي] كالمستفهم: دُلَف؟ قلتُ: نعم، أصلح الله الأمير، فقال: [من الخفيف]

أَبْلِغَنْ أهلَنا ولا تخفِ عنهم ... ما لَقينا في البرزخ الخَنَّاقِ

قد سُئلنا عن كلِّ ما قد فَعَلنَا ... فارحموا وحدَتي[(٣)] وما قد أُلاقِي

أفهمت؟ قلت: نعم، فقال: [من الوافر]

ولو أنَّا إذا مِتْنَا تُرِكنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ

ولكنَّا إذا مَتْنَا بُعِثنا ... ونُسألُ بعده عن كلِّ شيِّ

[ثم قال:] انصرف، قال: فانتبهت.

[وفيها توفي]

منصور بن عمَّار بن كثير

أبو السريِّ، الواعظُ الخراسانيّ، وقيل: البصريّ، [وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي:][(٤)] هو من أهل مرو، من قريةٍ يقال لها: دَنْدانَقان، وقيل: هو من أَبِيوَرْد،

---

(١) من قوله: قال المتعصم يوماً لأحمد . . . إلى هنا. ليس في (ب). وانظر الخبر في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٤-٤١٥ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٣٨-٣٣٩ .

(٢) في (خ) و(ف): وكانت وفاته ببغداد، والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٥ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٤٠ : وحشتي.

(٤) في (خ) و(ف): وقيل. وما بين حاصرتين من (ب).

وقيل: من بُوْشَنج.

رحل إلى العراق [وحدَّث بها]، وأوتي الحكم، ولم يقصّ أحدٌ في زمانه مثله.

[وذكره ابنُ خميس في «المناقب» وقال: كان من أحسن الواعظين كلاماً، ومن حكماء المشايخ،](١) كبيرَ الشأن في علم الورع والتقلُّل.

[قال:] وسبب توبته أنَّه وجدَ في الطريق رقعةً فيها مكتوب: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، فرفعها، فلم يجد لها موضعاً، فأكلها فرأى في المنام قائلاً يقول: قد فتحَ الله عليك أبوابَ الحكمة لاحترامك لتلك الكَاغِدَة(٢).

وروي أنَّه رأى النبي ﷺ، فتَفلَ في فيه، فتكلَّم بالحكمة(٣).

و[قال أبو سعيد بن يونس:] قدم [منصور] مصرَ فجلس يقصُّ على الناس، وبلغ الليثَ بن سعد، فأرسلَ إليه وقال: أَسْمِعني شيئاً من كلامك، فأسمعَهُ، فاستحسنه وبكى وقال: ما الذي أقدمك [إلى] بلادنا؟ فقال: دَيْن، فقال: صُنِ الحكمةَ التي آتاك الله ولا تبذلها للعوام، وأعطاه ألف دينار.

[وقد ذكرنا بمعنى هذا عن الليث بن سعد في ترجمته سنة خمسٍ وسبعين ومئة. وذكره الحافظ ابن عساكر وقال:](٤) لمَّا قدمَ مصر أحضرهُ الليث [بن سعد] وقال: ما حملكَ على أن تكلَّمتَ في بلدنا بغير أمرنا؟ فقال: أنا أعرضُ عليك ما قلت، فإنْ كان مكروهاً نهيتني فانتهيت، وإلَّا لم ينلني مكروه، فقال له: تكلَّم، فتكلَّم، فقال له: قم فتكلَّم على الناس، فلا يحلُّ لي أن أسمعَ هذا الكلام وحدي(٥).

وأقام في ضيافة الليث بمصر وجرايته إلى أنْ عادَ إلى بغداد، ودفع إليه بنو الليث مثلَ ما دفع إليه الليث.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في(خ) و(ف): وكان من حكماء المشايخ ومن أحسن الوُعَّاظ كلاماً.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٨٤.

(٤) في (خ) و(ف): وقال ابن عساكر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٢٦ (مخطوط) من طريق الخطيب البغدادي، وهو في تاريخ بغداد ١٥/ ٨٣.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى ابن باكويه الشيرازيّ وابنُ خميس في «مناقب الأبرار» عن منصور بن عمار قال:][١] خرجتُ ليلةً من الليالي المقمرة أظنُّ أنَّ الصبحَ قد طلع، فإذا عليَّ ليلٌ، فجلست على بعض الأبواب أنتظر الصبح، وإذا بصوت رجلٍ يبكي ويقول: إلهي، [وعزَّتك] ما أردتُ بمعصيتك حين عصيتك مخالفتَك، ولكن سوَّلت لي نفسي، وغلبتْ عليَّ شقوتي، وغرَّني ستركَ المرخى عليّ، فالآن مِن عذابك مَن يُنقذني؟ ومن أيدي زبانيتك من يخلِّصني؟ وبحبل من أتَّصل إن قطعت حبلَك عنِّي؟ واسوأتاه[٢] إذا قيل للمخِفِّين جوزوا، وللمثقلِين حطُّوا، يا ليتَ شعري مع المثقلين أحطُّ، أم مع المخفِّين أجوز؟ كلَّما كَبرت سنِّي كثرت خطاياي، كم أتوبُ وأعود وما أستحي من ربِّي، قال: فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأتُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآيات، فاضطربَ الفتى اضطراباً شديداً، ثم هدأ الصوتُ، فعلَّمت البابَ بعلامة، ومضيتُ في حاجتي، وعدتُ بعد ارتفاع النهار، وإذا بجنازةٍ موضوعةٍ عند الباب، وعجوزٍ تذهبُ وتجيء كئيبةً باكيةً، فقلت لها: [يا] أمةَ الله، ما هذا الميت منك؟ فقالت: [إليك عني، لا تجدِّد عليَّ أحزاني، فقلت: أنا غريب، فقالت: لولا غربتك ما أخبرتك، هذا] ولدي [ومن نزل عن كبدي]، وكنت أرجو أن يواريني، وهو من موالي رسول الله ﷺ، وكان يَسُفُّ الخُوصَ[٣]، ويقسم ثَمَنه ثلاثةَ أثلاث، يُطعمني ثلثه، ويَتصدَّق بثلثه، ويُفطر على ثلثه، وكان من العبَّاد الخائفين، فمرَّ به البارحة رجلٌ - لا جزاه الله خيراً - فقرأ آيةً فيها ذكر النار، فسمعها، فما زالَ يضطربُ حتى مات، [فبكى منصور وقال: ويحكَ يا ابن عمار، هذه صفةُ الخائفين.

وقيل: إنَّ هذه الواقعة كانت في سنة إحدى وثمانين ومئة، واسمُ الشابّ يعقوب، من قوَّاد الكوفة[٤].

---

(١) في (خ) و(ف): وقال منصور بن عمار. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و(ف): واغوثاه. والمثبت من (ب)، ومناقب الأبرار ١/ ٣٠٠، وحلية الأولياء ٩/ ٣٢٨.

(٣) سف الخوص: نسجه. القاموس (سفف).

(٤) المنتظم ٩/ ٦٤-٦٥.

وحكى في «المناقب» عن منصور بن عمار قال:][1] كان رجلٌ يشربُ الخمر، فجمعَ يوماً ندماءه، ودفع إلى غلامٍ له أربعةَ دراهم يشتري له بها فاكهة، فمرَّ الغلامُ بمجلسي، وأنا أسألُ لفقيرٍ ثوباً، وأقول: من أعطاهُ أربعةَ دراهم دعوتُ له أربعَ دعوات، فدفعَ الغلامُ الدراهمَ إلى الفقير، [قال:] فقلت: ما الذي تريد أن أدعوَ لك به؟ فقال: الأولى أن يخلِّصني اللهُ من الرقّ، فدعوت له، قلت: والثانية؟ قال: أن يُخْلف الله عليَّ دراهمي، فدعوتُ له، قلت: فالثالثة؟ قال: يتوبُ الله على سيدي، فدعوتُ له، قلت: والرابعة؟ قال: أن يغفرَ الله لسيِّدي ولي ولك وللحاضرين، فدعوتُ له، فرجعَ الغلامُ إلى مولاه، فقال: ما الذي أبطأَ بك، فقصَّ عليه القصَّة، فبكى مولاه وقال: أمَّا الأولى فأنتَ حرٌّ لوجه الله، وأمَّا الثانية فلي في صندوقي أربعة آلاف درهم[2] [فهي لك][3]، وأمَّا الثالثة فأنا تائبٌ إلى الله تعالى، فهذه ثلاثةٌ قد فعلتُها، وأمَّا الرابعة فليست إليّ، هي إلى الله تعالى، فلمَّا جاء الليلُ نام الرجلُ، فرأى الحقَّ تبارك وتعالى في المنام، فقال: يا فلان، قد فعلت ما كانَ إليك، وهي الثلاث، أترانا ما نفعلُ ما كان إلينا، وهي واحدة؟ قد غفرتُ[4] لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين.

[وذكر في «المناقب» أيضاً عن سليم بن منصور قال:][5] كنتُ في مجلس أبي [منصور]، وإذا برقعةٍ قد رُفعت إليه وفيها: يا أبا السريّ، أنا رجلٌ ممَّن تابَ على يديك، وأنا اشتريتُ من الله حوراء على صَداقٍ مبلغه ثلاثينَ خَتْمَةً، فختمت تسعةً وعشرين، فبينا أنا في الثلاثين نمتُ، فرأيت حوراء قد خرجت من المحراب، وأنشدت تقول: [من المتقارب]

أتخطبُ مثلي بعينٍ[6] تنام ... ونومُ المحبِّين عنِّي حرامْ

فقلت: لمن أنت؟ فقالت:

(١) مابين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال ابن عمار.
(٢) في (ب): فلي صندوق فيه ألف دينار. وانظر مناقب الأبرار ١/ ٣٠١.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ): قد فعلت وغفرت..
(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال: سليم بن منصور.
(٦) في مناقب الأبرار ١/ ٣٠٠، وحلية الأولياء ٩/ ٣٢٦: وعني، بدل: بعين.

لأنَّا خلقنا لكلِّ امرئٍ كثيرِ الصلاة بَرَاهُ الصيامْ

ذكر نبذة من كلامه:

[حكى في «المناقب» عنه أنَّه] قال: سرورك بالمعصية إذا أظهرتَها شرٌّ من مباشرتِك لها.

[قال:] وقال: سبحانَ من جعل قلوبَ العارفين أوعيةً للذكر، وقلوبَ الغافلين أوعيةً للطمع، وقلوبَ الزاهدين أوعيةً للتوكل، وقلوبَ الفقراء أوعيةً للقناعة، وقلوبَ المتوكِّلين أوعيةً للرضا.

وقال: اترك الدنيا تسترح من الهمّ[١]، واحفظ لسانك تسترح من المعذرة.

[قال:] وقال لرجلٍ تاب ثم رجع: ما أراك رجعتَ عن طريق الآخرة إلَّا من الوَحشة لقلَّة سالكيها.

وقال: الناسُ رجلان، رجلٌ عارفٌ بنفسه، فشُغْلُه المجاهدةُ والرياضة، ورجلٌ عارفٌ بربِّه، فَشُغْلُه الخدمة والعبادة[٢].

[وقال الخطيب:] توفي منصور [بن عمار في هذه السنة] ببغداد، ودُفن بباب حَرْب قريباً من قبر بشر الحافي، وإلى جانبه ابنُه سُليم [بن منصور. والله أعلم[٣].

ذكر مارُؤي له من المنامات:

ذكر الخطيب بإسناده إلى سُليم بن منصور بن عمار يقول:][٤] رأيتُ أبي [منصور] في المنام، فقلت له: ما فَعَل الله بك، قال: قَرَّبني وأدناني وقال: يا شيخَ السوء، تدري لم غفرتُ لك؟ فقلت: لا يا إلهي، قال: إنَّك جلستَ للناس مجلساً فبكَّيتَهم، فبكى فيهم عبدٌ من عبادي لم يَبكِ من خشيتي قطّ، فغفرتُ له، ووهبتُ أهلَ المجلس كلَّهم، ووهبتُكَ فيمن وهبتُ له[٥].

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨، وطبقات الصوفية للسلمي ص١٣٥ : الغم.

(٢) انظر مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٨٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال سليم بن منصور.

(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٨٩.

[قلت: وسبب قول الحقِّ سبحانه لمنصور: يا شيخ السوء؛ لأنَّه كان يزهِّدُ الناس في الدنيا ويأخذُها، كما فعل مع الليث بن سعد، فإنَّه أخذ منه ألوفاً من الدنانير والمتاع وغيره، وقد ذكرناه في ترجمة الليث، ثمَّ إن الله عفا عنه بعد ذلك.

وحَدَّثنا غيرُ واحدٍ عن محمد بن أبي القاسم بإسناده إلى أبي العباس القاضي يقول: سمعتُ أبا الحسين السعداني(١) يقول:](٢) رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعلَ الله بك؟ فقال: أُوقفت بين يديه فقال: أنت الذي كنتَ تُزَهِّدُ الناسَ في الدنيا وتَرغَبُ فيها؟! فقلت: قد كان ذلك يا إلهي، ولكن ما اتَّخذتُ مجلساً إلَّا وبدأتُ بالثناء عليك، وبالصلاة على نبيك محمد ﷺ، وثلَّثتُ بالنصيحة لعبادك، فقال: يا ملائكتي، صدقَ، اصنعُوا له كرسيّاً في سمائي، فيمجِّدني بينكم كما كان يمجِّدُني بين عبادي.

أسندَ عن جماعةٍ من العلماء منهم أبو الخطَّاب معروف الخياط، صَاحِب واثلةَ(٣) بن الأسقع، وروى عن الليثِ بن سعد وابنِ لهيعة وغيرهم.

وروى عنه ابنُه سُليم، وعليّ بن خشرم، وجنادة بن محمد وغيرهم، وقد تكلَّموا فيه(٤).

ومن روايته عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن أعيتهُ المكاسبُ فعليه بمصر، وعليه بالجانب الغربيِّ منها»(٥).

وهو حديثٌ ضعيف.



(١) في تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣١ (مخطوط): أبا الحسن الشعراني.

(٢) في (خ) و(ف): وقال أبو الحسن السعداني. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): صاحب كذا وأبو بكر بن الأسقع؟! والتصويب من تاريخ بغداد ١٥/ ٨٠، وصفة الصفوة ٢/ ٣٠٩.

(٤) من قوله: أسند عن جماعة . . . إلى هنا، ليس في (ب).

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٢٢٢ (مخطوط).

السنة السادسة والعشرون بعد المئتين

فيها هلك [الأفشين، والمازيار، و] محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، فصلَّى عليه المعتصم في داره.

وقال ابن حبيب الهاشميّ في «تاريخه»: و[في سنة ستٍّ وعشرين ومئتين] في ليلة الاثنين النصف من جمادى الآخرة مُطِر أهل تيماء مطراً وبَرَداً كالبيض، قَتل ثلاثَ مئةٍ وسبعين إنساناً، وهَدمَ دوراً كثيرةً، وسُمِع في ذلك صوتٌ يقول: ارحم عبادك، اعفُ عن عبادك، ونَظروا إلى أثر قدمٍ طولُها ذراعٌ، وعرضُها شبرٌ، وليس لها أصابع، ومن الخطوة إلى الخطوة ستةُ أو خمسةُ أذرع، فاتَّبعوا الصوتَ يسمعونه ولا يرونَ الشخص[(١)].

[فصل] وحجَّ بالناس محمد بن داود [بن عيسى بن موسى] بأمر أشناس التركي، وكان أشناس قد حجَّ في هذه السنة، ودُعي له على المنابر بالكوفة ومكَّة والمدينة، وولَّاه المعتصمُ إمرةَ كلِّ بلدٍ يمرُّ فيها حتَّى رجعَ إلى سامرَّاء[(٢)].

وفيها توفِّي

الأفشينُ

حيدر بن كاوس، من أولاد الأكاسرة، والأفشين لقبٌ لمن ملك أشروسنة [كما يُقال لكسرى ملك الفرس، ولقيصر ملك الروم، وللنجاشيّ ملك الحبشة]، وقد ذكرنَا أخبارَه، وأنه كاتبَ المازيار، واتَّفق معه على الفتكِ بالمعتصم، ونقل الملكِ إلى الفرس، وأنَّ المعتصمَ حبسَه في بيتٍ مربَّعٍ ضيِّق.

وقال حمدون بن إسماعيل: بعثَ الأفشينُ معي رسالةً إلى المعتصم يترفَّق له فيها، ويعتذرُ له، ويحلفُ ويتنصَّل مما قيل عنه، ويقول: مَثَلي ومَثَلُك كمثل رَجُلٍ ربَّى عجلاً حتى سمن وحسنت حاله، وكان له أصحابٌ، فاشتهوا أن يأكُلوا لحمَه، فعرَّضوا له بذبح العجل، فلم يجبهم، فاتَّفقوا فيما بينهم على أمرٍ، فقالوا له: لم تربِّي هذا الأسد،

(١) المنتظم ١١/١١١، وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/١١٤-١١٥، والكامل ٦/٥٢١.

والأسد إذا كبر رجعَ إلى جنسه، وربَّما افترسَكَ؟! فقال لهم: ويحكم، هذا عجلٌ، وليس بأسد، وأنا ربَّيتُه، وأمُّه عندي، فقالوا: سل من شئت عنه، وقد تقدَّموا إلى جميع أصحابه أنَّه إذا سألهم قالوا: أسد، فسألَ الجميع، فقالوا: أسد، فقال: اذبحوه، فذبحوه وأكلوه، وأنا ذلك العجلُ، فكيف أكون أسداً، فاللهَ اللهَ في أمري، اصطنعتني ورفعتني، فكيف أقابلُ إحسانَك بالإساءة، ولا تسمعْ فيَّ قولَ الأعادي، فإنَّما أنا عبدُك وأنت مولاي.

ودعا به أحمدُ بن أبي دؤاد إلى دارِ العامَّة، وقال له: يا حيدر أنتَ أقلف، وأراد أن يفضحَه بين الخاصَّة والقوَّاد إن يكشف، ويكذِّبه إذا امتنع، ثمَّ رُدَّ إلى حبسه[١].

[واختلفوا في سبب وفاته، قال قومٌ: منعوه][٢] الطعامَ والماءَ فمات. [وقال آخرون:][٣] قتلَه المعتصم وصُلِب إلى جانب بابك، [وذلك] في شعبان [في هذه السنة]، وقيل: في شوال.

وقال الصوليّ: ماتَ في الحبس، وأخرج فصلبَ بباب العامَّة في شعبان، وأُحضرت أصنامٌ كانت في داره حُمِلت [إليه] من أشروسنة، فأُحرقت بالنار، وطُرِحَ الأفشين فيها، فأحرق بالنار وذري. وقيل: إنَّه أقام مصلوباً إلى جانب بابك مدَّةً.[٤]

[وفيها توفيت]

عِنَان

جارية الناطفيّ، من مولَّدات المدينة، كانت جميلةً فصيحةً شاعرةً سريعةَ الجواب، بلغ الرشيد خبرُها، فاستعرضَها، فقال مولاها: ما أبيعُها إلَّا بمئة ألف درهم، فردَّها [على مولاها]، فتصدَّق الناطفيُّ بثلاثين ألف درهم، فلما ماتَ مولاها نُودي عليها، فقال مسرور الكبير: عليَّ بمئة ألف درهم، فزاد رجلٌ عليه خمسين ألفاً، وخرَج بها إلى خراسان، فماتت هناك.

---

(١) من قوله: ونقل الملك إلى الفرس . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٢) في (خ) و(ف): وسبب وفاته أنه منع من. والمثبت بين حاصرتين من (ب)

(٣) في (خ) و(ف): وقيل. والمثبت من (ب).

(٤) انظر تاريخ الطبري ٩/ ١١٢-١١٤ ، والكامل ٦/ ٥١٧-٥١٨، والمنتظم ١١/ ١١٢ .

[وقال الصوليّ: قال] لها بعضُ الشعراء: أجيزي قَولي:

وما زال يشكو الحبَّ حتى رأيتُه ... تنفَّس من أحشائِه وتكلَّما

فقالت:

ويبكي فأبكي رحمةً لبكائه ... إذا ما بكى دمعاً بَكَيْتُ له دما[١]

[فصل: وفيها توفي

المازيار

صاحبُ طبرستان واسمُه محمد بن قارن،][٢] كان مبايناً لعبد الله بن طاهر، وكان الأفشين [يدسُّ] إليه ويشجعه، ويحملُه على خلاف المعتصم، فخالف وصادر الناس بطبرستان وأذلَّهم، وجعل السلاسلَ في أعناقهم، وهدم أسوارَ المدن، فهرب الناس منه إلى خراسان [إلى عبد الله بن طاهر]، وكتبَ المعتصم إلى عبد الله بن طاهر، فأمره بقتاله، فبعثَ إليه عمَّه الحسن بن الحسين بن مصعب، فحاربَه وأحاط به في سنة خمس وعشرين ومئتين، [وقد ذكرناه،] وأخذه [الحسنُ] أسيراً، وقتل أخاه قوهيار، وجاء به إلى عبد الله بن طاهر، فوعَده إن هو أظهرَه على كُتب الأفشين إليه أن يشفع فيه عندَ المعتصم، فأقرَّ له المازيار بالكتب، فأخذَها ابنُ طاهر منه، وبعثَ بها وبالمازيار إلى المعتصم، فسألَ المعتصمُ المازيار عن الكتب فلم يقرّ بها، فأمر بضربه حتى مات، وصُلِبَ إلى جنب بابك[٣]، [كما ذكرنا أنه وافقه على أشياء.][٤]

وقال الصوليُّ: أدخل المازيار سُرَّ من رأى في شوال، وكان المعتصمُ قد أمر أن يركب على الفيل، فامتنع، فأُدخِل على بغلٍ بإكاف، وقيل: كان ذلك في ذي القعدة.

وكان الأفشين قد حُبِسَ قبله بيوم، وجلس المعتصم [في مجلس الخلافة، وأمرَ أنْ يُجمعَ بين المازيار والأفشين]، فجمع بينهما، فأقرَّ المازيار أنَّ الأفشين كان يكاتبُه

(١) المنتظم ١١/ ١١٢-١١٣ ، وانظر الأغاني ٢٣/ ٨٧ ، والعقد الفريد ٦/ ٥٩ .

(٢) في (خ) و(ف): محمد بن قارن المازيار صاحب طبرستان. والمثبت من (ب).

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٩٩-١٠٠ .

(٤) ما سلف بين حاصرتين من (ب).

ويحمله على الخلاف، فأمر بردِّ الأفشين إلى محبسه، وضُرِبَ المازيار أربعَ مئة وخمسينَ سوطاً، وطلبَ الماء فلم يُسق، فماتَ من ساعته عطشاً.

و[قال الصوليُّ:] قيل للمعتصم: لا تعجلْ بقتله، فعنده أموالُ الدنيا، وله ودائعُ بطبرستان وغيرها ممَّا لا يحصى، فاستدرِجْهُ وخذ منه، فإذا حصل الكلُّ عندك فاقتله، فأنشد: [من البسيط]

إنَّ الأسودَ أسودُ الغاب همَّتُها ... يومَ الكريهة في المسلوبِ لا السَّلبِ[١]

وكان عند المازيار خزائنُ الدنيا[٢]، وكان عظيماً عند المأمون، يكتبُ إليه من عبد الله المأمون إلى أصبهبذ[٣] أصبهان وصاحب طبرستان[٤] محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين.

محمدُ بن الهذيل

ابن عبد الله[٥] بن مكحول، أبو الهذيل العلَّاف البصريّ، مولى عبد القيس، شيخ المعتزلة، مصنِّف الكتب في مذهبهم.

ولد سنة خمسٍ وثلاثين ومئة، وقدم بغداد وناظر على مذهب القوم، وكان خبيثَ اللسان، يردُّ نصَّ كتاب الله تعالى، وفارق الإجماع، وزعمَ أنَّ أهلَ الجنَّة تنقطعُ حركاتهم وسكناتهم فيها، حتى لا يتكلموا كلمةً، ولزمَ القولَ بانقطاع نعيمِ أهل الجنة. وجَحَد صفات الله، وقال: علمُ الله هو الله، وقدرةُ الله هي الله، فجعل الله عِلماً وقدرةً، فتعالى الله العظيمُ جلَّ شأنُه وتقدَّسَ أسماؤه عمَّا وصفَه به علوّاً كبيراً.

وكنت[٦] أختلفُ إلى عثمان الطويل صاحبِ واصل بن عطاء، فبلغني أنَّ يهوديّاً قَدِم

(١) هو لأبي تمام. والبيت في ديوانه ١/ ٦٦ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٢ .

(٣) الأصبهبذ: الأمير، وهو اسم أعجمي، صاده في الأصل سين، وهي رتبة عسكرية تعادل الفريق، كانت في القديم رتبة قائد لفرقة عسكرية كبيرة.
انظر تاج العروس(صبهبذ)، والمعجم الذهبي ص٦٥.

(٤) من هنا إلى بداية السنة السابعة والعشرون بعد المئتين ليس في (ب)، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٥) في تاريخ بغداد ٤/ ٥٨٢ : عبيد الله .

(٦) القائل أبو الهذيل، صاحب الترجمة.

البصرة، فقطع عامَّةَ متكلِّميها، فمضيتُ إليه، فوجدته يقرِّرُ نبوَّة موسى عليه السلام، ويجحدُ نبوَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ، ويقول: قد تساعدنا على نبوَّة موسى، وأنا لا أوافقكم على نبوَّة غيره، وقد بشَّر نبيُّكم به. ولم يكن عند أحدٍ جوابٌ.

فقلت له: إنْ كان موسى الذي تشيرُ إليه هو الذي أخبر عن[1] نبيِّنا ﷺ وأمرنا باتِّباعه، فنحن نؤمنُ به، وإن كان موسى الذي أشرتَ إليه لا يقرُّ بنبوَّة نبيِّنا ويجحدُه، فلسنا نعرفُه، فتحيَّر وقال: ما تقول في التوراة؟ فقلت: الجوابُ واحد، إن كانت أُنزِلت على موسى الذي أقرَّ بنبيِّنا فهي حق، وإلَّا فهي باطل، فتقدَّم إلي وسارَّني وشتمني أقبحَ شتم، وظنَّ أنِّي أثبُ به، فيقول: ضربوني، فتأخَّرتُ عنه وقلت للحاضرين: قد سمعتم جوابي وظهر عجزه وانقطاعه، وإنه سارَّني وشتمني شتماً يجب به الحدُّ عليه، فأخذَتْه النعالُ، وخرجَ هارباً من البصرة.

وقال المأمون لحاجبه: اخرج فانظر مَنْ بالباب من المتكلمين، فخرج وقال: أبو الهذيل المعتزليّ، وعبد الله بن إباض الخارجيّ، وهشام بن الكلبي الرافضيّ، فقال المأمون: ما بقيَ من رؤساء جهنَّم أحدٌ إلَّا وقد حضر.

وقال الخطيب: شربَ أبو الهذيل عند ابنِ[2] لعثمان بن عبد الوهَّاب، فراود غلاماً في الكنيف، فضربَهُ الغلامُ بتورٍ سفاذرويه[3] في رأسه، فدخلَ في رقبته، وصار مثل الطوق، فبعثوا إلى حدَّادٍ ففكَّه عن رقبته.

وقال: إنَّه توفي في سُرَّ مَنْ رأى في هذه السنة، وقد أتت عليه مئة وأربع سنين[4]. ووهم الخطيب. وقال أبو الفرج الجوزي رحمه الله: إنَّه مات سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين[5].

---

(١) في (خ) و(ف): عنه. انظر تاريخ بغداد ٤/ ٥٨٤ والخبر فيه.

(٢) في (خ) و(ف): ابنا. والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٥٨٦.

(٣) في (خ) و(ف): اسيادروه. والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٥٨٦، قال محققه: سفاذرويه: كلمة فارسية تشير إلى نوع هذا الإناء.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٥٨٦.

(٥) المنتظم ١١/ ٢٣٦. وانظر أيضاً ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥، ولسان الميزان ٧/ ٥٦١، وسير أعلام

يحيى بن يحيى

ابن بَكْر[١] بن عبد الرَّحمن، أبو زكريَّا التميميُّ المِنْقَرِيُّ الحَنظليُّ النَّيسابوريُّ، الزاهدُ العابدُ الورعُ، إمامُ أهل نيسابور، وهو من ولد قيس بن عاصم المِنْقريّ، ويقال: إنَّه مولى بني مِنْقَر.

وقد أثنى عليه الأئمَّة، فقال عبد الله بنُ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: رأى أبي يقول: يحيى بن يحيى ريحانةُ خراسان[٢].

وقال إسحاقُ بن راهويه: ما رأيتُ مثلَ يحيى، ولا هو رأى مثلَ نفسه.

وقال أبو علي الحسن بن علي بن بُنْدار الزَّنْجَاني: كان يحيى بن يحيى يحضر مجلس مالك بن أنس، وكان المأمونُ يحضره، فانكسرَ قلمُ يحيى، فناولَهُ المأمون قلماً من ذهب، فامتنع من قبوله، فقال له المأمون: ما اسمُك؟ فقال: يحيى بن يحيى النَّيسابوريّ، قال: تعرفني؟ قال: نعم، ابنُ أمير المؤمنين، فكتب المأمون على ظهرِ جزئه: ناولتُ يحيى بن يحيى النيسابوريَّ قلماً في مجلس مالك، فلم يقبله.

فلما أفضت الخلافةُ إليه كتبَ إلى عاملِه بنيسابور يأمُره أن يولِّيه القضاءَ، فبعث إليه الوالي يستدعيه، فقال بعض من حضر: ليتَه يأذن للرسول فضلاً عن أن يجيء إليك، فبعث إليه بكتاب المأمون، فقُرِئ عليه، فامتنعَ، فردَّ ثانياً وقال: أميرُ المؤمنين يأمرك بشيءٍ وأنت من رعيَّتِه وتأبى عليه، فقال: قل لأمير المؤمنين: ناولتني قلماً وأنا شابّ فلم أقبله، أفتجبرني الآن على القضاء وأنا شيخ، فرُفِع الخبرُ إلى المأمون، فقال: قد علمتُ امتناعَه ولكن ولِّ رجلاً يختاره، فبعث إليه العامل، فاختار رجلاً فولَّاه القضاءَ، فدخل على يحيى وعليه سواده، فضمَّ يحيى فراشَه كراهةَ أن يجمعه وإيَّاه، فقال: أيُّها الشيخ، ألم تخترني؟ فقال: إنَّما قلت: اختاروه، وما قلتُ لك: تتقلَّد القضاء[٣].

= النبلاء ١٠/ ٥٤٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٣٧، ٩٣٣، والوافي بالوفيات ٥/ ١٦١.

(١) في (خ) و(ف): بن أبي بكر. وهو خطأ.

(٢) كذا في (خ) و(ف)؟! ووقع في تلقيح فهوم أهل الأثر ص٦٢٧: وكان أحمد إذا ذكره قال: ذاك ريحانة خراسان.

(٣) المنتظم ١١/ ١١٣-١١٤، وصفة الصفوة ٤/ ١١٥-١١٦.

وقالت فاطمة امرأة يحيى: قام يحيى ليلةً لوِرْدِه، فلمَّا فرغ منه قعد يقرأ، إذ سمعتُ جلبةً، فإذا العسكرُ والمشاعل، وهم يقولون: الأميرُ عبد الله بن طاهر يريدُ زيارةَ أبي زكريا، فاستأذنوا، ففتحنا الباب، فدخل عبدُ الله بن طاهر وحدَه، فسلَّم وقام يحيى والمصحف في يده، ثمَّ رجع إلى قراءته حتَّى ختمَ السورة التي كان افتتحها، ثم اعتذر إلى عبد الله وقال: لم أشتغلْ تهاوناً، وإنَّما كنتُ قد افتتحتُ سورةً، فكرهتُ أنْ لا أختمها، وحادَثه ساعةً، ثم قال له: ارفع حوائجك، فقال: لي حاجة، قال: هي مقضيَّةٌ مهما كانت، قال: قد كنت أسمعُ محاسنَ وجه الأمير، ولم أعاينها إلَّا في ساعتي هذه، وحاجتي إليكَ أن لا ترتكبَ ما يحرقُ هذه المحاسن بالنار، فأخذ ابنُ طاهر بالبكاء، ثمَّ قام وهو يبكي[(١)].

وشرب يحيى دواءً، فقالت له زوجتُه: قم فتمشَّ في الدار، فقال: أنا أحاسبُ نفسي منذ أربعينَ سنة على خُطاي، فما أعلم ما هذه المِشْية[(٢)].

وكان إسحاقُ بن راهويه قد ركبه دَينٌ، فدخلَ على يحيى بالعلماء إلى أن يكتب إلى ابن طاهر ورقةً، فامتنعَ، فألحُّوا عليه، فكتب من يحيى بن يحيى إلى عبد الله بن طاهر... فدخل إسحاق على عبد الله بالورقة، فقام له واحترمه وقال له: كم دَيْنُك؟ قال: ثلاثون ألفاً، فقضاها عنه، وجعلَهُ من خواصِّه.

توفي يحيى بنيسابور يوم الأربعاء سَلْخَ صفر، وهو ابن أربعٍ وثمانين سنة، فقال محمد بن الحسن السرَّاج الزاهد ـ وكان من العبَّاد ـ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم، فكأنه قد أقبلَ إلى أن وقف على قبرِ يحيى، فتقدَّم، وصفَّ خلفَه جماعةٌ من أصحابه، فصلَّى عليه، ثمَّ التفتَ إلى أصحابه وقال: هذا القبرُ أمانٌ لأهل هذه المدينة.

وقال الحاكم: روى عن يحيى بن يحيى خمس طبقات[(٣)] من كبار الأئمَّة والعلماء، ورَوى عنه أئمَّة البلدان، وأخرجَ عنه البخاريُّ في مواضع، واتَّفقوا على صدقِه وثقتِه ودينِه وأمانتِه وورعِه.

---

(١) المنتظم ١١/ ١١٤.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١١٥.

(٣) في (خ) و(ف): روى يحيى بن يحيى عن خمس طبقات. والتصويب من المنتظم ١١/ ١١٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٨.

السنة السابعة والعشرون بعد المئتين

فيها خرجَ أبو حرب المُبَرْقَع اليماني بفلسطين على المعتصم، وسببُ خروجه أنَّ بعض الأجناد أراد أن ينزلَ بداره وهو غائبٌ [عنها]، فمانعته زوجته، [وقيل: زوجته أو أخته،] فقنَّعها بسوطٍ، فاتَّقته بذراعها، فأثَّر السوط فيه، فلما رجعَ أبو حرب [إلى منزله بكت وأخبرته بما فعل بها][1]، فأتى [أبو حرب] إلى الجنديِّ وهو غارّ، فقتله، وخرجَ إلى جبل من جبال الأردن، فأقامَ فيه وتبرقع؛ لئلَّا يعرف، وكان في النهار يجلس [متبرقعاً على الجبل]، فيراه الرائي فيأتيه فيذكِّره ويحرِّضه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعيبُ السلطانَ [وأعوانه] ونوَّابَه، ويذكرُ ظلمَهم، [فما زال حتى استجاب له][2] خلقٌ من الحرَّاثين وأهل القرى، وكان زعم أنَّه أمويّ، [فقال الذين استجابوا له:][3] هذا هو السفيانيّ، فلمَّا كثُرت غاشيتهُ وأتباعه من هذه الطبقة دعا أهلَ البيوتات من أهلِ تلك الناحية، فاستجابَ له جماعةٌ من رؤساء اليمانية، منهم [رجلٌ يقال له] ابن بَيْهس وكان مُطَاعاً في اليمن، ورجلان من أهل دمشق، فيقال: إنَّه صار في مئة ألفٍ، وقيل: في خمسين ألفاً.

وبلغَ المعتصمَ خبرُه، وهو مريضٌ مرضَ الموت، فبعثَ إليه رجاء بن أيوب الحِضاريَّ[4] في ألفِ رجلٍ من الجند، فلمَّا صار إليه [رجاء] وجدَه في عالَمٍ عظيم، فكره مواقعته [وهو في مئة ألف]، فعسكر بحذائه، وطاوَلَه حتى جاء أوانُ الزراعة، فانصرفَ الحرَّاثونَ إلى الحرث، وأصحابُ الأراضي إلى أراضيهم، وبقي [أبو حرب] في [نفرٍ زُهاءَ] ألفٍ أو ألفين، فناجَزه رجاءٌ، واقتتلوا، فأخذَه رجاء أسيراً، وقدمَ به على المعتصم، فلامَه لتأخُّر مناجزته، فقال: بعثتني في ألفٍ إلى من معه مئةُ ألف،

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): أخرجته. وفوقها في (خ): كذا.

(٢) في (خ) و(ف): فمال إليه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): فقالوا.

(٤) قال ابن الأثير في الكامل ٦/ ٤٦٠ : الحضاري بكسر الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبعد الألف راء وياء.

فتمهَّلتُ حتى لاحت [لي] الفرصة، فناهضته، فأمرَ بحبسِه في المطبق[١].

[وفي روايةٍ أن خروجه كان في سنة ستٍّ وعشرين ومئتين، وأنَّه خرج بالرملة وأرض فلسطين، وقال الناس: هذا السفيانيّ، وأنَّ ابن بيهس قاتلَ معه، وقُتِل من أصحابه نحوٌ من خمسة آلاف ـ وقيل: عشرين ألفاً ـ وأنَّ ابنَ حرب وابنَ بيهس أُخِذَا أسيرين، وقَدِمَ بهما رجاء الحِضاريُّ إلى سُرَّ من رأى، فحُبسَا في المطبق.][٢]

وفيها كانت وفاةُ المعتصم، وولي ولدُه هارون.

البابُ التاسع في خلافة الواثق بالله

وكنيتُه أبو جعفر، وقيل: أبو القاسم، ولدَ بطريق مكَّة سنة تسعين ومئة، وأمه قراطيس، أمُّ ولدٍ روميَّة.

وكان أبيضَ تعلوه صفرةٌ، وقيل: كان مشرباً حمرةً، ربعةً حسنَ الوجه، والوجهُ قائم العين[٣] اليسرى، و[كان] بها نكتةُ بياض، [وقيل:] كالكوكب الخفيِّ لا يكادُ يبين.

[ذكر بيعته

بويع بسُرَّ من رأى يومَ مات أبوه بعهدٍ منه، وكان له يوم بُويع سبعٌ وثلاثون سنة، وبويع ببغداد، وكتب ببيعته إلى الآفاق.

قال الخطيب[٤]: وكان ذلك في يوم الأربعاء لثمانٍ خلونَ من ربيع الأول في هذه السنة. وحُكي عن الخطيب بإسناده إلى ابن أبي الدنيا قال: كان له يوم بُويع تسعٌ وعشرون سنة[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٩/١١٦-١١٨، والكامل ٦/٥٢٢-٥٢٣، والمنتظم ١١/١١٧-١١٨.

(٢) تاريخ الطبري ٩/١١٨. وما بين حاصرتين من (ب) ووقع نص الرواية الأخيرة في (خ) و(ف) مختصراً، ونصه فيهما:
وقيل: كان خروجه بالرملة وأرض فلسطين سنة ستٍّ وعشرين، وقاتل معه ابن بيهس، وقتل من أصحابه نحو من خمسة آلاف، وقيل: عشرين ألفاً. اهـ.

(٣) العين القائمة التي ذهب بصرها، والحدقة صحيحة. القاموس (قوم).

(٤) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وانظر المنتظم ١١/١١٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/٢٢، والمنتظم ١١/١١٩.

قلت: وقد حكى جدِّي في «المنتظم»[1] أنَّه ولدَ سنةَ تسعين ومئة، وهذه سنة سبعٍ وعشرين ومئتين، فكيف يكون له يوم بويع تسع وعشرون سنة؟!

وقد وَهِمَ الطبريُّ أيضاً في هذا فقال: كان له يومَ بويع إحدى وثلاثون سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً.[2]

وكيف يستقيمُ هذا مع أنَّ المشهورَ أنّه ولدَ في سنة تسعين ومئة.][3]

وقال عليُّ بن الجهم في ذلك: [من السريع]

قد فازَ ذو الدُّنيا وذو الدِّينِ ... بدولةِ الواثقِ هارونِ
أفاضَ من عدلٍ ومن نائلٍ ... ما أحسنَ الدنيا مع الدِّينِ
قد عمَّ بالإحسان من فِعْلِه[4] ... فالناسُ في خفضٍ وفي لينِ
ما أكثر الداعي له بالبقا ... وأكثرَ التالي بآمينِ[5]

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

وَثِقَتْ بالملكِ الوا ... ثِقِ باللهِ النفوسُ
ملكٌ يَشقَى به الما ... لُ ولا يَشقى الجليسُ
أَنِسَ السيفُ به واسـ ... ـتوحشَ العِلْقُ النفيسُ
أسدٌ يضحك[6] عن شدْ ... دَاته الحرب العبوسُ

(١) ١١/ ١١٩.

(٢) لم أقف عليه في تاريخ الطبري.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). ووقع مكانها في (خ)و(ف) ما نصُّه:
وبويع بسُرَّ من رأى يوم مات أبوه بعهدٍ منه، وله سبع وثلاثون سنة، وقيل: تسع وعشرون سنة.
وقال الطبري: إحدى وثلاثون سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً.
وبويع له ببغداد، وكتب ببيعته إلى الآفاق، وكان ذلك في يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول.

(٤) في تاريخ الطبري ١١/ ١٥٢: في فضله.

(٥) ديوان علي بن الجهم ص١٨٨ (التكملة).

(٦) في تاريخ الطبري: تضحك.
ورواية البيت في ديوان علي بن الجهم ص١٣:
ملك تفزع من صو ... لته الحربُ الضروس

يا بني العباسِ يأبى الـ لَّه إلّا أنْ تروسُوا[١]

ولما بُويع أنشدَه أبو تمام قصيدتَه التي يقول في أوّلها : [من الكامل]

ما للدُّموعِ تروم كُلَّ مَرَام [والجفنُ ثاكلُ هَجعةٍ ومنامِ
يا حفرةَ المعصوم تربُكِ مودعٌ][٢] ماءَ الحياة وقاتل الإعدامِ
ما دام هارونُ الخليفةَ فالهدَى في غِبْطةٍ موصولةٍ بدوامِ
لمَّا دعوتهم لأجل عهودها[٣] طار السرورُ بمعرقٍ وشآمِ
لو يقدرونَ مَشَوا على وَجَناتهم وعُيونِهم فضلاً عن الأقدام
هي بيعةُ الرضوانِ يُشْرَعُ وَسْطَها بابُ السلامةِ فادخُلوا بسلامِ[٤]

وأولُ مجلسٍ جلس فيه الندماء أُنشِدَ بين يديه : [من الخفيف]

فليقلْ فيك باكياتُكَ ما شِئـ نَ صباحاً ووقتَ كلِّ مساءِ

فبكى الواثقُ والحاضرونَ، ثم غنَّى بعضُ المغنِّين : [من البسيط]

وَدِّع هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ[٥]

فقال الواثقُ : والله ما سمعتُ تعزيةً ولا نعيَ نفسٍ هكذا، ثم قام من مجلسه باكياً.[٦]

وقال العتبيّ[٧] : كتب دعبل الخزاعي أبياتاً، وبعثَ بها في رقعةٍ مختومةٍ إلى الواثق، وهي [هذه الأبيات :] [من البسيط]

الحمدُ لله لا صبرٌ ولا جَلَدُ ولا رقادٌ[٨] إذا أهلُ الهوى رَقَدُوا
خليفةٌ مات لم يَحزنْ له أحدٌ وآخرٌ قامَ لم يَفرح به أحدُ

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري وديوان علي بن الجهم ص١٤ : تسوسوا.
(٢) ما بين حاصرتين من ديوان أبي تمام.
(٣) كذا في(خ)و(ف). ورواية الديوان : لما دعوتهم لأخذ عهودهم.
(٤) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٠٣-٢٠٧.
(٥) هو للأعشى، ديوانه ص١٠٥.
(٦) تاريخ الطبري ٩/ ١٥٢.
(٧) من قوله : وقال عليُّ بن الجهم إلى هنا ليس في (ب)، ووقع فيها : وقال الصوليُّ : ولما بويع دخل عليه الشعراء. وقال العتبي.
(٨) في ديوان دعبل ص١١٥ : ولا عزاء. والمثبت موافق لتاريخ بغداد ١٦/ ٢٣ والخبر فيه.

فمرَّ هذا ومرَّ الشؤمُ يتبعه وقامَ هذا فقامَ الويلُ والنَّكَدُ

فطلبه فلم يقدر عليه. [وسنذكر القصة في سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

واختلفوا مَن] حجَّ بالناس [في هذه السنة على قولين، أحدهما:] جعفر بن المعتصم، [والثاني:][1] محمَّد بن داود[2].

وكانت أم الواثق قد خرجت تريدُ الحجَّ، فتوفيت بالكوفة لأربعٍ خلونَ من ذي القعدة، فدُفِنت في دار داود بن عيسى بالكوفة.

[فصل:] وفيها توفي

بشرُ بنُ الحارث

ابن عبد الرَّحمن بنِ عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر[المروزي] المعروف بالحافي، وجدُّه عبد الله الذي انتهى إليه نسبُه أسلمَ على يد عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، و[عليٌّ] سمَّاه عبدَ الله.

ولد بشر بمرو سنةَ خمسين ومئة، وسكن بغداد، وفاقَ أهلَ عصره في الزهد والورع وحُسنِ الطريقة والعقل والسَّداد، وقد ذكرهُ العلماء وأثنَوا عليه، [فذكره ابنُ سعد فيمن نزل بغداد من المحدِّثين والفقهاء والزهَّاد، فقال: بشر بن الحارث، ويكنى أبا نصر، وكان من أبناء أهل خراسان من أهل مرو، نَزَل بغداد] وطلبَ الحديث، وسمع من حمَّاد بن زيد وشَريك بن عبد الله وابن المبارك وهُشيم وغيرهم سماعاً كثيراً، ثم أقبلَ على العبادةِ، واعتزلَ الناس فلم يحدِّث، ومات ببغداد يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول [سنة سبع وعشرين ومئتين]، وشهده خلقٌ كثيرٌ من أهل بغداد وغيرها، ودفن بباب حرب، وهو [يومئذٍ] ابن ست وسبعين سنة. [هذه صورة ما ذكر ابن سعد[3]].

---

(١) في (خ)و(ف): وقيل. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٢) لم أقف على من ذكر أن محمد بن داود حجَّ بالناس في هذا العام. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٢٣، والكامل ٦/ ٥٢٨، والمنتظم ١١/ ١٢٢، وانظر التحفة اللطيفة ٣/ ٥٦٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٤٤.

وذكره أبو عبد الرَّحمن السُّلَميّ وأثنى عليه، وقيل: كان خال ابن خَشْرَم، وقيل: بل كان عليُّ بن خَشْرم خاله، وقيل: ابن عمِّه. قال السلميّ:] كان [بشر] من أبناء الرؤساء بخراسان [وقال] وصار أوحد[(١)] الزهَّاد والأئمَّة في زمانه، وصحبه الجُنَيد والفُضَيل بن عِياض وأقرانهما[(٢)].

[وذكره الخطيب وأثنى عليه وقال: ابنُ عمِّ عليِّ بن خشرم،] وكان عظيم الشأن، فاق أهل عصره في الزهد والورع، وتفرَّد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، [وإسقاط الفضول، وسمع الحديث الكثير]، ودَفَنَ كتبَه في آخر الأمر، وكانت ثمانية عشر قِمَطْراً وقَوْصرةً من كتب الحديث[(٣)].

[وسنتكلم على هذا في آخر ترجمة بشر إن شاء الله تعالى.

وذكره صاحبُ «الرسالة» القشيريُّ وأثنى عليه وقال: هو ابن أخت [علي بن][(٤)] خَشْرم، وذكر بعض مناقبه، وسنذكرها.

وذكره أبو نعيم الحافظ في «الحلية» وقال: أصله من قرية يقال لها: مَابَرْسام وهو ابن أخت عليِّ بن خَشْرم[(٥)]. وأثنى عليه. وقال: صحب الفُضَيلَ بن عياض، وكان عظيم الشأن.

قال:] وقال أبو بكر بن أبي دواد: دخلتُ قريَة بشر، وهي على ستَّة [أميالٍ] من مرو، وأقمتُ فيها مدَّةً أكتبُ عن عليِّ بن خَشْرَم. [وقال لي: هذه دار عبد الرَّحمن جدِّي، وجد بشر بن الحارث، أبو علي بن خشرم بن عبد الرَّحمن وبشر بن الحارث بن عبد الرحمن، وَجَّهتُ إليه بثمن حصَّة أبيه منها قال: وأخرج إليَّ كتاباً، وقال: هذه رسالة بشر. وقد ذكرها في «المناقب»[(٦)] وهي تتضمن الموعظة.]

---

(١) في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منها ـ: أحد.
(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٣١١ (مخطوط).
(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٥٤٥، ٥٥١.
(٤) قوله: علي بن. ساقط من (ب) واستدركته من الرسالة القشيرية ص٦٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١٢.
(٥) لم أقف على هذا الكلام في ترجمة بشر في الحلية.
(٦) مناقب الأبرار ١/ ١٤٦ـ١٤٨.

ذكر طرف من أخباره:

[سبب توبتُه:

قرأتُ على شيخنا الموفق المقدسيّ رحمه الله من كتاب «التوابين» قال: حدَّثنا محمدُ بن عبد الباقي بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن داود الدِّينَوَريّ قال:] سمعتُ بشر بن الحارث [الحافي] وقد سئل: ما كان بدء أمرك؛ [لأن اسمك بين الناس، كأنه اسم نبيّ؟!] قال: [هذا من فضل الله، وما أقول لكم.

إنِّي][1] كنت رجلاً عيَّاراً صاحب عصبيةٍ، فجزتُ يوماً، وإذا بقرطاسٍ في الطريق، فرفعته، فإذا فيه: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، فمسحتُه وجعلتُه في جيبي، وكان عندي درهمان لا أملكُ غيرهما، فاشتريتُ بهما غاليةً، ومسحتُ القرطاس بها، فنمت تلك الليلة، فرأيتُ في المنام [كأنَّ] قائلاً يقول: يا بشر، رفعتَ اسمنَا عن الطريق وطيبته؛ لأطيبنَّ اسمك في الدنيا و[في] الآخرة[2].

[وقد روى ابن جهضم بمعناها وقال: لم يكن عندي سوى درهم فيه خمسة دوانيق، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكاً، وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبَّعُ اسمَ الله وأطيِّبُه، ثم رجعتُ إلى منزلي فنمتُ، فأتاني آتٍ في منامي فقال: يا بشر، كما طيَّبت اسمي لأطيبنَّ اسمك، وكما طهَّرته لأطهرنَّ قلبك[3].

وذكره ابن خميس في «مناقب الأبرار» بمعناه وقال: أصاب كاغِدةً في الطريق قد وطئتها الأقدام فيها اسمُ الله تعالى، فأخذها وقبَّلها وطيَّبَها، وجعلها في شقِّ حائط، وذكره[4].

وروي لنا في سبب توبة بشر حكايةٌ أخرى قرأتُها على شيخنا الموفق أيضاً من كتاب «التوابين» قال:][5] حكي أنَّ بشراً كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاءُ يشربون

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): قال محمد بن عبد الله بن داود الدينوري.
(٢) كتاب التوابين (١٠٣)، وأخرجها أيضاً أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٣٦.
(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٣١٢-٣١٣.
(٤) مناقب الأبرار ١/ ١٢٩.
(٥) في (خ) و(ف): وقال شيخنا موفق الدين رحمه الله في كتاب التوابين. والمثبت من (ب).

ويطيبون[١]، فاجتازَ بهم رجلٌ من الصالحين، فَدقَّ الباب، فخرجت إليه جاريةٌ، فقال لها: صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حرّ، فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعملَ أدبَ العبودية، وتركَ اللهو والطرب، فسمعَ بشرٌ محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً [حاسراً]، وقد ولَّى الرجل، فقال للجارية: ويحك، من كلَّمك[٢] فأخبرته، [فقال: أيَّ ناحيةٍ أخذ الرجل؟ فقالت: ناحية كذا]، فتبعَه [بشرٌ] حتى لحقَه، فقال له: يا سيدي، أنتَ الذي وقفتَ على الباب وخاطبتَ الجارية؟ قال: نعم، قال: أَعِدْ عليَّ ما قلت لها، فأعاد عليه، فجعلَ بشرٌ يمرِّغُ خدَّيه على الأرض ويقول: بل عبدٌ، عبدٌ، عبدٌ، ثمَّ هامَ على وجهه حافياً [حاسراً] حتى عُرِفَ بالحفاء، فقيلَ له: لم لا تلبس نعلاً؟! فقال: لأنِّي ما صالحني مولاي إلَّا وأنا حافٍ، فلا أزولُ عن هذه الحالة حتى الممات[٣].

[وقد ذكرنا عن بنت المعافى بن عمران أنَّ بشراً طرقَ الباب عليها يطلبُ أباها، فقالت: مَنْ بالباب؟ قلت: بشرٌ الحافي، فقالت: لو اشتريتَ نعلاً بدانقين لذهبت عنك هذه الشهرة[٤]. وكان لها ستُّ سنين.

ذكرُ زهده وورعه وعبادته وخوفه ونحو ذلك:

حكى عنه أبو عبد الرَّحمن السُّلميّ أنَّه قال:][٥] ما شبعتُ منذ ثلاثين سنة، وفي روايةٍ: منذُ خمسينَ سنة.

وقال أبو بكر المروزيّ: قدم بشرٌ من عَبَّادان وهو متَّزرٌ بحصيرٍ بال.

[قال:] وكان يقول: إنِّي لأشتهي الشواءَ منذ أربعين سنة، ما صفا لي درهمه، وإنِّي لأشتهي الباذنجان منذ ثلاثينَ سنةً، ما صفت لي حبَّة[٦].

---

(١) كذا في النسخ والأصل المخطوط لكتاب التوابين، وقال محققه الأستاذ محمد رضوان عرقسوسي: ولعلَّ الصواب: ويَطْبُنون، يعني أنهم يضربون بالطُّبن، وهو الطنبور. كتاب التوابين (١٠٤).

(٢) في (ب): يكلمك.

(٣) كتاب التوابين (١٠٤). وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٥٤٨ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال بشر.

(٦) انظر صفة الصفوة ٢/ ٣٢٨-٣٢٩ .

[وحكى الفتح بن شَخْرف عن عمرَ ابن أخت بشر قال:][1] سمعتُ خالي بشراً يقول لأمي: جوفي وجعٌ، وخواصري تضربُ علي من الجوع، فقالت: ائذن لي أن أصلح لك حساءً من دقيق تتحسَّاهُ يَرُمُّ جوفَك، فقال: ويحك، أخافُ أن يقول لي: من أين لك هذا الدقيق؟ فلا أدري ما أقول، [قال:] فبكت أمِّي وبكى معها وبكيتُ معهما.

قال: ورأت أمِّي ليلةً ما به من شدَّةِ الجوع، وجعل يتنفَّسُ نفساً ضعيفاً، فقالت له أمي: يا أخي، ليتَ أمَّكَ لم تلدني، فقد والله تقطَّع كبدي ممَّا أرى بك، فقال لها: وأنا فليتَ أمِّكِ لم تلدني، وإذ قد ولدتني لم يَدِرَّ لها عليَّ ثدي. [قال عمر:] وكانت أمي تبكي عليه الليلَ والنهار[2].

[وحكى الخطيب عن زُبدة أختِ بشر قالت:][3] دخل عليَّ بشرٌ ليلةً، فوضعَ إحدى رجليه داخل الدار والأخرى من خارج، فلم يزل كذلك إلى الصبح، فقلت له في ذلك، فقال: تفكَّرت في بشرٍ النصرانيّ، وبشر اليهوديّ، وبشر المجوسيّ، وفي اسمي، فقلت: ويحك! ما الذي سبق لكَ حتى خصَّك الله [بالإسلام]، فتفكَّرتُ في هذه السابقة والخاتمة، فحمدتُ الله حيث جعلني من خاصَّته، وألبسني لباس أحبائه[4].

قال الخطيب: وكان يبكي حتى ذهبت أشفارُ عينيه من البكاء، ويقول: ليتَ لا يكون حظِّي من الله قول الناس: بشر بشر[5].

[وحَكى في «المناقب» قال:] مرَّ يوماً على بعض الناس فقال: هذا رجلٌ لا ينامُ الليل، ولا يفطرُ إلَّا في كلِّ ثلاثة أيَّام مرَّة، فبكى بشر وقال: إنِّي لا أذكرُ أنِّي سهرتُ ليلةً كاملة، ولا صمتُ يوماً لم أفطر في ليلته، ولكنَّ الله يلقي في القلوب أكثرَ ممَّا يفعلُه العبدُ لطفاً منه وكرماً[6].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال عمر ابن أخت بشر...

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٣٢٩-٣٣٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وقالت زبدة أخت بشر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٥ ، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٢٤ (مخطوط).

(٥) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٣٣١ من رواية أحمد بن نصر عن بشر.

(٦) مناقب الأبرار ١/ ١٢٩-١٣٠.

[قال:] وقال ابن أخته: دخلتُ عليه يوماً وهو عُرْيَانٌ، والبردُ شديد وهو ينتفض، فقلت له: الناسُ يزيدونَ اليوم في الثياب وأنت قد خلعتَ ثوبك، فقال: ذكرتُ الفقراء وما هم فيه، ولم أقدر على مواساتهم، فآسيتُهم بنفسي[١].

قال: ودعا رجلٌ يوماً خالي إلى طعام، فامتنع، فألحَّ عليه فحضر، فلمَّا قُدِّمَ الطعام، اجتهدَ بشرٌ أنْ يمدَّ يَده إليه، فما قدر، فقال رجلٌ: ما أغنى صاحبَ الدعوة أن يدعوه. يعني أنَّ يده ما كانت تمتدُّ إلى طعامٍ فيه شبهةٌ[٢]، [والله أعلم.

ذكر اجتماعه بالخضر عليه السلام:

حكى عنه في «المناقب» قال:][٣] دخلتُ يوماً إلى الدار، وكانت لي فيها حُجْرةٌ لا يدخلها غيري، ومفتاحها معي، وإذا برجلٍ طُوالٍ قائم يصلِّي، فقلت: من أين دخل هذا؟! فسلَّم ثمَّ قال: يا بشر لا تُرَعْ، فأنا أخوك الخضر، [فقلتُ: علِّمني شيئاً أنتفع به، فقال: استغفر اللهَ من كلِّ ذنب[٤] تبت منه ثم عدت فيه، واستغفر اللهَ من كلِّ عقد عقدْتَه معه ثم فسختَه، واستغفر الله من كلِّ نعمةٍ أنعم بها عليك فما استغنيت بها عن معصيته[٥].

ذكر قصته مع السائل:

حكى الخطيب عن إبراهيم الحربي قال:][٦] حملني أبي إلى بشر، وقال له: يا أبا نصر إن ابني لمشتغلٌ بكتابة الحديث والعلم، فادعُ له، فقال [لي] بشر: يا بنيّ، ينبغي

---

(١) ذكره في مناقب الأبرار ١/ ١٤٠ عن بعضهم.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ١٣٩.

(٣) في (خ) و(ف): وقال بشر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ب): سبب. والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ١٤٣ وبنحو هذا السياق أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ١٤٣-١٤٤ عن أبي الحسن بن جهضم بإسناده إلى بشر بن الحارث، ثم قال ابن حجر بعد ذكر عدة أخبار: ابن جهضم معروف بالكذب.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): فقلت: ادع الله لي، فقال: هوَّن الله عليك طاعتَه، قلت: زدني، قال: ويسَّرها عليك. وانظر الرواية الأخيرة في مناقب الأبرار ١/ ١٣٣، والطبقات الكبرى ص٦٢.

ولعل مصنف الكتاب ذكر روايتين للخبر، فأخلَّ الاختصار بهما.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال إبراهيم الحربي.

أنْ تعمل بالعلم، وإنْ لم تعمل بكلِّه[١]، فمن كل مئتين خمسة، مثل زكاة الورِق، فقال له أبي: ادع له، فقال: دعاؤك أبلغُ، فإنَّ دعاءَ الوالد لولده كدعاء النَّبيِّ لأمَّته، [قال:] فاستحسنتُ كلامَه، فدخلتُ الجامعَ يوم الجمعة، فإذا بشرٌ يصلِّي [في قبة الشعراء]، فقمتُ خلفَه أركعُ إلى أن نودي بالأذان، فقام رجلٌ رثُّ الهيئة، فقال: يا قوم[٢]، احذروا أن أكون صادقاً، فليس مع الاضطرار اختيار، ولا يحسن السكوت مع العدم، ولا السؤالُ مع الوجد[٣]، وثَمَّ فاقة، فأعطاه بشرٌ قطعةً قدر دانق، [قال إبراهيم:] فقمتُ فأعطيتُه درهماً، وطلبتُ الدانق منه، فأبى حتى أعطيتُه عشرةَ دراهم، فقال لي: يا هذا وما رغبتك في دانق تبذلُ فيه عشرةَ دراهم، فقلت: هذا رجلٌ صالحٌ، قال: فأنا في معروفه أرغبُ منك، [ولستُ أستبدل النعم نقماً، وإلى أن آكل هذه][٤] القطعة فرجٌ عاجلٌ، أو أجلٌ [آجل، وفي لفظ: أو منيَّةٌ قاضية]، فقلت: انظروا معروفَ من عند من[٥]؟ ثم قلت: يا شيخ دعوة، فقال: أحيا الله قلبكَ ولا أماتَه حتى يميت جسمك، وجَعَلَك ممَّن يشتري نفسَه بكلِّ شيء، ولا يبيعُها بشيء[٦].

[قصة البطيخة:

قرأت على شيخنا الموفق رحمه الله بإسناده إلى فاطمة بنت أحمد أخت أبي علي الرُّوْذَباري قالت][٧]: كان ببغداد عشرةُ فتيان معهم عشرةُ أحداث، فوجَّهوا حَدَثاً منهم في حاجةٍ لهم، فأبطأ، وجاء وهو يضحك، وفي يده بطيخة، فحردوا عليه وقالوا: تبطئ وتجيء وأنت تضحك؟! فقال: جئتُكم بأعجوبةٍ، قالوا: وما هي؟ قال: وضع

---

(١) في (ف) و(ب): بكلمة.

(٢) في (خ) و(ف): يا بشر.

(٣) في (ب) وحلية الأولياء ومناقب الأبرار: الوجود.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): وإن لهذه.

(٥) كذا في (خ) و(ف). وفي حلية الأولياء: انظروا معروف من آخذ؟، وفي مناقب الأبرار: انظروا معروف من بيد من؟ والجملة ساقطة من (ب).

(٦) لم أقف عليها في تاريخ بغداد، وأخرجها أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٤٧-٣٤٨، وأوردها ابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ١٣٤-١٣٥. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): وقالت فاطمة بنت أحمد أخت أبي علي الروذباري.

بشرٌ يدَه على هذه البطيخة، فاشتريتُها بعشرين درهماً، فأخذَ كلُّ واحدٍ يقبِّلُها ويضعها على عينيه، فقال واحدٌ منهم: بأيِّ شيءٍ بلغَ بشرٌ هذه المرتبة؟! فقالوا: بالتقوى، قال: أشهدكم على أنِّي تائبٌ إلى الله تعالى، فقال القوم [كلُّهم:] ونحن تائبون، ثمَّ خرجوا إلى طَرَسُوس، فاستُشْهدوا كلُّهم(١).

[قصة المرأة التي تعلَّق بها الرجل:

قرأت على شيخنا الموفق رحمه الله قال بإسناده إلى الفتح بن شَخْرف قال:](٢) تعلَّق رجلٌ بباب الشام بامرأةٍ وبيده سكين، لا يدنو منه أحدٌ إلَّا عقرَه، وكان [الرجل] شديدَ البدن، فبينا الناسُ كذلك، والمرأةُ تصيح في يده، إذ مرَّ بشرٌ، فدنا منه، وحكَّ كتفَه بكتف الرجل، فوَقَعَ الرجلُ إلى الأرض، ومضى بشرٌ والمرأة. قال الفتح: فدنوتُ من الرجل وهو يرشحُ عرقاً، فسألته عن حاله، فقال: ما أدري، ولكنه حاكَّني رجلٌ شيخ، وقال: إنَّ الله ناظرٌ إليك وإلى ما تعمل، فضعفتْ لقوله قدماي، وهبتُه هيبةً شديدةً، لا أدري من هو، فقلت: بشر الحافي، فقال: واسوأتاه، كيف ينظرُ إليَّ بعد اليوم؟! ثم حُمَّ من يومه، ومات من اليوم السابع(٣).

[قصة الرجل الذي كان يقع في الصوفيَّة:

رواها أبو نعيم، وقرأتُها على الموفق أيضاً بإسناده إلى أبي عبد الله القاضي عن أبيه كان يقول](٤): كان ببغداد رجلٌ من التجَّار يقعُ في الصوفيَّة، ثمَّ رأيتُه بعد ذلك يصحبهم، وأنفق عليهم جميعَ ما ملك، [قال:] فقلت له: أليس كنتَ تبغضُهم؟ فقال ليس الأمرُ على ما(٥) توهمت، قلت: فحدِّثني، قال: صليتُ الجمعةَ يوماً [من الأيام] وخرجت، وإذا ببشرٍ الحافي قد خرجَ من المسجد مسرعاً، فقلت في نفسي: لأنظرنَّ إلى هذا الرجل الموصوفِ بالزهد ما يصنع، فتقدَّمَ إلى الخبَّاز فاشترى خبزاً بدرهم،

---

(١) كتاب التوابين (١٠٥).

(٢) في (خ) و(ف): قال أبو الفتح بن شخرف، والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) كتاب التوابين (١٠٦).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وعن أبي عبد الله القاضي عن أبيه قال.

(٥) في (خ) و(ف): كما.

وتقدَّم إلى الشوَّاء، فأخذَ منه شواءً بدرهم، [فزادني غيظاً]، ثمَّ تقدَّم إلى الحلاوي، وأخذ منه بدرهم فالوذجاً، فقلت: والله لأنغصنَّ عليه إذا أراد الأكل، [قال:] فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول يريدُ الخضرةَ والماء، فما زال يمشي إلى العصر، وأنا خلفه، حتى أتى قريةً فدخل مسجدَها، وإذا فيه رجلٌ مريضٌ، فجلسَ عند رأسه وجعلَ يلقِّمُه، [قال:] فخرجت [من المسجد] لأنظر في القرية، ثمَّ عدتُ إلى المسجد، فلم أره، فقلت للمريض: أين بشر؟ فقال: ذاك الساعة ببغداد، [قال: فقلت: كم بيني وبين بغداد]؟ فقال: أربعون فرسخاً، فقلت: إنَّا لله، أيشٍ عملتُ بنفسي، ما معي ما أكتري به، ولا أقدرُ على المشي! فقال: اقعد حتى يرجع، فقعدتُ إلى الجمعة القابلة، وإذا ببشرٍ قد أقبلَ ومعه شيءٌ، فجلس عند رأس المريض يطعمُه، [قال: فقمت فقلت، أَوَ قال له المريض[1]:] يا أبا نصر، هذا رجلٌ صحبكَ من بغداد، وهو عندي منذ جمعة، [قال:] فنظرَ إليَّ كالمغضب وقال: لم صحبتني؟ فقلت: أخطأت، فقال: قم، فمشينا إلى المغرب، فلمَّا وصلنا إلى بغداد قال: اذهب إلى محلَّتك، ولا تعد، [قال: وقال لي:] ولا تحدِّث به في حياتي، فقلت: نعم، [قال:] وتبتُ إلى الله تعالى ممَّا كنت أعتقده فيهم، وخرجتُ عن مالي، وصحبتُهم[2][والحمد لله وحده.

ذكرُ زيارته معروفاً الكرخيّ:

روى ابن باكويه عن أحمد بن الهيثم قال:][3] قال لي بشر: قل لمعروف الكرخيّ: إنَّني أريدُ أن أزورَه، فقلت لمعروف، قال: نعم، فجاء بشرٌ بعد هوي من الليل، وعلى رأسه سجادة، فمشى على دجلة وأنا أنظر [إليه]، وقام معروف، فسلَّم كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه، واعتنقا، وجلسا فتحادثا إلى السحر، ثم ودَّع معروفاً، وخرج معه معروفٌ إلى دِجْلة، وكان معروفٌ في مسجده على دِجْلة، ثمَّ مَشى بشرٌ على الماء حتى عبرَ على دجلة إلى الجانبِ الشرقي، ثم التفتَ [إليَّ] وقال: إيَّاك إيَّاك والحديث، اكتم عليَّ ما رأيت، فما حدَّثتُ به أحداً حتَّى مات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): فقال المريض.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٢-٣٥٣ ، وكتاب التوابين (١٠٧).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال أحمد بن الهيثم.

[ذكر قصَّته مع منصور الصياد:

وروى ابن جهضم عن منصور الصياد قال:][1] صلَّيت صلاة العيد، وأخذتُ الشبكة وخرجتُ، فلقيني بشرٌ، فقال: في مثل هذا اليوم؟! فقلت: ما عندَ العيالِ شيءٌ، فجاء معي إلى الخندق، وقال: ارم وقل: بسم الله، ففعلت ثمَّ جذبتُها فإذا فيها شيءٌ ثقيل، فقلت: يا أبا نصر أعنِّي، فجذبَ معي، وإذا بسمكةٍ كبيرة، فقال: بعها واشتر لعيالك في هذا اليوم ما يأكلون.

[قال:] فلقيني راكبٌ على دابَّةٍ، فقال: بكم هذه السمكة؟ فقلت: بعشرة دراهم [فدفع إليَّ عشرةً وأخذها]، فاشتريتُ ما أحتاج إليه، ثمَّ أخذت حلوى فجعلتها على رقاقتين، وأتيت بها إلى بشر، فطرقتُ الباب، فقال لي مِنْ داخلِ الباب: يا منصور، لو أطعمتُ نفسي ما أشرتَ إليه ما خرجت[2] السمكة،اذهب وكل الذي معك أنت وعيالُك.

[حديث السكران:

ذكر أبو عبد الرَّحمن السلمي قال:][3] لقي بشر بن الحارث سكران، فجعل يقبِّلُ بشراً، وهو يقول: يا سيِّدي يا أبا نصر، يا سيدي، ويبكي، وبشرٌ لا يدفعُه عن نفسه، [فجعلَ بشرٌ][4] يبكي ويقول: رجلٌ أحبَّ رجلاً في الله على خيرٍ توهَّمه فيه، ولعلَّ المحبَّ قد نجا، والمحبوبُ لا يدري ما حالُه[5].

[حديث الرطب:

حكى] ابنُ باكويه[6] أنَّ رجلاً أهدى لبشرٍ رُطباً، فجعلَ [بشرٌ] يقلِّبُه [ويلمسه بيده]، ثم ضربَ بيده إلى لحيته وقال: ينبغي لشيخٍ مثلي أنْ يستحيي من الله، إنِّي [عند

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال منصور الصياد.

(٢) في (ب): لو ألهمت إلى ما أشرت إليه ما خرجت. وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٩/ ٢٧٠ : لو ألهمنا هذا ما خرجت.

(٣) في (خ) و(ب): وقال أبو عبد الرَّحمن السلمي. و المثبت بين حاصرتين من (ب)

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ب): بل.

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٥ (مخطوط).

(٦) في (خ) و(ف): وقال ابن باكويه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

الناس][1] تاركٌ لهذا في العلانية، وآكله في السّر!

[ذكر نبذٍ من كلامه:

حكى أبو نعيم عنه أنه] كان يقول[2]: ما اتَّقى الله عبدٌ أحبَّ الشهرة[3].

و[حكى ابن باكويه عنه أنَّه] قال: إنَّا لله، عشت [إلى] زمانٍ إن لم أعمل فيه بالخفاء[4] لم يسلم لي ديني.

[قال:] وقال: إلهي قد شهرتني في الدنيا، فلا تفضحني يومَ القيامة، ولا تسلُبني ما أعطيتني، ما أقبحَ بي أن يظنَّ بي ظناً[5] وأنا على خلافه، إنَّما ينبغي أن أكون أكثرَ ممَّا يُظَنُّ بي، إنِّي أكرهُ الموت، وما يكرههُ إلَّا مريب، وإلَّا لأيِّ شيءٍ أكره الموت[6]؟!

[قال ابن باكويه:] وقال له رجل: مالي أراك مغموماً؟! فقال: ومالي لا أغتمّ، وأنا رجلٌ مطلوب.

[وقال:] وقال: ربما رفعت يديّ في الدعاء، فأردُّها وأقول: إنما يفعلُ هذا من له عند الله جاه وقدر[أو وجه][7].

وحكى السُّلميُّ عن الحسن الفلَّاس قال:][8] طلبتُ بشراً يوماً، فقيل: هو في المقابر: فقصدتُه، وإذا به في قبة قد صلّى أربعَ ركعاتٍ، لا أحسنُ أن أصلِّي مثلها، فسمعته يقول: اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنَّ الذلَّ أحبُّ إليَّ من العزّ، وأنَّ الفقرَ أحبُّ إلي من الغنى، وأنَّ الموتَ أحبُّ إليَّ من الحياة،[قال:] فبكيت، فالتفتَ فرآني، فقال: وإنَّك

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و(ف): وكان يقول. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف) و(ب): الشهوة. والمثبت من حلية الأولياء ٨/ ٣٤٦، وصفة الصفوة ٢/ ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٦.

(٤) في (خ) وصفة الصفوة ٢/ ٣٢٥: بالجفاء، ولم تنقط في (ف)، والمثبت من (ب) ونسخة كما في هامش صفة الصفوة.

(٥) في (ب): خيراً.

(٦) صفة الصفوة ٢/ ٣٢٦.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

(٨) في (خ) و(ف): وقال الحسن القلانسي. والمثبت من (ب).

تعلمُ لو أنّي أعلم أن هذا هاهنا لما تكلّمت. قال السلميُّ: فرجعَ الحسنُ [الفلّاس]لا يأكلُ إلا من قمام المزابل، فأقام أياماً ثمّ احتضر، فدخلَ عليه بشرٌ وهو مضطجع، وتحتَ رأسه لَبنة، فقال: يا حسن، كيف حالك؟ ففتحَ عينه وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه الكلّ.

و[قال أبو نعيم:] قال بشر: الموتى داخلَ السُّور أكثرُ منهم خارج السور[1].

[قال:] وقال: ليس من المروءة أنْ تحبَّ ما يبغضُ حبيبك[2].

[وحكى الخطيب عن إبراهيم الحربي قال: سمعت بشراً يقول][3]: حسبك أن [أقواماً] موتى تحيى بذكرهم القلوب، وأنَّ أقواماً أحياء تعمى برؤيتهم العيون[4].

[قال:] وقال [بشر:] قد يكون الرجلُ مرائياً في حياته وبعد مماته قيل [له: أمّا] في حياته نعم، وأمّا بعد مماته فكيف؟ قال: يحبُّ أن يكثرَ الناسُ في جنازته[5].

وقال [بشر:] الصدقةُ أفضلُ من الجهاد والحجّ، ذاك يركبُ ويجيء فيراه الناس، وهذا يتصدَّق سرّاً، ولا يعلم به إلّا اللهُ تعالى.

وقال: ما أقبحَ أن يقال: أين فلان العالم أو الفقير؟ فيقال: على باب الأمير.

وقال: الحلالُ لا يحتمل السرف.

وقال: يأتي على النَّاس زمانٌ تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس.

وقال: النظرُ إلى البخيل يقسِّي القلب، وإلى الأحمق يُسخِنُ العين.

وقال: الصبرُ الجميل: الذي ليس فيه شكوى إلى الناس.

وقال: لا تجدُ حلاوةَ العبادة حتى تجعلَ بينك وبين الشهوات سدّاً من حديد.

وقال: هب أنَّك ما تخاف [من النار]، أمَا تشتاق [إلى الجنة].

---

(١) حلية الأولياء ٨/٣٤٨.

(٢) لم أقف عليه عن بشر بن الحارث، وأورده بنحوه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٠٠ في ترجمة بشر بن السريّ منسوباً له ولفظه: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): وقال.

(٤) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣/ ٣٣٠ (مخطوط) من غير طريق الخطيب.

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٣٣٣.

وقال: المتقلِّبُ في جوعه كالمتشحِّطِ في دمه في سبيل الله.

وقال: شاطرٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من قارئٍ بخيل.

وقال: إذا لم تطع مولاك فلا تعصِه.

وقال له رجلٌ: يا بشر انقبضتَ عن أخذ البرِّ من أيدي الناس؛ لإقامة الجاه، فإن كنت متحقِّقاً بالزهد، فخذ من أيديهم حتى تمحي جاهَك عندهم، وفرِّق ما يعطونَك في الفقراء، وخذ بعقد التوكل قُوْتَك من الغيب[(١)].

فقال له بشر: الفقراءُ ثلاثة؛ فقيرٌ لا يَسْأَل، وإن أعطيَ لا يأخذ، فذلك من الروحانيين، إذا سألَ الله أعطاه، وإن أقسمَ عليه أبرَّ قسمَه، وفقيرٌ لا يَسْأَل، وإن أعطي أخذ، فذلك من أوسطِ القوم، عقدُه التوكُّل والسكونُ إلى الله تعالى، وهو ممن تُوْضَعُ[(٢)] له الموائدُ في حضرة[(٣)] القدس، وفقير اعتقدَ الصبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجةُ خرجَ إلى عباد الله بالسؤال، وقلبُه مع الله، فكفارةُ مسألتِه صدقُه في السؤال.

فقال الرجل: رضيتُ، رضي الله عنك.

وقال بشر: من سألَ الله الدنيا، فإنَّما يسألُه طولَ الوقوفِ للحساب بين يديه.

وقيل له: لم لا تخوِّفُ السلطان بالله؟ فقال: إنِّي أُجِلُّ الله تعالى أنْ أذكرَه عند من لا يعرفهُ.

وقال: أردتُ مرَّةً أنْ أكتبَ كتاباً، فعرضَ لي كلامٌ؛ إن كتبتُه في الكتاب حَسُن وكان كذباً، وإن تركتُه سَمُج وكان صدقاً، فعزمتُ على تركه، فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية[(٤)] [٢٧ من سورة إبراهيم].

وقال: أمس قد مات، واليوم في النزع، وغداً لم يولد.

وقال: من أرادَ أن يكون عزيزاً في الدنيا سالماً في الآخرة، فلا يحدِّث، ولا

(١) من قوله: وقال له رجل... إلى هنا. ليس في (ب)، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٢) في (خ) و(ف): يوسع. والمثبت من (ب) وطبقات الصوفية ص٤٧.

(٣) في (ب): حظيرة.

(٤) من قوله: وقال: أردت مرة... إلى هنا. ليس في (ب).

يشهد، ولا يؤمَّ بقومٍ، ولا يقبل لأحدٍ هديَّةً.

وقال: لا تؤثرنَّ على قطع العلائق شيئاً، فإنِّي لو كُلِّفتُ علفَ دجاجةٍ، لخفتُ أن أكون عشَّاراً.

وقال: لا يفلحُ من أَلِفَ أفخاذَ النساء.

وقال: التوكُّل: اضطرابٌ بغير سكون، وسكونٌ بغير اضطراب، فقيل له: فسِّره لنا، فقال: أمَّا اضطرابٌ بلا سكون، فرجلٌ تضطربُ جوارحُه وقلبُه ساكن إلى الله تعالى لا إلى عمله، وأمَّا سكونٌ بلا اضطراب، فرجلٌ ساكنٌ إلى الله بلا حركة، وهذا من صفاتِ الأبدال(١).

و قال: إذا ختمَ الرجلُ القرآن قبَّل المَلَكُ ما بين عينيه.

وقال: إذا أعجبكَ الكلامُ فاصمُت، وإذا أعجبكَ الصمتُ فتكلَّم.

وقال: إلهي رفعتَني في الدنيا فوقَ قدري، ونوَّهت(٢) باسمي، فأسألُك بوجهك الكريم أن لا تفضحَني غداً على رؤوس الأشهادِ يوم القيامة.

وجاء إليه رجلٌ فقال: رأيتُ ربَّ العزَّة في المنام، فقال لي: اذهب إلى بشر، وقل له: لو سجدتَ لي على الجمرِ ما أدَّيتَ شكري ممَّا قد بثثتُ(٣) لك في قلوب الناس، فجعلَ يبكي ويقول: إلهي إنْ كنتَ شهرتني في الدنيا، فلا تفضحني يومَ القيامة.

وضحكَ رجلٌ عنده فقال [له:](٤) احذر [أن] يأخذكَ الله على هذا الحال.

وقال: فِرَّ من الناس ولا تأنس بهم.

وقال: صحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظن بالأخيار.

وقال: لا أفلحَ من قال: بأيِّ شيءٍ آكلُ خبزي؟

---

(١) من قوله: وقال: التوكل . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٢) في (خ) و(ف): وفوهت. والمثبت من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٩، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣٣ (مخطوط).

(٣) في (خ) و(ف): ثبت. والمثبت من تاريخ دمشق، وفي تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٩: فيما قد بثثت لك، أو نشرت لك اهـ والخبر ليس في النسخة (ب).

(٤) في (خ) و(ف): لي. والمثبت وما سيأتي بين حاصرتين من (ب).

وقال: سكونُ النَّفسِ إلى المدح أشدُّ عليها من المعاصي.

وقال: كان العلماء يعتبرونَ بثلاثة أشياء؛ صدق اللسان، وطيب المطعم، والمسكن الصالح، ولا أعرفُ اليوم من فيه من هذه الخلال واحدةٌ، يعبأُ الله بهم، وهم يتغايرون على الدنيا، ويتحاسدون، ويسعون إلى أهلها، ويغتابُ بعضهم بعضاً، يقول أحدهم لصاحب الدنيا: أدخلني وأخرج فلاناً، ويْحَكُم، إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، وأنتم حملتموه وما نفعكم، وما على أحدكم أن لا يستكثر من الدنيا، وإنَّما هو عابرُ سبيل، وكأنِّي والله برسول رَبِّه وقد أتاه، فأخذَ روحَه، وأُحضِرَ يومَ الحساب، يوم الحسرة والندامة، فما ظنُّكم بملك الموت، والدُّنيا بين يديه كالطبق، يمدُّ يدَه من المشرق إلى المغرب، فيتناول الأرواحَ، فليطلب أحدكُم من الدنيا معاشاً يبلِّغه[١].

وقال: مثلُ الذي يأكلُ الدنيا بالدين، كالذي يغسلُ [بدنه من الزهومةِ بالسَّمك][٢]، ويطفئُ النارَ بالحَلْفَاء.

وقال: لو تفكَّر الناسُ في عظمِة الله لما عصوه.

[وذكر أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: وقف بشرٌ] على[٣] أصحابِ الفاكهة، فجعلَ ينظرُ إليها، فقيل له: لعلك [تشتهي من هذا شيئاً][٤]؟ فقال: لا والله، ولكن أفكر[٥] فيها، فقلت: إذا كان الله سبحانه وتعالى يطعم هذه من يعصيه، فكيف من[٦] يطيعه!

و[قال ابن مسروق:] سئل [بشرٌ] عن القناعة فقال: لو لم يكن فيها إلا التمتع بعزِّ الغنى لكفى، ثم أنشد: [من الوافر]

---

(١) من قوله: وقال: كان العلماء يعتبرون . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): يديه بالزهومة من السمك.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): ووقف على...

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): تشتهيها.

(٥) في (خ) و(ف): أفكرت، وفي تاريخ دمشق ٣/٣٢٧(مخطوط): ولكن نظرت، والمثبت من (ب).

(٦) في (ب): بمن، وما بين حاصرتين منها.

أفـادتـنـي الـقـنـاعـةُ أيَّ عـزٍّ ... ولا عـزٌّ أعـزُّ مـن الـقـنـاعـهْ
فـخُـذْ منـهـا لـنـفـسك رأسَ مـالٍ ... وصـيِّـر بـعـدَهـا الـتـقـوى بـضـاعـهْ
[تَـحُـزْ حـالـين تَـغـنَـى عـن بـخـيـلٍ ... وتـحظَى بـالـجـنـانِ بـصـبـر سـاعـهْ][١]

وكان[٢] ينشد: [من السريع]

أُقـسـمُ بـالله لـرضـخُ الـنَّـوى ... وشُـربُ مـاءِ الـقُـلُـبِ الـمـالـحـهْ
أعـزُّ لـلإنـسـانِ مـن حـرصـه ... ومـن سـؤالِ الأوجـهِ الـكـالـحـهْ
فـاسـتـغـنِ بـالله تـكـنْ ذا غـنـى ... مـغـتـبـطـاً بـالـصـفـقـةِ الـرابـحـهْ
فـالـيـأسُ عـزٌّ والـتُّـقـى سُـؤدُدٌ ... ورغـبـةُ الـنـفـس لـهـا فـاضـحـهْ
مـن كـانـت الـدنـيـا لـه بـرَّةً ... فـإنَّـهـا يـومـاً لـه ذابـحـهْ[٣]

وكان ينشد: [من البسيط]

قطع الليالي مع[٤] الأيام في خُرَقٍ ... والنومُ تحت رِوَاقِ الهمِّ والأرقِ
أحرى وأجدرُ بي من أن يُقَالَ غداً ... إنّي التمستُ الغنَى من كفِّ ممتلقِ
قالوا رضيتَ بذا قلت القنوعُ غنى ... ليسَ الغنى كثرةُ الأموال والورقِ
رضيتُ بالله في عسري وفي يسري ... فلستُ أسلكُ إلَّا واضحَ الطرقِ[٥]

وقال عمر ابن أخت بشر: دخلت [على خالي][٦] وبين يديه بطيخة وهو يقلِّبُها بيده، فقلت له: ما هذه؟! فقال لي: مدَّةَ ستين سنة[٧] أشتهيها، فلمَّا كان اليوم غلبتني نفسي، فأحضرتُها، وقلت: ويحك يا نفس، بعد كذا وكذا أدافعُ هذه الشهوة، وتريدين أنْ تغلبيني اليوم، ثم دحى بها وقال: [من مخلع البسيط]

وإنَّ كـدِّي لـشـبـع بـطـنـي ... بـبـيـعِ ديـنـي مـن الـمـحـالِ

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٣٣٢ (مخطوط)، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) من هنا... إلى قوله: وقال عمر ابن أخت بشر ....ليس في (ب).
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٤٥_٣٤٦، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣٠ (مخطوط) باختلاف يسير.
(٤) في (خ) و(ف): والأيام. والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ١٣٢، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣٢ (مخطوط).
(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٥٥٧، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣٢ باختلافٍ يسير.
(٦) في (خ) و(ف): عليه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٧) في (ب): سنين، بدل: ستين سنة.

مَن نالَ دنيا بغيرِ دينٍ نالَ وبالاً على وبالِ[(١)]

[قال عمر:] وكان ينشد [دائماً:] [من الطويل]

صبرتُ على الأيَّام حتى تولَّتِ وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرَّتِ
وما النفسُ إلَّا حيثُ يجعلُها الفتى فإن أُطمعتْ تاقت وإلَّا تسلَّتِ

وقال أحمدُ بن مِسْكين: خرجتُ يوماً أطلبُ بشراً، وإذا به في مقابرِ باب حرب جالسٌ وحدَه، فخطَّ بيده على الأرض شيئاً، فقام ومضى، فقرأته، وإذا به: [من المنسرح]

الحمدُ لله لا شريكَ له في صُبحهِ دائماً وفي غَلَسِهْ
لم يبقَ لي مؤنسٌ فيؤنسني إلَّا أنيسٌ أخافُ من أُنسِهْ
فاعتزل الناسَ يا أُخَيَّ ولا تَرْكَن إلى من تخافُ من دَنَسِهْ[(٢)]

وقال: رأيت [أمير المؤمنين] علي [بن أبي طالب] رضوان الله عليه في المنام فقلت: [تقول شيئاً لعلَّ الله أنْ ينفعني به يا] أمير المؤمنين، فقال: يا بشر، ما أحسنَ [عطفَ الأغنياء على الفقراء] طلباً لثواب الله، وأحسنُ منه [تيهُ الفقراء] على الأغنياء ثقةً بالله، فقلت: يا أمير المؤمنين [تزيدنا، فولَّى][(٣)]، فقال: [من مخلع البسيط]

قد كنتَ ميتاً فصرتَ حيّاً وعن قليلٍ تصيرُ ميتاً
عزٌّ بدار الفنا بنيتَ فابنِ بدارِ البقاء بيتاً[(٤)]

[وحكى في «المناقب» عن بشر أن رجلاً قال له:][(٥)] أوصني، فقال: عليك بلزوم بيتك وترك ملاقاة الناس[(٦)] فقال له رجلٌ: بلغني عن الحسن أنَّه قال: لولا الليل وملاقاة الإخوان ما أحببت البقاءَ في الدنيا، فقال بشر: يرحمُ الله الحسن، لقد كان

---

(١) ذكر نحوها ابن الجوزي في التبصرة ١/ ٢٠٠ ، وكذا البيتان الآتيان عنده.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٧ ، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣١ (مخطوط).

(٣) الكلام الذي بين حاصرتين مكانه في (خ) و(ف) بياض، وعليه إشارة الانقطاع، واستدركته من التدوين في أخبار قزوين ١/ ٣٠٣ ، والقصة رويت عن غير بشر، فذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٦٦ عن الفتح ابن شخرف، وذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٨ عن أبي يزيد طيفور البسطامي. فالله أعلم.

(٤) من قوله: وقال أحمد بن مسكين...إلى هنا ليس في (ب) وانظر الخبر في مناقب الأبرار ١/ ١٤٠ـ١٤١.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): وقال له رجل.

(٦) في (خ) و(ف): الإخوان. والمثبت من (ب) ومناقب الأبرار.

الظنُّ به خلاف هذا، ثم أنشد: [من الكامل]

يا من يُسرُّ برؤية الإخوان ... مهلاً أمنتَ مكائدَ الشيطانِ
خَلَتِ القلوبُ من المعاد وذكره ... وتشاغلوا بالحرص والخسرَانِ
صارت مجالسُ من ترى وحديثهم ... في هتكِ مستورٍ وخلق قرانِ[١]

ذكر وفاته:

[وقد حكينا عن ابن سعد أنه قال: مات بشرٌ في سنة سبعٍ وعشرين ومئتين[٢]].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمة الله عليه: مات بشرٌ قبل المعتصم بسبعةِ أيام[٣].

[وحكى الخطيب عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال][٤] رأيتُ أبا نصرٍ التمَّار وعليّ بن المديني في جنازة بشر [يصيحان]: هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرفِ الآخرة، [وذلك أنَّ بشراً][٥] خرجت جنازتُه [بعد][٦] صلاة الصبح، ولم يحصل [في قبره] إلَّا في الليل، وكان نهاراً صائفاً [فلم يستقرَّ في قبره إلى العتَمة][٧].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمة الله عليه: لما ماتَ بشرٌ [وكان يسكنُ معنا في قطيفة الربيع، وفي رواية: في قطيفة أم جعفر] دخلتُ على أبي فقلت: يا أبه، مات بشر [ابن الحارث]، فقال: رحمه الله، كان لي به أنس، وما رأيتُه قط، ثم قام [فخرج]، فصلَّى عليه[٨].

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ١٣٠، وذكر ابن عساكر في تاريخه ٣/ ٣٣٠ الأبيات فقط، لكنه ذكر الخبر في تاريخه ٢/ ٤٠٦ بنحوه مختصراً في ترجمة إبراهيم بن الأدهم من كلامه.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٤٤.

(٣) كذا في(خ) و(ف) و(ب)، وما سلف بين حاصرتين من (ب). والذي في تاريخ بغداد ٧/ ٥٦٠، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٣٤ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٦ : بستة أيام.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال يحيى بن عبد الحميد الحماني.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، ووقع في (خ) و(ف) بياض وفوقه إشارة انقطاع، واستدركته من (ب).

(٦) في (خ) و(ف): قبل. والمثبت من (ب).

(٧) تاريخ بغداد ٧/ ٥٦٠.

(٨) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٥٦٠، وما سلف بين حاصرتين من (ب).

كذا وقعت هذه الرواية، قالوا: كانا يخافان من التصنُّع، والمشهورُ أنَّهما اجتمعا وكانا جارين.

[وقال عمر ابن أخته: ناحت الجنُّ في البيت الذي يتعبَّدُ فيه(١).

ذكر ما رؤيَ له من المنامات في حال حياته وبعد مماته:

قد ذكرنا الرجلَ الذي رأى الحقَّ في منامه، وذكر عنه ابن خميس في «المناقب» قال:](٢) رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: يا بشر، أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ فقلت: لا، فقال: باتِّباعك لسنتي، واحترامكَ الصالحين، ونصيحتكَ لإخوانك، ومحبتكَ لأهل بيتي وأصحابي؛ هو الذي أبلغك منازلَ الأبرار(٣).

[وحكى في «المناقب» أيضاً أنَّ رجلاً جاءه](٤) في ليلة فطرٍ أو أضحى، فقال له: يا أبا نصر، رأيتُ الليلةَ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت، والناسُ في كربٍ شديد ودموعهم تتحادرُ دماً، إذ خرجَ منادٍ(٥) ينادي: أين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل؟ وإذا بكما قد حضرتما، فأدخلَكُما على الله تعالى، فقال أهل الموقف: إنْ حُوسِب هذان هلكنا، وإذا بملَكٍ قد خرج من عند الله، فقلنا: ما فعلَ بِشرٌ وأحمدُ بن حنبل؟ فقال: إنهما يحاسبان بقيام الشكر بما منَّ الله عليهما من سترهما. فقال بشر: أمَّا أحدُ الرجلين، فالتقصيرُ قرينه، وأمَّا الآخرُ فتشهدُ له الحقائق [بقيام الشكر، أو:](٦) بقيامه بالشكر، ثمَّ بكى بشرٌ، وقال: ويحكَ يا بشر، شُدَّ حزاميك للموت، فإنَّك مطلوب.

[وأما ما رؤي له بعد مماته:

فحكى الخطيب عن القاسم بن منبه قال:](٧) رأيتُ بشرَ بن الحارث في المنام ـ

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٥٦١.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بشر.

(٣) مناقب الأبرار ١/ ١٣٠، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١٩ (مخطوط).

(٤) مابين حاصرتين من(ب) وفي (خ) و(ف): وجاءه رجل.

(٥) في (خ) و(ف): إذ خرج منادياً، وفي (ب): إذ خرج منادياً منادياً ينادي؟! والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ١٣٠.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال القاسم بن منبه.

يعني بعد موته ـ فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال: غفرت لك ولكلِّ من شيَّع جنازتك، فقلت: يا ربّ، ولكلِّ من أحبني، قال: نعم إلى يوم القيامة(١).

[وحكى الخطيب عن الكندي قال: رأيتُ بشراً في منامي فقال: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفرَ لي، وحطّني في لؤلؤةٍ بيضاء(٢)، وقال: سر في ملكي(٣).

وحكى أيضاً عن ابن خزيمة قال: لما مات] أحمدُ بن حنبل [رأيته] في منامي(٤)، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وتوَّجني، وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد، هذا بقولك: القرآنُ كلامي غيرُ مخلوق، فقلت: ما فعل الله ببشر الحافي؟ قال: بخٍ بخٍ، مَن مثلُ بِشر! تركتُه بين يدي الجليل على مائدة، والجليل يقول ـ سبحانه وتعالى ـ له، وهو مقبلٌ عليه: كُل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم يتنعَّم.(٥)

[وحكى ابن خميس في «المناقب» عن بعض الصالحين قال:](٦) رأيتُ بشراً في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي: يابشر، أما استحييت منِّي، كنت تخافني ذاك الخوف؟ ثم قال: مرحباً [بك]، قد توفيتُك [يوم توفيتك] وما على وجه الأرض أحب إليَّ منك(٧).

[ذكر ثناءِ العلماء عليه:

حكى الخطيب عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه أنَّه سُئل] عن مسألةٍ(٨) في الورع، فقال: لا يحلُّ لي أن أتكلَّم في الورع، وأنا آكلُ من غلَّة بغداد، [لو كان بشر بن

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٥٦١ .

(٢) في صفة الصفوة: وأقعدني على طيار من لؤلؤة بيضاء.

(٣) لم أقف عليه في تاريخ بغداد للخطيب، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٣٣٥ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال الكندي: رأيت أحمد بن حنبل في منامي.

(٥) أخرجها ابن عساكر في تاريخه ٣/ ٣٣٨ (مخطوط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بعض الصالحين.

(٧) مناقب الأبرار ١/ ١٤١.

(٨) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه عن مسألة...

الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنَّه كان لا يأكل من غلَّة بغداد][١]، ولا من طعامٍ يُجلبُ من السَّواد، [يصلحُ لبشرٍ أنْ يتكلمَّ في الورع[٢]].

[وحكى أيضاً عن الإمام أحمد رحمه الله أنهَّ قال:][٣] إنَّ بين أظهركم رجلاً ما هو عندي بدون عامر بن عبد قيس، [يعني بشراً[٤]].

وذكر الحافظُ ابنُ عساكر في «تاريخه» عن أحمد بن حنبل، وقد قيل له: مات بشرٌ، فقال رحمه الله: ماتَ وما لَه نظيرٌ في الأمَّة إلَّا عامر بن عبد قيس،] فإنَّ عامراً مات ولم يترك شيئاً، ولو تزوَّجَ تمَّ أمرُه[٥].

[وحكى الخطيب عن أحمد بن المثنى[٦] قال:][٧] قلت للإمام أحمد: ما تقول في بشر [الحافي]؟ فقال: سَأَلْتَنِي عن رابع سبعةٍ من الأبدال، ما مَثَلُه عندي إلَّا مثل رجلٍ جلس على رأس السِّنان، فهل أبقى لأحدٍ معه موضعاً؟

[وحكى الخطيب عن إبراهيم الحربي قال:][٨] ما أخرجَت بغدادُ أتمَّ عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه منه.

[قال:] وأقام بعَبَّادان يشرب من ماء البحر المالح، ولا يشرب من حياض السلاطين حتى ولَّد له ماءُ البحر القولنج[٩].

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١/ ٢٩٥ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال الإمام أحمد رحمه الله.

(٤) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٣١٧ (مخطوط) من غير طريق الخطيب.

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٣١٨ من طريق الخطيب البغدادي، وهو في تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٢-٥٥٣ . وما بين حاصرتين من (ب) .

(٦) كذا في (خ) و(ف) و(ب): أحمد بن المثنى. وفي تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٢ ، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١٩ (مخطوط): محمد بن المثنى. واسمه كما في طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٣ : محمد بن أحمد بن المثنى.

(٧) في (خ) و(ف): وقال أحمد بن المثنى. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) وفي (خ) و(ف): وقال إبراهيم.

(٩) تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٣ (مخطوط) من قول علي بن غنام.

[قال:] وما كان يمشي في ظل دار [من حلّ][١] من أصحاب السلاطين.

[وحكى عن يحيى بن أكثم قال:][٢] قال لي المأمون: ما بقي في هذه الكورة[٣] من يستحيي منه إلَّا هذا الشيخ، يعني بشراً.

[وحكى ابن خميس في «المناقب» عن بلال الخواص قال:][٤] كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا برجلٍ يماشيني، فأُلهمت أنَّه الخضر [عليه السلام]، فقلت: بحقِّ الحقِّ من أنت؟ قال: أخوك الخضر، فقلت: أريد أن أسألكَ، فقال: سل، فقلت: ما تقول في الشافعيّ؟ قال: وتدٌ من الأوتاد، فقلت: فأحمد بن حنبل؟ قال: صدِّيق، قلت: فبشر الحافي؟ قال: لم يخلِّف بعدَه مثله، قلت: فبأيِّ شيءٍ رأيتك؟ قال: ببرِّك لأمِّك[٥].

[وحكى في «المناقب» أيضاً عن أبي عبد الله بن الجلَّاء قال:][٦] رأيت ذا النون، وكانت له العبارة، ورأيت سهل بن عبد الله، وكانت له الإشارة، ورأيتُ بشراً، وكان له الورع، قيل له: فإلى أيِّهم تميل؟ قال: بشرٌ أستاذُنا[٧].

[وحكى الخطيب عن أيوب العطار قال:][٨] انصرفتُ مع بشرٍ يومَ الجمعة من الجامع، وإذا بصبيان يلعبون بالجوز، فلمَّا رأوه قالوا: بشر بشر، [ومرُّوا يحضرون]، فالتفتَ إليَّ [بشرٌ] وقال: أيُّ قلبٍ يَقوى على هذا؟ لا مررتُ بهذا الدرب حتى ألقى الله تعالى[٩].

أسند بشر عن [إبراهيم بن سعد، و] مالك بن أنس، [وابن المبارك]، والفضيل بن

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال يحيى بن أكثم.

(٣) في (خ) و(ف): السنة، وفي (ب): الكوفة، وفي تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٢ : الكُوَر، والمثبت من تاريخ دمشق ٣/ ٣١٧.

(٤) في (خ) و(ف): وقال بلال الخواص. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ) و(ف): بترك الأمل. والمثبت وما سلف بين حاصرتين من (ب)، والخبر في مناقب الأبرار ١/ ١٣٠- ١٣١، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١٧ (مخطوط).

(٦) في (خ) و(ف): وقال أبو عبد الله بن الجلاء. والمثبت من (ب).

(٧) مناقب الأبرار ١/ ١٣١، والخبر أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٤ وقال بعده: هكذا قال في هذه الحكاية، وأحمد بن يحيى الجلاء لم ير بشراً ولم يدركه، وإنما أبوه يحيى أدركه.

(٨) في (خ) و(ف): وقال أيوب العطار. والمثبت من (ب).

(٩) تاريخ بغداد ٧/ ٥٥٨، وما سلف بين حاصرتين من (ب).

عياض، وحمَّاد بن زيد، وغيرهم، [وسمع منهم]و [كان قد] سافرَ إلى الأقطار؛ مكّة، والمدينة، واليمن، ومصر، والشام، والبصرة، والكوفة، وصعد جبلَ لبنان، وساحَ في الدنيا، واشتغلَ بالعبادة والورع عن الرواية.

[قال الخطيب: ومن مسانيده أنَّ عَوج بن عُنُق كان يأتي البحر، فيخوضُه برجله، وكان يأخذُ حوتاً من قرار البحر بيده، ويرفعُه إلى عين الشمس، فيشويه، ويأكله، ويدَّخر له التجار في البحر كُرًّا أو كُرَّين فيحضرهما ويأكلهما في يوم واحد. قال بشر: فهذا ـ والله ـ كافرٌ يرزقه الله، وأنت تعبد الله وتوحِّده، ويكفيك رغيف أو رغيفان[١].

وقد ذكرنا عوجاً في صدر الكتاب في قصة أريحا][٢].

وقد رَوى عنه الأعيانُ أحمد بن إبراهيم الدَّورقِيّ، وعليُّ بن خَشْرم، وسريّ السقطي، وخلقٌ كثير[٣].

[وحكى أيضاً عن أبي الحسن المروزيّ قال:][٤] كنت عند بشر، فأتاه أصحابُ الحديث، فقال لهم: ما أنتم؟ قالوا: نطلبُ العلم، فقال: أليسَ إذا ملكَ أحدكم مئتي درهم تجب عليه الزكاة خمسةَ دراهم؟ قالوا: بلى، قال: فكذا يجب عليكم إذا سمعتم مئتي حديث أن تعملوا منها بخمسة أحاديث.

[وقيل لبشر: لم] لا تحدِّث؟ قال: أنا أشتهي أن أحدِّث، [وإذا اشتهيتُ][٥] شيئاً تركتُه.

وقال: الحديث له يوم طريق من طريق الدنيا[٦].

(١) انظر حلية الأولياء ٨/ ٣٥١، ومناقب الأبرار ١/ ١٣٦.

(٢) انظر الجزء الثاني، فصل في ذكر مقتل عوج بن عناق.

(٣) من قوله: وقد روى عنه الأعيان . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال أبو الحسن المروزي. وفي تاريخ بغداد ٧/ ٥٤٨ : أبو الحسين الحسن بن عمرو الشيعي المروزي.

(٥) ما بين حاصرتين زدته من تاريخ بغداد ٧/ ٥٤٩ ، ومكانه في (خ) و(ف) بياض فوقه علامة الانقطاع، والخبر ليس في (ب).

(٦) كذا في (خ) و(ف)، وليس في (ب) . وقريب منه ما أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٣٩ أن بشراً قال: بلغني أن حدثنا فلان عن فلان باب من أبواب الدنيا.

[وقد ذكرنا أنَّه دَفن بشرٌ ثمانية عشر قمطراً أو قوصرة، واشتغل بالتعبُّد، فلم يضبط من حديثٍ إلَّا اليسير.

قلت: فالواجبُ دفن الكتب إذا كان فيها باطل، وإذا لم يكن، فيكون مخالفاً للشرع.

ذكر أخوات بشر:

حكى الخطيب عن أبي عبد الرَّحمن السُّلميّ قال:][1] وكان لبشر ثلاث أخوات مُخَّة وزُبْدَة ومُضْغَة [وكانت زُبدة تُكنى أمَّ علي، وكانت مضغةُ أكبرَ من بشر، وماتت قبله، وكذا قال أحمد بن حنبل: كانت زُبدة تكنى أمَّ عليّ، إلَّا أنَّه قال: كانت زبدة أكبر من بشر، وماتت قبله، وهي التي توجَّع عليها لما ماتت][2] وقال: قرأت في بعض الكتب أنَّ العبدَ إذا قصَّر في خدمة رِّبه سلبَه أنيسَه، وهذه كانت أنيسي من الدنيا[3].

[وروي أنَّ التي ماتت قبل بشر هي مخَّة، وقد ذكرها الخطيب بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول:][4] جاءت مخَّة [أخت بشر الحافي] إلى أبي، فقالت: إنِّي امرأةٌ رأس مالي دانقان، أشتري بهما القطنَ فأغزلُه وأبيعُه بنصف درهم، وأتقوَّتُ بدانقٍ من الجمعة إلى الجمعة، فمرَّ طائفُ ابن طاهر ومعه مشعل، فوقف يكلِّمُ أصحاب المسالح، فاغتنمتُ ضوءَ المشعل، فغزلتُ طاقات، ثمَّ غاب عني المشعل، فعلمتُ أنَّ لله فيَّ مطالبة، فخلِّصني خلَّصك الله، فقال لها: تُخرجين الدانقين، ثمَّ تبقين بلا رأس مال حتى يعوِّضكِ الله خيراً منه، [فقال عبد الله:] فقلت لأبي: لو قلتَ لها: أخرجي المغزل الذي فيه الطاقات[5]، فقال: يا بنيّ، سؤالُها لا يحتملُ التأويل، ثم قال: مَن هذه، قلت: مخَّة أختُ بشرٍ الحافي، فقال : من ها هنا أُتيت.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وماتت زبدة ـ وقيل مضغة ـ قبله فتوجع.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٣-٦٢٤ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف): وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمة الله عليه.

(٥) كذا في(خ) و(ف)، وفي (ب): أخرجي الطاقات. وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٥ : لو أخرجت الغزل الذي أدركت فيه الطاقات.

[وقد ذكرها جَدِّي في «المنتظم» وقال: كانت مخّة تذكر بالورع، قال: وماتت في سنة خمس وعشرين ومئتين[(١)].

قلت: فالمشهورُ عن السُّلميّ[(٢)] وغيره أنَّ الزاهدةَ الورعةَ من أخوات بشر هي زبدة أم عليّ، وهي التي ماتت قبله وحزن عليها، وقد نصَّ عليه أحمد بن حنبل، فإنه قال ما حكينا عنه. وقيل إنَّ الزاهدةَ كانت مضغة، ولا تنافي بين الكلّ، فإنَّهنَّ كلهنَّ زاهداتٌ ورعات، والدليلُ عليه ما حكى الخطيب عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال][(٣)]: دقَّ علينا الباب داقٌّ، [فقال: اخرج فانظر، قال:] فخرجت، فإذا بامرأةٍ، فقالت: استأذن على أبي عبد الله، فاستأذنتُ لها، فدخلَتْ وسلَّمت فردَّ عليها، فقالت: أنا امرأةٌ أغزلُ [بالليل في السِّراج، فربمَّا طُفئ السراج فأغزل][(٤)] في القمر، فهل عليَّ أن أبيِّنَ غزلَ القمر من غزل السراج[(٥)]، فقال لها: [إن كان] عندك بينهما فرقٌ فبيِّني، فقالت: يا أبا عبد الله، أنينُ المريض شكوى؟ قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنَّه اشتكاءٌ إلى الله سبحانه وتعالى. ثمَّ ودَّعته وخرجت، فقال [لي:] يا بني، ما سمعت قط إنساناً يسأل عن [هذا، أو] مثل هذا! اتبع المرأة وانظر أين تدخل، [قال:] فتبعتُها، فدخلَتْ بيتَ بشرٍ [الحافي]، وإذا هي أختُه، [قال:] فرجعتُ وأخبرته، فقال: [محالٌ أن] تكون مثلُ هذه إلَّا أخت بشر.

[ولم يذكر في هذه الرواية اسم المرأة، قال: وكانت مخّة من بين أخوات بشر، تقصد أحمد، وتسأله عن الورع، وكان أحمد يعجبه مسائلها.

وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: كان بشرٌ يقول:][(٦)] تعلمت الورع من أختي زبدة، وما كانت تأكلُ شيئاً لمخلوقٍ فيه تصنع[(٧)].

---

(١) المنتظم ١١/ ١١٠.

(٢) انظر ذكر النسوة المتعبدات للسلمي ص٨٨، وذكر فيه زبدة ومضغة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): والثلاث كن زاهدات ورعات، وقال عبد الله ابن الإمام أحمد.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٤.

(٥) بعدها في (ب): ربما يطفئ!؟

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بشر.

(٧) في تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٥ : صنع.

[قال:] وقالت زبدة: أثقلُ شيءٍ على العبد الذنوب، وأخفُّ شيءٍ عليه التوبة، فماله لا يدفعُ أثقلَ شيءٍ بأخفّ شيء.

[ذكر قصة بشر مع أبي عبيدة الخوّاص:

حكى عنه في «المناقب» قال[١]:] رأيتُ رجلاً على جبال عرفات قد ولع به الوله وهو يقول: [من البسيط]

سبحانَ من لو سجدنا بالعيونِ له ... على شبا[٢] الشوك والمُحْمَى من الإبرِ
لم نبلغِ العُشْر من معشارِ نعمتِه ... ولا العشيرَ ولا عُشراً من العشرِ
هو الرفيعُ فلا الأبصارُ تدركُه ... هو العليُّ على العلياء بالقدرِ
سبحان من هو أنسي إذ خلوتُ به ... في جَوف ليلٍ وفي الظُّلماء والسَّحَرِ
أنت الحبيبُ وأنت الحبُّ يا أملي ... من لي سواكَ ومن أرجوهُ يا ذخري

وقال: [من البسيط]

كم قد زَلَلتُ فلم أذكرك في زَللي ... وأنت يا واحدي في الغيب تذكُرُني
كم أكشفُ السترَ جهلاً عند معصيتي ... وأنت تلطفُ بي جُوداً وتستُرني
لأبكينَّ بدمع العين من أسفٍ ... لأبكينَّ بكاء الوالهِ الحزنِ

[قال:] ثم غاص في خلال الناس فلم أره، فسألتُ عنه، فقالوا: هذا أبو عبيدة الخوَّاص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسهُ إلى السماء حياءً من الله تعالى. [هذا ما قد ذكر في «المناقب»[٣].

ذكر] ترجمة أبي عبيدة [الخواص][٤]

ذكر البخاريُّ أنَّ كنيتَه أبا عتبة، واسمه عباد بن عباد[٥]، وإنَّما اشتهر بأبي عبيدة، وكان من الخائفين المشتاقين إلى الله تعالى.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال بشر.
(٢) الشبا: حدُّ كل شيء. القاموس (شبا).
(٣) مناقب الأبرار ١/ ١٤٢-١٤٣.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) التاريخ الكبير ٦/ ٤١.

[وذكره الخطيب وغيره، وقال ابن باكويه الشيرازي:] رُئي [أبو عبيدة] وعلى كتفِه خُرَيقة، وعلى سوأته مثلُها في طريق البصرة، وهو يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه[١].

[وذكره أبو نعيم الحافظ فقال: دخلَ على أميرِ فلسطين، وهو إبراهيم بن صالح][٢] فقال له: عظني، فقال: بلغني أنَّ أعمالَ الأحياء تعرضُ على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرضُ على رسول الله ﷺ من عملك، فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته[٣].

[وقال ابن أبي الدنيا:] لماَّ كبر أبو عبيدة كان يأخذ بلحيته ويقول: إلهي قد كبرتُ فأعتقني[٤].

أسند [أبو عبيدة] عن الأوزاعيِّ، [وأبي بكر بن أبي مريم وغيرهما][٥]، ولم نقف على تاريخ وفاته[٦].

ومن المحدِّثين من يقول: اسمُ أبي عبيدة سلم بن ميمون، وهو وهم؛ لأنَّ سلماً من أهل طبريَّة، وبها مات، كان كبيرَ الشأن، قال إسماعيل بن مسلمة: رأيتُ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت، وكأنَّ منادياً ينادي: ألا ليقم السابقون، فقام سفيان الثوري، ثمَّ نادى ثانياً، فقام سلم، ثم نادى ثالثاً، فقام إبراهيمُ بن أدهم[٧].

فأمَّا سليمانُ الخوَّاص فكان من العُبَّاد وأهل الثغور، دخلَ عليه رجلٌ وهو في الظلمة، فقال له: ما هذا؟ فقال: ظلمةُ القبرِ أشدّ.

ومرَّ بإبراهيمَ بن أدهم، وهو عندَ قومٍ قد أضافوه وأكرموه، فقال له: يا إبراهيم، نعمَ

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٧٥ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): ودخل على إبراهيم بن صالح أمير فلسطين.
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٢١ .
(٤) الرقة والبكاء (٢٨٢)
(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): أسند عن الأوزاعي وغيره.
(٦) وذكره ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٢٥٩ في وفيات سنة ١٦٢هـ .
(٧) انظر ترجمة سلم بن ميمون في حلية الأولياء ٨/ ٢٧٧ ، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٩ .

الشيءُ هذا إنْ لم تكن تكرمةً على دين[١].

[فصل: وفيها توفي]

توفيل ملك الروم

مَلَكَ [الرومَ] اثنتي عشرةَ سنة، [وقد ذكرنا وقائعه مع المأمون والمعتصم،] وماتَ [في هذه السنة]، فملكَتْ بعده امرأتُه أم ميخائيل بن توفيل، واسمها بدور[٢]، وكان ابنها صبياً.

فاطمة

وتدعى عَرِيب[٣]، جاريةُ المعتصم[٤].

كانت شاعرةً حاذقةً بالغناء والخطّ، في غاية الجمال والظرف، ولدت سنة إحدى وثمانين ومئة[٥] وكانت أمها يتيمةً، فتزوَّجها جعفرُ بن يحيى بنِ خالد فقال له أبوه: أتتزوَّجُ من لا يعرف لها أبٌ ولا أمٌّ، فأخرجَها من داره، وأسكنها ناحية عنه[٦]، وكان يتردَّدُ إليها، فولدت فاطمةَ المدعاةَ بعَرِيب[٧]، وماتت أمُّها، فاسترضع لها جعفر،

---

(١) انظر ترجمة سليمان الخوّاص في حلية الأولياء ٨/ ٢٧٦، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٨.
ومن قوله: ومن المحدثين إلى هنا ليس في (ب). ووقع مكانها: وفي الشيوخ جماعة يقال لهم الخواص، منهم ماذكرنا، ومنهم إبراهيم الخواص، وسنذكره في ترجمته.

(٢) كذا في (خ) و(ف) و(ب) والمنتظم ١١/ ١٢٦: بدور. وفي الكامل ٦/ ٥٢٨، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٨٩: تدورة، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٢٣، والمنتظم ١١/ ٢٨٤: تذورة.

(٣) الصواب أن اسمها عَريب، وفاطمة اسم أمها. انظر الأغاني ٢١/ ٥٩، والمنتظم ١١/ ١٢٦.
واختُلف في ضبط اسمها فنقل الصفديُّ في الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٥٣ أنه وجده بخطِّ بعض الفضلاء المحررين عَريب بفتح العين، ورآه بخط بعض الفضلاء عُرَيب بضم العين، ثم رجح الأول.

(٤) ذكرها المصنف في وفيات هذه السنة تبعاً لجده ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٢٦، والصواب أنها توفيت سنة سبع وسبعين ومئتين، ولها ست وتسعون سنة. انظر الأغاني ٢١/ ٦٠، والكامل ٧/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق (تراجم النساء، طبعة مجمع اللغة) ص٢٣٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٦٣٤.

(٥) في مطبوع المنتظم ١١/ ١٢٦ أنها ولدت سنة إحدى وثلاثين ومئة. وهو خطأ أو تحريف.

(٦) كذا في (خ) و(ف). وفي الأغاني ٢١/ ٥٩، والمنتظم ١١/ ١٢٦: وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سراً من أبيه.

(٧) انظر التعليق رقم (٣).

وسلَّمها إلى امرأةٍ نصرانية، وجعلها داية لها، فلما نُكِبَ البرامكة، باعتها النصرانيَّةُ، فاشتراها محمد الأمين من رجل يقالُ له: سِنْبِس، ولم يوفِّ ثمنها، فلما قُتِل الأمين عادت إلى سيِّدها، فلما قدم المأمون بغداد وُصِفَت له، فاشتراها من سنبس كرهاً، وكان سِنْبِس عاشقاً لها(١)، فمات من عِشقها، ومات المأمونُ، فاشتراها المعتصمُ بمئة ألف درهم، فأعتقَها، فهي مولاته، وكانوا إذا نظروا إلى قدميها علموا أنَّها من جعفر؛ لشبهها به، ولها أصواتٌ وأشعارٌ معروفة(٢).

[فصل وفيها توفي]

محمد بن هارون [المعتصم

وقد ذكرنا بعض أخباره، وأنه ولد بالقاطول(٣) سنة ثمانين ومئة.

وقال بعض علماء السير:](٤) كان يُدعى بالثمانيني؛ لأنَّه ولد سنة ثمانين ومئة في شهر رمضان، وهو الثامن من السنة(٥)، ومات لثماني عشرة ليلةً خلت منه، وهو ثامنُ الخلفاء من ولد العباس، وفتح ثمانيةَ فتوح؛ البذّ مدينة بابك، وعَمُّورية، ومدينة الزُّط، وقلعةَ الأجراف، ومصر(٦)، وديار ربيعة، وأَذْرَبيجان، وإرمينية(٧)، ووقف ببابه ثمانية

(١) كذا وهو وهم. والصواب أن سِنْبِس باعها من عبد الله بن إسماعيل المراكبي، ومنه اشتراها الأمين، وإليه عادت بعد قتل الأمين، ومنه اشتراها المأمون. انظر الأغاني ٢١/ ٦٠، والمنتظم ١١/ ١٢٦.

(٢) ترجمة عريب لم ترد في (ب).

(٣) كذا قال المصنف، ولعله وهم، فالمعتصم كان مولده بالخُلد كما في تاريخ الطبري ٩/ ١١٩، والذي ولد بالقاطول هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق المعتصم بالله. انظر تاريخ بغداد ٤/ ٥٥٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) رمضان هو الشهر التاسع من السنة، وكانت ولادة المعتصم في شعبان. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١١٩، وتاريخ بغداد ٤/ ٥٤٧.

(٦) قال الذهبي في السير ١٠/ ٣٠٢: يعني قهر أهلها، قبل خلافته.

(٧) انظر العبر في خبر من غبر ١/ ٤٠١، ووقع في تاريخ بغداد ٤/ ٥٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٩٣: بحر البصرة والشاري. بدل: إرمينية وأذربيجان، وفي البداية والنهاية ١٤/ ٢٨٣: بحر البصرة والشارك.

والشارك: بليدة من نواحي بلخ. معجم البلدان ٣/ ٣٠٧.

ملوك؛ الأفشين ملك أشروسنة، والمازيار ملك طبرستان، وبابك ملك أذربيجان، وباطس[١] ملك عَمُورية، وعُجَيف ملك أستاجيح[٢]، وصول أرتكين ملك أستيجاب[٣]، وهاشم ناحور ملك طخارستان، وكناسة ملك السُّغد، وقتلَ ثمانيةَ أعداء؛ بابك، والمازيار، والأفشين، وعجيفاً، وباطس، وقارن، وكناسة ملك السُّغد[٤]، والسير ملك منان[٥]، وكان عمرُه ثمانياً وأربعين سنة، وكانت خلافتُه ثماني سنين، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وخلَّفَ من الولد ثمانية بنين، وثمان بنات، وخلَّف من العين ثمانية آلاف ألف دينار، ومثلُها دراهم، وقيل: ثمان مئة ألف ألف درهم، وقيل: ثمانية عشر ألفاً، ومن الخيول ثمانين ألف فرس، وثمانين ألف جملٍ وبغلٍ ودابَّةٍ، وثمانين ألف خيمة، وثمانية آلاف عبدٍ، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور، وكان نقشُ خاتمه: الحمد لله، ثمانية أحرف. وقيل: كان عددُ غلمانه الأتراك ثمانيةَ عشر ألفاً، فكان طالَعه الثمانية في كلِّ شيءٍ، ويدعى أيضاً بالمثمَّن، [ولما جاءه الموتُ مانفعه شيءٌ من ذلك، ولا ردَّ عنه مكروهاً.][٦].

وقال[٧] إسحاق بن إبراهيم[٨]: قال لي المعتصم يوماً بعد ما باسطني: في نفسي شيءٌ أريدُ أن أسألك عنه، قلت: اسأل، أمير المؤمنين، فقال: إنَّ أخي أمير المؤمنين اصطنعَ قوماً فأنجبوا، وإنِّي اصطنعتُ قوماً فلم يَنْجُبوا، فقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ فقال: اصطنعَ طاهراً، وابنه عبد الله بن طاهر، والفضل بن سهل وأخاه

(١) في تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٧٦، وتاريخ الطبري ٩/ ١٠٢: ياطس. واختلفت المصادر في ضبط اسمه.
(٢) كذا في(خ) و(ف) و(ب)، وفي العبر للذهبي ١/ ٤٠١: اسباخنج، وفي شذرات الذهب ٣/ ١٢٨: أشياحيج. وفي البلدان لليعقوبي ص٦٠: أشتاخنج، وهي مدينة جليلة لها حصون ورساتيق، وكانت مملكة منفردة، وكان المعتصم قد جعلها إلى عُجيف.
(٣) في العبر ١/ ٤٠١: أسبيجاب.
(٤) في العبر ١/ ٤٠١، وشذرات الذهب ٣/ ١٢٨: ملك السند.
(٥) كذا في (خ) و(ف)، ولم أتبينها. ومن قوله: بابك إلى هنا ليس في (ب).
(٦) ما بين حاصرتين من (ب).
(٧) من هنا إلى قوله: ذكر وفاته . . . ليس في (ب).
(٨) في (خ) و(ف): إبراهيم بن إسحاق. والتصويب من تاريخ الطبري.

الحسن[١]، وقد رأيتَ ما ظهر من نجابتهم، واصطنعتُ الأفشين، وقد رأيت ما صار إليه من أمره، وأشناس وإيتاخ ووصيفاً، ولم أجد فيهم نجابةً، فقلت: نظر أخوك إلى الأصول، فأنجبت فروعها، واستعملتَ أنت فروعاً لا أصولَ لها، فلم تنجب.

فقال: يا إسحاق، لَمُقاساةُ ما مرَّ بي في هذه المدَّة أهونُ عليَّ من سماعي لهذا الجواب[٢].

وقال أحمد بن أبي دؤاد: قال لي المعتصم ونحن بعَمُّورية: يا أبا عبد الله، أتحبُّ البُسْر؟ قلت: وأنَّى به وهو في العراق؟! فقال لإيتاخ: هات تلك الكِبَاسة، فأحضرها، فمدَّ المعتصمُ يده، وجعل الكِبَاسَة على ذراعه، وقال: كل، قلت: ضعها على الأرض، فقال: لا والله، ما تأكلُ إلا وهي على يدي، فما زلت آكل وذراعه ممدودةٌ حتى ما بقي في العِرْقِ شيء.

قال: وأتينا وادياً قد مد[٣]، وأنا على جملٍ، وهو على بغل، فقال: قف حتى أدخل قبلَك، فدخل، وقال: اتبعْ أثري، وجعلَ يقولُ بيده: تعال كذا، تعال كذا، حتى قطعنَا الوادي.

وقال أحمد بن أبي دؤاد: تصدَّق المعتصمُ على يدي بألف ألف درهم وأكثر[٤].

وقال إسحاق بن إبراهيم: لما تغيَّر المعتصم على الحسن بن سهل، أقطعَ ضياعَه أشناس التركي، وعلمَ الحسن، فبعث بكتبها إلى أشناس وكتب إليه: لما عَرَفتُ رأيَ أمير المؤمنين فيك، أحببتُ أن لا يتعرَّض عقبي لعقبك، فأرسلتُ إليك قِبالات الضياع معتدّاً في ذلك سبوغ النعمة عليّ، وادخارَ الشكر عندي، ومتقرِّباً إلى أمير المؤمنين بذلك، ورأيُك في الامتنان بقبولها أعلى.

فلما قرأ أشناس رقعتَه بعثَ بها إلى المعتصم، فلما وقف عليها قال: ضِيْمَ فصبر،

(١) في تاريخ الطبري: إسحاق بن إبراهيم وأخوه محمد بن إبراهيم بدل الفضل بن سهل وأخيه الحسن.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١٢١-١٢٢.

(٣) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٢١، وتاريخ بغداد ٤/ ٥٥١، والمنتظم ١١/ ٢٨: وادٍ لم نعرف غور مائه.

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ١٢٣.

وسُلِب فعذَر، فليقابل بالشكر على صبره، وبالإحسان على عذرِه، ويترك له ضياعه، ويسقط له خراجها، ويعوِّض أشناس عنها، ولا يعاود في ذلك، والسلام[١].

وقال المعلَّى بن أيوب الكاتب: عنَّتني الفضل بن مروان...[٢] المعتصم، وطلبَ مني حساباً طويلاً، حتى خفتُ من المعتصم يتغيَّرُ عليَّ، فجلست ليلةً، وأوقدتُ بين يديَّ نفَّاطةً، وشرعت في عمل الحساب إلى نصفِ الليل، فغلبتني عيناي، فرأيتُ في المنام شخصاً يقرأ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الآيات [الأنعام: ٦٣ ـ ٦٥]، فانتبهتُ فزِعاً، وكنّا في الخيام، وإذا بمشعلِ صاحب الحرس قد أنكر نفَّاطتي في ذلك الوقت، فجاء، فوقف عليَّ وقال: ما الذي تصنع؟ فأخبرتُه، فمضى إلى المعتصم، فأخبره، وإذا الرسل[٣] قد جاءت يطلبوني، فدخلتُ عليه وهو قاعد، ولم يبق من الشمع إلَّا أسافله، فسألني عن حالي، فأخبرته، فقال: ويلي على النبطيّ، امتهنك، وأيُّ يدٍ له عليك؟! أنتَ كاتبي، وهو كاتبي، ثم قال: اصبر ترى ما تحب، فانصرفتُ، وقد سُرِّيَ عنِّي، وقبضَ على الفضل بعد أيامٍ، واستأصلَه.

وقال ابن أبي دؤاد: استخرجتُ من المعتصم ألفي ألف درهم لأجل الشاش في حفر نهرٍ كان قد أضرَّ بهم اندراسه، فقال لي: يا أبا عبد الله مالي ومالك، تأخذ مالي فتعطيه لأهل الشاش وفرغانة! فقلت: المالُ لله، وهم رعيَّتُك، ولا فرق بين الأقصى والأدنى في حسن نظر الإمام، فسكت[٤].

ولمَّا وصف ابن أبي دؤاد...[٥] المعتصم وحسن عشرته وتواضعه ولين جانبه[٦] كلامه غير أن سلطان الغضب استولى عليه، فكان إذا غضب لم يبالِ من قتل وما فعل.

وقال الفضلُ بن مروان: لم يكن للمعتصم لذَّةٌ في تزيين الدنيا والبناء وكانت غايته

(١) انظر التذكرة الحمدونية ١/ ٤٣٧.

(٢) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمة، ولعلها: وزير.

(٣) في (خ): الرجال، وفي (ف): الرجل. والتصويب من الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ١٠٥.

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ١٢١.

(٥) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين.

(٦) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين.

الإحكام، ولم يكن على شيء أسمح[١] منه بالنفقة على الحرب.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: دخلتُ على المعتصم وعنده قَينة، وهي تغنّي، فقال لي: يا إسحاق، كيف تراها؟ فقلت: تقهر الغناء بحذق، وتختله[٢] [برفق]، ولا تخرج من شيءٍ إلّا إلى أحسن منه، وفي صوتها شجىً وشذورٌ أحسن من نظم الدرِّ على النحور. فقال: يا إسحاق، لصفتُك لها أحسنُ منها ومن غنائها، خذها فهي لك، فامتنعتُ لعلمي بمحبته لها، فوصلني بمقدارِ قيمتِها.

وقال أحمد بن أبي دؤاد: ما رأيتُ رجلاً نزلَ به الموت فما أشغله ولا أذهله عمّا هو فيه غير تميم بن جميل، كان قد تغلَّب على شاطئ الفرات، فأُخذ وجيء به إلى بين يدي المعتصم، فدعا بالنطع والسيف بمشهدٍ من الخلائق، وكان وسيماً جسيماً، فأراد المعتصمُ أن يستنطقه؛ ليعلم أين جنانه ولسانه من منظره، فقال له: يا تميم، إن كان لك عذرٌ فتكلَّم، أو لك حجَّةٌ فأتِ بها، فقال: الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ الآية [السجدة: ٧]، ثمَّ قال: جبرَ الله بك يا أمير المؤمنين صدعَ الدين، و[لمَّ][٣] شعث الأمة، وأخمدَ بك شهاب الباطل، وأوقد بك سراجَ الحقّ، إنَّ الموتَ[٤] يُخرسُ الألسن الفصيحة، ويَصْدَعُ الأفئدة الصحيحة، ولقد عَظُمت الجريرة، وكَبُر الذنب، وساء الظنّ، ولم يبقَ إلّا العفو أو الانتقام، وأرجو أن يكون العفوُ أقربهما منك، وأشبهَهما بأخلاقك، ثم نظرَ إلى السيفِ والنطع وقال: [من الطويل]

أرى الموتَ بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيثما[٥] أتلفَّتُ
وأكبرُ ظنّي أنَّك اليوم قاتلي ... وأيُّ امرئٍ ممَّا قضى اللهُ يُفْلِتُ
ومن ذا الذي يُدلي بعذرٍ وحُجَّةٍ ... وسيفُ المنايا بين عينيه يُصْلَتُ[٦]
وما جَزَعي من أنْ أموتَ وإنَّني ... لأعلمُ أنَّ الموتَ شيءٌ موقَّتُ

(١) في (خ) و(ف): أشح. وهو تحريف. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ١٢١.
(٢) في (خ) و(ف): وبجيلة. والتصويب وما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٢٢.
(٣) ما بين حاصرتين من المصادر.
(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي هامش (خ): لعله: إن الذنب اهـ ووقع في المصادر: إن الذنوب..
(٥) في (خ) و(ف): حيث لا. والتصويب من المصادر.
(٦) في المصادر: مصلت.

ولكنَّ خلفي صبيةً قد تركتُهم وأكبادُهم من حسرةٍ تتفتَّتُ
كأنِّي أراهم حين أُنعى إليهمُ وقد خمشوا تلكَ الوجوهَ وصوَّتُوا
فإن عشتُ عاشوا خافضين بغبطةٍ أذودُ الردَى عنهم وإنْ متُّ مَوَّتُوا
فمن قائلٍ لا يُبعِدُ الله روحَه وآخر جذلانٌ يسرُّ ويَشْمَتُ
يعِزُّ على الأوسِ بن تغلبَ موقفٌ يهزُّ عليه السيفُ فيه ويسكتُ

فرقَّ له المعتصمُ وقال: كاد واللهِ أن يسبقَ السيفُ العَذَل، اذهب فقد وهبتك للصبية، وعفوتُ لك عن الصَّبوة[١].

وغضبَ المعتصمُ على الحسين بن الضحَّاك؛ لأنَّه مدحَ العباس بن المأمون[٢]، فاستتر وكتب إليه: [من الكامل]

غضبُ الإمامِ أشدُّ من أدبه وقد استجرتُ وعُذتُ من غضبِه
أصبحتُ معتصماً بمعتصمٍ أثنى الإلهُ عليه في كتبِه
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً أرجو النجاةَ به سوى سببِه
ما لي شفيعٌ غيرُ[٣] رحمته ولكلٍّ من أشفى على عَطبِه

فلما قرأها التفتَ إلى ولده الواثق وقال: بمثل هذا الكلام يستعطَفُ الكرام، فقال: هو حقيقٌ بأن يُتجَاوز عنه، فرضيَ عنه وأعاده إلى مكانه.

ومن شعره: [من المتقارب]

وداعُك مني وداعُ الربيع وفقدُكَ مثلُ افتقادِ النديمْ
عليكَ السلامُ فكم من نَدى فقدناه منكَ وكم مِنْ كريمْ[٤]

وقيل: إنَّه يَرثي بهما.

(١) انظر الخبر في العقد الفريد ٢/ ١٥٨-١٥٩، وزهر الآداب للقيرواني ٢/ ٧٨٤-٧٨٥، وكتاب التوابين (١٤١).

(٢) في الأغاني ٧/ ١٦٧، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٣١، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٢: أن المعتصم غضب على الحسين بن الضحاك في شيءٍ جرى على النبيذ.

(٣) في (خ) و(ف): سوى. والتصويب من المصادر.

(٤) لم أقف على من نسبها للمعتصم، وهي لدعبل، ديوانه ص٢٤٨ وروايتها فيه وفي غيره من المصادر: =

ذكر وفاته:

[اختلفوا فيها، فحكى الطبريُّ قولين؛ أحدهما][١] في هذه السنة[٢]، [والثاني في][٣] سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين، [واختلفوا في أيِّ شهرٍ مات، فقيل:] في شهر رمضان، وقيل: في ربيع الأول لثماني عشرة ليلة مضت منه، [وقيل:] لساعتين [مضتا] من نهار [يوم] الخميس.

وقيل: إنَّ بدوَّ علَّته أنَّه احتجمَ أوَّل يومٍ من المحرم، فمرضَ ودام مرضُه إلى أن مات [في ربيع الأول][٤].

[وروى الخطيب بإسناده إلى علي بن يحيى المنجِّم قال:][٥] لمّا استتمَّ المعتصمُ عدَّةَ غلمانه الأتراك بضعة عشرَ ألفاً، وعُلِّق له خمسون ألف مخلاة على فرس وبغل [وبرذون]، وذلَّلَ العدوَّ [بكلِّ النواحي]، أتته المنيَّة على غفلة، [قال:] فقيل: إنَّه قال في حُمَّاه التي ماتَ فيها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾[٦][الأنعام: ٤٤].

[وحكى الطبري عن زنام الزامر قال:][٧] وجدَ المعتصم في علَّته [التي ماتَ فيها خفَّةً وإفاقةً، فقال: هيِّئوا لي الزُّلال، فهيَّؤه له، وركب][٨]، وركبت معه فقال: [يا زنام] ازمر لي: [من مجزوء البسيط]

= وداعُك مثلُ وداع الربيع وفقدُكَ مثلُ افتقاد الديمْ
عليك السلام فكم من وفاء نفارقُهُ منك أو من كَرَمْ

انظر عيون الأخبار ٣/ ٣٢، والعقد الفريد ٥/ ٤١٣، ومحاضرات الأدباء ٣/ ١١٩، وزهر الآداب ٢/ ٩٦٧.

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): توفي.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١١٨. ولم أقف على القول الثاني عنده.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ١١٨. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال علي بن يحيى المنجم.

(٦) تاريخ بغداد ٤/ ٥٥٢. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال زنام الزامر.

(٨) في (خ) و(ف): وجد المعتصم خفة في علته فركب في الزلازل (كذا). والمثبت بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١١٨-١١٩.

يا منزلاً لم تبل أطلالُه حاشا لأطلالك أنْ تبلَى
لم أبكِ أطلالَك لكنَّني بكيتُ عيشاً فيك إذْ ولَّى
والعيشُ أولى ما بكاهُ الفتى لا بدَّ للمحزون أن يَسْلَى

[ثم دعا برطلية، فشربها] وما زال يبكي، وأنا أزمر، حتى رجع إلى قصره، [قال:] وعاشَ بعد ذلك خمسة أيام.

[قلت: قد أفحشَ الطبريُّ في لفظ زنام وملفوظ المعتصم، فإن الخلفاء ينبغي أن يُصانوا عمَّا يشين ويصم.](١)

وقال علي بن الجعد: لما احتضر جعل يقول: [ذهبت] الحِيَلُ فلا حيلة، إنِّي أُخذت من بين هذا الخلق، لو عَلمت أنَّ عمري يكون هكذا قصيراً لما فعلت ما فعلت، ودُفن بسُرَّ من رأى.

[وقد ذكرنا أنَّ خلافته كانت ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وقيل: ويومين. واختلفوا في سنِّه، فإن كان قد ولد سنة ثمانين ومئة، فإنَّه قد عاش ثمان وأربعين سنة(٢).

وقال الصوليُّ: ودفن](٣) بقصره المعروف بالخاقاني، وصلَّى عليه ابنه الواثق.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه: [من المنسرح]

قد قلتُ إذ غيَّبوك واصطفقَتْ عليكَ أيدٍ بالتُّرب والطِّينِ
اذهبْ فنعمَ الحفيظُ كنتَ على الدْ دنيا ونعمَ الظهيرُ للدينِ
لا جَبَرَ اللهُ أمَّةً فَقدتْ مثلكَ إلَّا بمثلِ هارونِ(٤)

وقال مروان بن أبي الجنوب: [من الوافر]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) كذا في (ب)، وفي الكلام ـ على ما يظهر ـ سقط، فإنه إن كان المعتصم قد ولد سنة ثمانين ومئة فإن عمره كان ستًّا وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وإن كان مولده سنة تسع وسبعين ومئة فإن عمره كان سبعاً وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١١٩.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) تاريخ الطبري ٩/ ١١٩.

أبـو إسـحـاقَ مـاتَ ضـحـىً فـمـتـنـا ... وأمـسـيـنَـا بـهـارون حَـيـيـنَـا
لـئـن جـاءَ الـخـمـيـسُ بـمـا كَـرهـنـا ... لـقـد جـاءَ الـخـمـيـسُ بـمـا هـويـنَـا[١]

ذكر أولاده ونحو ذلك:

قد ذكرنا أنَّه خلَّف ثماني بنين وثمان بنات، والمشهورُ من أولاده هارون الواثق، وجعفر المتوكِّل، وأحمد المستعين، وكلُّهم وليَ الخلافة.

قلت: في المستعين نظرٌ، فإنَّ كتبَ المؤرِّخين تنطقُ بأنَّه ابنُ ابنه. والله أعلم.

وقضاتُه: أحمد بن أبي دؤاد، ومحمد بن سماعة. ووزيره: الفضل بن مروان، ثم محمد بن عبد الملك الزيات. وحاجبه: وصيفٌ مولاه[٢].

أسندَ المعتصم الحديثَ، قال الصوليُّ: حدثنا المعتصم عن أبيه هارون عن جده أبي جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي عن[٣] عبد الله بن عباس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى قومٍ من بني أمية يتبختَرون في مشيهم، فعُرِفَ الغضبُ في وجهه، فقرأ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[الإسراء: ٦٠] فقيل: يا رسول الله، أيُّ الشجر حتى نجتنبها[٤]؟ قال: «ليست بشجر نبات، إنَّما هم بنو أمية، إذا مَلكوا جارُوا، وإذا ائتمنوا خانوا»، وضربَ بيده على ظهر العباس، وقال: «يا عمّ، يخرجُ من ظهرك» أو: «فيُخرِجُ الله من ظهرك رجلاً يكونُ هلاكهم على يديه»[٥].

[وقد رُوي حديثٌ في حياته، رَواه إسحاقُ بن يحيى الخَتْليّ[٦] من ختلان بلدٍ عند سَمَرقند، وكان فاضلاً، مات إسحاق سنة خمس وثلاثين ومئتين وسنذكره، قال:][٧]

(١) تاريخ الطبري ٩/ ١٢٠ . ومن قوله: وقال محمد بن عبد الملك.... إلى هنا جاء مكانه في (ب): ورثاه محمد ابن عبد الملك الزيات.

(٢) من قوله: ذكر أولاده ... إلى هنا جاء مكانه في (ب): وقد ذكرنا أنه خلف ثمان بنين وثمان بنات.

(٣) في (خ): بن.

(٤) في تاريخ بغداد ٤/ ٥٤٩ ـ والحديث مخرج فيه من غير طريق الصولي ـ : نجتنبها.

(٥) قال ابن القيم في المنار المنيف ص١١٧: كل حديث في ذمِّ بني أمية فهو كذب.
ومن قوله: أسندَ المعتصم الحديث... إلى هنا ليس في (ب) .

(٦) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٢/ ٧٩٣ (مخطوط) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال إسحاق بن يحيى الختلي.

دخلتُ على المعتصم وهو مريض، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين أنت في عافية، قال: كيف تقول هذا، وقد سمعتُ أبي الرشيد يحدِّث عن أبيه المهدي، عن أبيه المنصور، عن جدِّه عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتجم يوم الخميس فحُمَّ فيه، مات فيه»(١). وقيل: هو موقوفٌ على ابن عباس.

[انتهت سيرة المعتصم والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم].

أبو حرب المبرقع اليماني

قد ذكرنَا خروجه في أوَّل هذه السنة بفلسطين، وأنَّ المعتصم جهَّزَ إليه رجاء بن أيوب الحِضاريّ، فهزم أصحابَه، وأسرَه، وقدمَ به على المعتصم، وأنه حبسَه في المطبق، فمات فيه في آخر هذه السنة. وقيل: إنَّه خُنِق.



(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٧٩٣ ، وأخرجه الخطيب في تاريخه ٤/ ٥٤٩، لكن من غير طريق إسحاق بن يحيى. قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٢٨٤ في الحديثين المذكورين: أسند الخطيب البغدادي من طريقه (أي: من طريق المعتصم) حديثين منكرين.

السنة الثامنة والعشرون بعد المئتين

فيها خَلَعَ الواثقُ على أشناس، وتوَّجه، وطوَّقه، وألبسَه وشاحين مجوهرين في شهر رمضان[١].

وفيها حَبسَ الواثقُ سليمان بن وهب[٢]، وكنيته أبو أيوب، فكتب إليه [أخوه الحسن][٣] بن وهب رقعةً فيها: [من الكامل]

اصبر أبا أيوب صبراً يُرتَضَى ... فإذا جزعتَ من الخُطوبِ فمن لهَا
إن الذي عقدَ الذي عُقِدت به ... عُقَدُ المكارهِ فيكَ يُحْسِنُ حلَّها
فاصبرْ فإنَّ الصبرَ يفرجُ كربَها ... ولعلَّها أنْ تنجلِي ولعلَّها

فوقعت الرقعة بيد الواثق فقال: والله لا تركتُ أحداً يرجو الفرج بموتي، ثم أطلقه[٤].

وكان سليمان من الأجواد، كتب إليه رجلٌ يستمنحه، ولم يكن عنده شيء، فكتب إليه سليمان: [من البسيط]

الجودُ طبعي ولكن ليس لي مال ... فكيفُ يحتالُ من بالرهن يحتالُ
فهاكَ خطِّي فزرني حيثُ لي نَشَبٌ ... وحيثُ يمكنُ إحسانٌ وإفضالُ
إلى دمشقَ ففيها إن قصدتَ غنى ... وثَمَّ يا صاحبيّ الجاهُ والمالُ[٥]

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ١٢٤.

(٢) انظر ترجمته في الأغاني ٢٣/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤١٥.

(٣) في (ف) بياض بمقدار كلمتين. وما بين حاصرتين زدته من المصادر.

(٤) انظر الخبر في الفرج بعد الشدة ١/ ١٨٦-١٨٧، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩٨، وفوات الوفيات ١/ ٣٦٧.

(٥) لم أقف على من نسبها لسليمان بن وهب، وهي في تاريخ دمشق ٤/ ٦٠٤ (مخطوط) منسوبة لأخيه الحسن بن وهب، وكذا نسبها الأصبهاني أيضاً في الأغاني ٢٣/ ٩٩، وعنده البيت الأول فقط.
وأورد الصفدي في الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٢٦، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ١/ ٣٥٦ البيتين الأولين باختلاف عما هاهنا، ونسباهما للحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، الوزير المهلبي.
والبيتان الأولان أيضاً في معجم الأدباء ٩/ ٢٠٤-٢٠٥ ونسبهما لابن خالويه.
ومن قوله: وفيها حبس الواثق... إلى هنا ليس في (ب).

و[فيها] حجَّ بالناس محمدُ بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن عباس.

وعطش الناس بطريق مكّة فبلغت الراويةُ أربعين درهماً، وبيع الخبز كلُّ[١] رطلٍ بالبغداديِّ بدرهم، وأصاب الناسَ[٢] في الموقف بعرفة حرٌّ شديدٌ، وذهبَ من ساعتِه، وجاءَ بردٌ شديدٌ، فأضرَّ بهم الحرُّ والبردُ في ساعة، ومَطَرت بمنى مطراً عظيماً يوم النَّحْر، لم يروا مثلَه، وكان الناسُ وقوفاً عند جمرة العقبة يرمونها، فوقعت قطعةٌ من الجبل الذي عندها، فقَتَلت عدَّةً من الحُجَّاج.

وكان في الحجِّ سليمان بن طاهر بن حسين[٣].

وفيها توفي

عبدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الله

أبو جعفر البخاريُّ المُسْنَدِيُّ، وقيل له: المُسْنَدِيّ؛ لأنَّه كان يطلبُ الأحاديثَ المُسْنَدَة، وهو مولى محمد بن إسماعيل البخاري من فوق، وكان حافظاً متقناً.

سمع سفيان بن عيينة، وعبد الرَّزاق، والفُضيل بن عِياض، وغيرهم.

وروى عنه البخاريُّ في «صحيحه».

وقال البخاريُّ: قال لي الحسنُ بن شجاع: من أين يفوتُك الحديث، وقد وقعتَ في هذا الكنز؟ يعني: المُسْنَديّ.

واتَّفقوا على صدقه وزهده وثقته وفضله[٤].

عبيدُ الله بنُ محمد

ابنِ حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر، أبو عبد الرَّحمن التيميُّ،

(١) في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منها ـ : وغلا الخبز وبيع كل....

(٢) في (خ): وحصل للناس.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ١٢٤ : سليمان بن عبد الله بن طاهر.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٦ ، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥٩ . وهذه الترجمة مع ما بعدها إلى بداية ترجمة مسدد بن مسرهد ليست في (ب) .

ويعرف بابن عائشة؛ لأنَّه من ولد عائشةَ بنت طلحة رضي الله عنها.

قدم بغداد فحدَّثَ بها، ثمَّ عاد إلى البصرة، وكان فصيحاً، أديباً، سخيًّا، حسن الخُلُق، ورعاً عارفاً بأيام الناس، صدوقاً، أميناً، ثقةً.

قال إبراهيم الحربي: ما رأت عيناي مثل ابن عائشة، فقيل له: قد رأيتَ الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وتقول هذا! فقال: نعم، بُلِّغَ الرشيدُ شيئاً من أخلاقه[1]، فأحضرَه، وعدَّد عليه جميعَ ما سمع منه، وهو يقول: بفضل الله وفضل أمير المؤمنين، فلمَّا سكتَ قال له: يا أميرَ المؤمنين، وأحسن من هذا المعرفةُ بقدري، والقصدُ في أمري، فقال: أحسنت يا عم.

وقال محمد بن زكريا الغَلابي: كنت عند ابن عائشة، فجاءه رجلٌ فسأَلَه أن يهبَ له شيئاً، فنزع جُبَّةً كانت عليه تساوي ستة أو سبعة دنانير، فدفعَها إليه، فقال له وكيله: ما أخوفني عليك أن تموتَ فقيراً، قال: وكيف؟ قال: كانت لك ستُّ جبات[2]، فوهبتَها، وبقيت لك هذه فوهبْتَها، وهذا الشتاءُ يقبل، فقال: إليك عنِّي، فإنِّي أريدُ أن أكون كما قال الأول: [من مجزوء الكامل]

وفتًى خلا من مالِهِ ... ومن المُروءةِ غيرُ خالي
أعطاكَ قبلَ سُؤالِه ... فكفاكَ مكروهَ السؤالِ
وإذا وَعى[3] لكَ موعداً ... كانَ الفعالُ مع المَقالِ
للهِ دَرُّكَ من فتًى ... ما فيكَ من كَرَمِ الخِلالِ

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[4]: قال جدِّي: أنفقَ ابنُ عائشة على إخوانه[5] أربع مئة ألف دينار في الله تعالى، حتى باعَ سقفَ بيته.

وكان مع هذه الفضائلِ الكاملة شديدَ القوى، كان يُمسكُ بيمينه ويساره شاتين إلى

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: بلغ الرشيد سناءُ أخلاقه.
(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ١٢/ ١٩ : جباب.
(٣) في تاريخ بغداد: رأى.
(٤) كذا في (خ) و(ف). والصواب: أبو بكر بن شيبة. انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠ ، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٥١ .
(٥) في (خ) و(ف): أخواله، والتصويب من المصادر.

أنْ تسلخا.

وقال جعفر بن [القاسم بن جعفر بن][1] سليمان الهاشمي له: ها هنا آيةٌ نزلت فينا بني هاشم خاصَّة، قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] فقال: ونحن معكم فيها، فقال جعفر: بل هي لنا خاصَّة، قال: فخذ معها: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦] فسكت ولم يحر جواباً.

توفي بالبصرة في شهر رمضان.

ورآه رجلٌ في المنام، فقال له: ما فعلَ الله بك؟ قال: غفرَ لي بحبِّي إياه.

سمع حمَّادَ بن سَلَمة، وكان عنده تسعة آلاف حديث، وسمع أيضاً سفيان بن عيينة، وصالح المُرِّيّ، وخلقاً كثيراً.

ورَوى عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وإبراهيم الحربيّ، والبغويّ وغيرهم.

واتَّفقوا على فضله وثقته وصدقه، وكان من سادات أهل البصرة غيرَ مُدَافع.

وقال أبو يحيى السَّاجي: حدَّث بوَاسِط، فدخل إلى البصرة[2]، وكان قد فاتَ بعضَ أهل واسط شيءٌ من حديثه، فأخذ جرَّةً جديدة، وملأها ماءً وغطاها، وتبعه، فلحقه بالبطائح، وقد عدم الماءَ العذبَ، فسُرَّ به، وأخذ الجرَّةَ فوزعها بين أصحابه، وقال: ما حاجتُك؟ قال: فاتني شيءٌ من حديثك، فقال: اقرأ، فقرأه عليه، فأعطاه خمسين ديناراً، ثم أعطاه دراهم، وقال: أنفق هذه في طريقك؛ لتسلم لك الخمسون.

عبدُ الملك بن عبد العزيز

أبو نصر التمَّار، كان عالماً فاضلاً صدوقاً ثقةً زاهداً، يعدُّ من الأبدال، إلَّا أنَّه كان ممَّن أجابَ في المحنة، فنهى الإمامُ أحمد رحمة الله عليه عن الكتابة عنه، ولم يُصَلِّ عليه لذلك، وكان جاوز التسعين سنة، وذهب بصره، ومات أولَ يومٍ من المحرَّم.

سمع مالكَ بن أنس وخلقاً كثيراً، وأخرج عنه مسلم في «صحيحه» وغيره[3].

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٢/ ٢١ .

(٢) في المنتظم ١١/ ١٣٩ : وشخص إلى البصرة.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٣٤٢ ، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٦٩ ، والمنتظم ١١/ ١٣٩ ، وتهذيب =

علي بن عثَّام بن علي

أبو الحسن العامريُّ الكوفيُّ، الزاهد الفاضل، سكن نيسابور، فقدمها عبدُ الله بن طاهر، فبعث إليه يسأله حضورَ مجلسه، فامتنع، وخرج من نيسابور، وحجَّ، وسكن طَرَسُوس فتوفيَ بها، وكان لا يحدِّث إلَّا عن جهدٍ جهيد.

ومن كلامه: اتّقوا سؤَّال الليل، يعني أهلَ التعفُّف والستر.

وقال: العلمُ خشية الله، وأمَّا الحديثُ فمعينٌ فيه[1].

وقال: لا أحدِّثُ إلَّا رجلاً يهتمُّ بأمر دينه، أمَّا غيره فلا.

سمع مالك بن أنس وغيره، وروى عنه الأئمَّة، وكان ثقةً[2].

محمد بنُ عبيد الله

ابن عَمرو بنِ معاوية بن عمرو بن عُتبة بن أبي سفيان بن حرب، العتبيُّ البصريُّ، صاحب الآدابِ والأخبارِ والطرائفِ والمُلَح.

قال أحمد بن عبد الصَّمد أنشدنا: [من البسيط]

لا خيرَ في عِدَةٍ إنْ كنت ماطِلَها ... وللوفاءِ على الإخلاف تفضيلُ
الخيرُ أنفعُه للناسِ أعجلُه ... وليس ينفعُ خيرٌ فيه تطويلُ[3]

وقال: حدَّثني بعضُ الأعراب قال: خرجتُ في بعض الليالي المظلمة، فإذا بجاريةٍ كأنَّها علمٌ، فأردُتها على نفسها، فقالت: ويحك! أمَا لك زاجرٌ من عقلٍ إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟! فقلت: ما يرانَا إلَّا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكِبُها؟[4].

قال العتبيّ: خرجتُ إلى البريَّة بالبصرة، فإذا أنا بأعرابيٍّ غَزِل، فملتُ إليه، فذكرتُ

= الكمال ١٨/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٢٤.

(١) نص العبارة كما في المنتظم: العلم الخشية، فأما معرفة الحديث فإنما هي معرفة.

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ١١/ ١٤٠، وتهذيب الكمال ٢١/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٣٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٥٦٢.

(٤) العقد الفريد ٣/ ٤٦١.

عنده النساء، فتنفَّسَ الصعداء، ثمَّ قال: يا ابن أخي، وإنَّ من كلامهنَّ ما يقومُ مقام الماء فيشفي من الظمأ، فقلت: صف لي النساء، فقال: [من الكامل]

رُجْحٌ وليس من اللواتي بالضُّحى ... لذيولهنَّ على الطريقِ غبارُ
يأنسنَ عند بعولهنَّ إذا خلَوا ... وإذا هُمُ خرجُوا فهنَّ خِفَارُ

فذكرتُ ذلك لأبي فقال: أخذَ قوله: من كلامهنَّ ما يقومُ مقامَ الماء فيشفي من الظمأ، من قول القطاميّ: [من البسيط]

يَقْتُلننا بحديثٍ ليس يعلمُهُ ... من يتَّقينَ ولا مكنونُهُ بادِي
فهنَّ يبدينَ[1] من قولٍ يُصِبْنَ به ... مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي[2]

وقال العتبيّ: [من الطويل]

رأينَ الغواني الشيبَ لاح بمَفْرقي ... فأعرضنَ عني بالخدودِ النواضرِ
وكنَّ إذا أبصرنَني أو سمعنَ بي ... سعينَ فرقَّعنَ الكُوى بالمحاجرِ[3]

وفي نسخةٍ أخرى:

فصرنَ إذا أبصرنني أو سمعنَني ... نهضنَ فرقَّعنَ الكُوى بالمعَاجرِ[4]

وقال العتبيُّ: خرجتُ إلى المِرْبَد وإذا بأعرابيٍّ، فملتُ إليه لأقتبسَ من علمه، فقلت: يا أعرابيّ، حَدِّثني بأعجبِ ما رأيتَ، فقال: نعم، ضلَّت إبلي من أرنب خرجَ في وجهها ليلاً، فركبتُ قَعوداً لي، وخرجتُ في طلبها، فأتعبتني، فصرتُ إلى بلاد عَذَرة، فإذا ببيتٍ منتبذٍ عن الأخبية، ليس بقُرْبِهِ أنيسٌ، وإذا على بابه جويريةٌ، كأنَّ وجهها سيفٌ صقيل، فلمَّا رأتني متأمِّلاً لها أرخت البرقع وقالت: يا عم، انزل على بركة الله، وإن أحببتَ قِرًى كان لبناً أو ماءً، فنزلتُ، فقالت: ما تشاء؟ فقلت: لبناً، فقامت كأنها قضيبٌ يتثنّى، فأخرجَتْ علبةً مملوءةً لبناً، فشربتُ حتى رَويتُ، ثمَّ

(١) في ديوان القطامي ص٨١، وتاريخ دمشق: ينبذن.

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٨٥ (مخطوط).

(٣) معجم الشعراء ص٣٥٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٩.

(٤) من قوله: وفي نسخة أخرى... إلى هنا ليس في (ف)، وهذا البيت الأخير أورده ابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٦/ ٢٠ تتمة للبيتين السابقين.

استلقيتُ وأنيت، فقالت: يا عمّ، أراك تعباً؟ قلت: نعم، ضلَّت إبلي منذ ثلاث، فخرجتُ في طلبها، فقالت: هل لك في أن أدلَّك على من يعلمُ علمها؟ فقلت: إي والله، وتتَّخذي عندي [يداً]،[١] فقالت: سل الذي أعطاك سؤال يقين، لا سؤال اختبار، فقلت: يا حبيبة، هل لك من بعل؟ فقالت: قد كان، فدُعي إلى ما منه خُلِق، قلت لها: فهل لك في بعلٍ لا تذمُّ خلائقه، ويأمنُ إلفُه بوائقَه، فاستعبرت باكيةً، ثم قالت: [من البسيط]

كنّا كغصنين في عودٍ غذاؤهما ... ماءُ الجداول في روضاتِ جنَّاتِ
فاجتثَّ خيرَهما من دونِ صاحبه ... دهرٌ يَكُرُّ بروعاتٍ وترحاتِ[٢]
وكنتُ عاهدتُه[٣] إن خانني زمني ... ألَّا يضاجعَ أنثى بعد مثواتي
وكانَ عاهدَني[٤] أيضاً فعاجَلَهُ ... ريبُ المنون قريباً مذ سُنَيَّاتِ
فاصرفْ عِنَانك عمَّن ليس يصرفُها ... عن الوفاء خلافٌ[٥] في التحيَّاتِ
إنِّي حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ ... والكِذْبُ يُزْرِي بأصحابِ المروآتِ
أنْ لا يضاجعني من بعدِه أحدٌ ... حتى يغيَّب رمسِي بين أمواتِ

وسكتت، فاجتهدت بها أن تكلِّمني أو تريني الطريق، فأبت[٦].

وقال العتبي: [من الطويل]

إذا ما تقضَّى الودُّ إلَّا تكاشراً ... فهجرٌ جميلٌ للفريقين صالحُ
تَلَوَّنْتَ ألواناً عليَّ كثيرةً ... ومازجَ عذباً من إخائِك مالحُ
فلي عنك مستغنىً وفي الأرض مذهبٌ ... فسيحٌ ورزقُ الله غادٍ ورائحُ
لتعلمَ أنِّي حيث رُمْتَ قطيعةً ... وعرَّضتَ لي بالهجرِ عنك مسامحُ

---

(١) ما بين حاصرتين من اعتلال القلوب للخرائطي.
(٢) في اعتلال القلوب: وفرحات.
(٣) في اعتلال القلوب: وكان عاهدني.
(٤) في اعتلال القلوب: وكنت عاهدته.
(٥) في اعتلال القلوب: خلاب.
(٦) اعتلال القلوب ص١٨٢، والبيتان الأخيران ليسا فيه، ولم أقف عليهما.

عـلـى أنَّـنـي لا مـائـلٌ بـعـداوةٍ عـلـيـكَ ولا صَـبٌّ إلى الـودِّ جـانـحُ
نـعـانـيَ نـاعٍ حـيـن يـطـمـعُ صـاحـبـي يرى الشرَّ[1] في وجهي له وهو كالحُ

حَدَّث العتبيُّ عن سفيانَ بن عيينة وغيره، وروى عنه أبو حاتم السِّجستاني وغيره، وكان ثقة[2].

محمد بن مصعب

أبو جعفر البغدادي[3]، كان أحد العبَّاد المذكورين، والقرَّاء المعروفين، أثنى عليه الإمام أحمد رحمة الله عليه، ووصفَهُ بالسُّنَّة، وقال: كان رجلاً صالحاً، يقصُّ في المسجد ويدعو، وربما كان ابن عُلَيَّة يجلسُ إليه فيسمعُ دعاءَه، جاءني وكتب عني أحاديث، ثمَّ كان يقول: يا رب أخبئني [تحت][4] عرشك.

وقال: ويحكِ يا نفس ابنِ مصعب، من أين لك في النار برَّادة[5]؟ ثم رفعَ صوته وقرأ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ الآية [الكهف: ٢٩].

وكان مجاب الدعوة، بلغَ المأمونَ عنه شيءٌ فأمرَ بحبسِه، فلمَّا دخله رفعَ رأسه إلى السماء وقال: أقسمتُ عليكَ إنْ حبستَني عندهم الليلة. فأُخْرجَ في جوف الليل، فصلَّى الغداةَ في منزله.

وتوفي ببغداد.

أسندَ عن ابن المبارك وغيره. ورَوى عنه ابن سام[6] وغيره، واتَّفقوا على صدقه وثقته.

---

(١) في اعتلال القلوب ص٣٢٢ ـ والأبيات فيه ـ: البشر.

(٢) لم أقف على من وثَّقه، بل ذكروا عنه أنه كان مستهتراً بالشراب. انظر وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٨، والوافي بالوفيات ٤/ ٥. فلعل المصنف أراد أنه ثقة في الأخبار والأدب.

(٣) اشتهر بأبي جعفر الدَّعَّاء.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٤/ ٤٥٢.

(٥) قال محمد بن مصعب ذلك عندما وضعت برَّادة سمع صوتها، فشهق وصاح وقال ... والبَرَّادةُ: إناءٌ يبرِّدُ الماء. القاموس (برد).

(٦) في (خ) و(ف): ابن بسام. والتصويب من تاريخ بغداد ٤/ ٤٥١ وانظر الترجمة فيه.

[وفيها توفي]

مُسَدَّد بن مُسَرْهد

ابن مُسَربل بن مُغَربل بن مُرَعْبَل بن أرندل بن سَرَندل بن عَرَندل بن ماسك بن المستورد الأسدي [كذا نسبه ابن ماكولا[١]].

وأمَّا ابنُ سعد فذكره في أوائل الطبقة الثامنة من أهل البصرة وقال:][٢] مسدَّد بن مسرهد بن مسربل بن شريك، أبو الحسن [الأسديّ]، توفي بالبصرة في رمضان [من هذه السنة][٣].

وقال أحمد بن يونس الرقيّ: جئتُ إلى أبي النعيم الفضل بن دُكَين فقال [لي:] من محدِّث البصرة؟ قلت: مُسَدَّد [بن مسرهَد]، وذكرت أسامي أجداده، فقال أبو نعيم: هذه تسميةٌ لو كان فيها «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم» لكانت رُقيةً للعقرب.

أسند مُسَدَّدٌ عن خلقٍ كثيرٍ منهم حمَّاد بن زيد [وأبو عوانة وغيرهم][٤]، وكان ثقةً مرضيًّا[٥].

نُعيم بن حمَّاد

ابن معاوية بن الحارث بن هَمَّام الخُزاعيُّ المروزيُّ، صاحب عبد الله بن المبارك، كان أعلمَ الناس بالفرائض، وهو من الطبقة السادسة. من أهل مصر، كان من أهل مرو، طلب الحديث طلباً كثيراً بالعراق وخراسان[٦]، ثمَّ نزل مصر، فلم يزل بها حتى أُشخِص منها في

(١) ذكره ابن ماكولا في الإكمال ٧/ ٢٤٩ من رواية أبي علي منصور بن عبد الله الخالدي عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن مسدد. وقال بعد ذكره: لم يكن الخالدي من الأثبات، وانظر السير ١٠/ ٥٩٤ . وقدم ابن ماكولا في أول ذكر مسدَّد أنَّ اسمه: مسدَّد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل الأسدي البصري، ونسبه للبخاري، وانظر التاريخ الكبير ٨/ ٧٢ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف): وقال ابن سعد.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٠٩ .

(٤) في (خ) و(ف): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب) .

(٥) انظر ترجمته في المصادر التي ذكرتها وفي المنتظم ١١/ ١٤٢ ، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٩١ ، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٠٠ .

(٦) في طبقات ابن سعد ٩/ ٥٢٧ ـ والكلام منه ـ: بالعراق والحجاز.

خلافة المعتصم، فسُئِل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء ممَّا أرادوه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوساً بها حتى مات في السجن، لامتناعه من القول[١].

وقال الخطيب: مات سنة تسع وعشرين، وكان مقيَّداً محبوساً لامتناعه من القول بخلق القرآن، فأوصى أن يُدْفَن في قيوده، فقال: ادفنوني في قيودي، فإنِّي مخاصِمٌ، فجُرَّ بها حتى ألقي في حفرته، ولم يكفَّن ولم يصلَّ عليه، فعل ذلك به صاحب ابن أبي دؤاد[٢].

وقيل: إنَّه حُمِل من مصر في سنة ثلاث وعشرين.

أسند عن ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وخلقٍ كثير.

وروى عنه يحيى بن معين والبخاريُّ[٣] ومحمد بن يحيى الذُّهلي.

وقال أبو سعيد بن يونس: أقام بمصر مدَّةً، وصَنَّفَ كتاباً في الردِّ على أبي حنيفة، وحُمل هو والبويطيُّ إلى بغدادَ مكبَّلَين بالحديد.

وقد تكلَّموا فيه، وأثنى عليه قومٌ، وضعَّفه قوم[٤].

يحيى بنُ عبد الحميد بنِ عبد الرَّحمن

أبو زكريا الكوفي، أحدُ الحفَّاظ الرحَّالين، كان يحفظُ عشرةَ آلاف حديث يسردُها سرداً.

توفي بسامرّاء في رمضان.

حدَّث عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه البغويُّ وغيره. وتكلَّموا فيه[٥].

---

(١) قوله: لامتناعه من القول. ليس في (خ).

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٣٠. وذكر في وفاته أقوالاً أخرى، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٤٩ في وفيات سنة تسع وعشرين ومئتين، ورجَّح الذهبي القول بأن وفاته كانت في سنة ثمان وعشرين ومئتين. انظر تاريخ الإسلام ٥/ ٧١٥.

(٣) روى له البخاري مقروناً بآخر.

(٤) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٥٢٧، وتاريخ بغداد ١٥/ ٤١٩، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٩٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧١٠، ولم ترد ترجمته في (ب).

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٥١، والمنتظم ١١/ ١٤٣، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٢٦. ولم ترد ترجمته في (ب).

السنة التاسعة والعشرون بعد المئتين

فيها حبسَ الواثقُ الكُتَّاب، وأخذ منهم أموالاً عظيمة، وسلَّمهم إلى إسحاق بن يحيى صاحبِ حرسه، فضربَ أحمدَ بن إسرائيل ألف سوط، وأخذ منه ثمانين ألف دينار، وأخذَ من سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربع مئة ألف دينار، ومن أحمد بن الخصيب وكاتبه[(١)] ألف ألف دينار، ومن نجاح ستينَ ألف دينار، ومن صالح بن أبي الوزير[(٢)] مئةَ ألفٍ وأربعين ألف دينار، سوى ما أخذَ من العمّال، فيقال: إنَّه أخذَ منهم ثلاثة آلاف ألف دينار.

وسببُ ذلك أنَّ الواثقَ جلسَ ليلةً مع ندمائه، فسأل عن السبب الذي به وَثب الرشيدُ على البرامكة، فقال: لم يكن له بيتُ مال، وكانت البرامكة قد استولَت على الأموال، فاستعرضَ الرشيدُ جاريةً، فأعجبته، فطلبَ صاحبُها فيها مئةَ ألف دينار، فأرسل إلى يحيى بن خالد، فأمرَه أن يبعثَ إليه بالمال، فقال يحيى: هذا مفتاحُ سوء، إذا بذل في جاريةٍ هذا المال، كان أحرى أن يَطلبَ المالَ على قدر ذلك، [فأرسل يخبرُه أنَّه لا يقدرُ على ذلك، فغضبَ الرشيد][(٣)]، فأرسلَ إلى يحيى ثانياً يقول: لا بدَّ من المال، وكيف يَعجِزُ بيتُ مالي عن مئة ألف دينار، فقال يحيى: اجعلوها دراهم؛ لعلَّه يستكثرها فيردها، فأرسلَ بها دراهم، وجعلَها في طريق الرشيد[(٤)]، فخرجَ فرآها مثل الجبل، فاستكثرَها، وردَّ الجارية، ودعا خادماً له، وقال: اضمُمْ هذه إليك، واجعل لنا بيتَ مال، وأخذ في التفتيش على المال، فوجد البرامكة قد استهلكوه، وكان يحضرُ مجلسَه رجلٌ فاضلٌ، فأعجبَه ليلةً حديثُه، فأطلقَ له ثلاثينَ ألف درهم، فمطلَه يحيى

(١) كذا في (خ) و(ف) وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٠٣ ، ووقع في تاريخ الطبري ٩/ ١٢٥ ، والكامل ٧/ ١٠ ، والمنتظم ١١/ ١٤٤ : وكتَّابه.

(٢) كذا في (خ) و(ف)، وفي المنتظم ١١/ ١٤٤ : ومن أبي الوزير صالح، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٢٥ : ومن أبي الوزير صلحاً.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٢٦ .

(٤) في تاريخ الطبري: في رواق الرشيد.

مدَّةً، فتحيَّل حتى أنشد الرشيد: [من الرمل]

وَعَـدَتْ هـنـدٌ ومـا كـانـت تَـعِـدْ   لـيـتَ هـنـداً أنْـجَـزَتـنـا مـا تـعـدْ

واسـتـبـدَّتْ مـرَّةً واحـدةً   إنَّـمـا الـعـاجـزُ مـن لا يـسـتـبِـدّ(١)

فقال الرشيد: أجل والله، إنَّما العاجزُ من لا يستبد، وكان على رأس الرشيد خادمٌ، فنقلَ الحديثَ إلى يحيى، فبعثَ إلى الرجل بثلاثين ألف درهم من بيت المال، ومن عنده بأربعين ألفاً(٢)، واعتذرَ إليه.

وجدَّ الرشيدُ في البرامكة، حتى فعلَ بهم ما فعل، فقال الواثق: صدق الرشيد، فما مضى أسبوعٌ حتى وثبَ على الكُتَّاب، وأخذَ منهم الأموال.

وفيها وَلَّى الواثق إيتاخ اليمن، فبعثَ إليها نوابه، وولَّى محمد بن صالح المدينة، وولى محمد بن يزيد(٣) الخَلَنْجي الحنفيّ على قضاء الشرقية ببغداد، وكان من أصحاب ابن أبي دؤاد، وكان عفيفاً في قضائه، تلطَّف فيه محمد بن الجهم وبعثَ إليه بمالٍ عظيم فلم يقبله، وكان المعتصم كتبَ إليه من سامرَّاء ليمتحنَ الناس بخلقِ القرآن، [وكان يضبط نفسه، فتقدمت إليه امرأة فقالت: إن زوجي لا يقول بقول أمير المؤمنين في القرآن](٤) ففرِّق بيني وبينه، فصاحَ عليها. فلمَّا كان سنة سبعٍ وثلاثين عزله المتوكل، وأمر بأنْ يُكشَف عليه بسبب ما امتحنَ به الناسَ، فأُقِيم للناس، فما ظهرَ أنَّه أخذ لأحدٍ حبَّةً(٥).

و[فيها] حجَّ بالناس محمد بن داود بن عيسى.

[فصل:] وفيها توفي

---

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، وهما في ديوانه ص٣٢٠ـ٣٢١ ورواية البيت الأول فيه:

لـيـت هـنـداً أنـجـزتـنـا مـا تـعـد   وشـفـت أنـفـسـنـا مـمـا تـجـد

(٢) الذي في تاريخ الطبري ٩/ ١٢٧ والكامل ٧/ ١١ أن يحيى وصله بعشرين ألف دينار، وأمر ولديه أن يصلاه، فوصله كل واحدٍ منهما بعشرين ألف.

(٣) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٥٦ ، وهو خطأ. والصواب عبد الله بن محمد بن يزيد، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٩ . إلا أن فيه أنه وليها سنة ثمان وعشرين ومئتين.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١١/ ٢٧٠ .

(٥) من قوله في أول أخبار هذه السنة: فيها حبس الواثق الكُتَّاب... إلى هنا ليس في (ب) .

خلفُ بن هشام

ابن ثعلب، [وقيل: ابن طالب،] أبو محمد البزَّار [المقرئ]، قرأ القرآن بالروايات حتى فاق أهل عصره.

[وحكى عنه الخطيبُ أنَّه قال: قرأتُ القرآن على حمزةَ بن حبيب الزَّيات عشر مرات[١]، قال: وكان خلفٌ صالحاً]، وكان يشربُ النبيذَ على مذهب أهل العراق [على التأويل]، ثمَّ تركه، وسببُ تركِه أنَّ ابن أخته قرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[الآية:٣٧] فقال له: يا خال، إذا ميَّز الله الخبيثَ من الطيِّب، أين يكون النبيذ، [أو الشراب]؟ فنكس رأسه طويلاً ثم قال: مع الخبيث، فقال: أفترضى أن تكون مع [أصحاب] الخبيث؟ فقال: يا بني اذهب إلى المنزل، فاصبُبْ كلَّ شيءٍ فيه، [وتركه]، فأعقبَه الله الصومَ، فصام الدهر إلى أن مات[٢].

وقيل: إنَّه صام أربعين سنةً، وأعاد صلاة مدَّة شربه النبيذ.

[وقد ذكره ابن سعد وأثنى عليه، قال: وكان صاحب قرآن وحروف، وقرأ على سُليم صاحب حمزة،] وتوفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الآخرة [سنة تسعٍ وعشرين ومئتين، ودفن بمقابر الكُنَاسة] ببغداد[٣].

[قلت: لا نعرف اليوم مقابر الكُنَاسة، وإنَّما الكُنَاسة بالكوفة.

وحَكى الخطيبُ عن عبد الله بن محمد البغويّ أنَّه قال: مات خلف في هذه السنة[٤]، كما قال ابن سعد].

قيل: مات [في] سنة ثمانٍ وعشرين [ومئتين].

ورآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: اقرأ

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٤.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٥١.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٧.

عليَّ القرآنَ، فقرأتُه عليه.

أسندَ عن مالك بن أنس [وحماد بن زيد] وخلقٍ كثير [وسمع منهم]، وروى عنه إبراهيمُ الحربيُّ وغيره، واتَّفقوا على صدقه وعدالته وثقته في حال شربه النبيذَ وتركه، [فحكى الخطيبُ عن أحمد بن حنبل أنه قيل له:](١) إنَّ خلفاً يشربُ النبيذ، فقال: قد انتهى إلينا علم هذا، ولكنَّه والله عندنا الثقةُ الأمين العدل شرب أو لم يشرب(٢).

[وقال الدارقطني: كان عابداً فاضلاً، أعاد الصلاة التي شرب فيها النبيذ أربعين سنة(٣).

وفيها توفي]

عليُّ بن صالح بن سليمان(٤)

[وقال الخطيب: وإنما سمِّي جده] صاحب المصلى ـ [وهو] سليمان(٥) ـ [لأنَّه كان] مع أبي مسلم الخراساني، وكان من أولادِ الملوك بخراسان، فاستخصَّه أبو جعفر، فلما جرت قصَّة عبد الله بن عليّ(٦)، فرَّق أبو جعفر خزائنَ عبد الله(٧) على

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): قيل للإمام أحمد رحمة الله عليه.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٦ .

(٣) انظر ترجمته بالإضافة إلى المصادر السالفة في المنتظم ١١/ ١٤٥ ، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٩٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٦ ، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٦٤ . وما بين حاصرتين من (ب) .

(٤) كذا في (خ) و(ف) و(ب)، ولم أقف على من ذكر أن جده سليمان، وإنما سليمان حفيده. وانظر التعليق التالي.

(٥) كذا في النسخ. والصواب: صالح؛ لأن الخطيب روى القصة عن التنوخي قال: سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح صاحب المصلى، وسأله أبي عن سبب تسمية جده بصاحب المصلى، فقال: إن صالحاً جدنا . . . وذكر القصة، فصاحب المصلى هو صالح. انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٣٩٥ـ٣٩٦، والمنتظم ١١/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٧٠ . وذكر المزي علي بن صالح تميزاً . ووقع في الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٤٦ أنَّ هذه القصة وقعت مع سليمان. وهو وهم أيضاً، لعله تابع فيه المصنف. والله أعلم .

(٦) في (ب): علي بن عبد الله بن عباس. وهو خطأ.

(٧) في (ب): علي بن عبد الله.

سليمان وغيره من القوَّاد، فأخذَ كلٌّ واحدٍ شيئاً جليلاً، فاختار [سليمان حصير][(١)] الصلاة من عَمَل مِصْر، ذُكِرَ أنَّه كان في خزائن بني أميَّة، وأنَّهم ذكروا أنَّ النبي ﷺ صلَّى عليه، فقال له المنصور: إنَّ هذا لا يصلحُ [أن يكون] إلَّا في خزائن الخلفاء، فقال: يا أمير المؤمنين، قد حكمتَ كلَّ واحدٍ في الخزائن، فأخذَ كلٌّ واحدٍ ما أراد، وما مقصودي إلَّا البركة [بصلاة رسول الله ﷺ]، فقال: خذه على شرطٍ؛ وهو أن تحملَه في الأعياد والجمع فتفرشَه حتَّى أصلي عليه، قال: نعم، وكان يفرشُه في كلِّ عيدٍ وجمعةٍ للمنصور، وبقيَ عند ذريَّة سليمان يتوارثونَه حتى أخذَه منهم المعتصم، فجعلَه في خزائنه[(٢)].

[وقيل: إنَّ صاحبَ هذه الترجمة اسمه عليّ بن صالح بن سليمان بن صالح، وصاحبُ الواقعة مع المنصور هو صالح الأعلى.

حدث عليُّ بن صالح[(٣)] عن القاسم بن معن المسعوديّ، وروى عنه يعقوب بن إبراهيم[(٤)]. والله أعلم][(٥)].



(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف) بياض، والصواب: فاختار صالح حصير...

(٢) في تاريخ بغداد: فلم يزل الحصير عندنا إلى أن انتهى إلى سليمان جدي، وكان يخرجه كما كان أبوه وجده يخرجانه للخلفاء، فلما مات سليمان في أيام المعتصم، ارتجع المعتصم الحصير وأخذه إلى خزائنه. اهـ. وسليمان هذا هو ابن علي بن صالح صاحب المصلى.

(٣) في (ب): حدث عن ابن صالح. والتصويب من تاريخ بغداد.

(٤) هو ابن أخيه يعقوب بن إبراهيم بن صالح.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

السنة الثلاثون بعد المئتين

فيها غارت[١] الأعراب حول مدينة النبيِّ ﷺ ، فبعثَ إليهم الواثقُ بغا التركيّ في جيشٍ كثيف، فقَتَل منهم جماعةً، وأسرَ آخرين.

ذكر[٢] السبب

كانت بنو سُليم نازلين حولَ المدينة يفسدون ويعبثون، وإذا قامت سوقٌ أخذوا منها ما أرادوا، وكان رأسهم عُزيزةُ بن قطَّاب السُّلَميّ، وكان بالمدينة محمد بن صالح الهاشميّ والياً عليها، وكان الواثق قد بعثَ إليه حمّاد بنَ جرير الطبريّ؛ لئلا يطرقَ المدينة طارقٌ، وكان في مئتي فارسٍ، فبعثَ محمدُ بن صالح حمَّادَ بن جرير في جماعةٍ، من الجند وسودان المدينة [ومن تطوَّع للخروج من][٣] قريشٍ والأنصار ومواليهم، فسار إلى بني سُليم وهم كارهون[٤]، فالتقاهم على الرُّوَيثة على ثلاث مراحل من المدينة، وهم في ستِّ مئةٍ وخمسين، ثم جاءتهم الأمدادُ قبل القتال، فحملَ عليهم حمَّاد، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت سودان المدينة بالناس، وثبتَ حمَّاد وأصحابه وبعض قريش والأنصار، فقُتِل حمَّاد وعامَّةُ أصحابه، وحازت بنو سليم الكراعَ والسلاح والثياب وغيرها، وقويت شوكتُهم، واستباحوا القرى والمنازل والمناهل فيما بين مكَّة والمدينة، وانقطعت الطرق، فبعثَ إليهم الواثقُ بغا الكبير في الشاكريَّة والأتراك والمغاربة، فقدمَ المدينة في شعبان، وشخص إلى حرَّة بني سُلَيم، وعلى مقدمته كردوس[٥] التركي، فلقيَهم وراء السُّوارقيَّة، وكانوا يَأْوون إليها، وبها حصونٌ يتحصَّنون بها، فَقَتَل منهم بغا خمسين رجلاً، وأَسَر مثلهم، وانهزمَ الباقون، ثم

(١) كذا في (خ) و(ف)، وفي (ب): عابت. ولعلها: عاثت. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٢٩،والكامل ٧/ ١٢ ، والمنتظم ١١/ ١٥٠ .

(٢) من هنا إلى ترجمة عبد الله بن طاهر ليس في (ب) .

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٢٩ ، ومكانها في (خ) و(ف) بياض.

(٤) يعني أن بني سليم كانوا كارهين للقتال.

(٥) في تاريخ الطبري ٩/ ١٣٠ طردوش.

دعاهم بُغا إلى [الأمان، وأقام] بالسُّوارقيَّة، فدخلوا تحت أمانه، [فاحتَبَسَ عنده من](١) عُرِفَ بالشرِّ والفساد، نحو ألف رجل، فقدمَ بهم المدينةَ في ذي القعدة، فحبَسهم في الدار المعروفة بيزيد بن معاوية(٢)، ثم مضى إلى مكَّة حاجًا، فشهدَ الموسم، وكان على الموسم محمد بن داود.

وفيها توفي

عبدُ الله بنُ طاهر

ابنِ الحسين بن مصعب بن رُزَيق، أبو العباس الخزاعي.

[ذكره العلماء في تواريخهم، واتَّفقوا عليه، و] كان بارع الأدبِ حسنَ الشعر، مأموناً، نبيهاً في نفسه، جواداً، عاقلاً ممدَّحاً سمحاً، تنقَّل في الأعمالِ الجليلةِ شرقاً وغرباً.

قلَّده المأمونُ الجزيرةَ والشام ومصرَ والمغربَ حرباً وخراجاً، ثمَّ نقلَه إلى ولاية خراسان بعد وفاةِ أبيه. ومولده [في] سنة ثلاث وثمانين ومئة.

وقال إسحاقُ بن راهويه: سألني عبد الله بن طاهر فقال: متى توفِّي عبدُ الله بن المبارك؟ فقلت: في سنة اثنين وثمانين ومئة، فقال: ذلك مولدي.

[وكان إليه خراسان] وما وراء النهر، وطبرستان، والمشرق كله، والشرطتان ببغداد وبسُرَّ من رأى، وخليفتُه عليهما إسحاقُ بن إبراهيم المصعبيّ(٣).

[وقال الخطيب: كان عبد الله من الأجواد الممدَّحين والسُّمحاء المذكورين](٤).

ذكر طرف من أخباره:

[حكى الخطيبُ أنَّ المأمونَ سوَّغه خراج مصر، فلمَّا فتحها لم يدخلها](٥) وصعد

---

(١) في (خ) و(ف) بياض، والمثبت بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

(٢) في (خ) و(ف): بين يدي معاوية. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٣١.

(٣) من قوله: وما وراء النهر . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٢، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): لما فتح مصر سوغه المأمون خراجها فلم يدخلها...

المنبر، فما نزلَ حتى فرَّق خراجها، وهو ثلاثة آلاف دينار.

[وذكره الحاكم في «تاريخ نيسابور»، وأثنى عليه، وحكى عنه حكايات كثيرة فقال: جاءه][١] رجلٌ من أهل هَراة، فقال: إنِّي مظلوم، قال: ومن ظلمَك؟ قال: أبوك، ثمَّ أنت، قال: وكيف؟ قال: أخذَ أبوكَ ضيعتي، وهي اليومَ في يد نوَّابك، فقال: ألكَ بيِّنة؟ فقال: إنَّما تكونُ البيِّنةُ بعد المرافعَة إلى الحاكم، فصرْ معي إلى الحاكم؛ ليحكمَ بيني وبينك بحكم الإسلام.

فدعا ابن طاهر نصرَ بن زياد القاضي، فجلس، وابن طاهر [جالسٌ] في مجلسه، فادَّعى الرجل، فلم يسمع القاضي الدعوى، ففهمَ ابنُ طاهر أنَّه إنَّما امتنعَ من سماع الدعوى حيثُ إنَّه لم يساوِ خصمَه في الجلوس، فقام ابنُ طاهر من مجلسِه، وجلس مع خصمه بين يديه، فقال الرجل: أَدَّعي أيُّها القاضي أنَّ لي ضيعةً من ضياع هراة، وذكر حدودَها، وأنَّها في يد الأمير، فقال ابن طاهر: غيَّرتَ الدعوى؛ لأنَّك إنَّما ادَّعيتَ على أبي، فقال الرجلُ: ما رأيتُ أنْ أفضحَ أباك في مجلس الحاكم، وأنَّه غصب، فقامَ ابنُ طاهر [من بين يدي القاضي]، وعادَ إلى مجلسه، وأمرَ الكاتبَ يكتبُ بردِّها عليه.

[وفي رواية: طلبَ الرجلُ يمينَه، فقام ابنُ طاهر من مجلسه، وذكره.][٢]

وقال أحمد بن سعيد الموصلي[٣]: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد، إنَّكم تبغضُون المرجئةَ تقليداً، وأنا أبغضُهم عن معرفة، إنَّ أوَّل أمرهم أنَّهم لا يرون للسلطان طاعةً، ويقولون: إيمانُنا كإيمانِ جبريل وميكائيل، وإني لا أستجيزُ أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن أبي طاهر: لمَّا خرج عبد الله بن طاهر إلى المغرب، كان معه كاتبه أحمد بن نَهيك، فلمَّا نزلَ دمشق أُهديت لأحمد هدايا كثيرة في طريقه وبدمشق، فكان يُثبِّتُ كلَّما يُهدَى له في قرطاس، ويدفعه إلى خازنه، فأمرَ عبدُ الله بن طاهر[٤] أحمدَ بن

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ): وجاء له، وموضعها في (ف) بياض.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والرواية الأخيرة ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٣-٤٤٤ (مخطوط).

(٣) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٢ : الرباطي. وهو الصواب.

(٤) في (خ) و(ف): أحمد بن طاهر. وهو خطأ. والتصويب من تاريخ بغداد.

نَهيك أن يغدو عليه لعملٍ كان يعمله، وأمره أن يثبته، ووضع ورقة العمل مع الورقةِ التي فيها الهدايا، فغلط الخازن، فأحضرَ ورقةَ الهدايا، وتركَ الورقة التي فيها العمل، ودخل على عبد الله بن طاهر فسأله عما كان تقدَّم من العمل، فقال: عملته، وأخرج الورقة من خفِّه، فناوله إيَّاها، وكان دَرجاً كبيراً، فتأمَّله ابنُ طاهر من أوَّله إلى آخره، ثم طواه، وقال لابن نَهيك: خذ ورقتَك، فليس هذا أردت، فلمَّا نظر أحمد فيها أُسقِط في يده، فلما انصرفَ إلى مضربه وجَّه إليه عبدُ الله يقول: قد وقفتُ على ما في الورقة، فوجدتُه سبعينَ ألف دينار، وقد علمتُ أنَّه قد لزمتكَ غرامةٌ ومؤنةٌ عظيمةٌ في سفرك، ومعك جماعةٌ وزُوَّارٌ تحتاجُ إلى برِّهم، وليس مقدارُ ما يصلُ إليك يفي بمؤنتك وقد وجَّهت إليك بمئة ألف دينار؛ لتصرفَها في الوجوه التي ذكرتها(١).

[وقال الخطيب بإسناده إلى سهل بن ميسرة(٢) قال:](٣) لمَّا رجعَ عبد الله بن طاهر من الشام إلى بغداد صعد فوق سطح [قصره]، فنظر إلى دخانٍ يرتفع من جواره، فقال: ما هذا الدخان؟ فقيل: لعلَّ القوم يخبزون، فقال: أو تحتاج جيراننا إلى ذلك، [أو أن يتكلَّفوا ذلك]؟! ثم دعا حاجبَه، وقال: امض ومعكَ كاتبٌ، وأحصِ جيراننا ممَّن لا يقطعُهم عنَّا شارعٌ، فمضَى فأحصاهم، فبلغَ(٤) عددهم [أربعة آلاف] نفس(٥) فأمر لكلِّ بيتٍ بالخبز واللحم، وما يحتاجون إليه، وبكُسوة الشتاء والصيف، والدراهم، [فما زال ذلك دأبه](٦) حتى خرج من بغداد، فانقطعَ ذلك، وكان يبعثُ من خراسان إليهم بالكُسوة مدَّة حياته(٧).

[وحكى الخطيب أيضاً بإسناده إلى أبي الفضل الربعيّ عن أبيه أنَّه قال:] قال المأمون لعبد الله بن طاهر: أيُّما أطيب [مجلسي أو مجلسك، وفي رواية:] منزلي أو منزلك؟ قال: يا أمير المؤمنين منزلي، قال: ولم؟ قال: لأنِّي فيه مالك، وأنا في

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٣ـ١٦٤ . ومن قوله: وقال أحمد بن سعيد... إلى هنا ليس في (ب) .

(٢) في (ب) و(ف): مبشر، وفي (خ): ميسر. والتصويب من تاريخ بغداد.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال سهل بن...

(٤) في (ب): فرفع.

(٥) في (خ) و(ف): ألف نفس، والمثبت بين حاصرتين من (ب) .

(٦) في (خ) و(ف): فما زالوا كذلك. والمثبت بين حاصرتين من (ب) .

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٤ـ١٦٥ .

منزلك مملوك[١].

و[قال الحسين بن الفهم:] كان ابن طاهر لا يُدخل دارَه خصيًّا، ويقول: هم مع النساء رجال، ومع الرجال نساء[٢].

وقال[٣] أحمد بن يزيد السُّلميّ: كنت مع طاهر بن الحسين بالرقة، فرُفعت إليه قِصَصٌ فوقع عليها بصلاتٍ، فبلغت ألفي ألف[٤] درهم وسبع مئة ألف درهم، ثمَّ كنت[٥] بعد ذلك مع ولده بالرقة فوقع عليها، وزاد على أبيه بألفي ألف[٦] درهم.

وقال محمد بن يزيد الأمويّ الحصنيُّ[٧] من ولد مَسْلَمة بن عبد الملك، وكان قد اعتزل الناس في حصنٍ له: لمَّا بلغني خروجُ عبد الله بن طاهر من بغداد يريد قتال نصر ابن شبث بالجزيرة أيقنتُ الهلاكَ؛ لِمَا بلغه من رَدِّي عليه قصيدتَه التي يقول في أوّلها: [من المديد]

مدمنُ الإغضاءِ موصولُ ... ومديمُ العتب مملولُ
وأخو الوجهينِ حيث رَمى ... بهواهُ فَهْوَ مدخولُ
فاتّئد تلقَ النجاحَ به ... فاعتسافُ الأمر تضليلُ
واعمَ عن عيب أخيك يدمْ ... لك حبلٌ منه موصولُ
من يَرِد حوض الردى صرداً ... لا يسعهُ الريُّ تعليلُ
أنا من يعرف بنسبته[٨] ... سَلَفِي الغُرُّ البهاليلُ
مصعبٌ جدِّي نقيبُ بني ... هاشمٍ والأمرُ مجهول

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٢.
(٢) المنتظم ١١/ ١٥٩.
(٣) من هنا إلى قوله: حذراً من تعذر الإمكان . . . ليس في (ب).
(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨٤ (ترجمة طاهر بن الحسين)، وتاريخ دمشق ٩/ ٤٤٨ (مخطوط): ألف ألف.
(٥) في (خ) و(ف): ثم كتب. وانظر تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٩.
(٦) في تاريخ دمشق: بألف ألف.
(٧) في (خ) و(ف): الحمصي. والتصويب من الفرج بعد الشدة ١/ ٣٣٩.
(٨) في الفرج بعد الشدة ١/ ٣٤٢: تعرفن نسبته.

وحسينٌ رأسُ دعوتِهم ودعاءُ الحقِّ مقبولُ
وأبي من لا كِفاءَ له من يُسامي مجدَهُ قولوا
سَلْ به والخيلُ ساهمةٌ حولَهُ جردٌ أبابيلُ
أَبْطَنَ[1] المخلوعَ كلكُلَهُ وحواليه المقاويلُ[2]
فثوى والتربُ مضجعُه غالَ عنه ملكَه غولُ
قادَ جيشاً نحو عرصته ضاقَ عنه العرضُ والطُّولُ
ملكٌ تجتاحُ صولتُه ونداه الدَّهرَ مبذولُ
قُطِعَتْ عنه تمائمُه فهو مرهوبٌ ومأمولُ

من أبياتٍ.

فإنِّي لمَّا بلغتني هذه القصيدة امتعضتُ للعربيّة، وأنفت المنافية أن يفتخرَ عليها رجلٌ من العجم قتلَ ملكاً من ملوك العرب بسيفِ أخيه لا بسيفِ نفسه، فيفخر عليها ويضع منها، فرددتُ عليه قصيدتَه، ولم أعلم أنَّ الأقدار تُظْفِره بي، فقلت: [من المديد]

لا يَرُعْكَ القالُ والقيلُ كلّما بُلِّغتَ تهويلُ
قاتلُ المخلوعِ مقتولٌ ودمُ القاتل مطلولُ
لا تنجِّيه مذاهبُه نهرُ بُوْشَنجٍ ولا النِّيلُ
بيد[3] المخلوعِ طُلْتَ يداً لم يكن في باعِها طولُ
وبنعماه التي سَلَفَتْ فعلت تلك الأفاعيلُ
يا ابن بيت النّار موقدُها ما لحاديهِ سراويلُ
من حسينٌ من أبوك ومن مصعبٌ غالتهُمُ الغولُ
أسرةٌ ليست مباركةً غيرُها الشمُّ البهاليلُ

من أبياتٍ طويلةٍ.

---

(١) في (خ) و(ف): أبطل، وفي طبقات الشعراء ص٣٠٠: طحن. والمثبت من العقد الفريد ٢/ ١٩٩، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٤٣.

(٢) في (خ) و(ف): المقاليل. وفي الفرج بعد الشدة: المغاويل.

(٣) في طبقات الشعراء ص٣٠٠، والعقد الفريد ٢/ ٢٠٠، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٤٦، ومعجم الشعراء ص٣٥٦: بأخي.

فلمَّا قرب عبد الله[١] بن طاهر استوحشتُ من المقام خوفاً على نفسي، ورأيتُ تسليم نفسي عاراً عليّ، فأقمتُ مستسلماً للأقدار، وأقمتُ جاريةً سوداء في أعلى الحصن، فلم ترعني إلَّا وهي تشهرُ بيدها، وإذا بباب الحصن يدقّ، فخرجتُ وإذا بعبد الله بن طاهر واقفٌ وحدَه، قد انفردَ عن أصحابه، فسلَّمت عليه سلامَ خائفٍ، فردَّ عليَّ ردًّا جميلاً، فأومأتُ لأقبِّل ركابَه، فمنعني بألطف منع، ثم ثنى رجلَه وجلسَ على دكَّةٍ على باب الحصن، ثمَّ قال: سكِّن روعَك، فقد أسأتَ بنا الظنَّ، وما علمنا أنَّ زيارتنا لك تروِّعك، ثمَّ سألني عن مقامي في البرِّ، وإيثاري له على الحضر، وباسطَني، فلمَّا زال رَوعي قال: أنشدني قصيدتَك التي تقولُ فيها:

يـا ابـن بـيـت الـنـارِ مـوقـدُهـا

فقلت: لا تنغِّص إحسانَك، فقال: ما قصدي إلَّا زيادة الأنسِ بك، فامتنعت، فقال: والله لا بدّ، فأنشدتُه القصيدة إلى قوله:

مـا لـحـاديـه سـراويـل

فقال: والله لقد أحصينَا ما في خزائن ذي اليمينين بعدَ موته، فكان فيها ثلاثة آلاف سراويل[٢] من أصناف الثياب، ما في واحدٍ منها تِكَّةٌ، فما حملك على هذا؟ قلت: أنتَ حملتني بقولك:

وأبـي مـن لا كِـفَـاءَ لـه مـن يـسـاوي مـجـدهُ قـولـوا

لما فَخَرْتَ على العرب فَخَرْنا على العجم، فقبل العذرَ، وأظهر العفو، ثمَّ قال: هل لك في الصحبة إلى قتال نصر بن شبث؟ فاعتذرتُ بالعجز عن الحركة ولزومِ المنزل، فأمر بإحضار خمسة مراكب من مراكبه بسروجها ولُجُمِها، محلاةً بالذهب، وثلاثة دوابّ من دوابِّ الشاكريَّة، وخمسة أبغل من بغال الثقل، وثلاث تخوتٍ من الثياب الفاخرة، وخمس بِدَر من الدراهم، ووضع الجميعَ على باب الحصن، واعتذرَ بالسفر فمددتُ يدي لأقبِّل يدَه، فامتنعَ، وسار، فودَّعتُه، وكان ما أعطاهُ يساوي مئة ألف درهم.

---

(١) في (خ) و(ف): يحيى. وهو خطأ.

(٢) في الفرج بعد الشدة ١/ ٣٤٩ : ألفين وثلاث مئة سراويل.

وقال القاضي التنوخي: حَبَسَ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن أسلم، فكتبَ إليه بعضُ إخوانه يسلِّيه ويهون عليه، فأجابه محمد وقال: كتبت إليَّ تعزِّيني، وإنَّما ينبغي لك أن تهنِّيني، رأيتُ العجائب، وعُرضت عليَّ المصائب، إنِّي رأيتُ الله تعالى يتحبَّبُ إلى من يؤذيه، فكيف بمن يُؤذَى فيه، إنِّي دخلتُ بيتاً سقطتْ عنِّي فيه فروضٌ وحقوق، منها الجمعة، والجماعات، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وعيادةُ المرضى، وحضورُ الجنائز، وما نزلتُ بيتاً خيراً لي في ديني منه.

وبلغ ابن طاهر، فقال: نحن في حاجةِ ابن أسلم، أطلقوه[1].

وقال عليُّ بن الحسين الإسكافيّ: كنتُ أكتبُ لبُغا الكبير، فنكبَني واستأصلني، وحبسني وتهدَّدني، فأقمتُ أنتظرُ منه المكروه، فبينا أنا كذلك إذ دخل إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ صاحبُ الشرطة، فأيقنتُ بالعذاب، فقال: لا بأسَ عليك، فإنَّ عبدَ الله بن طاهر قد كاتب بغا فيك، وقد ردَّ عليك ضياعَك وأموالك، فانصرِفْ إلى منزلك، فلمَّا كان بعد ذلك سألتُه عن السبب فقال: كتبَ إليَّ عبدُ الله بنُ طاهر كتاباً يقول فيه: قد كانت كتبُ أخي أبي موسى بغا تَرِدُ عليَّ بمخاطباتٍ توجبُ المؤانسة، وتلزم الشكرَ والمنَّةَ، ثمَّ تغيَّرت، فخطر لي أنَّ ذلك الكاتبَ صُرِفَ ونكب، وحقٌّ لمن أحسنَ عشرتنا، وأكَّدَ المودَّةَ بيننا وبين إخواننا أن يُراعى حقُّه، فصر إلى أخي بغا، وسله في كاتبه أن يردَّه ويردَّ ما أخذَ منه، وإن طالبَه بمالٍ فاحمله من مالنا كائناً ما كان، وقد أمر لكَ الأميرُ عبد الله بن طاهر بمالٍ فاقبضه، قال: فقبضته، وردَّني إلى مكاني[2].

وقال أبو الفضل الربعيّ: لمَّا توجَّه ابنُ طاهر إلى خراسان قصدَه دعبل، وكان ينادمُه في الشهر خمسة عشرَ يوماً، فكان يصلُه في الشهر مئة ألف درهم، وخمسين ألف درهم، في كلِّ يومٍ ينادمه عشرة آلاف درهم، فلمَّا كثرت صِلَاتُه توارى عنه حياءً منه، فنزلَ بعضَ الخانات، وطلبَه فلم يقدِر عليه، فكتب إليه: [من الطويل]

هجرتُك لم أهجرك من كُفر نعمةٍ وهل يُرْتَجى نيلُ الزيادةِ بالكفرِ

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٥٨.
(٢) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٦٢-١٦٣.

ولـكـنَّـنـي لـمَّـا أتـيـتُـكَ زائـراً فأفرطتَ في بِرِّي عَجَزْتُ عن الشكرِ
فـمِـلآنَ لا آتـيـكَ إلا مـعـذِّراً أزوركَ في شهرين يوماً وفي شهرِ
فـإنْ زدتَ فـي بِـرِّي تَـزايـدتُ جـفـوةً ولـم تلقني حتى القيامةِ في حشري

ثم كتبَ دعبل: حدَّثني المأمونُ، عن الرشيد، عن المهديّ، عن المنصور، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي، عن عبد الله بن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «من لا يشكر اللهَ لا يشكر النَّاس[1]، ومن لا يشكرُ القليل لا يشكر الكثير».

فوصله عبد الله بثلاث مئة ألف وانصرف[2].

وقال معافى بن زكريا: أول ما قصد دعبل عبدَ الله أقامَ مدَّةً لم يجتمع به، وضاق ما بيده، فكتب إليه يقول: [من المنسرح]

جـئـتـكَ مـسـتـشـفـعـاً بـلا سـبـب إلـيـكَ إلَّا بـحـرمـةِ الأدبِ
فـاقـضِ ذمـامـي فـإنَّـنـي رجـلٌ غـيـرُ مُـلِـحٍّ عـلـيـك فـي الـطـلـبِ[3]

فبعثَ إليه بعشرة آلاف درهم، وكتب إليه: [من الكامل]

أعـجـلـتـنـا فـأتـاكَ عـاجـلُ بـرِّنـا ولـو انـتـظـرتَ كـثـيـرَه لـم يـقـلـلِ
فـخُـذ الـقـلـيـلَ وكـن كـأنَّـك لـم تـسـلْ ونـكـونُ نـحـن كـأنَّـنـا لـم نـفـعـلِ

ثم نادمه بعد ذلك[4].

---

(١) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ١٩٨ . وفي تاريخ بغداد وتاريخ دمشق: «ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله»، والخبر بهذا الإسناد ضعيف لضعف دعبل، لكن أخرج الترمذي هذه القطعة في سننه (١٩٥٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرج هذا الخبر البغدادي في تاريخه ١١/ ١٦٦-١٦٧ لكن راوي الخبر عنده أحمد بن أبي دؤاد، وأخرجه من طريق الخطيب ابنُ عساكر في تاريخه ٩/ ٤٤٤ (مخطوط) . وانظر النجوم الزاهرة ٢/ ١٩٨ .

(٣) ديوان دعبل ص٦٥ .

(٤) أورد هذا الخبر الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٢ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٥ (مخطوط) والخبر عندهما من رواية العباس بن أحمد بن مجاشع.
وهو في الأغاني ٢٠/ ١٨٤ عن أبي حفص النحوي مؤدب آل طاهر. وفي المصادر المذكورة أن دعبل اعترض عبد الله بن طاهر وقال له الأبيات.
وذكره عن المعافى بن زكريا صاحب النجوم الزاهرة ٢/ ١٩٨-١٩٩ بمثل ما ذكر المصنف.

وقال أبو مُحلِّم عوف بن محلِّم الشاعر: لما خرجَ عبد الله بن طاهر إلى خراسان من بغداد، خرجتُ معه، فكنت أعادله وأسامره، فلمَّا صرنا إلى الرَّيّ، مررنا سحراً، فسمعنا صوتَ الأطيار، فقال عبد الله: لله درُّ أبي كبيرٍ الهُذَليّ حيث يقول: [من الطويل]

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضرٌ وغُصنُكَ ميَّادٌ ففيمَ تنوحُ

ثم قال: يا عوف، أجز، فقلت: [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ غدوةٌ ونزوحُ أما للنوى من وَنْيةٍ فتريحُ
لقد طَلَحَ البينُ المُشتُّ ركائبي فهل أرينَّ البينَ وهو طَلِيحُ[(١)]
وذكَّرني بالرَّيِّ نوحُ حمامةٍ فنحتُ وذو الشجن الحزينِ ينوحُ
على أنَّها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً ونحتُ وأسرابُ الدموع سفوحُ
وناحَتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ومن دون أفراخي مَهامِهُ فيحُ
عسى جُود عبد الله أن يعكسَ النَّوى فيلقي عصا التَّطوَافِ وهي طريحُ
فإنَّ الغنى يُدني الفتى من صديقِه وبُعدُ الغنى للمُقْتِرينَ طَروحُ

فلمَّا سمعَ عبدُ الله هذا قال: أنخ، فوالله لا جاوزتَ هذا المكان حتَّى ترجعَ إلى أفراخك، كم الأبيات؟ قلت: سبعة، فقال: يا غلام، أعطِه سبعينَ ألف درهم، وقيل: مئة ألف درهم، وقيل: مئة ألف، ومركباً، وكسوة، فأخذتُها وودَّعته ورجعتُ[(٢)].

وقال الخطيب: دخل عوف بن محلِّم الشيباني[(٣)] على عبد الله، فسلَّم، فردَّ عبدُ الله، وكان في أذن عوف ثقلٌ فلم يسمع، فأخبر فارتجل في الحال: [من السريع]

يا ابن الذي دانت له المشرقان طرّاً وقد دانتْ له المغربانْ
إنَّ الثمانين وبُلِّغتَها قد أحوجتْ سمعي إلى تَرجُمانْ
وبدَّلتني بالشَّطاط الحَنَى وكنتُ كالصَّعدة تحت السِّنانْ
ولم تدع فيَّ لمستمتعٍ إلَّا لساناً وبحسبي لسانْ[(٤)]

(١) طلح أي: أتعب. القاموس (طلح).
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٥-١٦٦، تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٧ (مخطوط) والرواية هنا جمع فيها بين أكثر من خبر.
(٣) في تاريخ دمشق: الخزاعي. وانظر معجم الأدباء ١٦/ ١٣٩.
(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٦ (مخطوط) من طريق الخطيب البغدادي.

وقال أحمد بن يزيد السلمي: كان عبد الله بن طاهر بالرقَّة، فبعثَ إليه عبد الصَّمد بن الصمت بن مروان بن أبي حفصة بأبياتٍ، فأرسَلَ إليه ابنُ طاهر بعشرينَ ألف درهم، فقال: [من الطويل]

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنَا ... ببغدادَ من أرضِ الجزيرةِ وابلُهْ
ونعمَ الفتى والبيدُ دونَ مزارِه ... بعشرينَ ألفاً صبَّحتنَا رسائلُهْ
وكنَّا كحيٍّ صَبَّحَ الغيثُ أهلَهُ ... ولم ينتجع أظعانهُ وحمائلُهْ
أتى جودُ عبدِ الله حتى كَفَتْ به ... رواحلَنا سيرَ الفلاة رواحلُه

وأحسن من هذا قول القائل: [من الطويل]

جَزَى الله خيراً والجزاءُ بكفِّه ... بني السمطِ إخوانَ السماحةِ والحمدِ
أتاني وأهلي بالعراق حباؤهم ... كما انقضَّ غيثٌ في تهامةَ من نجدِ(١)

ولما وصلَ ابنُ طاهر إلى مرو جلس في قصر الإمارة، فدخل عليه أبو يزيد الشاعر فقال: [من البسيط]

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتفِقاً ... في قصر مروٍ ودَعْ غُمدَان لليمنِ
فأنت أولى بتاجِ الملكِ تلبسُه ... من هَوْذة بن عليٍّ وابن ذي يَزَنِ(٢)

فأعطاه عشرين ألفاً. ويقال: إنَّه أنشده: [من الطويل]

يقول رجالٌ إنَّ مروَ بعيدةٌ ... وما بَعدَتْ مروٌ وفيها ابنُ طاهرِ(٣)

ومما يُنسَبُ إلى ابن طاهر من الشعر أنَّه كتب إلى المعتصم وهو يريد عَمُّوريَّة هذه الأبيات: [من البسيط]

إنَّ التي أمطرت بالبَذِّ صوت ردى(٤) ... باتت تألَّقُ بالقاطولِ للروم
إنَّ الفتوحَ على قدرِ الملوك وهِمـ ... ـمات الولاة وإقدام المقاديمِ(٥)

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٩-٤٥٠ (مخطوط).
(٢) الكامل للمبرد ٢/ ٥٣٧، والعقد الفريد ١/ ٣٢٢، والأغاني ١٧/ ٣١٧.
(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٤٥١ (مخطوط).
(٤) في (خ) و(ف): إن التي أمطرت بالبيد صوت ندى.
(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٤٤١ (مخطوط).

وممَّا يُنسبُ إليه قولُهُ: [من الطويل]

يبيتُ ضجيعي السيفُ طوراً وتارةً ... يعضُّ بهاماتِ الرجالِ مضاربُهْ
أخو ثقةٍ أرضاه في الروعِ صاحباً ... وفوقَ رضاه أنَّني أنا صاحبُهْ
وليسَ أخو العلياء إلَّا فتًى له ... بها كَلَفٌ ما تستقرُّ ركائبُه
إذا ما دعا داعي السلاحِ وجدتني ... منيعاً به كالحتف يخرم جانبه[١]

وقال: [من الخفيف]

ليس في كلِّ ساعةٍ وأوان ... تتهيَّا صنائعُ الإحسانِ
فإذا أمْكَنَتْ فبادرْ إليها ... حذراً من تعذُّرِ الإمكانِ[٢]

قال ابن عساكر: وقال أيضاً[٣]: [من البسيط]

نبَّهتُه وظلامُ الليل منسدِلٌ ... بين الرياض دفيناً في الرياحينِ
فقلت خُذ قال كفِّي لا يطاوعني ... فقلتُ قم قال رِجلي لا تواتيني
إنِّي غَفَلْتُ عن الساقي فصيَّرني ... كما تراني سليبَ العقلِ والدين[٤]

وقال[٥]: [من الطويل]

إذا كنتم للناس أهل سياسةٍ ... فسوسوا كرامَ الناس بالبرِّ والفضلِ
وسُوسوا لئامَ الناسِ بالذُّلِّ[٦] يصلُحوا ... على الذلِّ إنَّ الذلَّ يَصْلُحُ للنذلِ

وقال[٧]: [من الطويل]

إلى كم يكونُ العتب في كلِّ ساعةٍ ... وكم لا تملِّين القطيعةَ والهَجْرَا
رويدكِ إنَّ الدهرَ فيه كفايةٌ ... لتفريقِ ذاتِ البين فانتظري الدهرَا[٨]

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٢ (مخطوط) ـ والأبيات فيه ـ: يحرم خائنه.
(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٤٥٢ (مخطوط).
(٣) في (ب): وحكى الحافظ ابن عساكر عن أبي عبد الرَّحمن السلمي قال: ومن شعره.
(٤) في (خ) و(ف): لا الدين. والمثبت من (ب)، وتاريخ دمشق ٩/ ٤٥٢ (مخطوط).
(٥) في (ب) وقال الحافظ ابن عساكر: ومن شعره.
(٦) في تاريخ دمشق ٩/ ٤٥٢: بالنبل.
(٧) في (ب): قال: ومن شعره أيضاً.
(٨) تاريخ دمشق ٩/ ٤٥١ (مخطوط).

وكتب[١] إلى ابنِ الزيَّات يقول: [من المنسرح]

أَحُلْتَ عمَّا عهدتُ من أدبكْ ... أم نِلْتَ ملكاً فتهتَ في كُتبكْ
أم قد ترى أنَّ في ملاطفة الـ ... إخوانِ نقصاً عليك في أدبِكْ
وإن جفاني كتابُ ذي مِقَةٍ ... يكون في صدره وأمتَعَ بكْ
أتعبت كفَّيك في مكاتبتي ... حسبُك ما لقيتَ في تعبكْ

فكتب إليه ابنُ الزيَّات: [من المنسرح]

كيفَ أخونُ الإخاءَ يا أملي ... وكلُّ شيءٍ أنالُ من سببكْ
إن يك جهلٌ أتاكَ من قبلي ... فعُدْ بفضلٍ عليَّ من حَسبكْ
أنكرتَ شيئاً ولستُ فاعلَه ... وإن تَراه يُخَطُّ في كُتبكْ
فاعفُ فدتكَ النفوسُ عن رجلٍ ... يعيشُ حتى المماتِ في أدبكْ[٢]

ذكر وفاته

[اختلفوا فيها على قولين؛ أحدُهما في سنة تسعٍ وعشرين ومئتين، والثاني في سنة ثلاثين ومئتين][٣] لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من ربيع الأول[٤].

[واختلفوا في أيِّ مكان توفي، فقال أبو حسان الزيادي:] مات بمرو، [وقال ابن خزيمة والطبريُّ والحاكم والخطيب والمَرْزُبانيُّ: مات:][٥] بنيسابور بمرض الحلق، ودُفن بها[٦].

وقال محمد بن منصور البغدادي: دخلت عليه في مرض وفاته، فقلت: السلامُ عليك أيُّها الأمير، فقال: لا تقل كذا، ولكن قل: أيُّها الأسير[٧].

---

(١) من هنا إلى ذكر وفاته ليس في (ب).
(٢) العقد الفريد ٤/ ١٨٢.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): توفي.
(٤) بعدها في (خ) و(ف): هذه السنة، وقيل في سنة تسع وعشرين.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.
(٦) تاريخ الطبري ٩/ ١٣١، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٨.
(٧) تاريخ دمشق ٩/ ٤٥٣ (مخطوط).

وكان قد تابَ قبل موته، وكسرَ الملاهي، وعمَّر الرُّبُط بخراسان، ووقفَ الأوقاف، وتصدَّقَ بالأموال الجليلة، وبعث إلى الحرمين بمالٍ عظيم واستفكَّ أُسارى بألفي ألف درهم.

ومرضَ ثلاثة أيام، وزعمَ قومٌ أنَّه مات بالشام، وهو وهمٌ، فإنَّ الرواياتِ مجمعةٌ على أنَّه ماتَ بنيسابور ليلةَ الجمعة بعد أشناس بسبعةِ أيَّام، وعمرهُ سبع أو ثمان وأربعون سنة، وكان خراجُ المواضع التي تحت يده يومَ مات ثمانيةٌ وأربعونَ ألفَ ألف درهم، وكان ينفقُ أضعافَ هذه على أبواب البرِّ والعلماءِ والقُصَّاد والشعراء.

وكان ولده محمد من الأجواد، توفي ببغداد[1] سنةَ سبعٍ وعشرينَ ومئتين، وصلَّى عليه المعتصم [في دار محمد][2].

وكان خليفة عبد الله ببغداد وسُرَّ من رأى وكور دجلة إسحاقُ بن إبراهيم المصعبي.

ورثاهُ جماعةٌ منهمُ الحسنُ بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وهو القائل:

[من الكامل]

هيهاتَ أن يأتي الزمان بمثله   إنَّ الزمانَ بمثله لبخيلُ[3]

أسند عبدُ الله عن أخيه وأبيه[4]، وجعفر بن يحيى بن خالد، والمأمون، ووكيع بن الجرَّاح، وغيرهم، وروى عنه يحيى بن خلَّاد[5]، وإسحاق بن إبراهيم الحنظليّ، ونصر بن زياد القاضي في آخرين.

وفي الرواة جماعةٌ منهم

---

(١) في (ب): وكان له ولدٌ ببغداد، اسمه محمد بن عبد الله بن طاهر توفي ببغداد....

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وبعدها فيها: وكان من الأجواد. انتهت ترجمة عبد الله بن طاهر، والحمد لله رب العالمين، السنة الحادية والثلاثون بعد المئتين.

(٣) في تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٥ (مخطوط) أن الذي قال هذا البيت لما بلغه موت عبد الله هو محمد بن عبد الله بن منصور. والبيت لأبي تمام. انظر ديوانه ٤/ ١٠٢ .

(٤) في تاريخ دمشق ٩/ ٤٤١ : وحدَّث عن ابنه.

(٥) في (خ) و(ف): حماد. والمثبت من تاريخ دمشق.

عبد الله بن طاهر بن يحيى العلوي

قال التنوخي: كان يحجُّ في كلِّ عامٍ رجلٌ خراسانيٌّ، فيدفع إليه مئتي دينار، فجاءه رجلٌ من أعداء ابنِ طاهر في بعض السنين، وقال: أنت تعطيه مالك، وهو ينفقُه فيما لا يرضي الله، فتصدَّقَ الخراسانيُّ بالدنانير، وجعل في العام الثاني والثالث كذلك، فرأى النبيَّ ﷺ في النوم يقول له: ويحكَ، سمعتَ في ابني عبد الله بن طاهر كلامَ عدوِّه، اذهب فأوصل إليه ما قطعتَه عنه، قال الخراسانيُّ: فانتبهتُ فزعاً، وأخذت ستّ مئة دينار، وأتيت ابنَ طاهر، وهو بمسجد المدينة في حلقة، فسلَّمتُ عليه، فقال: رأيتَ جدِّي في المنام، وعاتَبك، هات الست مئة دينار التي أمرك بحملها عوضاً عما فاتني، وأدخل يده في كمِّي، فأخذها، وقال: رأيتُ جدي في المنام وهو يقول لي: قد عتبت على الخراساني، وهو يأتيك الآن، وفي كمِّه الدنانير، فخذها[1].

ومنهم

عبدُ الله بن طاهر

ابن محمد بن كاكو الواعظ، ولد بصور، أنشدَ عن أبي إسحاق الشيرازيّ:

عـزيـزٌ عـلـى مـهـجـتـي غـرَّنـي ... وسـلَّـم لـي الـوصـلَ واسـتـسـلَـمـا[2]

فـلـمَّـا تـمـلَّـكـنـي واحـتـوى ... عـلـى مـهـجـتـي سـلَّ مـا سـلَّـمـا

ولمَّا مات ابنُ طاهر بن الحسين نظرَ الواثقُ من يولِّي مكانَه بخراسان، فقال له ابن أبي دؤاد: ولِّ طاهراً ابنه، واربح إنفاق الأموال وإنفاذَ الجيوش، ويتحدَّثُ الناسُ بوفائِكَ، فولَّاه[3].

عليّ بن الجعد بن عبيد

أبو الحسن الجوهريُّ، مولى أم سلمة امرأة السفاح، وقيل: مولى بني هاشم[4].

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٧٩-٢٨١، والقصة فيه عن طاهر بن يحيى العلوي!؟.

(٢) في تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٥ (مخطوط) - وفيه ترجمته -: وألبسني الهجر إذ سلما.

(٣) المنتظم ١١/ ١٥١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٣٤٠.

ولد سنة أربع وثلاثين ومئة، وقال إبراهيم بن محمد بن عرفة: كان عليٌّ بن الجعد أكبرَ من بغداد[(١)] بعشر سنين.

ولمَّا أَحضرَ المأمونُ أصحابَ الجوهر ناظرهم[(٢)] على متاعٍ كان معهم، ثمَّ نهضَ المأمونُ لحاجته وعاد، فقامَ له كلُّ من في المجلس إلَّا ابن الجعد، فنظر إليه المأمون كهيئة المُغْضَب، ثم استخلاه وقال له: يا شيخ، ما منعكَ أنْ تقومَ لي كما قام أصحابُك؟ قال: أجللتُ أميرَ المؤمنين للحديث الذي نأثره عن رسول الله ﷺ، قال: وما هو؟ قال عليّ: سمعت المباركَ بن فَضَالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يتمثَّل له الناسُ قياماً فليتبوَّأ مقعدَه من النار». فأطرقَ المأمونُ ساعةً وقال: لا يُشترى لنا إلَّا من هذا الشيخ، فاشترى منه بقيمة ثلاثين ألف دينار[(٣)].

وقال الخطيب: كان عليٌّ يصومُ يوماً ويفطر يوماً، أقام على ذلك سبعين سنة. وتوفي في رمضان، وقيل: في رجب، ودفن بباب حرب، وله ستٌّ وتسعونَ سنة.

سمع سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وشعبة، وغيرهم. وكتب عنه الإمامُ أحمد، وابنُ معين، والبخاريُّ، ومسلم[(٤)]، وغيرهم، واختلفوا فيه فقال ابن معين: هو ثقةٌ صدوقٌ، وروي عن الإمام أحمد رحمة الله عليه أنَّه نَهى أنْ يُسمَع عنه؛ لأنَّه بلغه عنه أنَّه يتناولُ بعضَ أصحابه، ويقول: من قال: إنَّ القرآنَ مخلوق، لم أعنفه.

وقال الخطيب: ذُكر عنده قولُ عبد الله بن عمر ﵄: كنَّا نُفاضلُ بين الصحابة، ونقول: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر وعثمان، ويبلغُ النبيَّ ﷺ ذلك فلا ينكره، قال ابن الجعد: انظروا إلى هذا الصبي الذي لا يحسنُ أن يطلِّق امرأتَه، كيف يقول: كنَّا نفاضل.

---

(١) في (خ) و(ف): أكبر من في بغداد. وهو خطأ. والتصويب من تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٢.

(٢) في (خ) و(ف): شاطرهم. والتصويب من تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٥٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٢، والحديث مرسل. لكن أخرجه الإمام أحمد (١٦٨٣٠)، (١٦٨٤٥)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﵁، وإسناده صحيح.

(٤) لم يذكروا لمسلم روايةً عنه. انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٤٠.

وقد اعتذر عنه إبراهيم الحربيُّ قال: إنَّما حَكى قولَ عمر بن الخطاب عن ابنه عبد الله، وإلَّا فالرجلُ لا يُشَكُّ في فضلِه وثقته وصدقه.

محمد بن سعد

ابن مَنِيع بن عبد الله[١]، أبو عبد الله، مولى بني هاشم، كاتب الواقديّ، صاحبُ الطبقات والمغازي والسير وأيام الناس.

وقيل: هو مولى الحسين بن عبد الله [بن عبيد الله][٢] بن العباس بن عبد المطلب.

كان إماماً عالماً فاضلاً، حسن التصانيف، من أهل الفضل، صنَّفَ كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والعلماء إلى وقته، فأجادَ فيه وأحسن.

وقال إبراهيم الحربيّ: كان أحمد بن حنبل يوجِّه في كل جمعة بحنبل بن إسحاق إلى محمد بن سعد، يأخذُ منه جزأين من حديث الواقدي، ينظرُ فيها إلى الجمعة الأخرى، ثم يردهما ويأخذ غيرهما.

توفي محمدُ بن سعد ببغداد يوم الأحد لأربعٍ خلونَ من جمادى الآخرة، وهو ابنُ اثنتين وسبعين[٣] سنة، ودفن بمقبرة باب الشام.

أسند عن سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، ووكيع بن الجراح، وخلقٍ من الأئمة، وروى عنه جمٌّ غفير.

واتَّفقوا على صدقه وثقته وفضله، إلا ابن معين لأنَّه تكلَّم فيه، والله تعالى أعلم[٤].

محمد بن يَزْدَاد بن سُويد المروزيّ

أحدُ كتَّاب المأمون ووزرائه، كان فاضلاً أديباً، توفي بسُرَّ من رأى في ربيع الأول.

---

(١) قوله: بن عبد الله. لم أقف عليه في مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٩/ ٣٦٨.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفي طبقات ابن سعد ٩/ ٣٦٨، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٦٨ وغيرها: وهو ابن اثنتين وستين.

(٤) انظر ترجمته ـ إضافة إلى المصادر السابقة ـ في المنتظم ١١/ ١٦١-١٦٢، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٥٥ـ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٤.

قال: دخلتُ على المأمون وبيده قرطاس، فقال لي: يا محمد، هل تعلم ما في هذا القرطاس؟ قلت: كيف أعلمُه وهو في يد أمير المؤمنين؟! فقال: خذه، فأخذته، فإذا فيه: [من السريع]

إنَّـك فـي دارٍ لـهـا مـدَّةٌ ... يُـقْـبَـلُ فـيـهـا عـمـلُ الـعـامـلِ
أمـا تَـرى الـمـوتَ مـحـيـطـاً بـهـا ... يَـقْـطَـعُ فـيـهـا أمـلَ الآمـلِ
تـعـجِّـلُ الـذنـب لِـمـا تـشـتـهـي ... وتـأمـلُ الـتـوبـةَ فـي قـابـلِ
والـمـوتُ يـأتـي بـعـد ذا بـغـتـةً ... مـاذا بـفـعـل الـحـازم الـعـاقـلِ[1]



(١) تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٥٢-٢٥٣ (طبعة مجمع اللغة).
ومن قوله ص٤٠٦: وكان خليفة عبد الله ببغداد وسرَّ من رأى . . . إلى هنا ليس في (ب).

السنة الحادية والثلاثون بعد المئتين

فيها كانت وقعةُ أهل المدينة مع بني سليم(١)، وقد ذكرنا أنَّ بُغا التركيّ لمَّا ظهر على بني سُلَيم حملهم إلى المدينة، وحبسَهم في دار يزيد بن معاوية، وكانوا نحو ألف رجل، وقيل: ألف وست مئة، أو ثلاث مئة، فأقاموا مقيَّدين، موكَّلٌ بهم حفظة، فنقبوا الدارَ ليخرجوا منها، فرأتهم امرأةٌ، فصاحت، فجاءَ أهلُ المدينة، فوجدوهم قد وثَبوا على الموكَّلين، فقتلوا منهم رجلاً أو رجلين، وأخذوا سلاحهم، واجتمعَ عليهم أهل المدينة ـ وكان عليها يومئذٍ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمي ـ وكانوا وَثبوا عشيَّة الجمعة، فباتُوا محصورين، فلمَّا كان يوم السبت باكروا للقتال، وكان عُزيزة بن قطَّاب يحمل ويقول: [من الرجز]

لا بـدَّ مـن زحـمٍ وإنْ ضـاقَ الـبـابْ   إنِّـي أنـا عُـزيـزة بـن قـطَّـابْ
الـموتُ خيرٌ للفتى من العابْ(٢)

وكان قد فكَّ قيدَه من رجله، فقتل، وقُتِل بنو سليم بأسرهم، وقَتَلَ السودانُ من لقوا من الأعراب بأزقَّة المدينة ممَّن جاء يمتار ويزور.

وكان بغا لمَّا حجَّ في السنة الماضية خرجَ فأقام بذي عرق، وأخذَ جماعةً من بني هلال من المفسدين، ورجع إلى مكَّة فاعتمرَ أول المحرم، ثمَّ انصرفَ إلى المدينة، فلمَّا قدمَها ووجدَ أهلَها قد قتلوا بني سليم شَقَّ عليه ووجد وجداً عظيما، وكان البوَّابُ قد أخذَ منهم ألفَ دينار ليفتحَ لهم الباب، فعجَّلوا قبل ميعاده، وكانوا يرتجزون:

الـموتُ خـيرٌ لـلـفـتـى مـن الـعـار   قـد أخـذَ الـبـوَّابُ ألـفَ ديـنـار

وقيل: إنَّ عزيزةَ لم يقتلْ في المعركة، وإنما اختبأ في بئر، فدخلَ عليه رجلٌ من أهل المدينة فقتلَه فيها(٣).

---

(١) لم يذكر في (ب) تفصيل الخبر، وذكر بعدها: وفيها قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي، وسنذكره في موضعه.

(٢) في (خ) و(ف): العذاب. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٣٣ ، والعيب والعاب بمعنى. وبعدها في تاريخ الطبري: هذا وربي عملٌ للبوَّاب.

(٣) من قوله: وقد ذكرنا أن بغا التركي . . . إلى هنا ليس في (ب).

وفيها عزم الواثق على الحجّ، وبعثَ عمر بن فرج الرُّخَّجيّ لإصلاح المناهل، فرجع وأخبرَه أنَّ الطريق قليلُ الماء، فتركه(١).

وفيها ولَّى الواثقُ جعفَر بن دينار اليمن، فخرجَ إليها في شعبان في أربعة آلاف فارس، وقيل: في ستة آلاف فارس(٢).

وفيها ولَّى الواثق إسحاقَ بن إبراهيم بن أبي حفصة(٣) مولى بني قُشَير على اليمامة والبحرين وطريق مكة ممَّا يلي البصرة، وعقدَ له محمدُ بن عبد الملك الزيَّات في دارِ الخلافة، ولم يعقدْ لأحدٍ سواه فيها(٤).

وفيها رَأى الواثقُ في المنام بأنَّه قد فُتِحَ سدُّ يأجوج ومأجوج، فانتبهَ فزِعاً، وبعثَ إلى السدِّ سلام الترجمان [وقد ذكرنا القصة في صدر الكتاب في قصة ذي القرنين.](٥)

وفيها فَادَى(٦) الواثقُ أسارى المسلمين على يدِ خاقان خادم الرشيد، وكانوا أربعةَ آلاف وثلاثة(٧) وستين مسلماً، فكان الفداءُ على نهر في بلاد الروم يقال له: اللامس، قريب من سَلُوقِيَة، وسَلُوقِيَة من طَرَسُوس على يومين، فاجتمَع الروم والمسلمون عليه يوم عاشوراء، فقال أحمد بن أبي دؤاد: امتحنوا الأسارى، فمن قال: إنَّ القرآن مخلوق، فخلِّصوه وأعطوه دينارين، ومن أبى دعوه بحاله في الأسر، فأجابَ معظمُ القوم للقول بخلق القرآن خوفاً من إعادتهم إلى الأسر، ورجع البعض، وكان ابنُ أبي دؤاد قد بعث من أصحابه يحيى بن آدم الكَرْخيّ وجعفر بن الحذاء(٨)، وأمرَهما

---

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠، والكامل ٧/ ٢٣، والمنتظم ١١/ ١٦٣: فبدا له.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠، والكامل ٧/ ٢٣ أنه كان معه أربعة آلاف فارس وألفي راجل.

(٣) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٥٨. وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠، والمنتظم ١١/ ١٦٤: بن أبي خميصة. وهو الصواب.

(٤) من قوله: وفيها ولى الواثق جعفر . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). ووقع فيها بعدها: وفيها حج بالناس سليمان (كذا) بن داود. السنة الثانية والثلاثون بعد المئتين.

(٦) في (خ) و(ف): قاد.

(٧) كذا في (خ) و(ف)، ولعلها: وثلاث مئة. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٢، وفيه: أربعة آلاف وثلاث مئة واثنتين وستين.

(٨) في (خ) و(ف): يحيى بن آدم الكردي ورجع بن الحداد. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٢.

بامتحان الأسارى، وكان ملكُ الروم ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل بن اليون بن جرجس، وهو الذي بعثَ يطلبُ الفداء من الواثق، وعقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ على الثغور والعواصم، وأمره أن يَحضُرَ الفداء، فحضره، وقالت الروم: لا نأخذُ امرأةً ولا شيخاً ولا صبيًّا، ثمَّ رضوا بعد ذلك بفداء نفسٍ بنفس، ولم يقع فداء بين المسلمين والروم من[1] زمن محمد الأمين في سنة أربعٍ وتسعين ومئة إلَّا هذا.

وحجَّ بالناس محمد بن داود.

وفيها توفي

أحمدُ بن نصر

ابن مالك بن الهيثم بن عَوف بن وَهْب بن عَمِيرة، أبو عبد الله الخُزاعيّ، من ولد عمرو بن لحيّ أول من بحرَ البحيرة، وسيَّب السائبة.

ومالك بن الهيثم أحد نُقباء بني العباس في ابتداء دولتهم، وسُوَيقةُ نصرٍ ببغداد تنسب إلى نصر بن مالك.

وكان أحمد من كبار العلماء والزهَّاد، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قوَّالاً بالحقّ، قتله الواثق في هذه السنة، واختلفوا في سبب قتله، قال الصوليّ: كان أحمد ابن نصر وسَهْل بن سلامة حين كان المأمونُ بخراسان بايعا النَّاسَ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن دخلَ المأمونُ بغداد، فترفَّقَ بسهل حتى لبس السواد وأخذ الأرزاق، ولزم أحمد بيتَه، ثمَّ اجتمع إليه في آخرِ أيَّام الواثق خلقٌ كثيرٌ يأمرون بالمعروف إلى أن ملكوا بغداد، وتعدَّى رجلانِ من أصحابه يقال لأحدهما: طالب في الجانب الغربي، والآخر أبو هارون في الجانب الشرقي، وكانا موسرين، فبذَلا الأموالَ، وعزمَا على الوثوب ببغداد في شعبان من هذه السنة، فنمَّ عليهما قومٌ إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فأَخذَ أحمد بن نصر وأصحابه طالباً وأبا هارون،

(١) في (خ) و(ف): في. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٤٢.

فقيدهم[١]، ووجد في [منزل أحدهما[٢]] أعلاماً، وضَربَ خادماً لأحمد بن نصر، [فأقرَّ أنَّ][٣] الرجلين كانا يأتيان أحمد بن نصر في منزله ليلاً فيعرِّفانه ما فعلا، وكان يصوِّبُ ذلك، فبعثَ بهم إلى الواثق مقيَّدين إلى سُرَّ من رأى فحبسَهم.

وقال الطبريُّ: كان أحمدُ بن نصر يغشاه أصحابُ الحديث، كيحيى بن معين وأصحابه، وأبي خيثمة وغيرهما، وكان يظهرُ المباينةَ لمن يقول بخلق القرآن، مع منزلةِ أبيه في دولة بني العباس، ولما شاع عن الواثق القولُ بخلق القرآن كان أحمد يقول عن الواثق: قال هذا الخنزير، وفعل الخنزير، وقال الكافر، ونحو ذلك، وكان يغشاهُ رجلٌ يعرف بأبي هارون السرَّاج، وآخر يقال له: طالب، وآخر من أهل خراسان، واجتمع أصحاب الحديث وغيرهم إليه، وحملوه على إظهارِ الإنكار بخلق القرآن، وتواعدوا على الوثوب ببغداد، طالبٌ في الجانب الغربي وأبو هارون في الجانب الشرقيّ، وفرَّقوا الأموالَ في الناس، وتواعدوا على الخروج ليلة الخميس لثلاث خلون من شعبان، فلمَّا كان عشية الثلاثاء، جلس جماعةٌ يشربونَ الخمر فثملوا، وظنُّوها ليلة الخميس، فضربوا الطبل، فلم يجبهُم أحد، وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد، وخليفتُه بها أخوه محمد بن إبراهيم، فبعثَ إليهم من سألهم عن القصَّة، فأكثروا، فنمَّ عليهم رجلٌ يقال له: عيسى الأعور، فأخذَهم محمد وقيَّدهم بقيودٍ ثقال، وبعثَ بهم إلى الواثق، وكانوا ستةً[٤]، أحمدُ بن نصر، وأبو هارون، وطالب، والخراساني، وخصيين، فحُمِلوا إلى سامرَّاء على بغال بغير أُكُف، وكان خروجُهم من بغداد يوم الخميس لليلةٍ بقيت من شعبان هذه السنة.

ذكر مقتله:

قال الصولي: جلس لهم الواثق، وقال لأحمد: دعْ عنك ما أحدثت من الخروج

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١: فقيدهما. وهو الصواب، يريد أنه قيد طالباً وأبا هارون.

(٢) في (خ): منزلهما. وفي (ف) بياضٌ يتسع لكلمتين. والمثبت بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١.

(٣) في (خ) و(ف): بياض والمثبت من تاريخ بغداد.

(٤) الستة كما في تاريخ الطبري ٩/ ١٣٧ هم: أحمد بن نصر، وخصيين وابنين له ورجل ممن كان يغشاه يقال له: إسماعيل بن معاوية بن بكر الباهلي.

على السلطان، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق، قال: أفترَى ربَّك يوم القيامة؟ قال: نعم، كذا وردت الأخبارُ ونطق القرآن، فقال: ويحك يرى كما يُرى الجسمُ المحدود، ويحويه مكان ويحصره الناظر؟! أنا أكفرُ بربٍّ هذه صفته، ثم قال للحاضرين: ما تقولون فيه؟ قال عبد الرَّحمن بن إسحاق ـ وكان قاضياً على الجانب الغربي من بغداد ثم عزل ـ : [هو حلالُ الدَّم][1]، ووافقه جماعةُ الفقهاء، فأظهر أحمد ابن أبي دؤاد الكراهيةَ لقتله، وقال: شيخٌ كبيرٌ مختلٌّ، لعلَّ به عاهة، ويؤخِّر أمره ويستتاب. فقال الواثق: ما أُراه إلا مؤذناً بالكفر، قائماً بما يعتقده منه، ودعا بالصَّمصامة، وقال: إذا قمت إليه لا يقومنَّ أحدٌ معي، فإنِّي أحتسبُ خطايَ إلى هذا الكافر، ثم أمرَ بالنِّطع، فجلسَ عليه وهو مقيَّد، وأمرهم بشدِّ رأسِه بحبل، وأمرَهم أن يشدوه[2]، ومشى إليه فضربَ عنقَه، وأمر بحمل رأسِه إلى بغداد، فنُصِب في الجانب الشرقيِّ أيَّاماً وفي الجانبِ الغربيِّ أيَّاماً، ثم تتبَّع أصحابَه فحبسوا.

وقال الطبريُّ: لما حُمِل أحمد وأصحابه إلى سُرَّ من رأى، جلسَ لهم الواثقُ جلوساً عامّاً، فلما دَخلوا عليه قال له: يا أحمد، ما تقولُ في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أفترى ربَّك يومَ القيامة؟ قال: نعم كذا جاءت الآثارُ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّكم لترونَ ربَّكم يوم القيامة»[3] الحديث، وذكر له أحاديث، فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك، انظر ما تقول، قال: أنت أمرتني بهذا، فخاف إسحاق وقال: أنا أمرتك، قال: نعم، أمرتَني أن أنصحَ لأمير المؤمنين، ومن نصحي له ألَّا يخالفَ حديثَ رسول الله ﷺ ، فقال الواثق: ما تقولونَ فيه؟ فقال عبد الرَّحمن بن إسحاق: هو حلالُ الدم، وقال الأرمنيُّ صاحب ابن أبي دؤاد: اسقني دمه، فقال ابن أبي دؤاد: يحبسُ ويستتاب، وأحمد قد استقتل[4] وتنوَّر، فدعَا الواثق بالصَّمصامة التي كانت لعمرو بن معد يكرب، وقام ومشى إليه، وضرب على رأسه، ثم ثنى على حبل العاتق، وانتضى

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١.

(٢) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١ ـ والخبر فيه من طريق الصولي ـ: يمدوه.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٨٢٤) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) وغيرهم من حديث جرير بنحوه.

(٤) في (خ) و(ف): استقبل. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٧.

سيما الدمشقيُّ سيفَه، فضربَ عنقه.

وقيل: إنَّ بغا الشرابي ضربَه ضربةً أخرى، وحمل إلى حظيرة بابك، فصلب[١] بها، وقيداه في رجليه، ثم بُعِثَ رأسُه إلى بغداد، فنُصب، وفي أذنه ورقةٌ بخطِّ محمد بن عبد الملك الزيات مضمونها: هذا رأسُ المشرك الضالِّ أحمد بن نصر، قتله الله على يدي هارون الإمام الواثقِ بالله، أمير المؤمنين، بعدَ أن أقام الحجَّة عليه في خلقِ القرآن و[نفي][٢] التشبيه، وعرض عليه التوبة، فأبى إلَّا المعاندةَ والتصريح بالكفر، والحمدُ لله الذي عجَّله إلى ناره وأليم عقابه، وإنَّما قتله أمير المؤمنين لما أصرَّ على كفره.

وقال إسماعيل بن خلف: لمَّا قال الواثق لأحمد بن نصر: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله تعالى، قال: كذبت، قال: لا، بل كذبت أنت، فعلقت بعنقه، فقال: جُرُّوه، فجرُّوه، فقطَعوا رأسَه.

والمشهورُ أنَّ الواثق قتله بيده، وساعده سيما الدمشقيّ، وهرثمة، وصلبَه إلى جانب بابك، وبعثَ برأسه إلى بغداد، فنصبَه، فأقام ستَّ سنين، ثم حُطَّ، وجمعوا بين رأسه وجسده، ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية، يوم الثلاثاء لثلاثٍ خلونَ من شوال سنة سبع وثلاثين ومئتين[٣].

وقال إبراهيم بن إسماعيل بن خلف: كان أحمد بن نصر خِلِّي، فلمَّا قتل في المحنة وصُلِبَ رأسُه أخبرتُ أنَّ الرأسَ يقرأُ القرآن، فمضيتُ فبتُّ بقرب الرأس، وعنده رجَّالةٌ وحرسٌ يحفظونَه، فلمَّا هدأتِ العيون سمعت الرأس تقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ الآيات [العنكبوت: ١-٢] فاقشعرَّ جلدي، ثم رأيتُه بعد ذلك في المنام وعليه السندسُ الأخضر والإستبرق، وعلى رأسه تاج، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنَّة، إلَّا أنِّي كنتُ مغموماً منذ ثلاثة أيام، قلت: ولم؟ قال: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ، فلمَّا وصلَ إلى خشبتي حوَّل وجهَه عنِّي، فقلت: يا رسولَ الله. قُتِلْتُ على حقٍّ أم على باطل؟ قال: على الحق، قلت: فلم حَوَّلتَ وجهَك عنِّي؟ قال: قتلكَ

(١) في (خ) و(ف): حصيرة بابك، فطلب... وهو تحريف. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٨.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٣٩.
(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٥.

رجلٌ من أهل بيتي، فلمَّا بلغتُ إليك استحييتُ منك[١].

وقال أبو بكر المطوعيّ: لما جيء برأس أحمدَ بن نصر إلى بغداد صَلبوه على الجسر، فكانت الريحُ تديره قِبَلَ القبلة، فأقعدوا رجلاً معه رمحٌ يردُّه به إلى غير القبلة[٢].

وكان قتله يوم السبت غُرَّة رمضان، وله ثمانون سنة، وقيل: نيف وسبعون سنة.

وقال الخطيب: رُؤي في المنام، فقيل له: ما فَعلَ الله بك؟ فقال: ما كانت إلا غفوةٌ حتى لقيتُ الله ينظرُ إليَّ[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: رحمَ اللهُ أحمدَ بن نصر، ما كان أسخاه، لقد جادَ بنفسه.

وقال ابنُ معين: نَادى الواثقُ بعد مقتل أحمد بن نصر: من قال بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وأنَّ الله لا يرى، فله ديناران.

وقال أحمد بن نصر: رأيت مجنوناً قد صُرِعَ، فقرأتُ في أذنه، فنادتني جنيَّته من جوفه: يا أبا عبد الله، دعني أخنقُه، فإنَّه يقول: إنَّ القرآنَ مخلوق[٤].

وقال أبو العباس بن سعيد المروزي: لمَّا ولي المتوكِّلُ الخلافةَ جلسَ ودخلَ عليه عبدُ العزيز بن يحيى المكيّ فقال: يا أمير المؤمنين، ما رُؤي أعجب من أمر الواثق، قتلَ أحمد بن نصر، وكان لسانُه يقرأ القرآن إلى أن دُفِن، فوجدَ المتوكِّل من ذلك، وساءَه ما سمعَه في أخيه، إذ دخلَ عليه محمد بن عبد الملك الزَّيَّات، فقال له: يا ابنَ عبد الملك، في قلبي من قتلِ أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنَّار إنْ كان قتلَهُ الواثقُ إلَّا كافراً. ودخل هرثمة، فقال له المتوكل مثلَ ذلك، فقال: قطَّعني اللهُ إرباً إرباً إنْ كان قتلَهُ الواثقُ إلَّا كافراً، ودخل عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، فقال له المتوكل مثلَ ذلك، فقال: ضَرَبني الله بالفالج إنْ كان قتلَه الواثقُ إلَّا كافراً، قال

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤.

(٣) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤: فضحك إليَّ.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٣٩٩.

المتوكِّل: فأمَّا ابنُ الزيَّات، فأنا أحرقتُه بالنار، وأما هرثمةُ فإنَّه هربَ فاجتازَ بقبيلة من خزاعة، فقطَّعوه إرباً إرباً، وأما ابنُ أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده[(١)].

أسند أحمدُ بن نصر عن مالك بن أنس وحمَّاد بن زيد وهُشَيم بن بَشير وغيرهم، وروى عنه ابنُ معين ويعقوب وأحمد ابنا إبراهيم الدورقيّ في آخرين.

أحمد بن حاتم أبو نصر النحوي

كان عالماً فاضلاً أديباً، صنَّف كتباً كثيرة، منها كتاب «الشجر» و«الزرع والنخل» و«الإبل» و«الخيل» و«ما يَلْحَنُ فيه العامة» وغير ذلك.

وكان الأصمعيُّ يقول: لا يصدق عليَّ أحدٌ إلَّا أحمدُ بن حاتم.

حدَّث عن أبي عمرو بن العلاء وغيره، وروى عنه إبراهيم الحربيُّ وغيره، وتوفي ببغداد، وكان صدوقاً ثقةً[(٢)].

علي بن محمد بن عبد الله

ابن أبي سيف المدائني، أبو الحسن، صاحب [التصانيف، مولى][(٣)] عبد الرحمن ابن سمرة، البصريُّ، العالمُ الفاضل، الصدوقُ الثقة، وكتابُه أحسنُ الكتب، ومنه أخذ الناسُ تواريخَهم.

وقال الخطيب: كان من الثقات وأهل الخير، سَرَدَ الصوم قبل موته ثلاثين سنة[(٤)].

وقال أحمد بن يحيى النحويّ: من أرادَ أخبارَ الجاهلية، فعليه بكتب [أبي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام، فعليه بكتب][(٥)] المدائني.

وقال القاضي التنوخيُّ: صنَّف المدائنيُّ كتاباً سماه كتاب المتيَّمين، وحكى فيه أنَّ رجلاً من بني أسد علق امرأة من همدان بالكوفة، وشاع أمرهما، فوضعَ أهلُ المرأة

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٣.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ١٨٣، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٨٣، وإنباه الرواة ١/ ٣٦، ٤/ ١٨٠.

(٣) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين. والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٦.

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٧-٥١٨.

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٧.

العيونَ عليها، فلمَّا دخلَ منزلها أحاطوا به، وكانت المرأة بادنةً، فأدخلته بين ثوبها وظهرها، ولصق بها، وهي قاعدة، فلم يروه، ودخلوا البيت، فطافوا، فلم يجدوا شيئاً، وهي تعنِّفُهم حتى انصرفوا، والرجل يقول: [من الطويل]

مكانكِ حتى تنظري عمَّ تنجلي غمامةُ هذا البارق المتألِّقِ[1]

وهذا البيت من الحماسة وأول الأبيات:

أقولُ لنفسي حين خَوَّدَ رَأْلُها مكانَكِ لمَّا تُشفقِي غير مشفقِ[2]
وكوني مع التالي سبيلَ محمدٍ وإنْ كَذَبَتْ نفسُ المقصِّر فاصدُقي
لعمرُك ما أهلُ الأقيداع[3] بعدما بلغنا ديارَ العِرْضِ عنَّا[4] بمخلقِ
نقاتلُ عن[5] أبناء بكر بن وائل كتائبَ تَرْدِي في حديدٍ ويَلْمَقِ
إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهم كررنا ولم نحفلْ بقولِ المُعَوِّقِ[6]

وقال المدائني: هوي بعضُ المسلمين جاريةً بمكَّة، فراودها عن نفسها، فامتنعت عليه، فأنشدها: [من الطويل]

سألتُ عطا[7] المكيَّ هل في تعانق[8] وقبلةِ مشتاق الفؤادِ جناحُ
فقال معاذَ الله أن يُذهبَ التُّقى تلاصقُ أكبادٍ بهن جراحُ

---

(١) الفرج بعد الشدة ٤/ ٤٢٢ . ورواية البيت فيه
رويدك حتى تنظري عمَّ تنجلي عمايةُ هذا العارض المتألِّق

(٢) يقال: خوَّد رأله: للمذعور المرتاع، والرَّأل فرخ النعام، والتخويد ضرب من السير سريع. ومعنى البيت: إني أثبت نفسي عندما يبده من ذعر الحرب ويفجأ من روعة القتال، فأخاطب نفسي إذا همَّت بالإحجام: الزمي مكانك. انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٦٥ .

(٣) الأقيداع: موضع في ديار بني أسد. وهذا البيت والذي بعده ليسا في الحماسة، وأوردهما البكري في معجم ما استعجم ١/ ١٨١ ونسبهما لضرار بن الأزور.

(٤) في معجم ما استعجم: مني. بدل: عنا

(٥) كذا في (خ) و(ف)، وفي معجم ما استعجم: من. بدل: عن.

(٦) انظر الحماسة ١/ ١٩٠ (شرح التبريزي)، ونسب الأبيات فيها لرجل من بني أسد، وكذا نسبهما ابن عساكر في تاريخه ٥/ ٥٦٥ (مخطوط) وعنده البيتان الثالث والخامس.

(٧) في أخبار النساء ص٣٤: الفتى.

(٨) في أخبار النساء: تزاور.

فقالت: أنتَ سمعته يقول هذا؟ قال: نعم، قالت: إياك أنْ تتعدى ما أمرك به عطاء.

مات المدائنيُّ ببغداد في منزل إسحاق الموصلي في هذه السنة، وقيل: ماتَ في سنة أربعٍ أو خمسٍ وعشرين ومئتين، والأوَّل أشهر، وأتت عليه ثلاثٌ وتسعون سنة[١].

محمد بن سلَّام بن عبيد الله بن سالم

أبو عبد الله البصريُّ، مولى قدامة بن مظعون، صنَّفَ كتاب «طبقات الشعراء»، وهو أخو عبد الرَّحمن بن سلام، وكانا من أهل الفضل والأدب.

وقال الحسين بن الفهم: قدمَ علينا محمدُ بن سلَّام بغداد سنة اثنتين وعشرين[٢]، فاعتلَّ علَّةً شديدةً، فما تخلَّف عنه أحد، وأهَدى إليه الأجلَّاءُ أطباءَهم، وكان ابنُ ماسويه ممَّن أُهدِيَ إليه، فلمَّا جسَّ نبضَه قال: ما أرى بك من العلَّة مثل ما أرى بك من الجزع! فقال: والله ما ذاك لحرصٍ على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة، ولكنَّ الإنسان في غفلة حتى يُوقظ بعلَّةٍ، ولو وقفتُ وَقْفَةً بعرفات، وزُرت قبرَ رسول الله ﷺ زورةً، وقَضيتُ أشياءَ في نفسي، أسهل عليَّ ما اشتدَّ من هذا، فقال له ابنُ ماسويه: لا تجزع، فقد رأيتُ في عروقك من الحرارة الغريزية وقوَّتها[٣] ما إن سلَّمكَ الله من العوارض بلَّغك عشر سنين أخرى. فوافق كلامُه قَدَراً، فعاش محمدٌ بعدَ ذلك عشرَ سنين.

ومات في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين.

وقال الفضل بن الحُباب: ابيضَّت لحيةُ محمد بن سَلَّام ورأسُه وله سبعٌ وعشرون سنة، وسمعتُه يقول: أفنيتُ ثلاثةَ أهلين، تزوَّجتُ وأطفلتُ فماتوا، ثم فعلتُ مثلَ ذلك فماتوا، ثمَّ فعلتُ الثالثة فماتوا، وها أنا ذا في الرابعة ولي[٤] أولاد، وكانت وفاته ببغداد.

أسندَ عن حماد بن سَلَمة وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد وغيره، وهو

(١) انظر ترجمته ـ بالإضافة إلى ما ذكر ـ في معجم الأدباء ١٤/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠.

(٢) يعني: ومئتين.

(٣) في (خ) و(ف): قوتك. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٢٧٩.

(٤) في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٠: ولا.

الذي رَوَى أنَّ إسلامَ جرير كان بعد نزولِ المائدة، وعامَّةُ المحدِّثين على صدقِه وثقتِه، إلَّا أنَّ أبا خيثمةَ قال: كان يُرْمَى بالقدر[١].

محمد بن يحيى بن حمزة

قاضي دمشق وابن قاضيها، وليَ قضاءَها مدَّة المأمون وبعضَ خلافة المعتصم.

وهو كان سببَ الفتنة بين القيسية واليمانية، كانت لمحمد بن بيهس بنتٌ، فخطَبها جماعةٌ من أكفائها، فامتنعَ أبوها من تزويجها، فأرسلت إلى القاضي تشكو أباها، فزوَّجَها القاضي على كرهٍ من أبيها، وكان القاضي يسكنُ بيت لِهْيا، فجمعَ محمد بن بيهس القيسيَّة لهدم بيت لِهْيا، وجمع القاضي اليمانية، وامتنعَ بهم، فنشبت الحربُ بينهم خمسَ عشرة سنة، حتى وصل عبدُ الله بن طاهر إلى دمشق، ولما عادَ من مصر أخذَ ابنَ بيهس معه إلى بغداد، فسكنت الفتنة[٢].

مخارق المطرب

أبو المهنَّا، قدمَ دمشق مع المأمون، وحكى عنه وعن الرشيد والمعتصم وغيرهم، وقال: خدمتُ إبراهيمَ المَوْصليَّ مدَّةً، وقلت له يوماً: ألا توصلني إلى الرشيد، قال: بلى، فأوصلني إليه، وكان الرشيدُ يضربُ بينه وبين المغنِّين ستارةً، فغنَّى ابنُ جامع وغيره، فما طرب[٣]، فغنَّيتُ فقطعَ الستارة وخرج، فقال: يا غلام إلى هاهنا فأقعدني معه على السرير[٤] وأعطاني ثلاثينَ ألف درهم، ثمَّ أضعفَها لي المأمون.

وقال: خرجَ المأمونُ يوماً وأنا عنده، فقال: يا مخارق غَنِّ بهذين البيتين، فغنيت بهما، وهما: [من الطويل]

---

(١) انظر ترجمته أيضاً في المنتظم ١١/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥١.

(٢) ترجم لمحمد بن يحيى بن حمزة الحافظُ بن عساكر في تاريخ دمشق، كما في مختصره لابن منظور، ووقع في تاريخ دمشق خرمٌ في هذا الموضع، أشارت إليه محققته السيدة سكينة الشهابي رحمها الله في مقدمة الجزء الخامس والستين من طبعة مجمع اللغة العربية، وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٩٣٤.

(٣) في تاريخ دمشق ٦٦/ ٣١٠ (طبعة مجمع اللغة)، والأغاني ١٨/ ٣٣٩ أن غناء ابن جامع أعجب الرشيد إعجاباً شديداً.

(٤) في تاريخ دمشق أنه أقعده تحت السرير.

وما اسطعتُ توديعاً لها بسوى البُكا وذلك جهدُ المستهامِ المعذَّبِ
سلامٌ على من لم يُطِق عند بينه سلاماً فأومى بالبنان المخضَّبِ

فجعلَ يبكي بكاءً شديداً، فلما هدأ قلت: يا أمير المؤمنين، لا أبكى الله عينيك، يا أمير المؤمنين، ما لك؟ قال: دخلتُ إلى بعض المقاصير، فرأيتُ جاريةً كنتُ أحبُّها حبًّا شديداً وهي تموت، فسلَّمتُ عليها، فلم تطقْ ردَّ السلام، فأشارت بإصبعها.

توفي مخارق بسُرَّ من رأى.

يوسف بن يحيى

أبو يعقوب، البُوَيْطيُّ، وبويط قرية [كان لأبي يعقوب من الشافعيِّ منزلة](1)، وربما سأله رجل مسألة فيقول: سَلْ أبا يعقوب.

وقال الشافعيُّ: ما رأيت أحداً أَنْزَعَ(2) بحجَّةٍ من كتاب الله مثل البويطيّ، والبويطيُّ لساني.

ولمَّا مات الشافعيُّ(3) تنازعَ محمدُ بن الحكم والبويطيُّ في الجلوس موضعَه، حتى شهد الحميديُّ على الشافعي أنَّه قال: البويطيُّ أحقُّ بمجلسي من غيره، فأجلسوه مكانه.

وأخبره الشافعيُّ أنَّه يُمتَحن ويموتُ في الحديد، وكان كما قال، وكان فقيهاً زاهداً عابداً، ما كان تأتي عليه ساعةٌ من ليلٍ أو نهار إلَّا يقرأ أو يصلِّي، وكان أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى.

وقال الربيع بن سليمان: رأيتُ البويطيَّ على بغلٍ، وفي رقبته غُلٌّ، وفي رجليه قيدٌ، وبين الغُلِّ والقيد سلسلةُ حديدٍ فيها طوبة وزنها(4) أربعون رطلاً، وهو يقول: إنَّما خلقَ الله الخلق بـ: «كن»، فإذا كانت «كن» مخلوقة كأنَّ مخلوقاً [خلق مخلوقاً]، ووالله

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٠ .
(٢) في (خ) و(ف): أبرع. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩ .
(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤١: لما مرض الشافعي مرضه الذي توفي فيه.
(٤) في (خ) و(ف): فيها. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٢ . وما سيأتي بين حاصرتين منه.

لأموتنَّ في حديدي هذا حتى يأتيَ من بعدي قومٌ يرونَ أنَّه قد ماتَ في هذا الشأن قومٌ في حديدهم، ولئن أُدخِلتُ إليه لأصدقنَّه، يعني الواثق.

فأودع السجن بسرَّ من رأى[١]، وكان قد حُمِلَ من مصر، فماتَ في الحبس في رجب، ودُفِن بحديده.

وقيل: تأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وثلاثين[٢]، وهو وهم.

أخذ العلمَ عن الشافعيِّ رحمة الله عليه وغيره، وجمعَ بين العلم والتقوى، والسُّنَّةِ والعبادة، وروى عنه الأئمَّة.

وقال الربيع بن سليمان: كتبَ إليَّ من السجن: إنَّه ليأتي عليَّ أوقاتٌ لا أحسُّ بالحديد حتى تمسَّه يدي، فأحسن خُلُقَكَ مع أهلك[٣]، واستوصِ بالغرباء خيراً؛ فكثيراً ما كنتُ أسمعُ الشافعيَّ رحمه الله يقول[٤]: [من الطويل]

أُهينُ لهم نفسي لكي يكرمونَها ... ولا تُكْرَمُ النفسُ التي لا تُهينُها[٥]



(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٧٣، ٤٧٥ وغيرها أنه سجن ببغداد.

(٢) في (خ) و(ف): اثنين وثمانين. وهو تحريف. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٤.

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٣: مع أهل حلقتك.

(٤) يعني متمثِّلاً، كما في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٣.

(٥) من قوله: وفيها فادى الواثقُ أسارى المسلمين . . . إلى هنا. ليس في (ب).

السنة الثانية والثلاثون بعد المئتين

فيها[١] كتبَ الواثقُ إلى بُغا الكبير وهو بالحجاز أنْ يسيرَ إلى بني نمير فيوقِعَ بهم.

وسببُ ذلك أنَّ عُمارة بن عُقَيل بن بلال بن جرير بن الخطفى الشاعر قدم على الواثق، وامتدحَه بقصيد امتدحَه فيها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، فقال له عمارة: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بني نمير قد أفسدُوا أرضَ الحجاز وتهامة بالغارات، فكتبَ إلى بغا يأمرُه بقتالهم، فخرجَ من المدينة ومعه محمد بن يوسف الجعفري يدلُّه على الطريق، فقصدَ اليمامةَ، فصادفَ جماعةً منهم، فحاربوه وحاربهم، فقَتَلَ منهم نيِّفاً وخمسين رجلاً، وأَسَرَ منهم نحواً من أربعين رجلاً، ثمَّ سَارَ إلى اليمامة، فنزلَ بقريةٍ من أعمالها، وبعث إليهم يعرضُ عليهم الأمانَ، وهم يشتمون رسله، وآخر من بعث إليهم رجلين؛ أحدهما من بني تميم، والآخر من بني نمير، فقتلوا التميميَّ وأثبتوا النميريَّ جراحاً، فسار إليهم غُرَّةَ صفر، ثمَّ أرسلَ إليهم أن ائتوني، فامتنعوا، وصعدوا جبال اليمامة، فبعثَ إليهم سرايا، فأسرَتْ منهم، ثمَّ إنَّه أتبعَهم بألف رجل، فالتقوا بمكان يقال له روضة الأبار[٢]، وقد حشدوا له في ثلاثة آلاف، فاقتتلوا.

وقيل: إنَّما اقتتلوا في بطن السن[٣]، وهو على مرحلتين من القرنين[٤]، فهزموا أصحابَ بُغا، وقتلوا منهم نحواً من مئة، وعقروا من إبل العسكر نحواً من سبع مئة بعير ومئة دابة، وانتهبوا الأثقالَ، وجاء بُغَا إليهم، وحالَ بينهم الليل، فجعل يناشدُهم الله والرجوع إلى الله، وجعلَ محمد بن يوسف الجعفريّ يكلمُهم بذلك، فقالوا: يا محمد، قد والله ولدناك، فما راعيتَ حرمةَ الرحم، ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلُوج تقلقنا[٥] بهم، والله لنرينَّك بهم العبر.

---

(١) من هنا إلى قوله: وفيها حجَّ الناس . . ليس في (ب).

(٢) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧ : روضة الأبان. وفي الكامل ٧/ ٢٧ : روضة الأمان.

(٣) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري: بطن السر. قال صاحب معجم البلدان ١/ ٤٤٩ : بطن السر: واد بين هجر ونجد.

(٤) في (خ) و(ف): القريتين.

(٥) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧ : تقاتلنا.

فلمَّا دنا الصبحُ قال محمدٌ لبُغَا: ناجزهم قبلَ أن يضيء الصبح فيروا قلَّة عددنا، فيتجبروا[(١)] علينا، فأبى عليه بغا، فلمَّا طلعَ الصبحُ ورأوا قلَّة الذي جاء مع بغا حملُوا عليهم، فهزموهم، فأيقنَ بغا بالهلاك، [وكان بغا] قد بعث من أصحابه نحواً من مئتي فارس إلى [خيلٍ][(٢)] لبني نمير، فبينا هو على الهلكة، إذا بهم قد عادوا، فوجدوه في تلك الحال، فضربوا البوقات، وحَملوا على بني نمير، فظنوهم كميناً، فانهزموا، ولم يفلت من رجَّالتهم أحد، وأمَّا فرسانُهم فهربوا إلى الجبال.

وقيل: إنَّ الهزيمةَ لم تزل على بُغا منذ غدوة إلى انتصاف النهار، وذلك في جمادى الآخرة، ثم تشاغلوا بالنهب، فكرُّوا عليهم فهزموهم، وقتلوا منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمس مئة رجل، ثمَّ أقامَ بغا بموضع الوقعة ثلاثةَ أيَّام، حتى جُمعت له رؤوسُ بني نمير، وأرسل من هرب من فرسانهم يطلبونَ الأمان، فأمَّنهم، وجاؤوا فقيَّدهم وأشخصهم معه، فبينا هم في الطريق إذ حاولوا كسرَ قيودهم ليهربوا، فأحضروا واحداً واحداً، وضربه أربع مئة سوط إلى خمس مئة، ثمَّ أقام بحصن الأبار[(٣)] يرسلُ إلى القبائل ويستصلحهم، وبثَّ سراياه خمسةَ أشهر، وأخذ منهم ثمان مئة رجل من البطون، فأوثقهم بالحديد، وحملَهم إلى البصرة، فدخلها في ذي القعدة هذه السنة، وكتب إلى صالح العباسيّ والي المدينة أن يسير بمن [سُجن في][(٤)] الحبسين في المدينة من بني كِلَاب وغيرهم، وأن يلحق بهم، فوافاه بهم ببغداد، ثمَّ ساروا جميعاً إلى سرَّ من رأى، فكانت عدَّةُ من قَدِمَ به بُغا وصالح من الأعراب سوى من مات وقتل زُهاء ألفي رجلٍ ومئتي رجل من جميع القبائل والبطون.

و[فيها][(٥)] حَجَّ بالناسِ محمد بن داود. وأصابَ الحاجَّ في رجوعهم عطشٌ شديدٌ، وبلغت الشربةُ دنانير[(٦)]، ومات خلقٌ كثير.

---

(١) في تاريخ الطبري: فيجترؤوا علينا.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧، ومكانها في (خ) بياض.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٩: حصن باهلة.

(٤) في (خ) و(ف) بياض، والمثبت بين حاصرتين استفدت معناه من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٩-١٥٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). ومن هنا ابتدأت أحداث السنة الثانية والثلاثين فيها، وليس فيها خبر بني نمير.

(٦) في (خ) و(ف): ديناراً. والمثبت من (ب)، وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٥٠، والكامل ٧/ ٣٤، والمنتظم

وفيها ولَّى الواثق محمدَ بن إبراهيم بن مصعب بلاد فارس.

وفيها كثرت الزلازل في الدنيا، خصوصاً المغرب والشام، وانهدمت حيطانُ دمشق، ومات خلقٌ كثيرٌ، وكذا بحمص وأنطاكية، وكان أشدُّها في أنطاكية والعواصم، ثمَّ امتدَّت إلى الجزيرة، وأخربت بلادها والمَوْصل ودامت أياماً.

وفيها مات الواثقُ وبويع المتوكِّلُ.

الباب العاشر في خلافته[1]

واسمه جعفر بن محمد المعتصم[2] بن الرشيد، وهو أخو الواثق لأبيه، وكنيته أبو الفضل، وأمّهُ شُجاع أم ولد خُوَارِزميَّة، وقيل: تركية، ولد بفم الصّلح سنة سبع، وقيل: سنة خمس ومئتين، وكان أسمر نحيفاً، خفيف العارضين، مليح العينين، ربعة [وقال ابن أبي دؤاد: رأيت المتوكل وهذه صفته]، ولا يعرفُ خليفةٌ صار جداً قبل أن يبلغَ ثلاثين [سنةً] إلا المتوكِّل، ولا تُعْرَفُ امرأةٌ ولدتْ خليفةً وصار جدّاً وله ثلاثةُ أولادٍ ولاةُ العهود إلَّا شجاع [الخوارزمية، وهي أمه كما ذكرنا]، وكانت [قد][3] عُرِضَت على المعتصم في زيٍّ غلامٍ عليه قَبَاءٌ وقَلَنْسُوة، فأعجبته ظنّاً منه أنَّها غلام فقيل له: إنَّها جارية، فقال: ذاك أعجبُ إليَّ فاشتراها.

ولمَّا مات[4] الواثقُ اجتمعَ وصيفٌ التركيّ، وأحمدُ بن أبي دؤاد، ومحمد بن عبد الملك الزيَّات، وأحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير، وعمر بن فرج، فعزمَ أكثرُهم على توليةِ محمد بن الواثق، وكان ابن الزيَّات أميلَهم إليه؛ كراهة للمتوكل، فأحضروه وهو غلامٌ أمرد قصير، فقال ابن أبي دؤاد: ما تتقونَ الله، تولون مثل هذا الخلافة على المسلمين؟! فأرسلوا بغا الشرابيَّ إلى المتوكل فأحضره، فقام ابنُ أبي دؤاد فألبسه الطَّويلة والدرَّاعة، وعمَّمه، وقبَّل ما بين عينيه، وقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين

= ١١/١٧٧.

(١) في (ب): ذكر خلافة المتوكل على الله.

(٢) في (خ) و(ف) و(ب): بن المعتصم. وهو خطأ.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) من هنا إلى قوله: وروى الخطيب عن عليٍّ بن الجهم. ليس في (ب).

ورحمةُ الله وبركاته، ثم غُسِّلَ الواثق، وصلَّى عليه المتوكل ودُفِن[١].

وقال سعيد الصغير[٢]: رأى المتوكِّلُ في منامه كأن سكَّراً سليمانيًّا يسقطُ عليه من السماء، مكتوبٌ عليه: جعفر المتوكل على الله، فلمَّا صلَّى على الواثق، قال محمد بن عبد الملك الزيات: نسمِّيه المنتصر، وخاضَ الناسُ في ذلك، فحدَّثَ المتوكِّلُ أحمدَ ابن أبي دؤاد ما رأى في منامه، فوجده موافقاً، فأُمضي، وكتب إلى الآفاق.

وقيل: إنَّهم بعد ذلك صاروا إلى دار العامة، فبايعوه حتى زالت الشمس حينئذ، وذلك يوم الأربعاءِ لستٍّ بقينَ من ذي الحجة، وسنُّه يومئذٍ ستٌّ وعشرون سنة، وكتب له بالبيعة محمدُ بن عبد الملكِ، وهو يومئذٍ على ديوان الرسائل[٣].

قال الصوليّ: لمَّا جاءه بُغَا الشرابيّ احترزَ ابنُ أبي دؤاد لدنياه، فلم يبق مجهوداً، فجاءه من الله ما لم يكن في حسابه، مات عدوُّه ابنُ الزيَّات في صفر سنة ثلاث وثلاثين، وحكم على الخلافة.

[وروى الخطيبُ عن عليِّ بن الجهم قال:][٤] وَجَّه إليَّ المتوكِّلُ فأتيتُه، فقال: يا عليّ، رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقمتُ إليه فقال: تقومُ إليَّ وأنت خليفة؟ فقلت له: أبشر، أمَّا قيامُك إليه فقيامك بالسنَّة، وقد عدَّك من الخلفاء. فسرَّ بذلك[٥].

وفيه يقول فضل الشاعر[٦]: [من السريع]

استقبل المُلكَ إمامُ الهدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا
خلافةٌ أفضَتْ إلى جعفر ... وهو ابنُ ستٍّ[٧] بعد عشرينا
إنَّا لنرجو يا إمامَ الهدى ... أن تملكَ الناسَ ثمانينا

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤٦.

(٢) في (خ) و(ف): القصير. والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٦، وتاريخ الطبري ٩/ ١٥٥، والمنتظم ١١/ ١٧٩.

(٣) المنتظم ١١/ ١٧٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف). وقال: علي بن الجهم.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٥٢.

وهنا انتهت ترجمة المتوكل في (ب)، وبعدها: فصل في ذكر الواثق وسيأتي.

(٦) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: فضل الشاعرة.

(٧) في الأغاني ١٩/ ٣٠٢ والمنتظم ١٢/ ١٣٤: سبع. وهو الصواب.

لا قَدَّسَ الله امرءاً لم يَقُل عند دُعَائي لكَ آمينا

فأمر له بأربعين ألفاً[١].

ومن العجائب أنَّه سلَّم على المتوكِّلِ بالخلافة ثمانيةٌ كلُّهم ابنُ خليفة؛ منصور بن المهدي، والعباس بن الهادي، وأبو أحمد بن الرشيد، وعبد الله بن الأمين، وموسى ابن المأمون، وأحمد بن المعتصم بن الرشيد، ومحمد بن الواثق، والمنتصرُ بن المتوكِّل[٢].

وفيها توفي

حبيبُ بن أوس

ابن الحارث بن قيس، أبو تمَّام الطائيّ، وأصله من قرية جَاسِم بحَوْرَان، وهي التي يقول عديُّ بن الرقاع فيها: [من الكامل]

وكأنَّها وسط النساء أعارها[٣] عينيه أحورُ من جَآذِر جاسم

وَسْنَانُ أقصدَهُ النعاسُ فرنَّقت في عينه سِنَةٌ وليسَ بنائمِ[٤]

ولد سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، وقيل: سنة تسعين ومئة بناحية مَنْبِج، وبها نشأ، ومدح الخلفاء والوزراء، وكان أسمر طوالاً، حلو الكلام فصيحاً، فيه تمتمةٌ يسيرةٌ، وعقلُه أوفرُ من شعره، وكان أبوه نصرانيّاً خمَّاراً بدمشق، واسمه تدوس فغُيِّرَ بأوس[٥].

وكان بمصر في حداثة سنِّه يسقي الماءَ في المسجد الجامع، ثمَّ جالسَ الأدباء، وأخذ عنهم وتعلَّم منهم، وكان فَطِناً يحبُّ الشعر، فلم يزل يُعانيه حتى قاله فأجاد فيه، وبلغ المعتصم خبرُه فطلبَه، فحُمِل إليه وهو بسُرَّ من رأى، فمدحه بقصائد، فأجازَه وقدَّمه على شعراء زمانه، وقدم بغداد، فجالسَ بها العلماء، وكان ظريفاً حسن

(١) في المنتظم والأغاني: فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم.

(٢) المنتظم ١١/ ١٧٨.

(٣) في (خ) و(ف): بين الظباء عقارها. والمثبت من المصادر.

(٤) الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٠، والكامل ١/ ١٩٣، والأغاني ٩/ ٣١١.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩.

الأخلاق كريم النفس[(١)]، فأقرَّ له الشعراءُ بالفضل والتقدُّم.

وقال عليُّ بن الجهم: كان الشعراءُ يجتمعون في كل جمعة في القبَّة المعروفة بهم بجامع المنصور ببغداد، فيتناشدون الأشعار، ويعرض كلُّ واحدٍ ما أحدثَ من القول، فبينا أنا في بعض الجُمَع، ودِعبل وأبو الشيص وابن أبي فَنَن، والناسُ يسمعونَ إنشادَ بعضنا لبعض، أبصرتُ شابًّا في أُخريات الناس جالساً في زيِّ الأعراب، فلمَّا قطعنا الإنشاد قال لنا: قد سمعتُ إنشادكم منذ اليوم، فاسمعوا إنشادي، وأنشد قصيدة يقول في أوَّلها: [من البسيط]

فَحْواك عينٌ على نَجواك يا مَذِلُ ... حتَّام لا ينقضي من قولك الخَطِلُ[(٢)]
ما أقبلَتْ أوجُهُ اللذَّات سافرةً ... مُذْ أدبرَت باللِّوى أيامُنَا الأُوَلُ
إنْ شئتَ أن لا ترى صبراً لمصطبرٍ ... فانْظُر على أيِّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ
كأنَّما جادَ مغناهُ فغيَّره ... دموعُنا يومَ بانُوا وَهْيَ تنهملُ
ولو ترانا وإيَّاهم وموقِفَنا ... في مأتم البين لاستِهلالنا زَجَلُ
من حُرْقَةٍ أطلقتها فُرقَةٌ أسرَتْ ... قلباً ومن عذله في إثره عَذَلُ[(٣)]

ثم مرَّ فيها حتى بلغ قولَهُ:

تغايرَ الشِّعر فيه إذ سهرتُ له ... حتى ظَننتُ قوافيه ستَقتتلُ

وأنشدَها[(٤)]، فقلنا: زدنا، فأنشد: [من الكامل]

دمنٌ ألمَّ بها فقال سلامُ ... كم حَلَّ عقدةَ صبرِه الإلمامُ[(٥)]

فأنشدها إلى آخرها، فقلنا: لمن هذا الشعر؟ فقال: لمن أنشدَكُموه، فقلنا: ومن أنت؟ قال: أبو تمام حبيب بن أوسٍ الطائيّ، فقال له أبو الشِّيص: تزعمُ أنَّ هذا الشعر

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٨.

(٢) فحواك: من قولهم: عرفت ذلك في فحوى كلامه، أي: في معناه، والمذِلُ: الذي لا يكتم سرَّه، والخطل: المضطرب. وفي ديوان أبي تمام ٣/ ٧، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥٩: يتقضى قولُك.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفي الديوان ٣/ ٧: ومن غزلٍ في نحره عذل، وفي تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩: ومن عذل في نحره عذلُ.

(٤) القصيدة في ديوان أبي تمام ٣/ ٥ـ٢٠ في سبع وأربعين بيتاً.

(٥) ديوان أبي تمام ٣/ ١٥٠.

لك وأنت تقول:

تـغـايـرَ الـشـعـرُ فـيـه إذ سـهـرتُ لـه

فقال: نعم لأنِّي سهرتُ في مدحِ ملك، ولم أسهر في مدح سُوقة، فعرفناه ولم نزل نتهادَاه بيننا، وجعلناه كأحدنا، واشتدَّ إعجابُنا به لظرفه وكرمه، وحسن عشرته، وجودة شعره[١].

وقال الحسين بن إسحاق، قلت للبحتريِّ: الناسُ يَزعُمون أنَّك أشعرُ من أبي تمَّام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرُّ أبا تمَّام، والله ما أكلتُ الخبزَ إلَّا به[٢].

وقال سَوّار بن أبي شُرَاعة[٣] للبحتريّ: أنتَ أشعرُ أم أبو تمام؟ فقال: لا والله، ذاك الرئيسُ المقدَّم الأستاذ، والله ما أكلنَا الخبز إلَّا به، وكان المبرِّدُ حاضراً، فقال له: يا أبا عبيدة تأبى إلَّا شرفاً من جميع الوجوه. فقال له البحتريُّ: كان أبو تمام يجلسُ بحمص فيجتمع إليه الشعراء فيعرضونَ عليه قصائدَهم، فقدمت إليه وعرضت عليه قصيداً، فأصغى إليَّ دونَهم، فلمَّا انصرفوا قال: أنت أشعرُ مَنْ[٤] أنشدني، كيف حالك؟ فشكوتُ إليه قلَّةً وحاجة، فكتب لي كتاباً إلى أولاد المعرَّة[٥] فأكرموني ودفعوا إليَّ أربعةَ آلاف درهم[٦].

وقال سعيدُ بن جابر الكَرْخِيّ: [حدثني أبي قال:][٧] حضرنا يوماً عند أبي دُلَف القاسم بن عيسى ومعنا أبو تمام، فأنشده قصيدته التي يقولُ في أولها: [من الطويل]

عـلـى مـثـلـهـا مـن أَرْبُـعٍ ومـلاعـبِ أُذيـلَـتْ مـصُـونـاتُ الـدمـوعِ الـسَّـوَاكـبِ

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩-١٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٠.

(٣) في (خ) و(ف): سوار بن سراعة. والتصويب من المصادر.

(٤) في (خ) و(ف): من كلهم أنشدني. والمثبت من أخبار أبي تمام.

(٥) في (خ) و(ف): المغيرة. وهو تصحيف.

(٦) هذا الخبر هو مجموع من خبرين ذكرهما الصولي في أخبار أبي تمام، فخبر السؤال للبحتريّ: أنت أشعر أم أبو تمام؟ في أخبار أبي تمام ص٦٧، لكن السائل عنده: أبو عبد الله الحسين بن علي.
وخبر عرض البحتري شعره على أبي تمام في أخبار أبي تمام ص٦٦، والأخير من طريق سَوَّار بن أبي شُرَاعة.
وانظر أيضاً الأغاني ٢١/ ٤٠.

(٧) ما بين حاصرتين من أخبار أبي تمام ص١٢١، وانظر الأغاني ١٦/ ٣٨٩.

فلمَّا بلغ قوله:

إذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقوسِها ... فخاراً على ما نلتَ من مناقبِ[1]
فأنتم بذي قارٍ أمالَتْ سيوفُكم ... عروشَ الذين استرهَنُوا قوسَ حاجبِ
محاسنُ من مجدٍ متى يَقْرِنُوا بها ... محاسنَ أقوامٍ تَكُنْ كالمعايبِ
مكارمُ لجَّت في العيون[2] كأنَّما ... تحاولُ ثأراً عند بعض الكواكبِ

قال أبو دلف: يا معاشر ربيعة، والله ما مُدِحتم بمثل هذا قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه مطارفَهُم يرمونَ بها إليه، فقال أبو دُلَف: قد قَبِلها وأعاركم إيَّاها فالبسوها، وسأنوبُ عنكم في ثوابه، وأمر له بخمسين ألفاً، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك، فاعذر، فقام أبو تمام ليقبِّلَ يده، فأقسمَ عليه أبو دُلَفٍ بأن لا يفعل، ثمَّ قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد فأنشد: [من الطويل]

كذا فليجلَّ الخطب وليفدحِ الأمرُ ... فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
تُوفِّيتِ الآمالُ بعد محمَّدٍ ... وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفر السَّفْرُ
وما كان إلَّا مالَ من قلَّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس لهُ ذُخْرُ
فأثْبَتَ في مستنقعِ الموت رِجْلَهُ ... وقال لها من تحتِ أَخْمصِكِ الحشرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما أتى ... لها الليلُ إلَّا وهي من سُنْدُسٍ خُضْرُ
وقد كانت البيضُ المآثيرُ في الوغى ... بواترَ وهي الآن من بعده بُتْرُ
أَمِنْ بعد طيِّ الحادثاتِ محمَّداً ... يكونُ لأثوابِ الندى أبداً نَشْرُ
سقى الغيثُ غيثاً وارت الأرضُ شخصَه ... وإن لم يكنْ فيه سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيف احتمالي للسَّحاب صنيعةً ... بإسقائها قبراً وفي لحدِهِ البحرُ
مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ ... غداةَ ثَوى إلَّا اشتهت أنَّها قبرُ
ثَوى في الثَّرى من كان يحيى به الثَّرى ... ويَغْمُرُ صَرْفَ الدهرِ نائلُه الغَمْرُ

---

(١) في ديوان أبي تمام ١/٢٠٧، وأخبار أبي تمام ص١٢٣، والأغاني ١٦/ ٣٩٠:

وزادت على ما وطدت من نوائب

وفي هامش الديوان أنه وقع في رواية: فخاراً. بدل: وزادت.

(٢) في المصادر: لجت في علوٍّ.

عـلـيـكَ سـلامُ اللهِ وَقْـفـاً فـإنَّـنـي رأيت الـكـريـمَ الـحرَّ لـيس لـه عُـمْـرُ
ومـا مـاتَ حتَّـى مـاتَ مَـضْـرِبُ سيفه من الضَّرب واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
وقـد كـان فـوتُ الـمـوتِ سـهـلاً فـردَّهُ إليـه الـحِـفـاظُ الـمُـرُّ والـخُـلُـقُ الـوَعْـرُ
غـدا غـدوةً الـمـوت[1] نـسـجُ ردائـه فـلـم يـنـصـرفْ إلَّا وأكـفـانُـه الأجـرُ
كـأنَّ بـنـي نـبـهـانَ يـومَ وفـاتـه نـجـومُ سـمـاءٍ خَـرَّ من بـيـنـهـا الـبَـدْرُ
يُـعَـزَّوْنَ عـن ثـاوٍ يُـعـزَّى بـه الـعُـلـى ويبكي عليه الجود والبأس والشِّعرُ[2]

فقال أبو دلف: واللهِ لودِدْتُ أنَّها قيلت فيَّ، فقال أبو تمَّام: لا بل أفدي بنفسي الأمير، وأكونُ المقدَّم قبلَه، فقال أبو دُلَف: إنَّه لم يمتْ من رُثِي بمثل هذا الشعر.

ودخل أبو تمَّام على الحسن بن رجاء مادحاً له فأنشده: [من الكامل]

عـــادتْ لـــه أيَّـــامُـــه مُـــســـوَدَّةً حـتَّـى تـوهَّـم أنَّـهـنَّ لـيـالـي
أضحى سَمِيُّ أبيكَ فيه مُصَدَّقاً بـأجـلِّ فـائـدةٍ و أيـمـنِ فـالِ
ورأيـتَـنـي فـسـألـتَ نـفـسَـك سَـيْـبَـهـا لـي ثُـمَّ جُـدْتَ ومـا انـتظـرتَ سؤالـي
كـالـغـيـثِ لـيـس لـه أُريـدَ غـمـامُـه أو لـم يُـرَدْ بـدٌّ مـن الـتَّـهـطـالِ
لا تُنْكِري عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى فـالـسـيـلُ حَـربٌ لـلـمـكـانِ الـعـالـي
وتـرقَّـبـي[3] خَـبَـبَ الـرِّكـابِ يَـنُـصُّـهـا مـحـيـي الـقـريـضِ إلـى مـمـيـتِ الـمـالِ
بـسـطَ الـرجـاءَ لـنـا بـرغـمِ نـوائـبٍ كَـثُـرتْ بـهـنَّ مَـصَـارعُ الآمـالِ

فقام الحسن قائماً وقال: واللهِ لا أتممتَها إلَّا وأنا قائمٌ، فأتمَّها وهو قائم، فقال له الحسن: ما أحسن ما جَلوتَ هذه العروس، فقال أبو تمام: لو كانتْ من الحورِ العين لكان قيامُك لها أوفى مَهرها، فأعطاهُ الحسنُ عشرينَ ألفاً، على بخلٍ كان فيه.

وقال يحيى بن أبي عبَّاد: شهدتُ أبا تمام وهو ينشدُ إبراهيم بن المعتصم[4] قصيدتَه

---

(١) كذا في (خ)و(ف). وفي الديوان ٤/ ٨١ ، وأخبار أبي تمام ص١٢٥ ، والأغاني ١٦/ ٣٩٠ : والحمد. بدل: الموت.

(٢) ديوان أبي تمام ٤/ ٧٩ـ٨٥ بتقديم وتأخير، والقصيدة فيه في ثلاثين بيتاً.

(٣) في ديوان أبي تمام ٣/ ٧٧ ، وأخبار أبي تمام ص١٦٨ ، والأغاني ١٦/ ٣٩٢ : وتنظَّري.

(٤) كذا في (خ) و(ف). والصواب ـ كما في أخبار أبي تمام ص٢٣٠ ، وديوان أبي تمام ٢/ ٢٤٢ ـ : أحمد بن المعتصم.

التي يقول في أولها : [من الكامل]

مـا فـي وقـوفِـكَ سـاعـةً مـن بَـاسِ ... يـقـضـي ذِمَـامَ الأربـعِ الأدراسِ
فـلـعـلَّ عـيـنَـك أنْ تُـعـيـنَ بـمـائـهـا ... والـدمـعُ فـيـه خـاذلٌ ومـواسِـي
إقـدامُ عـمـرٍو فـي سـمـاحـة حـاتـم ... فـي حـلـمِ أحـنـفَ فـي ذكـاءِ إيـاسِ

فقال محمد بن يوسف الكنديّ: قدرُ الأمير فوقَ ما وصفت، فأطرقَ أبوتمَّام ساعةً ورفع رأسه وقال:

لا تُـنـكـرُوا ضـربـي لـه مـن دونَـه ... مـثـلاً شـروداً فـي الـنَّـدى والـبـاسِ
فـاللهُ قـد ضـربَ الأقـلَّ لـنـورِه ... مـثـلاً مـن الـمـشـكـاةِ والـنـبـراسِ

ويقال: كان تحته طِنْفِسَةٌ، فحفرها بأصابع رجليه.

وقال المبرِّد: بلغ موسى بن إبراهيم أن أبا تمَّام هجاه، وكان محسناً إليه، فعتب عليه، فقال أبو تمَّام معتذراً ـ وكنية موسى أبو المغيث الرافقيّ ـ: [من الطويل]

شـهـدتُ لـقـد أقوَت مـغـانـيـكُـم بـعـدي ... ومـحَّـتْ كـمـا مـحَّـت وشـائـعُ مـن بُـرْدِ
وأنـجـدتُـمُ مـن بـعـد إتـهـامِ دارِكُـم ... فـيـا دمـعُ أنـجِـدْنـي عـلـى سـاكِـنـي نَـجْـدِ
لـعـمـري قـد أخـلـقـتـم جِـدَّة الـبُـكـا ... عـلـيّ وجَـدَّدْتُـم بـه خَـلَـقَ الـوَجْـدِ
كـريـمٌ مـتـى أمـدحْـهُ أمـدحْـهُ والـورى ... مـعـي ومـتـى مـا لـمـتُـه لـمـتُـه وَحْـدِي

من أبيات[(١)].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: قدم أبو تمَّام على ابن طاهر بخراسان، فأنشَده قصيدته التي يقولُ فيها: [من الطويل]

وركـبٍ كـأطـرافِ الأَسِـنَّـة عـرَّسُـوا ... على مِثْلِهَا والـلـيـلُ تَسطُو غَـيـاهـبُـهْ
لأمـرٍ عـلـيـهـم أنْ تـتِـمَّ صـدورُه ... ولـيـس عـلـيـهـم أنْ تَـتِـمَّ عَـواقِـبُـهْ[(٢)]

فصاح الشعراء وقالوا: والله ما يستحقُّ [مثل هذا الشعر][(٣)] غيرُ الأمير ابن طاهر،

---

(١) انظر أخبار أبي تمام ص٢٠٢-٢٠٣، والأبيات في ديوانه ٢/ ١٠٩-١١٠، ١١٦.

(٢) ديوان أبي تمام ١/ ٢٢١.

(٣) ما بين حاصرتين من الأغاني ١٦/ ٣٨٩، وأخبار أبي تمام ص١١٧.

فلمَّا فرغ من القصيدة نثر عليه ألفَ دينار، فلم يمدَّ يده إليها، فالتقطَها غلمانُ ابن طاهر، ولم ير أن يشاركَهم لشرف نفسِه.

فسعى به الحُسَّادُ إلى ابن طاهر، وقالوا: ترفَّعَ على عطائِك، فأعرضَ عنه، فدخل أبو تمَّام على أبي العميثل شاعرِ الطاهرية، فشكا إليه، فقال أبو العميثل لابن طاهر: أيُّها الأمير من حمل إليك أملَه من العراق، وكدَّ جسمَه فيك، وأتعَب فكره وخاطرَه، ومدحك، تُعْرِضُ عنه. واختصّ به وحمل إليه ألوفاً[1].

والأصح أن أبا تمَّام خرج من خراسان مراغماً لابن طاهر؛ كان لا يجيز شاعراً حتى يرضاه أبو العميثل وأبو سعيد الضرير فلما قدم أبو تمَّام خراسان دخل عليهما وامتدحهما قصيدته التي أولها: [من الطويل]

هُـنَّ عـوادي يـوسـفٍ وصـواحـبُـه فعزماً [فقِدْماً] أدركَ السؤلَ طالبُهْ[2]

فلم يلتفت إليه أبو العميثل والضرير فلمَّا مر فيها قال:

إلى سالب الجبَّارِ بيضةَ مُلْكِه وآمِلُـهُ غـادٍ إلـيـه فـسـالـبُـهْ
إلى ملكٍ لم يُلْقِ كَلْكَلَ بأسِه على ملكٍ إلَّا وذُلَّ جانبُهْ[3]
إذا ما امرؤٌ ألقى بربعِك رحْلَهُ فقد طالبته بالنَّجاح مطالبُهْ
إذا المرءُ لم يستخْلِص الحزمُ نفسَهُ فَذِرْوَتُهُ للحادثاتِ وغاربُهْ
أعاذلتي ما أخشنَ الليلَ مَرْكَباً وأخشنُ منه في الملمَّاتِ راكبُهْ

فاستحسناها ودخلا على ابنِ طاهر فأثنيا عليه، فاستحضَره وأنشده إيَّاها، فنثر عليه ألف دينار، فلم يرضه، وخرج من عنده يطلبُ العراق فقال: [من الكامل]

يا أيُّها الملكُ المقيمُ ببلدةٍ لا تأمننَّ حوادثَ الأزمانِ
صاح الزمانُ بآل بَرْمَكَ[4] صيحةً خَرُّوا لشدَّتِها على الأذقانِ

---

(١) انظر أخبار أبي تمام ص٢١٢-٢١٣.
(٢) ديوان أبي تمام ١/٢١٦، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) في الديوان: إلا وللذلّ جانبه.
(٤) في تاريخ دمشق ٤/١٦١ (مخطوط): بآل قومك.

وثـنـى بـأخـرى مـثـلـهـا فـأبـادَهُـم   وأتـى الـزمـانُ عـلـى بنـي نـبـهـانِ[1]
وغـدا يـصـيـحُ بـآل طـاهـر صـيـحـةً   غـضـبٌ يـحـلُّ بـهـم مـن الـرحـمـنِ

فلمَّا وصلَ إلى همذان اغتنمَه أبو الوفاء رئيس همذان، فأبرَّه وأكرمَه، فأصبح ذاتَ يوم وقد وقع الثلجُ وقطع الطرق، فقال له أبو الوفاء: قد ترى وقوعَ الثلج، فأقمْ عندنا حتى يذهبَ الشتاء، فأقام بهَمَذان، وأحضَر إليه خزائنَ الكتب يطالعُها، وصنَّف فيها كتاب، «الحماسة» و«الوحشيات»، وغير ذلك ـ وكان العلماءُ يرون أنَّ اختيارهُ الحماسة أحسنُ من شعره ـ فلمَّا ارتفعَ الثلجُ سأله المُقَام فأبى، وتوجَّه إلى سرَّ من رأى، وبقي كتابُ «الحماسة» في خزائن أبي الوفاء، وكانوا لا يظهرونَه لأحدٍ ضنًّا به، حتَّى تغيَّرت أحوالُهم، فوردَ همذان رجلٌ من الدينور يعرف بأبي العواذل فظفرَ به، فحملَه إلى أصبهان، فاشتهر وشاعَ ذكرُه[2].

وديوانه مشهورٌ منه: [من البسيط]

ستصبحُ العيسُ بي يا صاحِ عندَ فتى   كثيرِ ذكر الرِّضَا في ساعة الغضبِ
صـدفـتُ عـنـه فـلـم تَـصْـدِفْ مَـودَّتُـهُ   عـنِّـي وعـاودَهُ ظـنِّـي فـلـم يـخِـبِ
كـالـغـيـثِ إنْ جـئـتَـهُ وافـاكَ صـيِّـبـه   وإن تـحـمَّـلـتَ عنهُ كان في الطَّلَبِ[3]

وقال: [من الخفيف]

رُبَّ خـفـضٍ تَـحْـتَ الـسُّـرى وغَـنَـاءٍ   مِـن عَـنَـاءٍ ونَـضْـرةٍ مِـن شُـحُـوبِ
لـسـتُ أُدلـي بـحُـرْمـةٍ مـسـتـزيـداً   فـي وِدادٍ مـنـكـم ولا فـي نَـصـيـبِ
غـيـرَ أنَّ الـعـلـيـلَ لـيـسَ بـمـذمـو   مٍ عـلـى شـرحِ حـالـهِ لـلـطـبـيـبِ
لـو رأيـنَـا الـتـوكـيـدَ خُـطَّـةَ عـجـزٍ   مـا شَـفَـعْـنَـا الأذانَ بـالـتـثـويـبِ[4]

وقال: [من الكامل]

فـكـأنَّ قُـسًّـا فـي عُـكَـاظِ يـخـطُـب   وكـأنَّ لـيـلـى الأخـيـلـيَّـة تَـنـدُبُ

---

(١) في تاريخ دمشق: ماهان.
(٢) انظر مقدمة شرح الحماسة للتبريزي ١/ ٥.
(٣) ديوان أبي تمام ١/ ١١٢ـ١١٣.
(٤) ديوان أبي تمام ١/ ١١٩، ١٢٥ـ١٢٦.

وكَـثـيـرَ عـزَّةَ بـيـن قـومٍ يـنـسُـبُ ... وابنَ المقفَّع في المدائحُ يُسهِبُ(١)

وقال: [من الكامل]

يـا طـالـبـاً مـسـعـاتَـهُـم لـيـنـالَـهـا ... هـيـهـاتَ منـك غُـبـارُ ذاكَ الـمـوكـبِ
بـحـرٌ يَـطِـمُّ عـلـى الـعُـفَـاة وإنْ تَـهِـج ... ريـحُ الـسُّـؤالِ بـمـوجـه(٢) يَـغْـلَـولِـبِ
أولـى الـمـديـحِ بـأنْ يـكـونَ مـهـذَّبـاً ... مـا كـانَ مـنـه فـي أغـرَّ مـهـذَّبِ
غَـرَبَـتْ خـلائـقُـهُ وأغـربَ شـاعـرٌ ... فـيـه فـأحـسـنَ مُـغـربٌ في مُـغـربِ(٣)

وقال: [من الطويل]

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لـديـبـاجـتَـيـه فـاغـتـربْ تَـتـجـدَّدِ
فـإنِّي رأيـتُ الـشـمـسَ زيـدت مـحـبَّـةً ... على الناس إذا ليستْ عليهم بسرمدِ
مـحـاسـنُ أوصـاف الـمـغـنِّـيـنَ جَـمَّـةٌ ... ومـا قـصـبـاتُ الـسَّـبـقِ إلَّا لـمـعـبـدِ(٤)

وقال: [من الطويل]

أرى ألـفـاتٍ قـد خُـطـطـنَ عـلـى راسـي ... بأقلامِ شيبٍ في مفارق قرطاسِي(٥)
فـإن تـسـألـيـنـي مـن يَـخُـطُّ حـروفَـهـا ... فـكـفُّ الـلـيـالـي تـسـتـمـدُّ بـأنـفـاسِي
جَـرَتْ في قلوبِ الغانياتِ لعيتي(٦) ... قُـشَـعْـرِيـرةٌ مـن بـعـد لـيـنٍ وإيـنـاسِ
وقـد كـنـت أَجـرِي فـي حـشـاهـنَّ مـرَّةً ... مجارِيَ جاري الماءِ في غصنِ الآسِ
فـإنْ أُمْـسِ لـم أَصِـلِ الـكـواعـبَ آيـسـاً ... فـآخـرُ آمـالِ الـعـبـاد إلـى الـيـاسِ(٧)

وقال: [من البسيط]

---

(١) ديوان أبي تمام ١/ ١٣٤ باختلاف يسير.
(٢) في (خ) و(ف): بمدحه. والمثبت من الديوان.
(٣) ديوان أبي تمام ١/ ٩٨ ، ١٠٤، ١٠٦-١٠٧ .
(٤) ديوان أبي تمام ٢/ ٢٣، ٢٩.
(٥) في الديوان: مهارق أنقاس.
والمهارق: جميع مُهْرَق، وهو القرطاس، والأنقاس: جمع نقس، وهو المداد.
(٦) في الديوان: لشيبتي. وفي إحدى نسخ شرح الصولي على الديوان ـ كما في هامش الديوان ـ : لهيبتي.
(٧) ديوان أبي تمام ٤/ ٥٩٧-٥٩٨ .

ذاك السؤالُ[١] شجىً في الحَلقِ معترضٌ ... من دُونه شَرَقٌ من خلفِه جَرَضُ[٢]
ما ماءُ كفِّكَ إنْ جَادتْ وإن بَخِلَتْ ... من ماءِ وَجهي إذا أفنيته عِوَضُ
مروءةٌ أذهبت أثمار لذّتِها[٣] ... وهمةٌ جوهرٌ معروفُها عَرَضُ

وقال: [من الكامل]

كم منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى ... وحنينُه أبداً لأوّلِ منزلِ
نَقِّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلّا للحبيبِ الأوّلِ[٤]

وقال: [من الطويل]

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَه ... فلجَّتُهُ المعروفُ والجودُ سَاحِلُهْ
تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتَّى لو انَّه ... أرادَ انقباضاً[٥]لم تطعْهُ أناملُهْ
ولو لم يكنْ في كفِّه غيرُ نفسه ... لجَاد بها فليتَّقِ الله سائلُهْ
إذا آملٌ رجَّاه قَرْطسَ في المنى ... بأسهمِه حتى يؤمِّلَ آملُهْ

وقال: [من الكامل]

نَظَرَتْ إليَّ بعينِ من لم يَعْدِلِ ... لمَّا تمكَّن حبُّها من مقتلي
لمَّا رأت وَضَح المشيبِ بلِمَّتي ... صَدَّت صدودَ مُجانبٍ متحمِّلِ
فجعلتُ أطلبُ وصلَها بتأمُّلٍ ... والشيبُ يغمزُها بأنْ لا تفعلي[٦]

وقال: [من الطويل]

سأتركُ هذا الباب ما دام إذنُه ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
فما خابَ من لم يأتِهِ متعمِّداً ... ولا فازَ من قد نالَ منه وصولَا
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً ... وجدتُ إلى ترك المجيء سبيلَا[٧]

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي الديوان ٤/ ٤٦٥: ذل السؤال.
(٢) الجرض: الريق. القاموس (جرض).
(٣) في الديوان ٤/ ٤٦٦: مودة ذهبت أثمارها شُبَهٌ.
(٤) ديوان أبي تمام ٤/ ٢٥٣.
(٥) في الديوان ٣/ ٢٩: ثناها لقبض. بدل: أراد انقباضاً.
(٦) العقد الفريد ٣/ ٤٣.
(٧) العقد الفريد ١/ ٧٤، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٢٠٢. ونسبت لغير أبي تمام، فنسبها ابن عبد البر في بهجة =

وقال: [من الرمل]

أنتَ في حلٍّ فزدني سَقَما أفنِ صبري واجعلِ الدمعَ دمَا
ليس منَّا من شكا علَّتَه من شكا ظُلْمَ حبيبٍ ظَلَمَا(١)

وقال: [من الكامل]

ما إنْ رَأى الأقوامُ شمساً قَبلَها أفَلَتْ فلم تُعْقِبْهُمُ بظَلام
لو يقدرون مَشَوا على وَجَناتِهم وعيونِهم فضلاً عن الأقدامِ(٢)

وذكر عبد الله بن المعتز إخوته فقال: أنا معهم كما قال أبو تمام: [من البسيط]

ذو الودِّ مني وذُو القربى بمنزلةٍ وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورَتْ آدابُهم أدبي فهم وإن فُرِّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدَت أجسامنا بشآم أو خراسانِ
ورُبَّ نائي المغاني روحُه أبداً لصيقُ روحي ودانٍ ليس بالدَّاني(٣)

وقال: [من البسيط]

لا يمنعنك خفضُ العيش في دَعَةٍ من أن تَبدَّل أوطاناً بأوطانِ(٤)
تَلقَى بكلِّ بلادٍ إن حَلَلْتَ بها أهلاً بأهلٍ وإخواناً بإخوانِ(٥)

وقال يرثي ولده: [من البسيط]

إنِّي أظنُّ البِلى لو كان يعرفُه صَدَّ البِلى عن بَقايا وجهِه الحسنِ

= المجالس ١/ ٢٧١ لمحمود الوراق، وأورد ابن المعتز في طبقات الشعراء ص٢٨٧، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٨٩-٩٠ البيتين الأول والأخير ونسبهما لأبي العميثل، ونسبهما الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٤٢٦ لمحمد بن عمران.

(١) ديوان أبي تمام ٤/ ٢٧٥.

(٢) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٠٦.

(٣) ديوان أبي تمام ٣/ ٣٣٥.

(٤) في المصادر: نزوع نفس إلى أهل وأوطان.

(٥) بهجة المجالس ١/ ٢٤٤. وليسا في ديوانه، وهما في حماسته ١/ ١٤٧ (شرح التبريزي) دون نسبة. ونسبهما ياقوت في معجم الأدباء ١/ ١٩٢، وابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٤٦ لإبراهيم بن العباس الصولي، ونسبهما الكتبي في فوات الوفيات ٤/ ١٤٢ لصريع الغواني. وهما في ديوانه ص٣٤١.

يا موتةً لم تَدعْ ظَرْفاً ولا أدباً ... إلَّا حَكَمْتِ به للحدِ والكفنِ
لله ألحاظُهُ والموتُ يكسرُها[١] ... كأنَّ أجفانَه سَكرى من الوَسَنِ
يردُّ أنفاسَه كَرْهاً وتعطفها ... يدُ المنية عَطْفَ الريحِ للغُصُنِ
يا هولَ ما أبصرتْ عيني وما سمعتْ ... أُذني فلا بقيت عيني ولا أُذني
لم يبق في بدني جزءٌ[٢] علمتُ به ... إلَّا وقد حلَّه جزءٌ من الحَزَنِ
كانَ اللحاقُ به أَوْلَى وأحسنَ بي ... من أنْ أعيشَ سقيمَ الروحِ والبَدَنِ[٣]

وقال: [من الطويل]

ألم تَرني خَلَّيتُ نفسِي وشانها ... فلم أحْفل الدُّنيا ولا حدثانَها
لقد خوَّفتني الحادثاتُ صُروفَها ... ولو أمَّنتني ما قبلتُ أمانَها
يقولون هل يَبكي الفتى لخريدةٍ ... متى ما أرادَ اعتاضَ عشراً مكانَها
وهل يستعيضُ المرءُ من عشر كفِّه ... ولو صاغَ من حُرِّ اللُّجَينِ بنانَها
وكيف على علم الليالي معرَّس[٤] ... إذا كان شيبُ العارضينِ دخانَها

وقال: [من البسيط]

إنَّ الليالي لم تحسنْ إلى أحدٍ ... إلَّا أساءتْ إليه بعدَ إحسانِ
العيشُ حلوٌ ولكنْ لا بقاءَ له ... جميعُ ما الناس فيه ذاهبٌ فاني[٥]

ذكر وفاته:

توفي سنةَ عشرين ومئتين[٦]. وقيل: لمَّا عادَ من خراسان عني به الحسنُ بن وَهْب، فولَّاه بريدَ الموصل، فأقامَ بها أقلَّ من سنتين، وتوفي في جمادى الآخرة[٧] سنة إحدى

---

(١) في (ف): يكسوها.

(٢) بعدها في (خ) و(ف): وقد. وهي مقحمة.

(٣) ديوان أبي تمام ٤/ ١٤٦.

(٤) في ديوان أبي تمام ٤/ ١٤٢: وكيف على نار الليالي معرَّسي.

(٥) تاريخ دمشق ٤/ ١٥٨-١٥٩ (مخطوط).

(٦) كذا في (خ) و(ف). ولعلها: سنة ثمان وعشرين ومئتين. انظر أخبار أبي تمام ص٢٧٢-٢٧٣، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٦٧.

(٧) كذا في (خ) و(ف)، وفي المصادر: جمادى الأولى.

وثلاثين. وقيل: في المحرم سنة اثنتين وثلاثين. ودفن بالموصل وله نيفٌ وأربعونَ سنة.

ورثاه العلماءُ والوزراءُ والشعراءُ، فقال محمدُ بن عبد الملك الزيَّات: [من الوافر]

ألَا للهِ مـا جَـنَـتِ الـخـطـوبُ ... تُـخُـرِّمَ مـن أحبَّـتـنـا حـبـيـبُ
ومـاتَ الـشـعـر مـن بـعـدِ ابـن أوسٍ ... فـلا أدبٌ يُـحَـسُّ ولا أديـبُ(١)

وقال الحسن بن وهب: [من الوافر]

نـبـأٌ أتـى مـن أعـظـمِ الأنـبـاء ... لـمَّـا ألَـمَّ مُـقـلـقـلُ الأحـشـاءِ
فُـجِـعَ الـقـريـضُ بـخـاتَـم الـشـعـراءِ ... وغـديـرِ روضـتـهـا حـبـيـبِ الـطـائـي
مـاتَـا مـعـاً فـتـجـاورَا فـي حـفـرةٍ ... وكـذاك كـانـا قـبـلُ فـي الأحـيـاءِ
قـالـوا حـبـيـبٌ قـد ثَـوى فـأجـبـتُـهـم ... نَـاشـدتُـكـم لا تـجـعـلُـوه الـطـائـي(٢)

وقال عليُّ بن الجهم: [من الكامل]

غـاضـتْ بـدائـعُ فـطـنـةِ الأوهـام ... وعَـدَتْ عـلـيـهـا نـكـبـةُ الأيـامِ
وغدا الـقـريـضُ ضـئـيـلَ شـخـصٍ بـاكـيـاً ... يَـشـكـو رزيَّـتَـه إلـى الأقـلامِ
وتـأوَّهـتْ غُـرَرُ الـقـوافـي بـعـدَه ... ورَمـى الـزمـانُ صـحـيـحَـهـا بـسـقـام
أَوْدَى مـثـقَّـفُـهـا ورائـضُ صـعـبِـهـا ... وغـديـرُ روضـتـهـا أبـو تـمـامَ(٣)

وقال أبو الفرج الأصبهاني: [كان دعبل](٤) يثلبُ أبا تمام ويقول: سرقَ قصائدَ الناس، فدخل يوماً على الحسن بن وهب، فقال: بلغني أنَّك [قلت في أبي تمام كيت وكيت، فهبه سرق هذه القصيدة(٥) كلَّها، وقبلنَا قولك فيه، أسرق شعره كلَّه؟ أتحسن أنت أن] تقول كما قال: [من الطويل]

---

(١) أخبار أبي تمام ص٢٧٧ـ ٢٧٨ .

(٢) البيت الأول والأخير لمحمد بن عبد الملك الزيات، كما في أخبار أبي تمام ص٢٧٧-٢٧٨ ، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٣-١٦٤ ، وتاريخ دمشق ٤/ ١٦٢-١٦٣ ، والبيتان الثاني والثالث للحسن بن وهب، كما ذكر المصنف، فتداخلت القطعتان.

(٣) أخبار أبي تمام ص٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٣ .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) يشير إلى قصيدة مكنف ولد زهير بن أبي سلمى، وانظر تمام الخبر في الأغاني ٢٣/ ١١٥ ، وما بين حاصرتين منه.

شهدتُ لقد أَقوت مغانيكُم بعدِي... الأبيات

فخجل دعبل، فقال له الحسن: قد مات الآن، وقد كنتَ تعادِيه حسداً له على حظّه من الدنيا، فتبِ الآن من ذكره، [فقال: أصدقك يا أبا عليّ،][1] ما كان بيني وبينه إلَّا أنَّني سألتُهُ أن ينزل عن شيءٍ من شعره، فاستحسنَه فبخلَ[2] به عليَّ. فعجب ابنُ وَهْب من اعترافه.

وقال المهلبيُّ: ما كان أحدٌ يقدرُ في زمن أبي تمّام أنْ يأخذَ درهماً على الشعر، فلمَّا مات اقتسمَ الشعراءُ ما كان يأخذه[3].

حدث أبو تمَّام عن صهيب[4] بن أبي الصهباء وغيره، وروى عنه خالد بن يزيد الشاعر وغيره.

وقال خالد بن يزيد الكاتب: بينا أنا مارٌّ بباب الطَّاق، وإذا براكبٍ خلفي على بغلةٍ، فلمَّا لحقني نخسني بسوطه، وقال: يا خويلد أنت القائل: [من المتقارب]

رقدتَ فلم ترثِ للساهر ... وليلُ المحبِّ بلا آخر

فقلت: نعم، فقال: لله درُّك، وصفَ امرؤ القيس في ثلاثة أبيات الليلَ الطويل، وكذا النابغةُ وبشار بن برد، وبَرَّزْتَ عليهم أنتَ بشطر كلمة؟! فقلت: بيِّن ما تقول، قال: أمَّا امرؤ القيس فقال: [من الطويل]

وليلٍ كموجِ البحرِ أَرْخَى سُدُولَه ... عليَّ بأنواعِ الهموم ليبتلي
فقلتُ له لمَّا تمطَّى بصدره ... وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ
ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألَا انجلي ... بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ[5]

وأمَّا النابغةُ فقال: [من الطويل]

(١) ما بين حاصرتين من الأغاني ٢٣/١١٦، ومكانها في (خ) و(ف): فكان.

(٢) في الأغاني: إلا أني سألته عن شيءٍ استحسنته من شعره فبخل...

(٣) الأغاني ١٦/٣٨٨.

(٤) تحرفت في (خ) و(ف) إلى مهلب. والتصويب من تاريخ دمشق ٤/ ١٥٢ (مخطوط)، وانظر تاريخ بغداد ٤/ ١٦٥-١٦٦.

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٨.

كـلـيـنـي لـهـمٍّ يـا أمـيـمـةَ نـاصـبِ … ولـيـلٍ أُقـاسـيـهِ بـطـيءِ الـكـواكـبِ
وصـدرٍ أراحَ الـلـيـلُ عـازبَ هَـمِّـه … تـضـاعـفَ فـيـه الـهـمُّ مـن كـلِّ جـانـبِ
تـقـاعـسَ حـتـى قـلـتُ لـيـس بـمـنـقـضٍ … ولـيـسَ الـذي يَـهـدي الـنـجـومَ بـآيـبِ[1]

وأما بشار بن برد فقال: [من الطويل]

خـلـيـلـيَّ مـا بـال الـدُّجـى لا يـزحـزحُ … ومـا بَـالُ ضـوء الـصُّـبـح لا يـتـوضَّـحُ
أظنُّ الدُّجى طالتْ وما طالتِ الدُّجى … ولـكـنْ أطـالَ الـلـيـل سُـقْـمٌ مـبـرِّحُ
أضـلَّ الـنـهـارُ الـمـسـتـنـيـرُ طـريـقَـه … أمِ الـدهـرُ لـيـلٌ كـلُّـه لـيـسَ يـبـرحُ[2]

فقلت له: قد قلتُ في معنى لم أسبَق إليه، فقال: قل، فقلت: [من مجزوء الرمل]

كـلـمَـا اشـتـدَّ خـضـوعـي … بـجـوىً[3] بـيـنَ ضـلـوعِـي
ركـضـتْ فـي حـلـبـتَـي[4] خـد … يَّ خـيـلٌ مـن دُمـوعِـي

فثنى رجلَهُ عن البغلة، ونزل، وقال: خذها، فأنتَ أحقُّ بها مني، ومضى، فسألتُ عنه، فقيل: هذا أبو تمَّام الطائي.

عليّ بن المُغِيرَة

أبو الحسن الأثرم، البغداديُّ، صاحبُ اللغة والنحو وغيره.

قدم الشام، ثمَّ رجعَ إلى بغداد، فتوفيَ بها. سمعَ الأصمعيَّ وغيَره، وكان ثقةً[5].

محمدُ بن زياد

أبو عبد الله، ابن الأعرابيّ، مولى بني هاشم، كان أحدَ العالمين باللغة، والمشار إليه[6] في معرفتها، كثير الحفظ لها، وكان يزعم أنَّ الأصمعيَّ وأبا عبيدة لا يعرفان

---

(١) ديوان النابغة ص٤٠-٤١ (دار المعارف).

(٢) ديوان بشار بن برد ١/ ٤٦٢ .

(٣) في المصادر: لجوى.

(٤) في (خ) و(ف): جانب. والتصويب من تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥ ، وتاريخ دمشق ٣/ ١٠٢ (مخطوط)، والمنتظم ١٢/ ١٧٩.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٥٩٤ ، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢٤٣ (طبعة مجمع اللغة).

(٦) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ٣/ ٢٠١ : إليهم.

منها قليلاً ولا كثيراً، وما رُؤي في يده كتابٌ قط.

قال الخطيب: وسأله ابنُ أبي دؤاد، أتعرف [في اللغة «استوى»][١] بمعنى استولى؟ قال: لا[٢]، ولا تعرفُه العرب؛ لأنَّها لا تقولُ: استولى فلانٌ على الشيء حتى يكونَ له فيه مُضَادٌّ أو منازع، فأيُّهما غلبَ استولى عليه، والله تعالى لا ضدَّ له. وأنشد النابغة: [من البسيط]

إلَّا لـمـثـلـكَ أو مَـنْ أنـتَ سـابـقُـه ... سبقَ الجوادِ إذا استولَى على الأمَدِ[٣]

وكان خصيصاً بالمأمون، وهو الذي سألَه المأمون عن أحسنِ ما قيل في الشراب، فقال[٤]: [من الطويل]

تـريـكَ الـقَـذَى مِنْ دونِـهـا وهـيَ دونَـه ... إذا ذاقَـهـا مـن ذاقَـهـا يـتـمـطَّـقُ[٥]

فقال المأمون: أشعرُ منه من قال: [من المديد]

وتـمـشَّـت فـي مـفـاصِـلـهـم ... كـتـمـشِّـي الـبُـرْءِ فـي الـسَّـقَـمِ

يريد أبا نواس[٦].

مات ابنُ الأعرابي بسرَّ من رأى في هذه السنة، وقيل: في سنة إحدى وثلاثين ومئتين، وصلَّى عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، وحدَّثَ عن أبي معاوية الضرير وطبقته، ورَوى عنه إبراهيم الحربيّ وغيره، وكان أوثقَ الناسِ، وهو الذي رَوى حديث أمِّ زرع، وتوفي في شعبان وهو ابنُ ثمانين سنة.

محمَّدُ بن عَائذ

صاحب المغازي والفتوح، أبو عبد الله، الكاتبُ الدمشقيُّ، صنَّف «الصوائف»

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤ .

(٢) ها هنا انتهى جواب ابن الأعرابي لابن أبي دؤاد، ومابعده هو من جوابه لرجل آخر. وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤.

(٣) ديوان النابغة ص٢١ .

(٤) قائله الأعشى. والبيت في ديوانه ص٢٦٩ .

(٥) في (خ)و(ف): يتمنطق. والمثبت من ديوان الأعشى، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه ص٥٣٧ .

و«السير» وغيرها، ولدَ سنة خمسين ومئة، ووليَ خراج غوطة دمشق للمأمون، وكان ثقةً.

مات بدمشق في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاثٍ، أو أربع وثلاثين ومئتين.

أسند عن الوليد بن مسلم، وخلقٍ كثير، ورَوى عنه أبو زُرعة الدمشقي ـ وذكره في أهل الفتوح[١] ـ وأحمد بن أبي الحَوَاري، وغيرهما، وأَجْمعوا على عدالتِه وديانتِه[٢].

هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد

ولد سنة تسعين ومئة ـ وقيل: سنة أربع وتسعين[٣] ـ بطريق مكَّة، وأمه قراطيس أم ولد، كان حسنَ السيرة، وإنَّما استولَى عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، كما استولَى على أبيه، وحملَه على أن حملَ الناس على القولِ بخلق القرآن، وشدَّد عليهم في ذلك، فكرهوا أيَّامه.

وقال أحمد بن حمدون: دخلَ هارون بن زياد مؤدِّبُ الواثق على الواثق، فأكرمَه وأظهرَ من برِّه ما شُهِر به، فقيل له: من هذا الذي فعلتَ به ما فعلت؟ فقال: هذا أَوَّلُ من فَتَقَ لساني بذكرِ الله، وأَدْنَاني من رحمة الله تعالى[٤].

وقال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحدٌ من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثقُ، ما ماتَ وفيهم فقير[٥].

وقال محمد بن المهتدي: كنتُ أَمشي مع الواثقِ في صحن داره، فقال: يا محمد، ادعُ بدواةٍ وقِرْطاس، فدعوتُ له بهما، فقال: اكتب: [من الوافر]

تنحَّ عن القبيح ولا تُرِدهُ ... ومَنْ أوليتَ إحساناً فزِدْهُ
ستُكْفَى من عدوِّكَ كلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العدوُّ ولم تَكِدْهُ

(١) تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٨٨.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠٤، وغيرهما.

(٣) لم أقف على هذا القول. بل روي أن ولادته كانت سنة ستٍّ وتسعين. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٥١، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥، والمنتظم ١١/ ١٢٠.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦.

ثم قال لي: اكتب: [من البسيط]

هي المقاديرُ تَجري في أعنَّتها ... فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ

ثم نظرَ طويلاً، فلم يحضره شيءٌ آخر، فقال: حسبك[1].

وقال أحمد بن حمدون: كان بين الواثق وبعض جواريه شرٌّ، فخرج كسلان، فلم أزلْ أنا والفتح بن خاقان نحتالُ في نشاطه، فلم ينشط، ورآني أضاحكُ الفتح، فقال: قاتلَ اللهُ العبَّاسَ بن أحنف حيث يقول: [من البسيط]

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحككم ... فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنعَا[2]

للحُبِّ في كلِّ عضوٍ لي [على] حِدَةٍ ... نوعٌ تفرَّقَ عنه الصبر[3] واجتمعَا

فقال له الفتح: أنتَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين في وضع[4] التمثيل في موضعه أشعرُ منه وأظرف.

وقال يحيى بن أكثم: كان أحمدُ بن أبي دؤاد قد استولَى على الواثق؛ دخلَ عليه يوماً وعنده محمدُ بن عبد الملك وجماعةٌ، وقد نالوا من ابنِ أبي دؤاد، فلمَّا رآه الواثق تمثَّل بقول الحطيئة، وأومأ إليهم: [من البسيط]

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كلابُهم ... وجَرَّحُوه بأنيابٍ وأضراسِ[5]

ففهم ابن أبي دؤاد، فأشارَ إلى ابن الزيَّات، وقال: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١١]، ثم قال ابن أبي دُؤاد: فما قالَ لهم أمير المؤمنين؟ قال: ما قالَه كثيِّرُ عزَّة: [من الكامل]

ومَشى إليَّ بعيب عزَّة عصبةٌ ... جعلَ الإلهُ خُدودَهنَّ نِعالَها[6]

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥-٢٦، والمنتظم ١١/ ١٢٠-١٢١.

(٢) بعده في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦، والأغاني ٨/ ٣٥٧-٣٥٨، والمنتظم ١١/ ١٢١:

اليوم أبكي على قلبي وأندبُهُ ... قلبٌ ألحَّ عليه الحبُّ فانصدعا

(٣) في (خ) و(ف): الصد، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦، والمنتظم ١١/ ١٢١، وما بين حاصرتين منهما. ولم يُذكر هذا البيت في الأغاني.

(٤) في (خ) و(ف): موضع. والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم والأغاني ٨/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٥) ديوان الحطيئة ص٢٨٤.

(٦) ديوان كثير ص٢٣٥ بألفاظ قريبة.

وقال حماد الموصلي: مرضَ الواثقُ فعادَه أبي وأنشد: [من البسيط]

ليتَ الشكاةَ التي كدنَا لها جَزعاً   نموتُ لو أنَّ شيئاً يسبقُ الأجلَا
كانت بنا دونَ مولانا وسيِّدنا   وأنَّه جُنِّبَ الأوصابَ والعِلَلَا
فالحمدُ لله إذ صحَّت سلامتُه   وأذهبَ الله عنه الخوفَ والوجلَا
يا أيُّها الواثقُ المأمولُ أنتَ لنا   عزٌّ نلوذُ به إذ نازلٌ نزلَا
لا نتَّقي ريبَ دهرٍ ما بقيتَ لنا   ولا نبالي إذا وُلِّيتَ ما فعلَا
نَهوى الحياة إذا ما كنتَ راعيَنا   وإن بقينا ليومٍ غيرِ ذاك فلَا

فأعطاه ستةَ آلاف دينار.

وقال أبو عثمان المازني: كان سبب طلب الواثق لي أن جاريةً غنَّت بين يديه: [من الكامل]

أظلومُ إنَّ مصابَكم رَجلاً   أهدى السلامَ تحيَّةً ظلمُ

فأنكرَ عليها الواثق، فقالت: قرأتُهُ على المازنيّ، فأرسلَ في طلبي، فلمَّا دخلتُ عليه قال: ممَّن الرجل؟ قلت: من مازن، فقال: مازن اليمن، أو ربيعة، أو تميم، أو شيبان؟ فقلت: من مازن ربيعة، فقال: ما اسبك - بالباء، وهي لغةُ قومنا -؟ قلت: مكر، أي: بكر، فضحك وقال: اقعد، فقعدتُ، فقال: كيف تنشدُ هذا البيت: أظلوم إنَّ مصابكم؟ فقلت: رجلاً، فقال أين خبر إنَّ؟ قلت: ظلم، الذي في آخر البيت، فقال: ولم؟ قلتُ: لأنَّ البيتَ معلَّق به، ولا معنًى تحته حتى يتمَّ به، فأعطاني ألفَ دينار، وأمرني بملازمة مجلسه[(١)].

وقال الصوليُّ: جلسَ الواثقُ يوماً وعنده ندماؤه، فطربَ، فقال: من ينشدُنا؟ فقال الحسين بن الضحَّاك: أنا، فأنشدَه قصيده التي أولها: [من الطويل]

سَقَى الله بالقاطولِ مسرحَ طرفكا   وخصَّ بسُقياهُ مناكبَ قصركَا[(٢)]

---

(١) انظر القصة في نزهة الألباء ص١٨٣-١٨٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٤، وإنباه الرواة ١/ ٢٤٩، والأغاني ٩/ ٢٣٤-٢٣٥، وفي نزهة الألباء وإنباه الرواة أنه انتسب إلى مازن شيبان. وانظر ما سيأتي في ترجمة المازني من هذا الجزء.

(٢) في (خ): مرابع طرفكا. والمثبت من الأغاني ٧/ ١٥٨، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

خلقتَ أمينَ الله للخلقِ عصمةً وأمْناً وكلٌّ في ذراكَ وظِلِّكا
وثِقْتَ بمن سمَّاك في الغيب واثقاً وثبَّتَ بالتأييد أركانَ مُلكِكا
وأعطاكَ مُعطيكَ الخلافةَ شكرَها وأشعر بالتَّقوى سريرةَ قلبِكا
وزادكَ من أعمارنا غيرَ مِنَّةٍ عليكَ بها أضعافَ [أضعافِ] عمرِكا
ولا زالتِ الأقدارُ في كلِّ حالةٍ عدوّاً لمن عاداكَ سلماً لسلمكا
إذا كنتُ من جدواك في كلِّ نعمةٍ فلا كنتُ إنْ لم أُفْنِ عمري بشكرِكا

من أبيات، فأعطاه خمسينَ ألفاً.

وقال الواثق: ما مدحني أحدٌ كما مدحني إدريس بن سليمان بن أبي حفصة، والأبيات: [من البسيط]

قل للخليفة هارونَ الذي خضعتْ له رقابُ ملوكِ السهلِ والجبلِ
أصبحتَ مالك بعد الله من مثل والله ليسَ له في العزِّ من مثلِ
ورثتَ عن خلفاءٍ أنتَ تاسعُهم خلافةً ورثوها خاتمَ الرسلِ
منكم رشيدٌ ومهديٌّ ومعتصمٌ وواثقٌ عن سبيل الحقِّ لم يملِ
لو لم يُقِم قبَّةَ الإسلامِ عدلُكم لأصبحَ الملكُ منها غيرَ معتدلِ
وحوَّلَ الواثقُ الدُّنيا فجادَ بها وسدَّ بالعدلِ باب الجورِ والنحلِ
أحييتَ بعدَ رسولِ الله سنَّتَه فأصبحَ الحقُّ فيها واضحَ السبلِ

وكان الواثق مريضاً، فأمرَ أحمدَ بن أبي دُؤاد أن يصلِّي بالناسِ يومَ العيد، فلمَّا انصرف قال: كيف كان عيدكم؟ قال: كنَّا في نهارٍ لا شمسَ فيه، فقال: أنا مؤيَّدٌ بك[1].

وقال إسحاق بن إبراهيم: حججتُ ثم عدت إلى سامراء، فدخلت على الواثق فقال: أطرفني بأحاديثِ الحجاز والأعراب، فقلت نزلتُ في بعض المنازل، فجلس إليَّ فتىً من الأعراب، فرأيتُ منه أدباً وحديثاً حسناً، فقلت: أنشدني فقال: [من الطويل]

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢.

سَقَى العلمُ الفردُ الذي في ظلالهِ غزالانِ مكِّيانِ[١] مؤتلفانِ
إذا أمِنَا التفَّا بجيدَي تواصلٍ فطرفاهما للغيبِ[٢] مسترقانِ

ثم تنفَّس فظننتُ نَفْسَه تخرج، فقلت: ما الرأي بك[٣]؟ فقال: من وراء هذين الجبلين شجنٌ قد حيل بيني وبينه، ونذروا دمي، فأنا أتمتعُ بالنظر إلى هذين تعلُّلاً بهما، فقلت: زدني، فقال: [من الطويل]

إذا ما وَرَدْتَ الماءَ في بعضِ أهلهِ حَضُورُ فعرِّضْ بي كأنَّك مازحُ
فإنْ سَأَلَتْ عنِّي حَضُورُ فقل لها به غِيَرٌ مِنْ دائِه وهو صالحُ

فعجبَ الواثق وأمرني أن ألحّن الأبيات[٤]، فغنّيتُ بها بين يديه، فأمر لي بستين ألفاً، ثم قال: قد قضيتُ حوائجك وما أفكرتَ في السبب! قلت: وما هو؟ قال: الأعرابيُّ، ولم تسألني معونته، وقد كتبتُ إلى والي الحجاز بأنْ يزوِّجَهُ المرأة، ويسوق إليها صداقَها، وأمرتُ له بمالٍ، فقبَّلت يدَه وقلتُ: من يسبقكَ إلى المكارم وأنت سيِّدُها ومولاها.

وقال الخطيبُ: كان الواثقُ مغرى بأكلِ الباذنجان، فكانَ يأكلُ في ساعةٍ منه أربعين باذنجانة، فقال له أبوه: يا بني مَنْ رأيتَ خليفةً أعمى؟ ففهم فقال: يا أميرَ المؤمنين قد تصدَّقتُ بعيني على الباذنجان[٥].

وقال الصوليُّ: أهدي إلى الواثق غلامٌ، فأغضَبَه الواثقُ يوماً، فسمعه يقولُ لبعض الخدم: والله إنَّ أمير المؤمنين ليروم منذ أمس أنْ أكلِّمَه، فلم أفعل، قال الواثق: [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا ما أنتَ إلا مليكٌ جارَ إذ قَدَرَا
لولَا الهوى لتجارينَا على قدرٍ وإنْ أفِقْ منه يوماً ما فسوفَ ترَى[٦]

---

(١) في الأغاني ٩/ ٢٨٦، والتذكرة الحمدونية ٦/ ٢٠٣: مكحولان. وفي الفرج بعد الشدة ٤/ ٣٩٩: مكتنان.
(٢) في الفرج بعد الشدة والتذكرة الحمدونية: للريب. ولم يذكر صاحب الأغاني هذا البيت.
(٣) في الفرج بعد الشدة والتذكرة الحمدونية: ما لك بأبي أنت. وفي الأغاني: ما بالك.
(٤) في الفرج بعد الشدة أن الذي لحن الشعر بعض عجائز الدار، وأثنى إسحاق على اللحن.
(٥) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٧.
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢.

ذكر وفاته:

قيل: إنَّه رَجَع عن القولِ بخلق القرآن، وتابَ قبل موته.

وقال إبراهيم بن أسباط: أُبْلِغَ ابنُ أبي دؤاد أنَّ رجلاً من أهل أَذَنَة يناظرُ في القرآن، ويقيمُ الأدلَّة على قِدَمِه فقال: يا أميرَ المؤمنين إنَّ رجلاً بأَذَنَة يقال له: عبد الله بن محمد الأَذْرَميّ يناظرُ في القرآن، فبعثَ به إليه، فجلس الواثقُ مجلساً عامّاً، وحضرَ ابنُ أبي دؤاد والعلماءُ والأشراف، ودَخلَ الرجل فقال: سلامٌ عليكم، فقال الواثق: لا سلَّم الله عليك، فقال الرجل: ما أحسن ما أدَّبك مؤدِّبُك! قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء: ٨٦] فوالله ما حييتني بها ولا بأحسنَ منها، فخجلَ الواثقُ، ثم قال الواثق لابن أبي دؤاد[(١)]: يا أحمد، هذا الذي تدعو الناس إليه أشيءٌ علمَه رسول الله ﷺ، أو لم يعلمه؟ فإن كان علمه، فهلَّا دَعَا الناسَ إليه، وإن قلت: ما علمَه، فقد نسبتَه إلى الجهل، وكذا الخلفاء بعدَه، فقال ابنُ أبي دؤاد: عَلِمُوه، ولم يدعوا الناس إليه، فقال الرجل: أفلَا يسعُكم ما وسِعَهم؟ فانقطعَ ابنُ أبي دؤاد، وقام الواثقُ ودخل مجلسَه واستلقَى على ظهره، ثم جعل يردِّدُ كلامَ الشيخ، ثم استدعَى به، فحلَّ عنه قيوده، وأعطاهُ أربعَ مئة دينار، وردَّهُ إلى أهلِه مكرماً، فاستدلَّ الناس بذلك على رجوع الواثق[(٢)].

وقال صالح بن [علي بن][(٣)] يعقوب الهاشميّ: حضرتُ مجلسَ المهتدي بالله، وقد جلسَ للمظالم في دار العامَّة، فقرأَ القصَص ووقَّع عليهم بأسرها، فسرَّني ذلك منه، وجعلت أنظرُ إليه، ففطنَ وقام، ثم استدعاني وقال لي: يا صالح، حَدِّثني ما دارَ في خَلَدِك، أو أحدثك، فقلت: أمير المؤمنين يرى، فقال: إنك[(٤)] استحسنت ما رأيتَ منِّي، وقلت في نفسك: أيُّ خليفةٍ خليفتُنا، لو لم يقل بخلق القرآن. فقلت: الصدقُ أنجَى، هو ذاك. فقال: قد كنتُ أقولُ ذلك صدراً من أيام الواثق حتى قدم على أحمد

(١) كذا في (خ) و(ف) فلعله وقع سقط أو تحريف، فالقائل هو الشيخ.

(٢) انظر القصة مختصرة في فوات الوفيات ٤/ ٢٢٩-٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٨، وتاريخ الخلفاء ص٣٤١-٣٤٢. وفيها أنه أعطاه ثلاث مئة دينار.

(٣) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢.

(٤) في (خ) و(ف): إن. والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٣، وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٩.

ابن أبي دؤاد شيخٌ من الشام من أهل أذنة، فَأُدْخِلَ على الواثق مقيَّداً فإذا هو جميلُ الوجهِ، حسنُ الشيبة، فرأيتُ الواثقَ قد رقَّ له، وما زالَ يدنيه حتى قَرُبَ منه فسلَّم فأحسن، ودَعَا فأبلغَ وأوجزَ، فأمَره بالجلوس وقال له: ناظر ابن أبي دؤاد، فقال: إنَّه يصبو(١) أو يضعفُ عن المناظرة، فغضبَ الواثقُ، ثمَّ قال الشيخُ لابن أبي دؤاد: يا أحمد، أخبرني عن النبيِّ ﷺ حينَ بعثه الله إلى الخلائق، هل ستَر شيئاً ممَّا أمره به؟ قال: لا، قال: علم بمقالتك هذه أو جهلها؟ قال: بل علمها، قال: فهل دعا الناس إليها. [فسكت](٢)، قال: وكذا علمها الخلفاءُ الراشدون؟ قال: نعم، قال: فهل دعي الناسُ إليها؟ فسكت، فقال الشيخ: إنْ لم يسعنا في هذه المقالة ما وسعَ رسولَ الله ﷺ والخلفاء بعدَه، فلا وَسَّع الله علينا، فأمرَ بفكِّ قيده فأراد الحدادُ ليأخذه، فقال الشيخ: لا والله، أنا أحقُّ به، فقال له الواثق: فما تصنعُ به؟ قال: أجعلُه في كفني لأخاصمَ به هذا الظالم يوم القيامة، وأشار إلى ابن أبي دؤاد، [أقول: يارب، سل عبدك هذا، لم](٣) روعني وأزعجني وأزعج أولادي وإخواني بغير حق؟ ثمَّ بكى، وبكى الواثق وقال له: اجعلني في حلٍّ فقال: والله جعلتُك في حلٍّ من أوَّل يوم إكراماً لرسولِ الله ﷺ؛ إذ كنتَ من أهله، قال: ألكَ حاجة؟ قال: نعم، تجعل سراحي إلى أهلي وولدي، فقال له: إنْ رأيتَ أن تقيمَ عندنا نتتفع بك وتنتفع بنا، فقال: لا، بل أروحُ إلى أهلي، قال: فتقبلُ منَّا صِلَةً تستعينُ بها، قال: أنَا عنها في غنى، ثمَّ قام، وخرج إلى السفر، فقال المهتدي: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظنُّ أنَّ الواثقَ رجعَ عنها من ذلك اليوم.

وقال(٤) ابن أكثم: دخل عبَّادة المؤنَّث(٥) على الواثق، وكان عبَّادة ظريفاً ينادمُ الخلفاء، وله نوادر [مضحكة]، فقال: يا أمير المؤمنين أحسنَ الله عزاءك، قال: فيمن؟ قال: في «قل هو الله أحد»(٦)، فقال: ويحكَ، وكيف تموت؟! قال: لأنَّه مخلوق،

---

(١) في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٣: يضوى ويضعف.

(٢) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق.

(٣) في (خ) و(ف) بياض، واستدركته من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٤.

(٤) من هنا رجعت النسخة (ب) وفيها: فصل في ذكر الواثق.

(٥) كذا في (خ) و(ف) و(ب). وفي المصادر: عبَّادة المخنث.

(٦) في (ب): في القرآن. بدل: في قل هو الله أحد.

وكلُّ مخلوقٍ يموت، [وإذا مات في شعبان، فمن يصلِّي بالناس في رمضان]، فوجم الواثق وقال: خذها من غير فقيه، ورجع عن قوله(١).

[وعاش عبَّادة إلى أيام المتوكِّل](٢).

واختلفوا في سببِ وفاة الواثق، فقال قومٌ: كانَ كثيرَ الأكل على غير نقاء، ففسدت معدتُه، وكان يُحملُ إليه من بطيخ مَرْو فيكثر الأكل [منه]، فاستحال في جوفه، فكان سببَ وفاته.

وقال الطبري: [حكى لي جماعةٌ من أصحابنا أنَّ علَّتَه التي توفيَ فيها كانت علَّةَ الاستسقاء،](٣) فعولجَ في تنُّورٍ مسخَّنٍ، فوجدَ لذلك راحةً [وخفَّةً]، فأمرهمْ من غير(٤) ذلك اليومِ بالزيادةِ في إسخان التنُّور، ففعلُوا، وقعد فيه أكثرَ من [قعوده في] اليوم الذي قبله، فحمِيَ عليه، فأخرِجَ منه، وصُيِّرَ في محفَّةٍ، وحضرهُ الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ وعمر بن فرج الرُّخَّجيّ وابنُ الزيَّات وابنُ أبي دؤاد، فلم يعلمُوا بموتِه حتى ضَربَ بوجهه المحفَّة، [فعلمُوا أنَّه قد مات. هذا صورةُ ما ذكره الطبريُّ(٥).

قلت: وقد ذكر أبو المتوكل(٦) بما هو أتم من هذا، حدثنا غيرُ واحدٍ عن عبد الملك ابن القاسم الكروخي بإسناده إلى أبي المتوكل قال:] كان الواثقُ يحبُّ النساءَ وكثرةَ الجماع، بعثَ [يوماً] إلى ميخائيل الطبيب، فدخلَ عليه وهو نائمٌ في فرشه(٧) وعليه قطيفة خزٍّ، فقال: يا ميخائيل، أريدُ دواءً للباه، فقال [له:] يا أميرَ المؤمنين، اتَّقِ الله في نفسك [وبدنك]، فإنَّ الجماعَ يهدُّ البدنَ ويضعف النفس، [و] لا سيما إذا تكلَّفَه الرجل، فقال له: لا بدّ، ثم رفعَ القطيفة وإذا بينَ فخذيه وصيفةٌ قد ضمَّها [إلى نفسه،

---

(١) انظر القصة بنحوها في عقلاء المجانين ص٤١، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٥٠-٥١ (طبعة المجمع).

(٢) ما سلف بين حاصرتين من (ب)

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): كانت علته (بياض بمقدر كلمة)...

(٤) كذا في (خ) و(ف). وليست في (ب)، وفي تاريخ الطبري: غَدِ.

(٥) في تاريخه ٩/ ١٥٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٦) كذا في (ب). والصواب: المتوكل. كما في المنتظم ١١/ ١٨٦ . وفي (خ) و(ف): وقال المتوكل.

(٧) في المنتظم ١١/ ١٨٦ : وهو نائم في مشرقة له.

وذكر من حسنها وجمالها أمراً عجيباً][(١)]، وقال: من يصبرُ عن مثل هذه، فقال: إنْ كان ولا بد، فعليك بلحم[(٢)] السبع [يُغْلَى منه رطلٌ سبعَ غليات][(٣)] بخلٍّ خمرٍ عتيق، فإذا جلستَ على شرابك تناول منه مقدارَ ثلاثة دراهم ثلاثَ ليال، فإنَّك تجدُ ما يغنيك، ولا تجاوز ما قلت لك، [فأخذ سَبُعاً وذبحَه، وتناول من لحمه على الوجه الذي ذكره ميخائيل، فأكثر منه على الشراب][(٤)] فَسُقِيَ بطنُه، فأجمعَ الأطبَّاءُ على أنَّه لا دواءَ له إلا أن يسجَر تنورٌ بحطبِ الزيتون، ويسخَّنَ حتى يمتلئ جمراً [فإذا امتلأ كُسِحَ][(٥)] ما في جوفه، [ويلقى على ظهره، ويجعل تحته وفوقه الرطبة] ويقعد فيه ثلاث ساعات، فإذا استسقَى ماءً لم يُسْقَ، ثم يخرج [من التنور]، فإذا وجدَ الراحةَ أعادوه، ففعلوا [به] ذلك، فجعلَ يصيحُ ويستغيث، ويقول: أخرجوني فقد احترقت، اسقوني ماءً وقد وكَّلُوا به من يمنعهُ الماء، ولا يدعه أن يقوم من موضعه، فتنفَّطَ بدنه كلُّه، وصار فيه نفاخات أكبرُ من البطيخ، واشتد به الألمُ والوجع، فصاح: ردُّوني إلى التنُّور، وكان قد وجدَ خِفَّةً، فردُّوه، فصاح، وانفجرت النفاخات، وصاحَ أهله وجواريه، فما أُخرِجَ من التنور إلَّا [وقد صار] أسودَ مثل الفحمة، فما مضت عليه ساعةٌ حتى مات[(٦)].

ورَوَى الخطيبُ أنَّه لما احتُضِرَ جعلَ ينشد: [من البسيط]

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مُشترِكُ ... لا سُوقةٌ منهم يبقَى ولا ملكُ
ما ضَرَّ أهلَ قليلٍ في تفاقرهم ... وليس يُغني عن الأملاكِ ما مَلكُوا

قال: ثم أمر بالبُسُطِ فطويت، وألصقَ خدَّه بالأرض، وجعلَ يقول: يا من لا يزولُ ملكُه، ارحمْ من قد زالَ ملكُه[(٧)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ضمها إليه، في نهاية الجمال والحسن.
(٢) في (ب): بشحم.
(٣) في (خ) و(ف): يطلى منه رطل. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ) و(ف): وتناول منه فأكثر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ) و(ف): ثم يكسح. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٦) انظر الخبر بتمامه في المنتظم ١١/١٨٦-١٨٨ .
(٧) تاريخ بغداد ١٦/٢٦-٢٧ .

وروي أنَّه أحضرَ المنجِّمينَ فنظرُوا في مولده، واتفقُوا [على][١] أنَّه يعيشُ خمسينَ سنةً مستقبلةً، فماتَ بعد خمسة أيام.

[ومن العجائب ما رواه الخطيب عن القاضي التنوخي عن أبيه قال: حدثني الحسين أحمد بن محمد، عن أبيه[٢]، عن] أحمد بن محمد[٣] أمير البصرة [قال: حدثني أبي قال:] كنتُ فيمن مرَّضَ الواثقَ، فكنتُ قائماً بين يديه أنا وجماعةٌ من الأولياء والموالي والخدم، إذْ لَحِقَتْهُ غشيةٌ، فما شككنَا أنَّه قد مات، فقال بعضُنا لبعض: تقدَّموا فاعرفوا خبرَه، فما جَسَرَ أحد [منا] يتقدَّم إليه، فتقدَّمت أنا، فلمَّا أردتُ أنْ أضعَ يدي على أنفه، لحقته إفاقةٌ، ففتحَ عينيه، فكدتُ أنْ أموتَ فرقاً من أن يراني قد مشيتُ في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعتُ إلى خلف، وتعلَّقت قَبيعةُ سيفي بعتبة المجلس، وعثرتُ به، فاتَّكأت عليه فاندقَّ سيفي، وكاد يدخل في لحمي ويجرحني، فسلَّمتُ وخرجتُ، فاستدعيتُ سيفاً ومِنْطقةً أخرى فلبستها، وجئتُ فوقفتُ في مرتبتي ساعةً، وماتَ الواثق، وجاء الفرَّاشون، فأخذوا ما تحته [في المجلس] من الفرش؛ ليردُّوهُ إلى الخزائن؛ لأنها [كانت] مثبتةً عليهم، وتُرِكَ وحدَه في البيت، فشددتُ لحيته[٤]، وغمَّضتهُ، وسجَّيتُه، ووجَّهتُه إلى القبلة، فقال لي ابن أبي دؤاد: نريدُ أنْ نتشاغلَ بعقدِ البيعة، ولا بدَّ أن يكونَ أحدٌ يحفظُ الميتَ إلى أنْ يُدفنَ، وقد كنتَ من أخصِّ الناسِ به في حياته، فاحفظْهُ بعد مماته، فقلت: نعم، ومضَوا، فرددتُ عليه باب المجلس، وجلست [عند الباب أحفظُه]، وكان المجلس في بستانٍ كبير، فبينا أنا كذلك إذ سمعت في البيت حركةً [أفزعتني]، فدخلتُ أنظر [ما هي]؟ وإذا بجرذون من دواب البُستان قد جاء فاستلَّ عين الواثق فأكلَها، [فتعجبت] وقلت: لا إله إلا الله، هذه العينُ التي فَتَحَهَا منذُ ساعةٍ فاندقَّ سيفي لها هيبة [له] صارتْ طعمةً لدابَّةٍ ضعيفةٍ، ثمَّ جاؤوا فغسَّلوه،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) كذا في (ب)، وفي تاريخ بغداد: حدثني الحسين بن الحسن بن أحمد بن محمد الواثقي، قال حدثني أبي، قال: حدثني أبي أحمد بن محمد.

(٣) في (خ) و(ف): وقال أحمد بن محمد أمير البصرة، والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) كذا في (خ) و(ف) و(ب)، وفي تاريخ بغداد: لحييه.

وسألني ابنُ أبي دؤاد عن عينه، فأخبرتُه.

[قال: والجرذون دابَّةٌ أكبر] (من اليربوع قليلاً)[١].

وقيل: إنَّ هذه الواقعةَ كانت مع إيتاخ[٢] [مملوك الواثق، وأنَّه أكلَ عينه جرذون. . .[٣].

وكذا جرى لمروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية لما قُتِلَ ببُوصير بعث برأسه عبدُ الصَّمد بن علي إلى أخيه عبد الله بن علي بالشام؛ ترك الرأس بين يديهم، وغفلوا عنه ساعة، فجاءت هرَّة فأكلت لسانه، وقد ذكرناه][٤].

وتوفي الواثق بسُرَّ من رأى لأربعِ ساعاتٍ من نهار الأربعاء لستٍّ بقينَ من ذي الحجَّة [سنة اثنتين وثلاثين ومئتين]، ودفنَ بقصره المعروفِ بالهارونيّ، وقيل: مع أبيه بالجَوْسَق، وكان المتولِّي لغسله وتكفينه ونزوله في قبره أحمد بن أبي دؤاد، وصلَّى عليه أخوه المتوكل، ودفن وهو ابن سبع [وثلاثين سنة، وقيل: ابن][٥] ثمان أو تسع وثلاثين سنة. و[كانت] خلافتُه خمسَ سنين وتسعةَ أشهر وأيَّاماً، وقيل: خمس سنين وشهرين وأحد وعشرين[٦] يوماً.

[وأما أولادُه، فمحمد وهو المهتدي][٧]، وليَ الخلافة، وأمُّه قُرب أمُّ ولدٍ روميَّة، وعبد الله، وكنيتُه أبو القاسم، وأحمد، وإبراهيم، وعائشة.

ووزيره محمد بن عبد الملك الزيَّات، وقاضيه أحمدُ بن أبي دؤاد، وحاجبه إيتاخ ووصيف.

[وقال الخطيب:] حدث عن أبيه المعتصم، وقَدِم معه دمشق في خلافةِ المأمون[٨].

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٧٢-٢٨ . وما بين قوسين منه. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) بعدها في (خ) و(ف): وأن عينه أكلها جرذ. والمثبت بين حاصرتين من (ب)
(٣) بعدها في (ب) كلمة مشوشة بسبب التصوير، ولم أتبينها. وانظر التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٠٩.
(٤) خبر عين مروان بن محمد سلف نحوه في خبر وفاته سنة ١٣٢هـ.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف) مكانها: أو.
(٦) في (خ) و(ف): وأحد عشر. والمثبت من (ب)، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٨، والمنتظم ١١/ ١٨٨.
(٧) في (خ) و(ف): وكان له من الولد محمد المهدي. (كذا) والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٨) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٩ . ووقع بعدها في (ب): انتهت سيرة الواثق، والحمد لله وحده، وأزكى

وقال أحمد بن مدبر: حبسني محمدُ بن الزيَّات، وحبس سليمان بن وَهْب وأحمد ابن إسرائيل على ما قال، فقال لي سليمان يوماً: يا أحمد، رأيت البارحة في منامي قائلاً يقول: يموت الواثقُ بعد ثلاثين ليلةً، فعجبتُ، فلمَّا كان يوم الثلاثين قال لي: يا أحمد جاء الأجل، فلمَّا كان في الليل، إذا الباب يُدَقُّ دقّاً شديداً وقائلاً يقول: ماتَ الواثقُ، فقال أحمد بن إسرائيل: قوموا بنا إلى منازلنا، فقال سليمان بن وهب: كيف نمشي مع بعد المنازل، ولكن نبعثُ من يأتينا بدوابنا، فاغتاظ أحمد بن إسرائيل وقال: نعم، حتى يأتي خليفةٌ آخر، قم بنا عافاك الله، فكأنِّي بالخليفة الذي يأتي يقول: في الحبس جماعةٌ من الكتاب يبقوا حتى يُنْظَرَ في أمرهم، فأسرعنا المشي، وقصدنَا غيرَ منازلنا، واستترنا، فقيل: استوزرَ الخليفةُ محمد بن عبد الملك، فكتبنَا إليه ورقةً نعرِّفهُ بحالنا، ونستأذنه ما نفعل، فكتب على ظهرها: استخفيتم، وليس فيكم إلا من تخصُّه عنايتي، ورأي فيه جميل، فاظهروا جميعاً، فظهرنا، وقصدناه فطيَّبَ قلوبَنا، وخلع على سليمان بن وهب دوننا[1].



= صلواته وسلامه على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم.

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٥٩-٢٦١.

السنة الثالثة والثلاثون بعد المئتين

[وفيها غضب المتوكِّل على محمَّد بن عبد الملك الزيَّات، وعذَّبه حتى مات، وسنذكر قصته في موضعها.

و] فيها كانت زلزلةٌ عظيمةٌ، [ذكر الحافظُ ابن عساكر في كتاب «الزلازل» وقال: زلزلت دمشق يوم الخميس ضحًى،][1] لإحدى عشرة ليلة خَلَت من ربيع [الآخر][2] سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئتين في خلافة المتوكِّل، ذكرها أحمد بن أبي طاهر قال:] جاءت الناس وهم غارُّون، فقطعتْ ربعاً من الجامع بدمشق، وتزايلتِ الحجارةُ العظامُ عن تركيبها، وسقطت شرفُ الجامع، وانصدعَ طَاقُ القبَّة ممَّا يلي المحراب، ووقعت منارةٌ من المسجد، وسقطت القناطرُ والمنازلُ، فهلكَ خلقٌ عظيمٌ، وامتدَّت في الغوطة، فأتت على داريَّا والمزَّة وبيت لِهْيا وغيرها، وخرجَ الناسُ إلى المصلَّى، واشتغلُوا بالبكاء والدعاء والتضرُّع والاستغفار إلى قريب نصف النهار، فسكنتِ الدُّنيا.

[قال ابن عساكر: وذكر] القاضي[3] أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة [الرُّهاوي[4] هذه الزلزلة] في «تاريخه» [وقال:] إنَّ بعضَ أهل دير مُرَّان رأى دمشق ترتفعُ وتنخفضُ مراراً، فماتَ تحت الهدم معظمُ أهلها، و[قال ابن كامل:] وهرب النساء والصبيان ومن بقيَ من الرجال [والنساء وأهل الأسواق] إلى مصلَّى العيد؛ يبكُون ويتضرَّعُون إلى وقت المغرب [والعشاء]، فسكنت الدُّنيا، فعادوا يُخرِجونَ موتاهم من تحت الهدم، ويدفنونهم، وانكفأت قريةٌ بالغوطة فلم ينجُ من أهلها إلَّا رجلٌ واحدٌ. [قال:] وأصابَ أهل البَلْقاء [مثل ما أصاب أهل دمشق][5]، وكانت الحيطانُ تنفصلُ حجارتُها [عن البعض]، وعَرْضُ الحائط سبعةُ أذرع، ثم امتدَّت إلى أنطاكية،

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): بدمشق ضحى يوم الخميس.

(٢) في (خ) و(ف): الأول. والمثبت من (ب) والمنتظم ١١/ ١٨٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال القاضي...

(٤) كذا في (ب)ـ وما بين حاصرتين منها ـ ولم أقف على من نسبه: الرهاوي.

(٥) مابين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): كذلك.

فهدمتها وخربتها، وامتدَّت إلى بلاد الجزيرة والموصل، وأخربتها، فيقال: [إنَّه] هلكَ من أهلها خمسون ألفاً، ومن أهل أنطاكية عشرون ألفاً[١].

[فصل وفيها مرض ابن أبي دؤاد]، في جمادى الآخرة، [أصابه][٢] فالجٌ عظيمٌ ألقاه كالحجر [الملقى].

وفي رمضان ولَّى المتوكلُ ابنَه المنتصر الحرمين والطائف يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلةً خلتْ منه.

وفي رمضان عزلَ المتوكِّلُ الفضلَ بن مروان عن ديوان الخراج، وولَّاه ليحيى بن خاقان.

و[في رمضان][٣] غضبَ المتوكِّلُ على عمر بن الفرج الرُّخَّجيّ واستصفاه[٤].

قال الطبريُّ: دُفِعَ إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فحبس في منزله، واستولى على ضياعه، وصار نجاحُ بن سَلَمة[٥] إلى منزله، فلم يجد فيه إلَّا خمسةَ عشر ألف درهم، وقبض مسرورٌ جواريه وفرسه، وقُيِّدَ عمر بثلاثين رطلاً من الحديد، وأُحضِر مولاه نصر من بغداد، فحمل ثلاثين ألف دينار، وكان لعمر بالأهوازِ أربعون ألف دينار، ولأخيه محمد بن الفرج مئةٌ وخمسونَ ألف دينار، وحُمِلَ من داره من المتاع ستةَ عشر بعيراً، ومن الجواهر ما قيمته أربعون ألف دينار، [وأُلْبسَ][٦] جبَّةَ صوف وقُيِّدَ، فأقام سبعةَ أيَّام [وأخذ عياله ففتِّشُوا، وكنَّ مئة جارية][٧]، ثمَّ صُولِح على أخذ عشرة

(١) انظر المنتظم ١/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) في (خ) و(ف): أصاب ابن أبي دؤاد. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وفيه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) كذا في (خ) و(ف)و(ب). وفي النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١: وصادره.
وبعدها في (ب): والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.
السنة الرابعة والثلاثون بعد المئتين.

(٥) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: مسلمة. والمثبت من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف): بياض، واستدركته من نسخة في هامش تاريخ الطبري ٩/ ١٦١، ومن المنتظم ١١/ ١٩١.
وفي تاريخ الطبري: وألبس فَرَجيَّة صوف...

(٧) في (خ) و(ف) بياض، استدركته من تاريخ الطبري.

آلاف ألف درهم، على أن يُرَدَّ ضياعهُ عليه بالأهواز، وأطلقَ، فقال عليُّ بن الجهم: [من البسيط]

أبلغ نَجَاحاً فتى الكتَّاب مألُكَةً تمضي بها الريحُ إصداراً وإيرادا
لا يَخرجُ المال عفواً من يَدَي عمر ويغمدُ السيفُ في فوديه إغْمادَا
الرُّخَّجيُّون لا يُوفون ما وعدوا والرُّخَّجيَّات لا يُخلِفْنَ ميعادَا[١]

وقال عليُّ بن الجهم أيضاً: [من البسيط]

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليك
أردتَ شكراً بلا برٍّ ومَرْزِئةٍ لقد سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مسلوكِ[٢]

وقال القاضي التنوخيُّ: كان محمد بن منصور يتقلَّد القضاءَ بكور الأهواز، وعمر الرُّخَّجيُّ على الأموال والولايات، وكانا يتنافسان[٣] في المرتبة، فلا يركبُ القاضي إلى الرُّخَّجيّ حتى يأتيه، ويتشاحنان[٤] على التعظيم، فولدت بينهما عداوة، وكان الرُّخَّجيّ يكتبُ إلى المتوكِّل في القاضي، فلا يلتفتُ إليه، ويبلغُ ذلك القاضي فلا يحتفلُ به،[ويظهر الزيادة في التعاظم عليه.

فلمَّا] كان في بعض الأوقات وردَ كتابُ المتوكِّل [على الرُّخَّجيّ يأمره][٥] بأمرٍ في معنى الخراج، وأن يجتمع بمحمد بن منصور القاضي، ولا ينفرد به دونه.

وقَدِم بالكتاب خادمٌ من خدم السلطان، فأنفذ الرُّخَّجيّ إلى القاضي فأخبره الخبر، وقال: نصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال الأمر، فقال القاضي: لا، ولكن تحضرُ أنتَ إلى الجامع، فنجتمع فيه، فأبى الرُّخَّجيُّ، وتردَّدَ الكلام بينهما، إلى أن قال الرُّخَّجيُّ للخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين وأخبره بأنَّ قاضيه يريدُ إيقاف الأمر.

فبلغه الخبر، فركب ومعه الشهود إلى الديوان والرُّخَّجيُّ قاعدٌ في الدست، وكتابُه

(١) ديوان علي بن الجهم ص١٢٤ (تكملة).
(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١٦١-١٦٢، والأبيات في ديوان علي بن الجهم ص١٦١ (تكملة).
(٣) في نشوار المحاضرة ٢/ ١٢، والمنتظم ١١/ ١٩٢: يتوازيان.
(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي نشوار المحاضرة والمنتظم: ويتشاحان.
(٥) في (خ) بياض. واستدركته من نشوار المحاضرة.

بين يديه، فقام الكلُّ إلا الرُّخَّجيّ، فعدل القاضي إلى آخر البساط، وطواه وجلس على بارية[١]، وحفَّ به شهوده، وجاء الخادمُ فجلسَ عند القاضي وأراه الكتاب، فلم يزل[٢] الرُّخَّجيّ يخاطبُ القاضي، وبينهما مسافة حتى بلغا الأمر[٣]، فقال الرُّخَّجيّ للقاضي: يا أبا جعفر، ما هذه الجبريَّة، ما تزال تتولَّع بي وتُقَدِّر أنَّك عند الخليفة مثلي، أو أنَّ محلَّك يوازي محلي، والخليفة لا يضربُ على يدي في أمواله التي بها قوام دولته، ولقد أخذتُ من أمواله ألفَ ألف دينار، وألفَ ألف دينار، وألف ألف دينار[٤]، فما سألني عنها، وإنَّما أنت إليك أن تُحَلِّفَ مُنْكِراً على حقّ، وأن تفرضَ لامرأةٍ على زوجِها، أو تحبسَ من أداء حقٍّ. وأبو جعفر يعدِّد ما ذكرَه الرُّخَّجيّ بيده، ويكشفُها ليراها الناس، فلمَّا سكتَ الرُّخَّجيّ قال القاضي لبعض الوكلاء: وقد سمعت ما جرى، وقد وكَّلتُك لأميرِ المؤمنين على هذا في مطالبته بما أقرَّ على نفسِه. فقال الوكيل: إن رأى القاضي أن يحكم بهذا المال ويكتب به سجلاً. قال: نعم، عليَّ بدواةٍ، وكتبَ السجلّ، وأثبتَه بشهادةِ الشهود، وحكم به عليه.

ونهض القاضي والكتابُ بيده، والرُّخَّجيّ يهزأُ به، والقاضي يقول: سوف ترى.

وكتب صاحبُ الخبر إلى المتوكِّل بما جرى، فأحضر وزيرَه وقال: أنا منذُ زمانٍ أقول لك حاسب هذا الخائن الرُّخَّجيَّ، وأنت تدافعُ، حتى حفظ الله علينا أموالنا بقاضينا محمد بن منصور، ورَمى إليه بكتابِ صاحب الخبر، ثمَّ قال له: اكتب الساعةَ بالقبضِ على الرُّخَّجيّ.

فخرج الوزير وهو قلقٌ، لعنايته بالرُّخَّجيّ، وقال لكاتبه: اكتب إليه، وقل له: يا مشؤوم، ما الذي دعاك إلى معاداة القضاة؟ وأنت مقتول إن لم تتلافَ أمرك مع القاضي.

---

(١) الباريُّ والبارياء: الحصير المنسوج. لسان العرب (برى). وقال محقق نشوار المحاضرة: البارية: الحصير المنسوج من القصب، ولم يزل هذا اسمها في بغداد.

(٢) ليست في (ف). وفي (خ): يكن. والمثبت من المصادر.

(٣) في نشوار المحاضرة والمنتظم: حتى فرغا من الأمر.

(٤) بعدها في نشوار المحاضرة ٢/ ١٤ : وألف ألف دينار. أي مرة رابعة.

فجاء الرُّخَّجيُّ إلى القاضي، فحجبه، فرجعَ خجلاً، فاحتال حتى دخل بالليل مع بعض خواصِّ القاضي عليه، فصاح عليه القاضي: اخرج من داري، فأكبَّ على رأس القاضي فقبَّله وبكى، فقام إليه القاضي فاعتنقه، وبكى وقال: عزيزٌ عليَّ، ولا حيلة لي، فقد نفذ الحكمُ، فنهضَ الرُّخَّجيُّ، فنفذ القاضي [بمن قبض عليه][1]، فكتب عليه، ونصبَ وكيلاً، فباع أمواله وأملاكه، وحملَ ثمنها إلى بيت المال[2].

وفيها قَدِمَ يحيى بنُ هَرْثمة ـ وكان والي طريق مكة ـ بعليِّ بن محمد بن عليّ الرضا من المدينة، وكان قد بلغَ المتوكِّلَ عنه شيء.

وفيها وثبَ ميخائيلُ بن توفيل على أمِّه بدور[3]، فأدخلَها الدير، وشمَّسها، وقتل رجلاً اتَّهمهُ بها، واسمه الغيثط[4]، وكانت مملكتها ستَّ سنين.

وحجَّ بالناس محمدُ بن دواد.

وفيها توفِّي

بُهْلُولُ بن صالح[5]

أبو الحسن التُّجِيْبِيُّ، قدم بغداد، وحَدَّث بها.

ومن رواياته عن ابن عباس رسالة[6] زياد بن أَنْعُم، [عن أبيه][7] قال: يا معاشر قريش، أخبروني عن هذا الكتاب العربي، هل كنتم تكتبونَه قبل أن يُبعثَ محمد ﷺ؟ قال ابنُ عباس: نعم، قلتُ: وعمَّن أخذتموه؟ قال: من حربِ بن أميَّة، قلت: ومن أينَ أخذه ابنُ أميَّة؟ قال: من عبد الله بن جُدْعان، قلت: ومن أين أخذه ابنُ جُدْعان؟ قال: من أهل الأنبار، قلت: ومن أين أخذَه أهلُ الأنبار؟ قال: من طارئٍ طرأ عليهم

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ١١/ ١٩٤ .
(٢) نشوار المحاضرة ٢/ ١٢-١٧ .
(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ١٦٣ : تذورة، وفي الكامل ٧/ ٤٠ : تدورة.
(٤) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٦٣ : اللُّغُثيط، وفي الكامل ٧/ ٤٠ : اللقط.
(٥) رجح ابن ماكولا أن اسمه: بهلول بن عمر بن صالح. انظر بيان الوهم في اسمه في الإكمال ٦/ ٥٣-٥٤ .
(٦) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١ .
(٧) ما بين حاصرتين زيادة من المنتظم ١١/ ١٩٦ .

من اليمن من كندة، قلت: وممَّن أخذَهُ ذلك الطارئ؟ قال: من خلجان كاتبِ الوحي لهود عليه السلام وهو القائل: [من الطويل]

أفي كلِّ عامٍ سنَّةٌ تُحدِثونَها ورأيٌ على غير الطريقِ يغيَّرُ
ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياة يسبُّنا بهم جرهم فيمن يَسبُّ وحميرُ

محمد بن سَمَاعة

ابن عبيد الله بن هلال بن وكيع بن بشر، أبو عبد الله القاضي الحنفي التميميّ. ولد سنة ثلاثين ومئة.

وكان إماماً فاضلاً صاحبَ اختياراتٍ في المذهب وروايات، وله المصنَّفاتُ الحسان، وهو من الحفَّاظ الثقات. وولي القضاء ببغداد، فلم يزل إلى أن ضعُفَ نظره فاستعفَى.

وكان يصلِّي كلَّ يومٍ مئتي ركعةٍ، وقال: مكثتُ أربعين سنة لم تَفُتني التكبيرة الأولى في جماعةٍ إلَّا يوماً واحداً، ماتت فيه أمي، ففاتتني صلاةٌ واحدة، فصلَّيت خمساً وعشرين صلاةً، ولكن كيفَ لي بتأمين الملائكة[1]؟!.

وكانت وفاته في شعبان عن مئةٍ وثلاث سنين، وهو صحيحُ العقلِ والسمع والبصر، لم يتغيَّر عليه حال[2].

حَدَّث عن الليثِ بن سعد وغيره، ورَوى عنه الوشَّاء[3] وغيره، واتَّفقوا على صدقِه وديانته.

محمد بن عبد الملك

ابن أبان بن أبي حمزة الزيَّات، أبو يعقوب[4]، وقيل: أبو جعفر، الوزير، من

---

(١) في تاريخ بغداد ٣/ ٣٠١ ، والمنتظم ١١/ ١٩٨ ، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣١٩ وغيرها أنه غلبته عينه فأتاه آتٍ فقال له: يا محمد قد صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟!

(٢) انظر الجواهر المضية ٣/ ١٦٩ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن عَنْبر الوشاء.

(٤) لم أقف على من كناه بأبي يعقوب سوى ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٩٨ ، وفي هامشه: في نسخة: أبو جعفر.

جَبُّل[١]، قريةٍ تحتَ بغداد، وكانَ أبوه تاجراً من تجَّار الكرخ المياسير، ويحثُّه على التجارة، فيأبى إلَّا الكتابة، وطلبَها فبرع فيها، ثم شخص إلى الحسن بن سهل، فمدحه فأعطاه عشرةَ آلاف درهم[٢]، ثمَّ اتصلَ بالمعتصمِ فرفَع قدرَه ووسَمه بالوزارة، ثم استوزَره الواثق[٣].

وكان أديباً فاضلاً شاعراً، عالماً بالنحو واللغة، جواداً ممدَّحاً، وله أشعارٌ حِسان، ومن بارع قول البحتريِّ يصفُ بلاغته: [من الخفيف]

بعضَ هذا العتاب والتفنيدِ ... ليسَ ذمُّ الوفاءِ بالمحمودِ
في نظامٍ من البلاغة ما شـ ... ـكَّ امرؤٌ أنَّه نظامُ فريدِ
ومعانٍ لو فصَّلَتْهَا القوافي ... هجَنَتْ[٤] شعرَ جَرْولٍ ولبيدِ
حُزْنَ مستعملَ الكلامِ اختياراً ... وتجنَّبنَ ظلمةَ التعقيدِ
وركبنَ اللفظَ القريبَ فأدركْـ ... ـنَ به غايةَ المرام البعيدِ
وترى الخلق مجمعين [على فضـ ... ـلك[٥]] مِنْ بين سيِّدٍ ومَسُودِ
عَرفَ العالمونَ فضلكَ [بالعلـ ... ـم][٦] وقال الجهَّالُ بالتقليدِ
صارمَ العزمِ حاضر[٧] [الحزمِ ساري[٨]] الـ ... ـفكرِ ثبتَ المقام [صُلبَ[٩]] العودِ
دقَّ فهماً وجلَّ علماً فأرضَى الـ ... ـله فينا والواثقَ بنَ الرَّشيدِ
لا يميلُ الهوى به حيثُ يُمْضِي الـ ... ـأمرَ بين المَقْلِيِّ والمودودِ

---

(١) انظر معجم البلدان ٢/ ٤٥٥، والأغاني ٢٣/ ٤٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٤، لكن وقع في النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١: جِيل، ثم قال: قلت: ومنها كان أصل الشيخ عبد القادر الكيلاني!.

(٢) الأغاني ٢٣/ ٤٦، والمنتظم ١١/ ١٩٨.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٣.

(٤) في ديوان البحتري، وتاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٤٧ (طبعة مجمع اللغة): هَجَّنت. بدل: لهجت.

(٥) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٧) في (خ) و(ف): ظاهراً. والمثبت من المصادر.

(٨) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٩) ما بين حاصرتين من المصادر.

سؤددٌ يُصْطَفى ونَيْلٌ يُرجّى وثناءٌ يحيى[١] ومالٌ يُودي
قد تلقّيتَ كلَّ يومٍ جديدٍ يا أبا جعفرٍ بمجدٍ جديدِ
وإذا استطرفَتْ سيادةُ قومٍ نلت[٢] بالسؤددِ الطريفِ التليدِ[٣]

وكان ابن الزيات يتعشَّق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجلٍ خراسانيٍّ، فسافر بها، فكاد عقل ابن الزيّات يذهب، وقال: [من البسيط]

يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشقِ الدَّنِفِ وطول رَعْيتِه للنَّجم في السَّدَفِ
ماذا تُواري ثيابي من أخي حُرَقٍ كأنَّما الجسمُ منه دِقَّةُ الألفِ
ما قال يا أسفا يعقوبُ من كمدٍ إلَّا لطولِ الذي لاقَى من الأسفِ[٤]

ذكر وفاته:

اتَّفَقَ [لغضب][٥] المتوكل عليه أسبابٌ أقواها[٦] أنَّ الواثقَ استوزَرَه، وغضبَ الواثقُ على أخيه المتوكِّل لشيءٍ بلغَه عنه، ووكل به عمر بن فرج الرُّخَّجي ومحمد بن العلاء، فكانا يحفظانه، ويكتبان بأخباره في كل وقت، فصار جعفر إلى ابن الزيات يسأله أن يكلِّم الواثقَ ليرضى عنه، فلمَّا دخلَ عليه مكثَ قائماً بين يديه مليّاً لا يكلِّمه، ثم أمره بالقعود، وكان ينظرُ في الكتب، فلَّما فرغَ التفت إليه وقال: ما الذي جاء بك؟ كالمتهدد، فقال: لتسألَ أميرَ المؤمنين أن يرضى عنِّي، فقال لمن حوله: انظروا إلى هذا، يُغضِبُ أخاه، ويسألني أنْ أسترضيَه له، اذهب، فإنَّك إذا أصلحتَ حالك رضيَ عنك، فقام المتوكِّلُ كئيباً حزيناً لما لقي منه من قبيح اللقاء والخيبة.

فأتى إلى عمر بن فرج ليسأله أنْ يختمَ له صكَّه ليقبض أرزاقه، فلقيه بالخيبة، فأخذ الصكَّ فرمى به، وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً، فقام جعفر لينصرف وقام أبو الوزير، فقال له جعفر: يا أبا الوزير، أما ترى صنع عمر؟! فقال له: جعلت فداءك، أنا

(١) في تاريخ دمشق ٦٣/١٤٨: يجنى.
(٢) في المصادر: بِنْتَ.
(٣) انظر القصيدة في ديوان البحتري ١/ ٦٣٢-٦٣٨، وتاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤، والمنتظم ١١/ ١٩٨-١٩٩.
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤-٥٩٥، والمنتظم ١١/ ١٩٩، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥١، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٦.
(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، ومكانها في (خ) بياض.
(٦) في (خ): أحدها. والمثبت من (ف).

زِمَامٌ عليك، وليس يختمُ على أرزاقي إلَّا بالطلب، فابعث إليَّ بوكيلك، فبعث جعفر وكيلَه، فدفعَ إليه عشرين ألف درهم، وقال: أنفق هذه إلى أن يهيِّئَ الله أمرك، فأخذَها، ثم بعث بعد ذلك جعفر إلى أبي الوزير يسألُه إعانتَه فبعثَ إليه بعشرة آلاف درهم.

وبلغ الواثق فنكبَ أبا الوزير، واستأصلَه، وأخذَ أمواله.

وكان جعفر لمَّا خرجَ من عند عمر الرُّخَّجِي صار إلى أحمد بن أبي دؤاد، قام واستقبلَه وقبَّل ما بين عينيه، وقال: حاجتُك، جعلتُ فداءك؟ فقال: استرضِ أميرَ المؤمنين لي، فقالَ: أفعلُ حبّاً وكرامةً.

وأما ابنُ الزيَّات فإنَّه كتبَ إلى الواثق يقول: أتاني جعفر بن المعتصم يسألُني أن أكلِّم فيه أميرَ المؤمنين، وهو في زيِّ المخنثين، له شعرٌ على قفاه، فكتبَ إليه الواثق: ابعث إليه من يحضره، وجزَّ شعره، واضربْ به وجهَه، فدعا به، وأمر الحجَّام، فجزَّ شعره، وضرب به قفاه ووجهه[١].

قال المتوكل: وكنتُ قد لبستُ سواداً جديداً لمَّا جئتُ إليه طمعاً في الرضا عنِّي، فما دخل عليَّ شيءٌ مثلُ ما دخلَ حين أخذَ شعري على السواد الجديد.

وأما ابنُ أبي دؤاد فكلَّم الواثقَ في جعفر، فلم يرض عنه، فقال: يا أمير المؤمنين المعتصم عندي معروف، وجعفر ابنه، فبحقِّ المعتصم إلَّا رضيتَ عنه، فرضيَ عنه وكساه، فحظيَ عند المتوكل لمَّا وليَ الخلافة، ورفعَ منزلته.

ولمَّا اجتمعوا ليولُّوا خليفةً أشار ابنُ الزيات بمحمد بن الواثق، على ما ذكرنا، وتيقَّن المتوكِّلُ أنَّه أراد صرفَ الأمرِ عنه، فكان ذلك سبباً لهلاكه، فاستوزره، ولم يظهر له شيئاً حتى إذا كان يوم الأربعاء لتسع[٢] خلون من صفر أمرَ إيتاخ بالقبض عليه، فأرسلَ إليه إيتاخ رسولاً، فظنَّ أنَّ المتوكِّلَ طلبَه على عادته، فركب، فلمّا حاذى دارَ إيتاخ أُنزلَ بها، ثمَّ أُدخِلَ حجرةً، وأُخِذَ سيفُه ومِنْطَقتُه وقَلَنْسوته ودرَّاعته، فدُفعَتْ إلى

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٧ : فأخذه شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه.
(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٨، ١٦١ : لسبعٍ.

غلمانه وانصرفوا، ثم بعثَ إيتاخ إلى داره فنهبها، وأخذَ جميع ما فيها من المتاع والأثاث والدوابّ والجواري والغلمان، وبعثَ إلى داره ببغداد، فأخذَ ما فيها من مالٍ وخدم، وقبض ضياعَه وضياعَ أهل بيته وقيَّده، فامتنعَ من الطعام، وكان كثيرَ البكاء في حبسه، ثمَّ سُوهِر ومنعَ من النوم، وكان يُنْخَسُ بمسلَّة لئلَّا ينام، فأقامَ كذلك أيَّاماً، ثمَّ أَمرَ المتوكِّل بتنُّور من خشب، فيه مساميرُ من حديد، فأُدْخِل فيه، وابنُ الزيَّاتِ أوَّلُ من عملَ التنُّور وعذَّب به ابنَ أسباط المصري، حتَّى استخرجَ منه جميع ما كان عندَه، ثمَّ عُذِّبَ بالتنُّور أيَّاماً، وكان في وسط التنور خشبةٌ يجلسُ عليها المعذَّبُ ليستريح، فمنعُوه من القعودِ عليها.

واختلفوا في كيفية قتلِه، فقيل: إنه أُخْرِجَ من التنُّور فبُطِح وضُرِبَ على بطنه خمسينَ مِقْرَعة، ثم قُلِب فضربَ على أليتيه مثلَها، فماتَ وهو يضرب، ونتفوا لحيته، وعذَّبوه أشدَّ العذاب، وما أكلَ في حبسه سوى رغيفٍ أو رغيفين.

وكان يقول لنفسه: ويحك يا محمد، لم تقنعكَ الدوابُّ الفارهة، والدارُ النظيفة، والعافيةُ، حتَّى طلبتَ الوزارة، فذق وبالَ أمرك وما فعلت بنفسك، ثمَّ أخذ بعد ذلك بالتوبةِ والاستغفَارِ والذِّكر.

والأصحُّ أنَّه مات في التنُّور، ثم طُرِح على بابٍ من خشب، وسُلِّم إلى أهله فغسَّلُوه وحفروا له فلم يعمِّقوا، فذكروا أنَّ الكلاب نبشَتْهُ وأكلَته.

وقيل: إنَّ الذي تولَّى دفنَه ابناهُ عبيدُ الله وسليمان، وكانا محبوسين فأُخرِجَا فتولَّياه.

وكان قيمةُ ما قُبِضَ له تسعينَ ألف دينار[1].

وكان حبسُ المتوكِّل إيَّاه في تاسع[2] صفر، ومات في الحبس لإحدى عشرة بقيت من ربيع الأوَّل.

---

(١) انظر خبر مقتل ابن الزيات في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٦-١٦١، والمنتظم ١١/ ١٩٩-٢٠٢، والكامل ٧/ ٣٦-٣٨.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٨، ١٦١، والكامل ٧/ ٣٨: في سابع صفر.

وكان يقول: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، وما رحمتُ أحداً قطّ، فلما وُضِعَ في التنُّور كان يقول: ارحموني، فيقال له: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، أنسيت قولكَ: ما رحمت أحداً قط(١).

وقال أحمد بن الأحول(٢): لمَّا قُبِضَ على ابن الزيَّات تلطَّفتُ حتى دخلتُ عليه، فرأيتُه في حديدٍ ثقيل، فقلت له: يعزُّ علي ما أرى، فقال: [من الرمل]

سلْ ديارَ الحيِّ ما غيَّرها ... وعفاها ومحا منظرَها
وهي الدُّنيا إذا ما انقلبتْ ... صيَّرت معروفَها منكرَها
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ ... نحمدُ الله كذا قدَّرَها(٣)

ولما أُلقي في التنُّور كتبَ بفحمة: [من مجزوء الرمل]

مَنْ له عهدٌ بنوم ... يرشدُ الصَّبَّ إليهِ
رحمَ الله رحيماً ... دلَّ عينيَّ عليهِ
سهرتْ عيني ونامتْ ... عينُ من هُنْتُ عليهِ(٤)

وحكى المسعوديُّ أنَّه طلبَ دواةً وورقةً بيضاء، فاستأذنَ الموكَّلون فيه المتوكل، فقال: اعطوه، فأتوه بهما فكتب: [من البسيط]

هو السبيل فمن يومٍ إلى يوم ... كأنَّه ما تُريكَ العينُ في النومِ
لا تجزعنَّ رويداً إنَّها دولٌ ... دنيا تنقَّل من قومٍ إلى قومِ

وبعثَ بها إلى المتوكل، فأمر بإطلاقِه، فوجدوه قد مات(٥).

وابنُ الزيَّات هو الذي كتبَ إليه الحسنُ بن وهب وقَد دام المطرُ أيَّاماً: [من الخفيف]

---

(١) انظر المنتظم ١١/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠٠، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٢-٣٣.
(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: أحمد الأحول.
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٥، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥٤، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠١.
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٥-٥٩٦، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥٤، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠٠-١٠١.
(٥) مروج الذهب ٧/ ١٩٥.

أوجَب العُذْرَ في تراخي اللقاء ... ما أتانا من هذه الأنواءِ
لستُ أدري ماذا أقولُ فأشكو ... من سماءٍ تعيقُني عن سماءِ
غير أنِّي أدعو لهاتيك بالصَّحـ ... ـوِ[(١)] وأدعو لهذه بالبقاءِ
فسلامُ الإله أهديهِ منِّي ... كلَّ يومٍ لسيِّدِ الوزراءِ

يحيى بن معين

ابن عون بن زياد بن بِسْطام. وقيل: معين بن غياث بن زياد بن عون[(٢)] بن بِسطام، أبو زكريا، الحافظُ البغداديُّ، مولى الجنيدِ بن عبد الرحمن بن المُرِّي الغطفاني، وأصلُه من الأنبار، من قريةٍ يقال لها: نِقْيَا، بينها وبين بغداد اثني عشر فرسخاً، وقيل: أصله من المري[(٣)]، فمات أبوه، وخلَّف لابنهِ يحيى ألفَ ألف درهم وخمس مئة ألف درهم[(٤)]، فأنفقَ الكلَّ على أصحاب الحديث، حتى لم يبقَ له نعلٌ يلبسُه.

وكان عالماً متقناً عارفاً بالجرح والتعديل، كتبَ ألف ألف حديث، وكانت كتبُه مئة قمطر وعشرين حُبّاً.

وكان الإمامُ أحمد يعظِّمُ شأنَه، وما سمَّاه قطُّ باسمِه، بل بكنيته[(٥)]، ويقول: كلُّ حديثٍ لا يعرفُه أبو زكريا، فليس بحديث.

---

(١) في العقد الفريد ٣/ ١٩٤، ٤/ ٢٢٧: بالشكل.

(٢) في (خ) و(ف): عمرو. والتصويب من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٣، والمنتظم ١١/ ٢٠٢، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٤٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٧١ وغيرها.

(٣) كذا في (خ) و(ف). ولم أقف على هذا القول. لكن وقع في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٥، والمنتظم ١١/ ٢٠٣: كان مَعين على خراج الرَّيّ، فمات فخلف لابنه....

(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٥، والمنتظم ١١/ ٢٠٣ وغيرها: وخمسين ألف درهم.

(٥) في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٧ من قول عباس الدوري: قلَّما سمعت أحمد بن حنبل يسمِّي يحيى بن معين باسمه، إنما كان يقول: قال أبو زكريا، قال أبو زكريا. وقيل نحوها في حق عليّ بن المديني، قال أبو حاتم الرازي: وكان أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط. الجرح والتعديل ٦/ ١٩٤، وسيأتي في ترجمة علي بن المديني.

وقال عبدُ الله ابنُ الإمام أحمد[١]: حجَّ ابنُ معين، فزار قبرَ النبيِّ ﷺ، ثمّ خرجَ فبات بظاهر المدينة، فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: يا أبا زكريا، أرغبت عن جواري[٢]؟ فقال لرفقائه: اذهبوا فإنِّي راجعٌ إلى المدينة.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري[٣]: كنتُ معه في تلك السفرة، فدخلَ المدينة فأقامَ بها ثلاثاً[٤]، فمرض وماتَ ليلة الجمعة في ذي القعدة، فاجتمعَ الناس، فقال بنو هاشم: لا نغسِّله إلَّا على الأعواد التي غُسِّل عليها رسول الله ﷺ؛ لأنَّه نفى الكذب عنه، وأخرجوه إلى البقيع، ونادى منادٍ بين يديه: هذا الذي نَفى الكذبَ عن رسول الله ﷺ، إلى أنْ وصلَ إلى قبره، وكان قد بلغ سبعاً وسبعين سنةً.

ورَثَاهُ بعضُ المحدثين فقال: [من الكامل]

ذهبَ العليمُ بعيبِ كلِّ محدِّثٍ وبكلِّ مختلفٍ من الإسنادِ
وبكلِّ وَهْمٍ في الحديث ومشكلٍ يعني به علماءُ كلِّ بلادِ[٥]

وقال بعضُ المحدثين: رأى رجلٌ من أهل المدينة في منامه رسولَ الله ﷺ وأصحابَه وهم مجتمعين في الروضة، فقال: ما بالكم؟ فقال النبيُّ ﷺ: جئنَا نحضرُ جنازةَ هذا الرجل الذي كان ينفي الكذبَ عنِّي.

وقال حُبيش بن مبشِّر: رأيتُ يحيى بن معين تلكَ الليلة في النوم، وعلى رأسِهِ تاجٌ، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني عليه في داره، وزوَّجني ثلاثَ مئة حورية، ثم

---

(١) لم أقف على هذا الخبر عن عبد الله ابن الإمام أحمد، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٤ من قول حبيش بن مبشِّر، فقال الخطيب بعده: الصحيح أن يحيى توفي في ذهابه قبل أن يحجّ.
(٢) في (خ) و(ف): في. والمثبت من المصادر.
(٣) كذا في (خ) و(ف). وهو خطأ. والصواب ـ كما في تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٩٠ـ: محمد بن يوسف البخاري والد أبي ذر.
(٤) في المصادر المذكورة أنه دخل المدينة ليلة الجمعة ومات من ليلته، لكن وقع في رواية حبيش بن مبشر ـ ستأتي ـ أنه أقام بها ثلاثاً ثم مات.
(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٥.

قال: انظروا إلى عبدي، كيف تطرَّى وحَسُن[(١)].

سافر ابنُ معين إلى الآفاق، ودخل الأمصار، وسمع خلقاً لا يحصون، منهم ابنُ عيينة، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطّان، وغيرهم. وروى عنه زهيرُ بن حرب، والبخاريُّ، ومسلم في آخرين.

واتَّفقوا على صدقه وثقته، إلَّا [ما روى] إبراهيم بن هانئ [قال: رأيت أبا داود][(٢)] يقعُ في ابنِ معين، فقلتُ له: في مثلِ ابن معين؟! فقال: نعم، من جرَّ ذيولَ الناس جرُّوا ذيله. يعني أنَّه جرحَ الشيوخ.



(١) في (خ) و(ف): نظر فأحسن. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٦٤ .

الفهرس